تفسير السمعاني

ابي المظفر السمعاني

تفسير السمعاني
أبي المظفر السمعاني
طبعة دار الوطن ــ الرياض ــ المملكة العربية السعودية
1417هـ ــــ 1997 م
عدد الأجزاء 9

تفسير السمعاني ج 1/ص 31
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة على رسوله محمد وآله أجمعين ولا عدوان إلا على الظالمين اللهم بارك ووفق
القول في تفسير فاتحة الكتاب
قال الشيخ الإمام الأجل الزاهد جمال الأئمة أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني ـ رحمه الله تعالى اعلم أن لهذه السورة أربعة أسامي فاتحة الكتاب وأم القرآن والسبع المثاني والسبع من المثاني برواية عبد خير عن علي ـ رضى الله عنه ـ
أما فاتحة الكتاب فلأن بها افتتح الكتاب وهو القرآن
وأما أم القرآن لأنها أصل القرآن منها بدئ القرآن وأم الشيء أصله ومنه يقال لمكة أم القرى لأنه أصل البلاد
وأما السبع المثاني لأنها سبع آيات باتفاق الأئمة إلا في رواية شاذة أنها ثمان آيات وسميت مثاني لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة
وقال مجاهد إنما سميت مثاني لأن الله ـ تعالى ـ استثناها لهذه الأمة كأنه أوحى بها لهم ولم يعطها أحدا من الأمم
وأما السبع من المثاني ففيه قولان أحدهما أنها سبع آيات مخصوصة من المثاني وهو القرآن قال الله ـ تعالى ـ كتابا متشابها مثاني
وإنما سمى القرآن مثاني لاشتماله على علوم مثناة من الوعد والوعيد والأمر والنهى ونحوها
والثاني أن السبع من المثاني هو السبع المثاني و من فيه للصلة وإنما نشأ هذا الخلاف من قوله تعالى ـ ولقد آتيناك سبعا من المثاني
ثم اعلم أن هذه السورة مكية على قول ابن عباس وقال مجاهد هي مدنية

وقيل نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة ولذلك سميت مثاني لأنها ثنيت في التنزيل وهذه رواية غريبة

تفسير السمعاني ج:1 ص:31
تفسير السمعاني ج 1/ص 32
بسم الله
قوله بسم الله الرحمن الرحيم آية من الفاتحة على قول بعض العلماء وهو مروى عن ابن عباس وأم سلمة
وليس بآية منها على قول البعض وهذا مذكور بدليله في الفقه ثم اعلم أن الباء في قوله بسم الله أداة يخفض ما بعدها من الكلام مثل من عن وفي وعلى وأمثالها
والمعنى المتعلق بالباء لدلالة الكلام عليه وتقديره أبدأ بسم الله أو بدأت بسم الله
وقوله بسم الله أصله باسم الله كقوله اقرأ باسم ربك وإنما حذف الألف في الكتابة لأنه لا يظهر في اللفظ
وقيل إنما حذفت لكثرة الاستعمال تخفيفا ولأنه كثر استعمالها فاستخفوا حذفها بخلاف قوله اقرأ باسم ربك ونظائره لأن هناك لم يكثر الاستعمال
ثم اختلفوا في اشتقاق الاسم قال المبرد وجماعة البصريين الاسم مشتق من السمو وهو العلو والظهور فكأنه ظهر على معناه وعلا عليه وصار معناه تحته
وقال ثعلب من الكوفيين هو مشتق من الوسم والسمة فكأنه علامة لمعناه
والأول أولى لأن الاسم يصغر على المسمى ولو كان مشتقا من السعة لكان يصغر على الوسم كما يقال في الوصل وصيل وفي الوعد وعيد
وأما قوله الله ـ تعالى ـ فقد اختلفوا فيه فقال الخليل وابن كيسان هو اسم علم خاص لله ـ تعالى ـ لا اشتقاق له وهو كأسماء الأعلام للعباد مثل

تفسير السمعاني ج:1 ص:32
تفسير السمعاني ج 1/ص 33
الرحمن الرحيم 1
زيد وعمرو ونحوه وهو اختيار القفال الشاشي وجماعة من أهل العلم

وقال الباقون هو اسم مشتق و في موضع الاشتقاق قولان أحدهما أنه مشتق من قولهم أله إلاهة أي عبد عبادة وقرأ ابن عباس ويذرك وإلاهتك أي عبادتك

ويقال للناسك المتعبد مثأله ومنه قول القائل
سبحن واسترجعن من تأله
أي تعبد فيكون معناه أنه المستحق للعبادة إليه توجه كل العبادات وأنه المعبود فلا يعبد غيره
وقيل الإله من يكون خالقا للخلق رازقا لهم مدبرا لأمورهم مقتدرا عليهم
والثاني أن الله أصله إله وأصل الإله ولاه إلا أن الواو أبدلت بالهمزة كقولهم وشاح وإشاح
واشتقاقه من الوله وكأن العباد يولهون الله ويفزعون إليه ويتضرعون ويلجأون إليه في الشدائد
وأما قوله الرحمن الرحيم قال ابن عباس هما اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر
وحكى عنه أيضا أنه قال الرحمن الرفيق بالعباد و الرحيم العاطف عليهم ثم اختلفوا فيه فقال بعضهم الرحمن غير الرحيم ولكل واحد منهما معنى

تفسير السمعاني ج:1 ص:33
تفسير السمعاني ج 1/ص 34
غير معنى صاحبه وقال بعضهم هما واحد
فأما من قال الرحمن غير الرحيم قال للرحمن معنى العموم وللرحيم معنى الخصوص فعلى هذا الرحمن بمعنى الرازق في الدنيا والرزق على العموم للكافر والمؤمن و الرحيم بمعنى العافي في الآخرة والعفو في الآخرة على الخصوص للمؤمنين دون الكافرين ولذلك قيل في الدعاء يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة فالرحمن من تصل رحمته إلى الخلق على العموم و الرحيم من تصل رحمته إلى الخلق على الخصوص ولذلك يدعى غير الله رحيما ولا يدعى رحمانا لأن الله ـ تعالى ـ هو الذي تصل رحمته إلى الخلق كأنه كما قال تعالى ورحمتي وسعت كل شيء وأما غير الله قد يخص شيئا بالرحمة فيكون بذلك رحيما
وأما من قال إن معناهما واحد فقد قال قطرب هما اسمان ذكر أحدهما

تفسير السمعاني ج:1 ص:34
تفسير السمعاني ج 1/ص 35
الحمد لله تأكيدا للآخر مثل لهفان ولهيف وندمان ونديم
وقال المبرد هذا تمام بعد إتمام وتفضل بعد تفضل وتطميع لقلوب الراغبين ووعد لا يخيب آمله ومعناه ذو الرحمة والرحمة هي الإنعام والتفضل

قوله الحمد لله اعلم أن الحمد يكون بمعنى الشكر على النعمة ويكون بمعنى التحميد والثناء على الأوصاف المحمودة يقال حمدت فلانا على ما أسدى إلي من النعمة ويقال حمدت فلانا على شجاعته وعلمه وأما الشكر لا يكون إلا على النعمة فللحمد معنى عام وللشكر معنى خاص فكل حامد شاكر وليس كل شاكر حامدا
يقال حمدت فلانا على شجاعته ولا يقال شكرت فلانا على شجاعته
ثم أعلم أن حمد الله ـ تعالى ـ لنفسه حسن لا كحمد المخلوقين لأنفسهم لأن حمد المخلوقين لا يخلو عن نقص فلا يخلو مدحه نفسه عن كذب فيقبح منه أن يمدح نفسه وأما الله - جل جلاله - بريء عن النقص والعيب فكان مدحه نفسه حسنا
وقوله الحمد لله هاهنا يحتمل معنيين الإخبار والتعليم أما الإخبار كأنه يخبر أن المستوجب للحمد هو الله وأن المحامد كلها لله ـ تعالى ـ
وأما التعليم كأنه حمد نفسه وعلم العباد حمده وتقديره قولوا الحمد لله
وقوله لله فاللام تكون للإضافة وتكون للاستحقاق يقال أكل للدابة

تفسير السمعاني ج:1 ص:35
تفسير السمعاني ج 1/ص 36
رب العالمين 2 الرحمن الرحيم 3 مالك يوم الدين 4 والدار لزيد فاللام هاهنا بمعنى الاستحقاق كأنه يقول المستحق للحمد هو الله ـ تعالى ـ وقد فرغنا عن تفسير قوله لله

رب العالمين وأما الرب يكون بمعنى التربية والإصلاح ويكون بمعنى المالك يقال رب الضيعة يربيها أي أتمها وأصلحها ويقال رب الدار لمالك الدار فالرب هاهنا يحمل كلا المعنيين لأن الله ـ تعالى ـ مربى العالمين ومالك العالمين
وأما العالمون قال ابن عباس هم الجن والأنس وقال الحسن وقتادة وأبو عبيدة هم جميع المخلوقين وقيل الأول أولى لأن الخطاب مع المكلفين الذين هم المقصودون بالخليفة وهم الجن والإنس وقيل الإنس عالم والجن عالم والله ـ تعالى ـ وراءه أربع زوايا في كل زاوية ألف وخمسمائة عالم
وقد فرغنا عن تفسير الرحمن الرحيم وإنما ذكره ثانيا لفائدة التوكيد
قوله مالك يوم الدين يقرأ بقراءتين مالك وملك قال أبو حاتم السجستاني مالك بالألف أولى لأنه أوسع وأجمع يقال مالك الدار ومالك الطير ومالك العبد ولا يستعمل منها اسم الملك
وقال أبوعبيد والمبرد وملك أولى لأنه أتم فإن الملك يجمع معنى المالك والمالك لا يجمع معنى الملك فإن كل ملك مالك وليس كل مالك ملكا ولأنه

أوفق لألفاظ القرآن مثل قوله - تعالى- فتعالى الله الملك الحق وقوله لمن الملك اليوم ونحو ذلك فمالك من الملك و الملكة وملك من الملك

تفسير السمعاني ج:1 ص:36
تفسير السمعاني ج 1/ص 37
إياك نعبد وإياك نستعين 5 والملكة والله - تعالى - مالك وملك
وأما اليوم اسم لزمان معلوم والمراد بيوم الدين يوم القيامة ومعناه يوم الحساب ويوم الجزاء وقد يكون الدين بمعنى الطاعة وبمعانشتي ولكنه هاهنا على أحد المعنيين فإن قال قائل لم خص يوم الدين بالذكر والله - تعالى - مالك الأيام كلها يقال إنما خصه لأن الأمر في القيامة يخلص له كما قال والأمر يومئذ لله وأما في الدنيا للملوك أمر وللمسلمين أمر وللأنبياء أمر

قوله إياك نعبد وإياك نستعين قوله إياك نعبد بمعنى نحن نعبدك والعبادة هي الطاعة مع التذلل والخضوع يقال طريق معبد أي مذلل ومعناه نعبدك خاضعين وإياك نستعين أي نطلب منك المعونة فإن قيل لم قدم ذكر العبادة على الاستعانة تكون قبل العبادة ولم ذكر قوله إياك مرتين وكان يكفى أن يقول إياك نعبد ونستعين فإنه أوجز وألخص يقال أما الأول فإنما يلزم من يجعل الاستطاعة قبل الفعل ونحن بحمد الله نجعل الاستعانة والتوفيق مع الفعل سواء قرنه به أم أخره جاز
أو يقال لأن الاستعانة نوع تعبد فكأنه ذكر جملة العبادة ثم ذكر ما هو من تفاصيلها
وأما قوله وإياك نستعين إنما كرره لأنه لو اقتصر على قوله إياك نعبد ونستعين ليعلم أنه المعبود وأنه المستعان وعلى أن العرب قد تتكلم بمثل هذا قد يدخل الكلام تجريدا أو تفخيما وتعظيما ولا يعد ذلك عيبا كما تقول العرب هذا المالك بين زيد وبين عمرو وإن كان يفيد قولهم المال بين زيد وعمرو ما يفيد الأول ولا يعد ذلك عيبا في الكلام بل عد تفخيما وتجزيلا في الكلام

تفسير السمعاني ج:1 ص:37
تفسير السمعاني ج 1/ص 38
اهدنا الصراط المستقيم 6
قوله اهدنا الصراط المستقيم يعنى أرشدنا وثبتنا
والهداية في القرآن على معان فتكون الهداية بمعنى الإلهام وتكون بمعنى

الإرشاد وتكون بمعنى البيان وتكون بمعنى الدعاء
أما الإلهام قال الله ـ تعالى ـ ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أي ألهم
وأما الإرشاد قوله تعالى ـ واهدنا إلى سواء الصراط
وأما البيان قوله وأما ثمود فهديناهم أي بينا لهم
وأما الدعاء مثل قوله تعالى ـ ولكل قوم هاد أي داع فهو بمعنى الاسترشاد هاهنا

فإن قال قائل أي معنى للاسترشاد وكل مؤمن مهتد فما معنى قوله اهدنا قلنا هذا سؤال من يقول بتناهي الألطاف من الله ـ تعالى ـ ومذهب أهل السنة أن الألطاف والهدايات من الله ـ تعالى ـ لا تتناهى فيكون ذلك بمعنى طلب مزيد الهداية ويكون بمعنى سؤال للتثبيت اهدنا بمعنى ثبتنا كما يقال للقائم قم حتى أعود إليك أي أثبت قائما
وأما الصراط المستقيم قال علي وابن مسعود هو الإسلام وقال جابر هو القرآن وأصله في اللغة هو الطريق الواضح والإسلام طريق واضح والقرآن طريق واضح

تفسير السمعاني ج:1 ص:38
تفسير السمعاني ج 1/ص 39
صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين 7 وقد قال القائل أمير المؤمنين على صراطإذا اعوج الموارد مستقيم
قوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قد قرأ عمر ـ رضي الله عنه ـ صراط من أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم وغير الضالين ولكنه في الشواذ والمعروف هو القراءة المعهودة
وقيل الذين أنعمت عليهم هم الأنبياء وقيل كل من ثبته الله على الإيمان من النبيين والمؤمنين كافة
وقال أبو العالية الرياحي هم الرسول وأبو بكر وعمر
وأما قوله غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين فالمغضوب عليهم هم اليهود والضالون هم النصارى
وروى عن عدي بن حاتم أنه جاء إلى النبي ليسلم وقال يا رسول الله من المغضوب عليهم فقال اليهود وقال فمن الضالون فقال النصارى قال عدي أشهد أني حنيف مسلم قال عدي فرأيت وجه رسول الله يتهلل ويبتسم فرحا بإسلامي
وأما آمين فليس من القرآن والسنة للقارىء أن يقف وقفة ثم يقول آمين وفيه لغتان آمين بالمد وأمين بالقصر ومعناه اللهم استجب وقيل إنه طابع

الدعاء

تفسير السمعاني ج:1 ص:39

تفسير السمعاني ج 1/ص 40
بسم الله الرحمن الرحيم القول في تفسير سورة البقرة
اعلم أن سورة البقرة مدنية باتفاق الأئمة وحكى عن بعض العلماء أنه قال يكره تسميتها بسورة البقرة والأولى أن يقال السورة التي يذكر فيها البقرة وكذا في سائر السور من أمثالها والأصح أنه يجوز لما روى عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه رمى جمرة العقبة من بطن الوادي ثم قال هذا والله مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة
وروى عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي أنه قال تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة أي السحرة وفي هذا دليل على فضيلة هذه السورة وعلى جواز تسميتها سورة البقرة وسمى بعض المتقدمين هذه السورة فسطاط القرآن لشرفها وفضلها

تفسير السمعاني ج:1 ص:40
تفسير السمعاني ج 1/ص 41
آلم 1
قوله تعالى ـ آلم قال الشعبي وجماعة من المتقدمين في هذا وسائر حروف التهجي في فواتح السور والفائدة في أوائل السور لا يعلم معناها وهي سر القرآن ولكل كتاب سر وسر القرآن حروف التهجي من فواتح السور والفائدة من ذكرها طلب الإيمان بها وأن يعلم أنها من عند الله ـ تعالى ـ
وقال غيرهم هي معلومة المعاني وقال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ معنى قوله آلم أنا الله أعلم وكل حرف يدل على معنى والألف دليل قوله أنا واللام دليل قوله الله والميم دليل قوله أعلم
وكذا قال في أمثاله فقال في الّمص معناه أنا الله أعلم وأفصل وفي آلمر أنا الله أعلم وأرى وفي آلر أنا الله أرى
قال الزجاج هذا حسن وبمثله قالت العرب في قولها فإن العرب قد تأتي في كلامها بحرف وتريد به معنى كما قال القائل
قلت لها قفي فقالت قافلا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

ومعنى قولها قاف أي وقفت فدل الحرف على معنى كذا هذا
وقال قتادة في حروف التهجي إنها اسم للقرآن

وقال مجاهد إنها أسماء للسور وقال غيرهم هو قسم أقسم الله ـ تعالى ـ بهذه الحروف لشرفها وفضلها لأنها مباني كتبه المنزلة
قوله ـ عز وجل ـ ذلك الكتاب لا ريب فيه أما قوله ذلك الكتاب أي هذا الكتاب كما قال القائل

تفسير السمعاني ج:1 ص:41
تفسير السمعاني ج 1/ص 42
ذلك الكتاب لا ريب فيه هدي للمتقين 2
أقول له والرمح يأطر متنهتأمل خفافا إنني أنا ذلكا
أي أنني أنا هذا وقيل هذا مضمر فيه ومعناه هذا ذلك الكتاب الذي وعدتك يا محمد أن أنزله عليك على لسان الذين قبلك و هذا للتقريب و ذلك للتبعيد
فأما الكتاب هو القرآن والكتاب بمعنى المكتوب كما يقال ضرب الأمير أي مضروبه
لا ريب فيه أي لا شك فيه فإن قال قائل كيف أخبر قال لا ريب فيه وقد ارتاب فيه كثير من الناس وخبر الله ـ تعالى ـ لا يكون بخلاف مخبره يقال معناه أنه الحق والصدق لا شك فيه
وقيل هو خبر بمعنى النهى أي لا ترتابوا فيه
قوله تعالى هدي للمتقين والهدى بمعنى الرشد والبيان
وأما المتقون مأخوذ من الاتقاء والتقوى وأصله الحجز بين شيئين ومنه يقال اتقى بترسه أي جعله حاجزا بين نفسه وبين ما قصد به من المكروه وفي الخبر كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله أي اشتدت الحرب جعلناه حاجزا بيننا وبين العدو
فكأن المتقى يجعل امتثال أمر الله والاجتناب عن نهيه حاجزا بينه وبين العذاب فيتحرز بطاعة الله عن عقوبة الله
فإن قال قائل لم خص المتقين بالذكر وهو هدى لجميع المؤمنين قيل إنما خصهم بالذكر تشريفا أو لأنهم هم المنتفعون بالهدى حيث نزلوا منزل التقوى دون غيرهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:42
تفسير السمعاني ج 1/ص 43

الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون 3 فلهذا خصهم به قوله تعالى ـ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة
قوله الذين نعت المتقين يؤمنون من الإيمان وهو التصديق قال الله تعالى وما أنت بمؤمن لنا أي بمصدق لنا
والإيمان في الشريعة يشتمل على الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان والعمل بالأركان وقيل الإيمان مأخوذ من الأمان فسعي المؤمن مؤمنا لأنه يؤمن نفسه من عذاب الله والله مؤمن لأنه يؤمن العباد من عذابه
بالغيب قال ابن عباس الغيب كل ما أمرت بالإيمان به مما غاب عن بصرك وذلك مثل الملائكة والجنة والنار والصراط والميزان ونحوها
وقال غيره الغيب هاهنا هو الله تعالى
وقال ابن كيسان أراد به القدر يؤمنون بالغيب أي بالقدر
ويقيمون الصلاة أي يديمون الصلاة وحقيقة إقامة الصلاة المحافظة على أدائها بأركانها وسننها وهيئاتها
فالصلاة في اللغة الدعاء وقد ورد في الخبر من دعى إلى الطعام فليجب فإن كان مفطرا فليأكل وإن كان صائما فليصل أي فليدع وقد قال الشاعر
تقول بنتي وقد قربت مرتحلايا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

تفسير السمعاني ج:1 ص:43
تفسير السمعاني ج 1/ص 44
والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون 4 عليك مثل الذي صليت فاغتمضيعينا فإن بجنب المرء مضطجعا
معنى قوله صليت أي مثل الذي دعوت
وقيل الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الناس الدعاء وهي في الشريعة تشتمل على أفعال مخصوصة وعلى الثناء والدعاء
قوله ومما رزقناهم ينفقون أما الرزق اسم لكل ما ينتفع به الخلق فيدخل فيه الولد والعبد
ينفقون من الإنفاق وأصله الإخراج ومنه نفاق السوق لأنه تخرج فيه السلعة ويقال نفقت الدابة إذا خرجت روحها فهذه الآية في المؤمنين من مشركي العرب

قوله تعالى ـ والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك
وهذه الآية في المؤمنين من أهل الكتاب لأنهم هم الذين آمنوا بالقرآن وسائر الكتب قبله وقد روى في حديث صحيح عن النبي أنه قال من آمن بالكتب المتقدمة وآمن بالقرآن يؤتى أجره مرتين وعليه دل نص القرآن أولئك يؤتون أجرهم مرتين
وقوله وبالآخرة هم يوقنون فالآخرة هي دار الآخرة وسميت الدنيا دنيا لدنوها من الخلق وسميت الآخرة آخرة لتأخرها عن الخلق

تفسير السمعاني ج:1 ص:44
تفسير السمعاني ج 1/ص 45
أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون 5 إن الذين كفروا
هم يوقنون من الإيقان وهو العلم وقيل الإيقان واليقين علم عن استدلال ولذلك لا يسمي الله تعالى موقنا إذ ليس علمه عن استدلال
قوله تعالى ـ أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون
فقوله أولئك يعني الذين وصفهم على هدى أي على رشد وبيان من ربهم فإن قيل لم ذكر الهدى ثانيا وقد وصفهم بالهدى مرة قيل كرره لفائدة التأكيد أو يقال الهدى الأول من القرآن والهدى الثاني من الله وفيه بيان أن الهداية من الله ـ تعالى ـ ومن كلامه كما هو مذهب أهل السنة
وأما المفلحون من الفلاح والفلاح يكون بمعنى البقاء يقال أفلح بما شئت أي أبق بما شئت وقد يكون بمعنى الفوز والنجاة وأصل الفلاح القطع والشق ومنه سمى الزارع فلاحا لأنه يشق الأرض وفي المثل الحديد بالحديد يفلح أي يشق قال الشاعر
قد علمت يا ابن أم صحصحأن الحديد بالحديد يفلح
أي يشق فمعنى المفلحين أنهم الباقون في نعيم الأبد والفائزون به والمقطوع لهم بالخير في الدنيا والآخرة

قوله تعالى إن الذين كفروا
فالكفر مأخوذ من الكفر وهو الستر والتغطية ومنه يقال لليل كافر لأنه يستر الأشياء بظلمته وسمى الزارع كافرا لأنه يستر الحب بالتراب ويسمى الكافر كافرا لأنه يستر نعم الله ـ تعالى ـ بكفره ويصير في غطاء من دلائل الإسلام وبراهينه
وقيل الكفر على أربعة أنحاء كفر إنكار وكفر جحد وكفر عناد وكفر نفاق

تفسير السمعاني ج:1 ص:45
تفسير السمعاني ج 1/ص 46
سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون 6 ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم 7
فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلا أو لا يعترف به
وكفر الجحد هو أن يعرف الله ـ تعالى ـ ولكن يجحده ككفر إبليس
وكفر العناد هو أن يعرف الله ـ تعالى ـ بقلبه ويعترف بلسانه ولكن لا يتدين به ولا يتخذه دينا ككفر أبي طالب فإنه عرف الله ورسوله بقلبه وأقر بلسانه حتى قال
ولقد علمت بأن دين محمدمن خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا
وأما كفر النفاق أن يعترف باللسان ولا يعتقد بالقلب فهذه أنواع الكفر فمن لقى الله ـ تعالى ـ بنوع منها لم يعف
قوله تعالى ـ سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون
سواء عليهم أي مستو عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم أي خوفتهم أم لم تخوفهم والإنذار تخويف مع الإعلام
وقيل هو أشد التخويف يعني سواء خوفتهم أم لم تخوفهم لا يؤمنون وردت هذه الآية في قوم بأعيانهم علم الله ـ تعالى ـ أنهم لا يؤمنون
قوله تعالى ـ ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
ذكر في الآية الأولى أنهم لا يؤمنون وذكر في هذه الآية علته فقال ختم الله على قلوبهم والختم هو الطبع وحقيقته الاستيثاق من الشيء كيلا يدخله ما هو خارج منه ولا يخرج عنه ما هو داخل فيه ومنه الختم على الباب

فقوله ختم الله على قلوبهم ذكر ابن كيسان أقوالا في معناه أحدها أي جازاهم على كفرهم بأن أختم على قلوبهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:46
تفسير السمعاني ج 1/ص 47
ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين 8 يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون
والثاني وهو قول أهل السنة أي ختم على قلبهم بالكفر لما سبق من علمه الأزلي فيهم

وحكى قول ثالث أن معناه جعل على قلوبهم علامة تعرفهم الملائكة بها وهذا تأويل أهل الاعتزال نبرأ إلى الله منه
وحكى أبو عمر غلام ثعلب عن ثعلب عن إبراهيم الأعرابي أن الختم هو منع القلب من الإيمان ذكره في كتاب الياء
قوله وعلى سمعهم أي أسماعهم ذكر الجمع بلفظ الواحد ومثله كثير في القرآن معناه على موضع سمعهم فختم على قلوبهم كيلا يقبلوا الحق وعلى سمعهم كيلا يسمعو الحق
قول تعالى وعلى أبصارهم غشاوة هذا ابتداء الكلام ومعناه على أبصارهم غطاء
ولهم عذاب عظيم أي كبير وصف عذاب الآخرة بالعظم ولا شك أنه عظيم
قوله تعالى ـ ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين قال الكلبي ورد هذا في شأن اليهود وأكثر المفسرين على أنه في شأن المنافقين ومعناه ومن الناس ناس تقول آمنا بالله وباليوم الآخر يعني القيامة وما هم بمؤمنين نفي الإيمان عنهم حيث أظهروا الإسلام باللسان ولم يعتقدوا بالجنان وهذا دليل على من يخرج الاعتقاد من جملة الإيمان
قوله تعالى ـ يخادعون الله والذين آمنوا الآية المخادعة والخدع بمعنى واحد وحقيقة المخادعة أن يظهر شيئا ويبطن خلافه

تفسير السمعاني ج:1 ص:47
تفسير السمعاني ج 1/ص 48

---

9 في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا وقال ابن الأعرابي في كتاب الياء قوله المخادعة منع القلب من الحق قاله في حق المنافقين حيث أظهروا الإسلام باللسان وأبطنوا خلافه
فإن قال قائل ما معنى قوله يخادعون الله وهذا يوهم الشركة في المخادعة وقد جل الله ـ تعالى ـ عن المشاركة في المخادعة الجواب قال الحسن البصري معناه يخادعون نبي الله
وقال غيره من المفسرين معناه يعاملون الله معاملة المخادعين
فأما قوله وما يخادعون إلا أنفسهم يقرأ بقراءتين يخادعون ويخدعون فمن قرأ يخادعون فهو على المشاكلة لأنه ذكر الأول بلفظ المخادعة وهذا شكله فذكره بلفظه
ومن قرأ يخدعون فهو على الأصل وعلى أن لفظ المخادعة لا يقتضي المشاركة بين اثنتين ومثله طرقت النعل وطارقت النعل ومثله كثير في ألفاظ المفاعلة

فمعنى قوله وما يخادعون إلا أنفسهم أي وبال خديعتهم راجع إليهم وما يشعرون أي لا يعلمون ذلك يقال شعرت بمعنى علمت ومنه قولهم ليت شعري أي ليت أعلم
قوله تعالى في قلوبهم مرض الآية أراد بالمرض الشك والنفاق بإجماع المفسرين ويوصف القلب والدين بالمرض والصحة كما يوصف البدن به فزادهم الله مرضا أي شكا ونفاقا فإنه لما نزلت الآيات آية بعد آية فكلما كفروا بآية ازدادوا كفروا ونفاقا وذلك معنى قوله تعالى وأما الذين في قلوبهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:48
تفسير السمعاني ج 1/ص 49
ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون 10 وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون 11 ألا إنهم هم المفسدون مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم
قوله تعالى ولهم عذاب أليم أي مؤلم فعيل بمعنى مفعل كما قال القائل
أمن ريحانة الداعي السميعيؤرقني وأصحابي هجوع خفية
وأراد بالسميع المسمع

قوله تعالى ـ بما كانوا يكذبون قرىء بقراءتين مخفف ومعناه يكذبون بما أظهروا من الإسلام وأبطنوا خلافه وهو مثل قوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون
وقرىء يكذبون مشددا ومعناه يكذبون الرسول
قوله تعالى ـ وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض معناه لا تكفروا والكفر أشد فسادا في الأرض
قالوا إنما نحن مصلحون يعنى أن الذي أظهرنا من الإسلام واستفدنا به من العز و الأمان مصلحة لنا ونحن مصلحون به
ألا إنهم هم المفسدون هذا ابتدأ كلام من الله وقوله ألا للتنبيه قال الشاعر
ألا إن هذا الدهر يوم وليلة
وليس على شيء قديم بمستمر
يقول الله ـ تعالى ـ ألا إنهم هم المفسدون يعني بما أظهروا من الإسلام وأبطنوا خلافه فهو فساد وإن ظنوه صلاحا وأظهروا خلاف ما أبطنوا ولكن لا يشعرون أي لا يعلمون

تفسير السمعاني ج:1 ص:49
تفسير السمعاني ج 1/ص 50
ولكن لا يشعرون 12 وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون 13
فإن قيل كيف يلزمهم الحجة إذا كانوا لا يعلمون
قيل يلزمهم الحجة بما أوضح من السبيل ونصب من الدلائل وجهلهم لا يكون عذرا لهم
قوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس الآية كما آمن الناس يعنى المهاجرين والأنصار
قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء سموهم سفهاء فأجابهم الله ـ تعالى ـ بقوله ألا إنهم هم السفهاء
والسفيه خفيف العقل رقيق الحلم من قولهم ثوب سفيه أي رقيق بال
يقول هم الذين خفت عقولهم ورقت أحلامهم ولكن لا يعلمون
قوله تعالى ـ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية معناه وإذا لقوا المهاجرين والأنصار قالوا آمنا أظهروا الإسلام باللسان

وإذا خلوا إلى شياطينهم أي بشياطينهم يذكر إلى بمعنى الباء لأن الصلات يقوم بعضها مقام البعض والشيطان كل عات متمرد من الجن والإنس وأصله البعد والامتداد يقال بئر شطون أي بعيد العمق والقعر ويقال للحبل شطن لامتداده وسمى الشيطان شيطانا لامتداده في الشر وبعده عن الخير
فأراد بالشياطين هاهنا عتاتهم ورؤساءهم في الكفر يقول إذا خلوا برءوسهم قالوا إنا معكم في دينكم إنما نحن مستهزئون بما أظهرنا من الإسلام مع المهاجرين والأنصار

تفسير السمعاني ج:1 ص:50
تفسير السمعاني ج 1/ص 51
وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن نحن مستهزئون 14 الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم
و قوله تعالى ـ الله يستهزىء بهم الآية فإن قال قائل ما معنى الاستهزاء من الله ـ تعالى ـ قلنا فيه أقوال قال بعضهم معناه يجازيهم على صنيعهم إلا أنه سماه الله استهزاء لأنه جزاء الاستهزاء كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وإن لم يكن الجزاء سيئة حقيقة
وقال بعضهم يستهزىء بهم أي يعيبهم ومنه قوله تعالى يكفر بها ويستهزأ بها أي يعاب كذلك هذا

وقال أهل الرواية معناه الله يستهزىء بهم في الآخرة والاستهزاء بهم في الآخرة يحتمل وجهين أحدهما أن يضرب للمؤمنين على الصراط نورا يمشون به وإذا وصل المنافقون إليه حال بينهم وبين المؤمنين فذلك الاستهزاء بهم كما قال فضرب بينهم بسور له باب
والثاني أنه يقربهم من الجنة حتى إذا رأو زهرتها وحسنها وبهجتها واستنشقوا رائحتها صرفهم عنها إلى النار فذلك الاستهزاء بهم وقد نطق عنه - عليه الصلاة والسلام بمعناه حديث في الصحاح
قوله ويمدهم أي يمهلهم حتى يستدرجهم في طغيانهم أي ضلالتهم يعمهون أي يتحيرون قال الشاعر
ومهمة أطرافها في مهمةأعمى الهدى بالجاهلين العمه

قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى لأن معناه اختاروا الكفر على الإيمان لأنهم لما آثروا أشياء على شيء فكأنهم استبدلوا هذا بذلك فما

تفسير السمعاني ج:1 ص:51
تفسير السمعاني ج 1/ص 52
يعمهون 15 أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين 16 مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما ربحت تجارتهم أي فما ربحوا في تجارتهم وما كانوا مهتدين
قوله تعالى ـ مثلهم كمثل الذي استوقد نارا الآية المثل قول سائر في عرف الناس يعرف به معنى الشيء من الشيء وهذا أحد أقسام القرآن فإن القرآن على سبعة أقسام
وقيل مثلهم أي صفتهم كمثل الذي استوقد نارا أوقد النار واستوقد بمعنى واحد كما يقال أجاب واستجاب
وقيل أوقد إذا فعل بنفسه واستوقد إذا طلب الإيقاد من غيره فما أضاءت ما حوله يعنى أضاءت النار الموقدة حول المستوقد ضربه مثلا للمنافقين ومعنى هذا المثل ـ قوله تعالى كمثل الذي استوقد نارا ـ ضربه مثلا لما أظهروا باللسان من الإسلام
فلما أضاءت ما حوله يعنى ما استفادوا بذلك الإسلام الظاهر من التجمل والعز والأمان في الدنيا
ذهب الله بنورهم قيل فيه معان أحدها ذهب الله بما أظهروا من الإسلام بإظهار عقيدتهم على لسان النبي وقيل معناه ذهب الله بنورهم يعنى في القبر وقيل في القيامة يعنى أن ما استفادوا به في الدنيا لا ينفعهم في الآخرة إذا كان مصيرهم إلى النار

فإن قال قائل كيف قال ذهب الله بنورهم ولا نور لهم وقال في موضع آخر يخرجهم من الظلمات إلى النور ولا نور لهم قيل أراد به نور ما أظهروا من الإسلام وذلك نوع نور
وقيل قد يذكر مثله على معنى الحرمان كما يقال أخرجتني من صلتك وإن لم

تفسير السمعاني ج:1 ص:52
تفسير السمعاني ج 1/ص 53
حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون 17 صم بكم عمي فهم لا يرجعون 18 أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد يكن داخلا في صلته بمعنى أنك حرمتني صلتك كذلك قوله تعالى ـ ذهب الله بنورهم أي حرمهم ذلك النور وتركهم في ظلمات أي شدائد لا يبصرون الحق
قوله صم بكم عمي فهم لا يرجعون فالصم جمع الأصم وهو الذي لا يسمع والبكم جمع الأبكم وهو الذي لا ينطق وولد على الخرس
والعمي جمع الأعمى وهو الذي لا يبصر فمعناه أنهم صم لا يبصرون الحق ولا يعرفونه كأنهم لم يسمعوا وهو مثل قول الشاعر
أصم عما ساءه سميع
أي لا يسمع ما ساءه مع كونه سميعا
بكم يعني أنهم لما أبطنوا خلاف ما أظهروا فكأنهم لم ينطقوا بالحق
عمي أي لا بصائر لهم ومن لا بصيرة له كمن لا بصر له
فهم لا يرجعون عما هم عليه من الضلالة
قوله تعالى أو كعيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق الآية فالصيب المطر وكل ما نزل من الأعلى إلى الأسفل فهو صيب من قولهم صاب يصوب إذا نزل
وقيل الأهل مضمر فيه أي كأهل الصيب كقوله واسأل القرية أي أهل القرية
من السماء كل ما علا فهو سماء فالسقف سماء والسحاب سماء وما فوقه سماء وأراد به السحاب ههنا
فيه ظلمات يعنى في السحاب لأنه لا يخلو عن ظلمة ألا تراه يغشى وجه

تفسير السمعاني ج:1 ص:53
تفسير السمعاني ج 1/ص 54
وبرق يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين 19 الشمس ورعد وبرق قال علي وابن عباس وأكثر المفسرين إن

الرعد صوت ملك يزجر السحاب والبرق لمعان سوط في يد ملك يضرب به السحاب يسوقه إلى حيث قدره الله تعالى

وفي الخبر أن النبي قال إذا سمعتم صوت الرعد فاذكروا الله فإنه لا يصيب ذاكرا وكان إذا سمع صوت الرعد يقول اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك
وقيل الرعد اسم الملك وقيل صوت اختناق الريح إلى السحاب و الأول أصح
يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق يعني من الصوت العذاب حذر الموت وقيل الصاعقة قطعة من العذاب ينزلها الله ـ تعالى ـ على من يشاء وعليه دل قوله تعالى ـ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء والله محيط بالكافرين أي جامعهم قال مجاهد يجمعهم فيعذبهم والإحاطة بالشيء جمعه بحيث لا يشذ منه شئ والإحاطة من الله ـ تعالى ـ تكون بالقهر والاقتدار والعلم ومعنى المثل في هذا أما قوله أو كصيب من السماء يعني إن شئت مثلهم بالمستوقد وإن شئت مثلهم بالصيب أي بأهل الصيب ضرب الصيب مثلا لما أظهروا

تفسير السمعاني ج:1 ص:54
تفسير السمعاني ج 1/ص 55
يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء لله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير 20
باللسان من الإسلام
فيه ظلمات مثل لما في الإسلام من البلايا والمحن والشدائد ورعد مثل لما فيه من المخاوف في الآخرة
وبرق لما فيه من الوعد والوعيد
وقيل ضرب الصيب مثلا للقرآن الذي كانوا يقرءونه باللسان لأن في القرآن حياة الباطن كما في الماء حياة الظاهر فيه ظلمات مثل لما ذكرنا في القرآن من أنواع الكفر والنفاق ورعد مثل لما ذكرنا فيه من الوعيد وبرق مثل لما فيه من البيان
يجعلون أصابعهم في آذانهم يعنى أن المنافقين إذا رأوا في الإسلام بلاء وشدة هربوا وتأخروا حذرا من الهلاك
والله محيط بالكافرين يعنى لا ينفعهم حذرهم لأن الله ـ تعالى ـ من ورائهم يجمعهم فيعذبهم

قوله تعالى يكاد البرق يخطف أبصارهم الآية يكاد كلمة القرب يكاد يفعل أي قرب يفعل يخطف أبصارهم والخطف استلاب بسرعة وهذا من تمام المثل ومعناه على القول الأول تكاد دلائل الإسلام تزعجهم إلى النظر لولا ما سبق لهم من الشقاوة
ومعناه على القول الآخر يكاد القرآن يبهر قلوبهم
كلما أضاء لهم مشوا فيه معناه كلما نالوا غنيمة وراحة ثبتوا على الإسلام وإذا أظلم عليهم قاموا يعني كلما رأوا شدة وبلاء تأخرا وقاموا أي وقفوا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم يحتمل معنيين أحدهما لو شاء

تفسير السمعاني ج:1 ص:55
تفسير السمعاني ج 1/ص 56
يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون 21
الله لذهب بما استفادوا من العز والأمان الذي لهم بمنزله السمع والبصر والثاني معناه ولو شاء الله لذهب بأسماعهم وأبصارهم الظاهرة كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة إن الله على كل شيء قدير يعني قادر
قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الآية قال ابن عباس كل ما ورد في القرآن من قوله يا أيها الناس فإنما نزل بمكة وكل ما ورد من قوله يا أيها الذين آمنوا فإنما نزل بالمدينة
وقوله يا أيها الناس يعنى يا هؤلاء الناس وهذا وإن عمت صيغته ولكن دخله الخصوص فإنه لا يتناول الصغار والمجانين اعبدوا أي وحدوا
قال ابن عباس كل ما ورد في القرآن من العبادة فهو بمعنى التوحيد وكل ما ورد في القرآن من التسبيح والسبحة فهو بمعنى الصلاة

وقوله اعبدوا ربكم الذي خلقكم أي وحدوا الله الذي خلقكم وإنما خاطبهم به لأن الكفار مقرون أن الله خالقهم والخلق هو اختراع الشيء على غير مثال سبق والذين من قبلكم أي وخلق الذين من قبلكم فإن قيل أي فائدة في قوله والذين من قبلكم فإن من عرف أن الله خالقه فقد عرف أنه خالق غيره من قبله قيل فائدته المبالغة في البيان أو يقال فائدته المبالغة في الدعوة يعنى إذا كان الله خالقكم وخالق من قبلكم فلا تعبدوا إلا إياه وفيه إشارة لأنه خلق الأولين وأماتهم وابتلاهم في الدنيا والآخرة فأشار بهذا إلى أنى أفعل بكم ما فعلت بهم
لعلكم تتقون قيل معناه لكي تتقوا قاله أبو عبيدة وقيل معناه كونوا

تفسير السمعاني ج:1 ص:56
تفسير السمعاني ج 1/ص 57
الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون 22 على رجاء التقوى فإن قال قائل التقوى هي 1 العبادة فأي شيء معنى قوله اعبدوا لكي تعبدوا قلنا معناه اعبدوه وكونوا على حذر منه وهذا دأب العابد أن يعبد الله ويكون على حذر منه وقيل معناه اعبدوه وكونوا على رجاء التقوى بأن تصيروا في ستر ووقاية من عذاب الله تعالى وحكم الله من ورائكم يفعل بكم ما يشاء وهذا مثل قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى أي ادعواه إلى الحق وكونا على رجاء التذكر والخشية منه وحكم الله وراءه يفعل به ما يشاء
قوله تعالى الذي جعل لكم الأرض فراشا الآية هذا راجع إلى ما تقدم يعني اعبدوا الذي جعل لكم الأرض فراشا والجعل هاهنا بمعنى الخلق فراشا أي بساطا وقيل وطاء وقيل مقاما يعنى لكم الأرض قرارا لتكونوا عليها والسماء بناء أي سقفا وأنزل من السماء ماء إنما أضافه إلى السماء وإن كان ينزل من السحاب لأنه ينزل من جهة السماء

فأخرج به من الثمرات رزقا لكم قيل الرزق هو كل ما يؤكل وقيل كل ما ينتفع به فلا تجعلوا لله أندادا قال قتادة الند هو المثل وقال أبو عبيدة الند هو الضد وهذا من الأضداد والله ـ تعالى ـ بريء عن المثل والضد قال حسان بن ثابت في مدح رسول الله
أتهجوه ولست له بندفشركما لخيركما الفداء
يعنى ولست له بمثل قال لبيد
أحمد الله فلا ند له
بيديه الخير ما شاء فعل

تفسير السمعاني ج:1 ص:57
تفسير السمعاني ج 1/ص 58
وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين 23
أي لا مثل له ومعنى قوله فلا تجعلوا لله أندادا أي لا تتخذوا من دونه أربابا تعبدونهم كعبادة الله وتطيعونهم كطاعة الله لا أن له مثلا أو لا مثل لله ـ تعالى ـ وأنتم تعلمون أي فلا تعبدوا غيره وأنتم تعلمون أنه خالقكم وخالق السموات والأرض و قوله تعالى ـ وإن كنتم في ريب أي شك فإن قيل كيف ذكره على

التشكيك وهم في ريب على التحقيق قيل مثله جائز في كلام العرب كما يقول الرجل لغيره إن كنت رجلا فافعل كذا وإن عرف أنه رجل على التحقيق قيل أراد به وإذ كنتم فيكون على التحقيق مما نزلنا من القرآن على عبدنا يعني على الرسول
فأتوا بسورة السورة اسم للمنزلة الرفيعة ومنه سورة البناء لارتفاعه قال الشاعر
ألم تر أن الله أعطاك سورةترى كل شيء دونها يتذبذب

أي أعطاك سورة منزلة أي منزلة رفيعة وسميت سورة القرآن سورة لأن القارىء ينال بقراءة كل سورة منزلة حتى يستكمل جميع المنازل باستكمال القرآن وقيل السورة اسم لقطعة من القرآن معلوم الأول والآخر ومنه سؤر الطعام لما بقي منه وفي الخبر إذا أكلتم فاسأروا أي أبقوا بقية وإنما نزل القرآن سورة سورة حتى أن القارىء كلما قرأ سورة وافتتح أخرى ازداد نشاطا فيكون أنشط في القراءة أو لأنه ربما لا يمكنه حفظ جميع القرآن فيحفظ بعض السور
فأتوا بسورة من مثله وقوله من مثله فيه معنيان أحدهما ـ قاله ابن

تفسير السمعاني ج:1 ص:58
تفسير السمعاني ج 1/ص 59
فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين 24 عباس وجماعة ـ أراد به من مثل القرآن فإن قيل كيف قال من مثل القرآن ولا مثل له قيل أراد به من مثله على زعمهم
وفيه قول آخر أنه أراد به من مثل محمد لأنهم كانوا يقولون إنه مفتري فقال فأتوا بسورة من مفترى مثله
وادعوا شهداءكم من دون الله أي استعينوا بأعوانكم وأربابكم من دون الله إن كنتم صادقين فيما تزعمون وفائدته أنهم إذا اجتمعوا وأحضروا أربابهم فعجزوا كان أبلغ في إلزام الحجة و قوله تعالى ـ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا الآية يعنى فإن لم تفعلوا ذلك ولن تفعلوه أبدا على طريق الإخبار وتم للماضي ولن للمستقبل وإنما قال هذا لبيان المعجزة لأن القرآن كان معجزة للنبي حيث عجز الكل عن الإتيان بمثله

فاتقوا النار أي فآمنوا لكي تتقوا النار بالإيمان التي وقودها الناس الوقود يعني الإيقاد والوقود بفتح الواو الحطب والناس أهل جهنم والحجارة قال علي وابن مسعود هي حجارة الكبريت لأنها أكثر توقدا والتهابا وقال الباقون هي جميع الحجارة وهذا دليل على عظم تلك النار و أعدت للكافرين أي هيئت للكافرين وهذا دليل على أن النار مخلوقة لا كما قال أهل البدعة ودليل على أنها مخلوقة للكافرين وإن دخلها بعض المؤمنين تأديبا وتعريكا
قوله تعالى وبشر الذين آمنوا الآية البشارة اسم لكل خبر صدق تتغير به بشرة الوجه ويظهر عليها وقد تكون في الخبر السوء كما قال فبشرهم بعذاب أليم إلا أنه في الخبر السار أغلب الذين آمنوا عملوا الصالحات

تفسير السمعاني ج:1 ص:59
تفسير السمعاني ج 1/ص 60
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به
يعني المؤمنين من أهل الطاعة أن لهم جنات الجنات جمع جنة وهو اسم للبستان الذي فيه أشجار مثمرة فإذا لم تكن الأشجار مثمرة لا تكون جنة وقيل الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم وإنما سميت جنة من الاجتنان لأنها تستر الأرض بالتفافها وأرواقها وقيل الجنان سبع وقيل ثمان والكل في القرآن
تجري من تحتها الأنهار أي من تحت أشجارها تجري المياه من الأنهار وفي الحديث إن أنهار الجنة تجري في غير أخدود أي في غير شق

كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا أي كلما رزقوا شيئا من ثمار الجنة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وفيه قولان أحدهما معناه رزقنا من قبل في الدنيا والثاني أن الثمار في الجنة متشابهة في اللون مختلفة في الطعم فإذا رزقوا منها ثمرة ثم رزقوا أخرى ظنوا أنها الأولى لاستوائهما في اللون فـ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل
وأتوا به متشابها قال مجاهد أي متشابها في اللون كما ذكرنا وقال الحسن البصري معناه كلها خيار ليس فيها رذال قال ابن عباس ليس في الدنيا من ثمار الجنة إلا الأسامي ولهم فيها أزواج قيل من الحور العين ويحتمل من أزواج الدنيا مطهرة من الأدناس لا يتمخطن ولا يتغوطن ولا يحضن وقيل مطهرة الأخلاق فيكن مطهرات خلقا وخلقا وهم فيها خالدون أي مقيمون لا يظعنون
قوله تعالى إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها وسبب نزول الآية أن الله ـ تعالى ـ لما ضرب المثل بالذباب والعنكبوت قال المشركون إنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:60
تفسير السمعاني ج 1/ص 61
متشابها ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون 25 إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه لا نعبد إلها يذكر الذباب والعنكبوت فنزل قوله تعالى ـ إن الله لا يستحيي أي لا يمتنع ولا يترك أن يضرب مثلا أي يذكر مثلا ما بعوضة ما للصلة هاهنا أي مثلا بالبعوضة قال الشاعر
قالت ألا ليتما هذا الحمام لناإلى حمامتنا أو نصفه فقد

معناه أي ليت هذا الحمام لنا والبعوض صغار البق سميت بعوضة لأنها بعض البق فما فوقها معناه فما دونها كما يقال فلان جاهل فيقال وفوق ذلك يعني أجهل من ذلك فكذلك قوله تعالى فما فوقها يعني في الصغر وأصغر من ذلك وقيل فما فوقها على الحقيقة لأنه ضرب المثل بالذباب والعنكبوت قال الربيع بن أنس مثل البعوضة مثل صاحب الدنيا لأن دأب البعوضة أنها إذا شبعت هلكت وإذا جاعت عاشت كذلك صاحب الدنيا إذا استكثر من الدنيا هلك وإذا استقل منها فاز ونجا وقيل إن حكم الله ـ تعالى ـ في صغار خلقه أكثر من حكمه في كبار خلقه قوله تعالى فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم يعني أنه الصدق من ربهم
وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا أي شيء أراد الله بهذا المثل يقول الله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا أي أراد هذا والإضلال هو الصرف عن الحق إلى الباطل وقيل الإضلال هو الإهلاك يقال ضل اللبن في الماء أي هلك
ويهدي به كثيرا أي ويرشد به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين يعني الكافرين والفسق هو الخروج عن طاعة الرب يقال فسقت الرطبة إذا خرجت

تفسير السمعاني ج:1 ص:61
تفسير السمعاني ج 1/ص 62
الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به إلا الفاسقين 26 الذين ينقضون عن قشرها ومعنى إضلالهم بالمثل أنه لما ضرب المثل فكفروا به ازدادوا ضلالا
وقوله تعالى الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه أي يخالفون أمر الله والميثاق مفعال من التوثقة وهو العهد المؤكد وفي معناه قولان أحدهما أنه

أراد نقض الميثاق الأول الذي أخذه على آدم وذريته بقوله ألست بربكم قالوا بلى

وقيل أراد به نقض الميثاق الذي أخذه على النبيين وسائر الأمم أن يؤمنوا بمحمد بقوله وإذا أخذ الله ميثاق النبيين الآية
ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل فيه ثلاثة أقوال أحدها أنهم يقطعون ما أمروا بوصله من الإيمان بمحمد وبسائر الرسل وقيل أراد به قطع الرحم والأول أولى لأنه أعم وقيل أراد به قطع العمل عن القبول فإنهم لم يعملوا بما قبلوا
ويفسدون في الأرض بالمعاصي أولئك هم الخاسرون المغبونون
قوله تعالى كيف تكفرون بالله قاله تعجبا تكفرون بالله بعد نصب الدلائل ووضوح البراهين ثم ذكر الدليل فقال وكنتم أمواتا هذا دليل أي كنتم نطفا في أصلاب الآباء
فأحياكم أي خلقكم ثم يميتكم عند انتهاء الأجل ثم يحييكم للبعث ثم إليه ترجعون إلى الله مصيركم وقيل أراد بالموت الأول الموت المعهود وكنتم أمواتا أي تصيرون أمواتا فأحياكم أي يحييكم في القبر للسؤال ثم يميتكم بعده في القبر ثم يحييكم للبعث ثم إليه ترجعون
قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا لكي تعتبروا

تفسير السمعاني ج:1 ص:62
تفسير السمعاني ج 1/ص 63
عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون 27 كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون 28 هو الذي خلق وتستدلوا وقيل لكي تنتفعوا
ثم استوى إلى السماء قال ابن عباس وأكثر المفسرين من السلف أي ارتفع وعلا إلى السماء
وقال الفراء وابن كيسان وجماعة من النحويين معناه أقبل على خلق السماء لأنه خلق الأرض أولا ثم أقبل على خلق السماء كما ذكر في حم السجدة
فسواهن سبع سموات أي خلقهن مستويات لا فطر فيها ولا صدع ولا شق
وهو بكل شيء عليم أي عالم بصغار خلقه وكبارهم

قوله تعالى ـ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة معناه وقال ربك إذ زائدة فيه
وقيل معناه واذكر إذ قال ربك والملائكة جمع الملك وأصل الملك مالك فقبلت الهمزة فصار مالك ثم اسقط الهمزة فصار ملك واشتقاقه من الألوكة وهي الرسالة ومثلها المالكة والمالكة قال الشاعر
ألكنى إليها وخير الرسولأعلمهم بنواحي الخبر
يعنى أرسلني إليها
إني جاعل في الأرض خليفة اتفقوا على أن المراد بهذا الخليفة آدم ـ صلوات الله عليه ـ والخليفة والخليف بمعنى واحد وجمع الخليف خلفاء وجمع الخليفة خلائف
واختلفوا في أنه لما سمى خليفة منهم من قال لأنه خليفة الجن فإن الله ـ تعالى ـ لما خلق الأرض أسكنها الجن ولما خلق السماء أسكنها الملائكة ثم لما خلق

تفسير السمعاني ج:1 ص:63
تفسير السمعاني ج 1/ص 64
لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم 29 وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض آدم أزعج الجن إلى أطراف الأرض فهو الخليفة الجن في الأرض
وقيل إنما سماه خليفة لأنه يخلفه غيره فيكون الخليفة بمعنى أنه يخلف غيره ويكون الخليفة أنه يخلفه غيره
وقيل إنما سمى خليفة لأنه خليفة الله في الأرض لإقامة أحكامه وتنفيذ قضاياه وهذا هو الأصح
قوله تعالى قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء فإن قيل من أين عملوا ذلك قيل إن الله تعالى أعلمهم بذلك وقيل اطلعوا عليه في اللوح المحفوظ
ونحن نسبح بحمدك هو التنزيه عن السوء ومعناه ونحن ننزهك عن الأنداد والشركاء
وقال الحسن معنى قوله ونحن نسبح بحمدك هو قولهم سبحان الله وبحمده ونقدس لك يعني نثنى عليك بالقدس والطهارة
وقيل معناه نطهر أنفسنا بطاعتك والثناء عليك

فإن قيل قولهم أتجعل فيها يشبه الاعتراض عليه وقولهم نحن نسبح بحمدك يشبه التفاخر بالعمل وكلاهما لا يجوز على الملائكة فما معنى هذا الكلام

قلنا أما قولهم أتجعل فيها معناه أنت جاعل فيها على سبيل التقدير ومثله قول الشاعر
ألستم خير من ركب المطاياوأندى العالمين بطون راح
يعني أنهم بهذه الصفة
وقالوا إنما قالوه على سبيل التعجب طلبا لوجه الحكمة فيه

تفسير السمعاني ج:1 ص:64
تفسير السمعاني ج 1/ص 65
خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس
وأما قوله ونحن نسبح بحمدك ليس على سبيل التفاخر بل معناه أنه إذا أفسدوا وسفكوا الدماء فنحن نبقى على هيئة التسبيح والتقديس أم لا قال إني أعلم مالا تعلمون له معنيان
أحدهما إني أعلم فيهم من يعبدني ويطيعني من الأنبياء والأولياء والصلحاء
والثاني معناه إني أعلم فيكم أيها الملائكة من يعصيني ـ يعني إبليس ـ
قوله تعالى ـ وعلم آدم الأسماء كلها أما آدم إنما سمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض ولما خلقه الله ـ تعالى ـ علمه أسماء الأشياء بأجمعها
قال ابن عباس علمه أسماء الأشياء حتى القصعة والقصيعة والفسوة والفسية
وإنما علمه ذلك تكريما وتشريفا له وذلك دليل على أن الأنبياء أفضل من الملائكة وإن كانوا رسلا كما ذهب إليه أهل السنة
ثم عرضهم قرأ أبي بن كعب ثم عرضها وهي في الشواذ ورجع الكناية إلى المسميات التي لا تعقل والقراءة المعروفة ثم عرضهم فإن المسميات لما جمعت من يعقل ومن لا يعقل كنى بلفظ من يعقل تغليبا له
وإنما عرضهم على الملائكة لإظهار فضيلته عليهم فإنهم كانوا قد قالوا لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا فقال أنبئوني أخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين فيما زعمتم

قوله تعالى قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا قد ذكرنا معنى التسبيح ومعنى الآية أنك أجل من أن نحيط بشيء من علمك إلا الذي علمتنا منه
إنك أنت العليم أي العالم الحكيم له معنيان أحدها الحاكم وهو

تفسير السمعاني ج:1 ص:65

تفسير السمعاني ج 1/ص 66
لك قال إني أعلم ما لا تعملون 30 وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين 31 قالوا القاضي بالعدل والثاني معنى الحكيم المحكم للأمر كيلا يتطرق إليه الفساد ومنه أحكمت الدابة لأنها تمنعها من الفساد
قوله تعالى قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم لما عرضهم على الملائكة فعجزوا يقول الله تعالى لآدم أخبرهم بأسمائهم فلما أنباهم بأسمائهم فأخبرهم آدم بأسماء تلك المسميات والحكمة التي لأجلها خلقوا فلما أخبرهم بها قال الله تعالى للملائكة ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض فإنه قد قال لهم إني أعلم مالا تعملون وغيب السموات والأرض كل ما غاب وخفي عن الأبصار وأعلم ما تبدون أي قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها
وما كنتم تكتمون فيه قولان أحدهما ما كتموا من قولهم لن يخلق الله خلقا أكرم عليه منا
والثاني معناه ما كتمه إبليس فيهم حين خلق آدم فإنه قد قال إن سلطت عليه لأهلكنه وإن سلط علي لا أطيعه
قوله تعالى ـ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم اختلفوا في أن هذا الخطاب مع أي الملائكة فقال بعضهم هو خطاب مع ملائكة الأرض خاصة
وقيل هو خطاب لجميع الملائكة ـ هو الأصح ـ ل قوله تعالى ـ فسجد الملائكة كلهم أجمعون
والسجود عبادة مع التواضع والخشوع والخضوع ومنه شجرة ساجدة إذا ماتت من

تفسير السمعاني ج:1 ص:66
تفسير السمعاني ج 1/ص 67

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم 32 قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب كثرة حملها وفي قوله اسجدوا لآدم قولان أحدهما أن معناه اسجدوا إلى آدم فيكون آدم كالقبلة والسجود لله ـ تعالى ـ
والأصح أن السجود كان لآدم على الحقيقة وتضمن معنى الطاعة لله ـ تعالى ـ بامتثال أمره فيه فعلى هذا يكون السجود لآدم على سبيل التحية له وهو كسجود إخوة يوسف ليوسف بمعنى التحية له ثم نقل ذلك إلى السلام بين المسلمين
فسجدوا إلا إبليس قال بعضهم إبليس مشتق من الإبلاس وهو اليأس من الخير

قال الشاعر
يا صاح هل تعرف رسما مكرساقال نعم أعرفه وأبلسا
وقيل هو اسم أعجمي معرب لا اشتقاق له ولذلك لا ينصرف
واختلفوا في إبليس والذي قاله ابن عباس وأكثر المفسرين أنه كان من الملائكة
وقال الحس كان من الجن لقوله تعالى كان من الجن ففسق عن أمر ربه ولأنه خلق من النار والملائكة خلقوا من النور ولأن له ذرية ولا ذرية للملائكة
والأصح أنه كان من الملائكة لأن خطاب السجود كان مع الملائكة
وأما قوله كان من الجن قيل إن فرقة من الملائكة سموا جنا خلقهم الله ـ تعالى ـ من النار وعليه دل قوله تعالى وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا
حيث قالوا الملائكة بنات الله فسماهم جنة وإنما سموا جنا لاستتارهم عن الأعين
وإبليس كان من ذلك القبيل وإنما كان له ذرية لأنه أخرجه من الملائكة ثم جعل

تفسير السمعاني ج:1 ص:67
تفسير السمعاني ج 1/ص 68
السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون 33 وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من له ذرية
وقيل إن الله ـ تعالى ـ لما خلق إبليس أعطاه ملك الأرض وملك السماء الدنيا وجعله خازن الجنة

قوله تعالى ـ أبى امتنع واستكبر أي أنف حيث ظن أنه خير من آدم وكان من الكافرين فيه قولان أحدهما معناه وصار من الكافرين في علم الله ـ تعالى ـ قال مجاهد علم الله في أزله أنه تكون منه المعصية فخلقه للمعصية
قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة أراد بزوجه حواء فإن قيل لم أمرهما بدخول الجنة وقد وعد أن من دخلها يكون خالدا فيها فكيف أخرجهما من الجنة
قلنا إنما ذلك الوعد في حق من يدخلها للثواب والجزاء وآدم إنما دخل الجنة بالكرامة دون الثواب
وكلا منها رغدا حيث شئتما الرغد الواسع من العيش وهو أن يأكل ما شاء إذا شاء كيف شاء ولا تقربا هذه الشجرة يعني للأكل
والشجرة اسم لما يقوم على الساق والنجم اسم لما لا يقوم على ساق
قال الله تعالى والنجم والشجر يسجدان وفي تلك الشجرة ثلاثة أقوال قال ابن مسعود كانت شجرة العنب وقال ابن عباس كانت شجرة السنبلة وقال ابن

جريج كانت شجرة التين وقيل إنها شجرة العليم
فتكونا من الظالمين الظلم وضع الشيء في غير موضعه وفيه يقال من أشبه

تفسير السمعاني ج:1 ص:68
تفسير السمعاني ج 1/ص 69
الكافرين 34 وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما
ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين 35 فأزلهما
باه فما ظلم أي فما وضع الشبه في غير موضعه
قوله تعالى ـ فأزلهما الشيطان عنها قرأ حمزة فأزالهما ومعناه نحاهما وبعدهما عن الجنة
وقوله فأزلهما إلى الزلة فأخرجهما مما كانا فيه يعني من نعيم الجنة وإنما نسب الإخراج إليه لأنه كان السبب فيه
وقلنا اهبطوا الهبوط هو النزول من الأعلى إلى الأسفل والخطاب مع آدم وإبليس وحواء والحية وهي الحية التي كانت من خزان الجنة فخدعها إبليس حتى أدخلته الجنة

بعضكم لبعض عدو العدو اسم للواحد والجمع معناه أعداء
ولكم في الأرض مستقر أي قرار ومتاع متعة تتغذون بها إلى حين إلى منتهى الآجال
قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات التلقي هو قبول عن فطنة وفهم دليل فتلقى هو أي تعلم ظلمنا أنفسنا إلى آخره
وقال عبيد بن عمير هي كلمات قالها آدم حين ابتلاه الله بالمعصية
من ربه كلمات قال ابن عباس والأكثرون الكلمات هي قوله ربنا ـ أي تعلم بالمعصية يارب ـ هذا شيء كتبته علي أم ابتدعته من تلقاء نفسي فقال بل شيء كتبته عليك فقال آدم فكما كتبته علي فاغفره

تفسير السمعاني ج:1 ص:69
تفسير السمعاني ج 1/ص 70
الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين 36 فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم 37 قلنا اهبطوا منها جميعا فإما
فتاب عليه فقبل توبته إنه هو التواب الرحيم هو القابل للتوبة من العباد الرحيم

بهم
قوله تعالى قلنا اهبطوا منها جميعا الهبوط الأول كان من الجنة إلى السماء الدنيا والهبوط الثاني كان من السماء الدنيا إلى الأرض
فإما يأتينكم مني هدى أي رشد و بيان شريعة
فمن تبع هداي أي ذلك الرشد والشريعة
فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة
قوله تعالى والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أي كفروا بالله وبالرسل وكذبوا بآياته أولئك أصحاب النار يعني يوم القيامة هم فيها خالدون
قوله تعالى يا بني إسرائيل إسرائيل اسم يعقوب وله في القرآن اسمان يعقوب وإسرائيل ومعنى إسرائيل عبد الله إسر مثل قولنا عبد و إيل مثل قولنا الله اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم الذكر يكون بالقلب ويكون باللسان وهو ضد النسيان وقوله نعمتي أي نعمي ذكر الجمع بلفظ الوحدان ومثله كثير في القرآن

واختلفوا في تلك النعم قال قتادة هي النعم التي خصت بها بنو إسرائيل من

تفسير السمعاني ج:1 ص:70
تفسير السمعاني ج 1/ص 71
يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون 38 والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 39 يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي
إنجائهم من فرعون بتغريقه وإرسال موسى إليهم وإنزال التوراة عليهم ونحو ذلك
وقال غيره هي جميع النعم التي لله على عباده
فإن قال قائل لم أمرهم بالذكر وهم كانوا ذاكرين لتلك النعم
قلنا الذكر بمعنى الشكر ومعناه اشكروا نعمتي وإنما ذكر بلفظ الذكر لأن في الشكر ذكرا وفي الكفر نسيانا وأوفوا بعهدي أوفي يوفى ووفى يفي بمعنى واحد وقد جمعها الشاعر في بيت واحد فقال
أما ابن عوف فقد أوفى بذمتهكما وفى بقلاص النجم حاويها
والعهد هو الأمر المؤكد ومعناه أوفوا بعهدي بامتثال أمري أوف بعهدكم بالقبول والثواب وقال مجاهد أراد بهذا العهد ما ذكر في سورة المائدة ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا إلى آخر الآية وإياي فارهبون فخافوني
قوله تعالى ـ وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم بما أنزلت في القرآن مصدقا

لما معكم من التوراة يعني أن القرآن مصدق لما في التوراة من التوحيد ونعت محمد

تفسير السمعاني ج:1 ص:71
تفسير السمعاني ج 1/ص 72
أوف بعهدكم وإياي فارهبون 40 وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون 41 ولا

ولا تكونوا أول كافر به يعني أول من كفر به وقيل أول فريق كافر به وهما في المعنى سواء فإن قيل قد كفر به مشركو العرب قبلهم فكيف قال ولا تكونوا أول كافر به قلنا أراد به من أهل الكتاب لأن الخطاب مع أهل الكتاب
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ولا تستبدلوا ذلك أن علماءهم وأحبارهم كانت لهم مأكلة على أغنيائهم وجهالهم فخافوا أن تذهب مأكلتهم إن آمنوا بمحمد فغيروا نعته وكتموا اسمه فهذا معنى بيع الآيات بالثمن القليل
وإياي فاتقون فاحذرون
قوله تعالى ـ ولا تلبسوا الحق بالباطل اللبس هو الخلط والتعمية
يقال لبس يلبس لبسا من اللباس ولبس يلبس لبسا من التلبيس قال الله ـ تعالى ـ وللبسنا عليهم ما يلبسون أي خلطنا عليهم كما خلطوا وقال علي ـ رضي الله عنه ـ للحارث لا يكن ملبوسا عليك الحق لا يعرف بالرجال أعرف الحق تعرف أهله
فمعنى قوله ولا تلبسوا الحق بالباطل أي الإسلام باليهودية والنصرانية كذا قال الأكثرون وقيل هو لبس التوراة بما غيروا من نعت محمد
وتكتموا الحق يعني نعت محمد وأنتم تعلمون أنه حق قال محمد ابن سيرين هذا الخطاب مع قوم من اليهود كانوا بالشام رأوا في كتبهم اسم محمد ونعته وأنه يبعث من القرى العربية فخرجوا في طلبه ونزلوا بالمدينة فلما بعث محمد حسدوه وغيروا اسمه ونعته خوفا من ذهاب مأكلتهم
قوله تعالى ـ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة أما الصلاة فقد ذكرنا وأما

تفسير السمعاني ج:1 ص:72
تفسير السمعاني ج 1/ص 73
تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون 42 وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين 43 أتأمرون الناس بالبر وتنسون الزكاة فمأخوذ

من زكا الزرع إذا كثر ونما
وقيل هي من تزكى أي تطهر وكلا المعنيين موجود في الزكاة المفروضة لأن فيها تنمية المال وتطهيره

واركعوا مع الراكعين أي صلوا مع المصلين وأصل الركوع عبادة مع انحناء يقال ركعت النخلة إذا انحنت ومنه قول الشاعر
أخبر أخبار القرون التي مضتأدب كأني كلما قمت راكع
وإنما ذكره بلفظ الركوع لأن صلاة اليهود ما كان فيها ركوع فكأنه قال وصلوا صلاة ذات ركوع
فإن قيل قد أمرهم في أول الآية بإقامة الصلاة فأي شيء معنى هذا الأمر الثاني قلنا الأول مطلق في حق الكل وهذا الثاني خطاب لقوم مخصوصين قال لهم صلوا مع الذين سبقوكم بالإيمان والصلاة
قوله تعالى ـ أتأمرون الناس بالبر أي بالطاعة وتنسون أنفسكم أي تتركون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب التوراة
أفلا تعقلون العقل مأخوذ من عقال البعير وهو ما يشد به ركبة البعير سمى به لأن يمنعه من الشرود كذلك العقل يمنع صاحبه من التمرد والخروج عن طاعته
وفي معنى الآية قولان أحدهما أنه خطاب لأحبارهم حيث أمروا أتباعهم بالتمسك بالتوراة ثم خالفوا وغيروا نعت محمد
والقول الثاني أن أهل المدينة كانوا يشاورون علماءهم في اتباع محمد فأشاروا عليهم باتباعه ثم خالفوه وكفروا به
في الحديث روى أنس عن النبي أنه قال رأيت ليلة أسرى بي في السماء أقواما تقرض شفاهم بمقاريض من نار فسألت من هؤلاء فقالوا هؤلاء

تفسير السمعاني ج:1 ص:73
تفسير السمعاني ج 1/ص 74
أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون 44 واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين 45 الذين يظنون أنهم الخطباء من أمتك كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم
قوله تعالى ـ واستعينوا بالصبر والصلاة الاستعانة طلب المعونة وأما الصبر فالأكثرون على أنه حبس النفس عن المعاصي
ومنه الدابة المصبورة وهي أن تمسك لترمي كالهدف

وفي الحديث أنة نهى عن الدابة المصبورة وقال في الذي يمسك غيره حتى يقتل اصبروا الصابر واقتلوا القاتل أي احبسوا الممسك واقتلوا المباشر
وقال الحسن البصري هو الصوم ومنه سمى شهر رمضان شهر الصبر فإن قيل ما معنى الاستعانة بالصوم والصلاة قيل لأن الصوم يزهده في الدنيا وكذلك في الصلاة يقرأ ما يحثه على الزهد في الدنيا فكأنه قال استعينوا بهذين على الدين لتقووا على الإقبال على الآخرة والإعراض عن الدنيا
وإنها لكبيرة لثقيلة وفي قوله وإنها قولان أحدهما أن لكناية

تفسير السمعاني ج:1 ص:74
تفسير السمعاني ج 1/ص 75
ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون 46 يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين 47 واتقوا يوما لا تجزي نفس راجعة إلى الصوم والصلاة جميعا إلا أنه اكتفى بأحد المذكورين والكناية عنه وهو كما قال القائل
ومن يك أمسى بالمدينة رحلهفإني وقيار بها لغريب
أي لغريبان إلا أنه اكتفى بأحدهما وأورد الأزهري في كتاب التقريب قولا حسنا فقال تقديره واستعينوا بالصبر وإنه لكبير وبالصلاة وإنها لكبيرة إلا أنه حذف أحدهما واختصر المعنى اختصارا
إلا على الخاشعين الخاشع هو المطيع المتواضع
الذين يظنون يستيقنون والظن يكون بمعنى الشك ويكون بمعنى اليقين قال الله ـ تعالىـ إني ظننت أني ملاق حسابيه أي استيقنت وقال الشاعر
فقلت لهم ظنوا بألفي مقنع
سراتهم في الفارسي المسرد
و قوله تعالى ـ أنهم ملاقوا ربهم أي صائرون إلى ربهم وكل ما ورد في القرآن من اللقاء فهو بمعنى الصيرورة إليه كذا قال المفسرون
وقيل هو اللقاء الموعود وهو رؤية الله ـ تعالى ـ
و قوله تعالى ـ وأنهم إليه راجعون أي صائرون

وقوله تعالى يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم معناه ما سبق وأني فضلتكم على العالمين التفضيل نقيض التسوية وأراد به التفضيل بتلك النعم التي سبق ذكرها وذلك التفضيل وإن كان في حق الآباء ولكن يحصل به الشرف للأبناء فصح الخطاب معهم
على العالمين على عالمي زمانهم
قوله تعالى ـ واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا معناه واحذروا

تفسير السمعاني ج:1 ص:75
تفسير السمعاني ج 1/ص 76
عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون 48 وإذ نجيناكم من آل فرعون عذاب يوم القيامة لا تجزى نفس عن نفس شيئا قال الأخفش معناه لا تقوم نفس مقام نفس وقال غيره معناه لا تقضى نفس عن نفس حقا لزمها
ولا يقبل منها شفاعة يقرأ بقراءتين بالتاء والياء والكل جائز لأن الشفع والشفاعة بمعنى واحد كالوعظ والموعظة والصوت والصيحة بمعنى واحد ثم يذكر تارة بالتذكير على المعنى وتارة بالتأنيث على اللفظ قال الله تعالى قد جاءتكم موعظة من ربكم وقال في موضع آخر فمن جاءه موعظة من ربه قال وأخذت الذين ظلموا الصيحة وقال في موضع آخر وأخذ الذين ظلموا الصيحة كذا هذا
ولا يؤخذ منها عدل العدل والعدل هو المثل قال الله ـ تعالى ـ أو عدل ذلك صياما أي مثله
والمراد بالعدل هاهنا الفدية وسميت عدلا لأنها مثل المفدي به وأما قولهم لا يقبل منه صرف ولا عدل قيل الصرف النافلة والعدل الفريضة وقيل الصرف الحيلة والعدل الفدية
ولاهم ينصرون يمنعون العذاب
قوله تعالى ـ وإذا نجيناكم من آل فرعون الإنجاء والتنجية واحد هو الإنقاذ من المكروه وآل فرعون أتباعه الذين اقتدوا به وبفعله وكذلك آل النبي أتباعه

تفسير السمعاني ج:1 ص:76

تفسير السمعاني ج 1/ص 77
يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم 49 وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا
وروى أنس عن النبي أنه قال آلى كل مؤمن تقي فأما آل القرابة فهم قوم مخصوصون لا تجري عليهم الصدقة وقد ذكروا في الفقه
يسومونكم سوء العذاب أي يجشمونكم ويولونكم وقيل يصرفونكم في العذاب مرة هكذا ومرة هكذا كالإبل السائمة في البرية
سوء العذاب أشد العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم مذكور على وجه البدل عن قوله يسومونكم ومثله قول الشاعر

متى تأتنا تلمم بنا في ديارناتجد حطبا جزلا ونارا تأججا
وقوله تلمم بنا في ديارنا بدل عن قوله متى تأتنا
ومعنى قوله يذبحون أبناءكم أي يقتلون الذبح والذبيح بمعنى واحد
وسبب ذلك أن فرعون رأى في المنام نارا جاءت من نحو بيت المقدس
وأحاطت بمصر وأحرقت كل قبطي هنالك ولم تتعرض لبني إسرائيل فعلم
بذلك أن نبيا يخرج من بني إسرائيل يكون هلاكهم على يديه فأمر بقتل الأبناء
وترك البنات حتى قيل إنه قتل في طلب موسى اثني عشر ألف صبيا
ويستحيون نساءكم أي يتركون ويستبقون وهو استفعال من الحياة ومنه

تفسير السمعاني ج:1 ص:77
تفسير السمعاني ج 1/ص 78
آل فرعون وأنتم تنظرون 50 وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم قول
النبي اقتلوا شيوخ المشركين واستحيوا شرخهم أي شبابهم وأراد به الذرية
والنساء
وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم البلاء يكون بمعنى النعمة ويكون بالشدة لأنه
من الابتلاء والله ـ تعالى ـ قد يختبر على النعمة بالشكر وقد يختبر على الشدة
بالصبر قال الله ـ تعالى ـ ونبلوكم بالشر والخير فتنة قال الشاعر
جزى الله إحسانا بما فعلا بهوأبلاهما خير البلاء الذي يبلو

وقوله- تعالى- وفي ذلكم بلاء يحتمل هذا المعنيين أحدهما فيما لحقكم من
فرعون من الأذى والشدة بلاء عظيم
ويحتمل أنه أراد فيما حصل لكم من النجاة بغرق فرعون بلاء غظيم أي نعمة
عظيمة
قوله -تعالى- وإذ فرقنا بكم البحر قيل فرقنا لكم البحر وقيل الباء في موضعها
ومعناه فرقنا البحر بدخولكم إياه فرقا فرقا فوق الرأس وفرقا من تحت القدم
أو فرقا من ذلك الجانب وفرقا من ذلك الجانب والبحر سمى بحرا لاتساعه
ومنه يقال للفرس بحر إذا اتسع في جريه وللجواد بحر إذا اتسع كفه للجود
و قوله تعالى ـ فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون قيل في القصص إن عدد المنجين
منهم كانوا ستمائة ألف وعشرين ألفا لا يعد فيهم ابن عشرين لصغره

تفسير السمعاني ج:1 ص:78
تفسير السمعاني ج 1/ص 79

العجل من بعده وأنتم ظالمون 51 ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون 52 وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم
ولا ابن ستين لكبره وأما عدد المغرقين فالله بهم عليم
وقيل كان على مقدمته هامان مع ألف ألف وسبعمائة ألف نفر حين غرقوا
والله أعلم بمن كان على المؤخرة
وأنتم تنظرون إلى غرقهم وهلاكهم وقيل تعلمون
قوله -تعالى- وإذا واعدنا وقرأ وإذ وعدنا معناهما واحد فإن قال قائل المواعدة على وزن المفاعلة فتقتضي اثنين يتواعدان فكيف تكون المواعدة من الله مع موسى
قلنا المواعدة من الله ـ تعالى ـ بالأمر ومن موسـ صلوات الله عليه ـ بالقبول وكذلك الوعد
وأما موسى اسم عبري و مو بلغة العبرية هو الماء و شى هو الشجر فسمى موشى لأنه أخذ من الماء والشجر ثم قلب الشين سنا في العربية فصار موسى

وقوله أربعين ليلة أي انقضاء أربعين ليلة أمره الله ـ تعالى ـ أن يصوم أربعين يوما لإعطائه التوراة وكان قد وعده ثلاثين إلا أن الله ـ تعالى ـ كان قد نهاه أن يتناول شيئا في هذه الثلاثين فلما أتم الثلاثين مر بشجرة فتناول من ورقها أمره الله ـ تعالى ـ أن يصوم عشرة أيام بسبب ذلك وعليه دل قوله تعالى ـ في سورة الأعراف وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر الآية
و قوله تعالى ـ ثم اتخذتم العجل من بعده يعني إلها وله قصة معروفة ستأتي في سورة طه

تفسير السمعاني ج:1 ص:79
تفسير السمعاني ج 1/ص 80
تهتدون 53 وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب
وأنتم ظالمون باتخاذ العجل إلها
قوله تعالى ثم عفونا عنكم من بعد ذلك العفو محو الآثار ويقال عفت الرياح كذا إذا محت الآثار يقول عفونا عنكم من بعد اتخاذكم العجل إلها لعلكم تشكرون ظاهر المعنى
قوله تعالى وإذ آتينا موسى الكتاب يعني التوراة والفرقان فيه ثلاثة أقوال
أحدها أنه أراد به التوراة أيضا إلا أنه ذكرها باسمين ومثله قول الشاعر
ألا حبذا هند وأرض بها هندوهند أتى من دونها النأي والبعد

والنأي والبعد اسمان بمعنى واحد
والقول الثاني أراد به الفرقان بين الحق والباطل وقد أعطى الله موسى ذلك ومنه سمى يوم بدر يوم الفرقان لأنه فرق فيه بين الحق والباطل
والقول الثالث أراد به انفراق البحر كما سبق لعلكم تهتدون بالتوراة
قوله تعالى ـ وإذ قال موسى لقومه معناه اذكره إذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل إلها فتوبوا إلى بارئكم خالقكم فاقتلوا أنفسكم ليقتل بعضكم بعضا وقيل معناه استسلموا للقتل

ذلكم خير لكم عند بارئكم خالقكم فتاب عليكم بالقبول إنه هو التواب الرحيم القابل للتوبة
وروى عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال كان عدد القتلى منهم سبعين ألفا فلما بلغوا ذلك أوحى الله ـ تعالى ـ إلى موسى إني رفعت القتل عنهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:80
تفسير السمعاني ج 1/ص 81
عليكم إنه هو التواب الرحيم 54 وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون 55 ثم بعثناكم من بعد موتكم ورحمت من مضى منهم وعفوت عمن بقى وتبت عليهم وحكى أن يوشع بن نون خرج عليهم حين تأهبوا للقتل واحتبوا له فقال إن الله رحم من حل حبوته ثم إن الذين لم يعبدوا العجل سلوا سيوفهم وأقبلوا على قتل الذين عبدوا العجل حتى كان الابن يقتل أباه والأب يقتل ابنه حتى أتوا على سبعين ألفا ثم نزل الوحي كما وصفنا
قوله تعالى وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة هو خطاب للسبعين الذين حملهم موسى إلى الطور ليسمعوا كلام الله فإنهم لما سمعوا كلام الله قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة أي عيانا
وقيل فيه تقديم وتأخير يعني قلتم يا موسى جهرة لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
فأخذتكم الصاعقة قرأ عمرو فأخذتكم الصعقة وهو في الشواذ وقد سبق تفسير الصاعقة والمراد بها الموت ها هنا أي أخذكم وأنتم تنظرون
فإن قيل إذا ماتوا كيف نظروا قيل معناه ينظر بعضكم إلى بعض حين أخذكم الموت قيل معناه تعلمون ويكون النظر معنى العلم
و قوله تعالى ـ ثم بعثناكم من بعد موتكم يعني أحييناكم بعد تلك الموتة بالطور قال قتادة أحياهم ليستوفوا آجالهم لعلكم تشكرون

تفسير السمعاني ج:1 ص:81
تفسير السمعاني ج 1/ص 82

لعلكم تشكرون 56 وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمن 57 قوله تعالى ـ وظللنا عليكم الغمام الغمام من الغم وأصله التغطية والستر ومنه يقال للقلب الحزين مغموم لأن الحزن غطى قلبه وللسحاب غمام لأنه يغطى وجه الشمس ومنه قوله تعالى ثم لا يكن أمركم عليكم غمة أي ملبوسا عليكم
ومعنى الآية قال مجاهد أراد بتظليل الغمام عليهم ما ذكر في قوله هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وسيأتي شرحه
وقال قتادة إن قوما من بني إسرائيل بقوا في التيه فعطشوا وتأذوا بحر الشمس وظلل الله عليهم غماما كيلا يتأذوا
وأنزلنا عليكم المن والسلوى الأكثرون على أن المن هو الترنجبين وقال قتادة هو صمغة تقع على الشجر وقال وهب هو الخبز الرقاق
وأما السلوى قيل إنه طائر يشبه السماني بعينه وفيه قول غريب أنه العسل وفي القصص أن الله ـ تعالـ كان ينزل عليهم ذلك كل صباح من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس قدر ما يكفي ليومهم إلا يوم الجمعة فإنه كان ينزل صباح الجمعة والسبت جميعا وما كان للجمعة ينزل عليهم يوم السبت
وأما قوله ـ عليه السلام ـ الكمأة من المن وماؤها شفاء للعين فليس ذلك من هذا المن وإنما معناه أنها من عطاء الله من غير كلفة ولا مشقة

تفسير السمعاني ج:1 ص:82
تفسير السمعاني ج 1/ص 83
وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين 58 فبدل الذين ظلموا كلوا من طيبات ما رزقناكم أي من حلال ما رزقناكم
وما ظلمونا وما بخسوا بحقنا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون
فالظلم بمعنى البخس والنقص وأصله ما بينا

قوله تعالى وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية سميت القرية قرية لأنها تجمع أهلها ومنه المقرآة للحوض لأنه مجمع الماء ومنه قرية النمل لأنها تجمع النمل والمراد بالقرية هاهنا البيت المقدس وقيل هي أريحا موضع هنالك
فكلوا منها حيث شئتم رغدا ومعنى الرغد ما سبق وقيل هو الرزق الواسع الذي لا يضيق ولا يعني طالبه
وادخلوا الباب سجدا أراد بالباب باب القرية وقيل هو باب حطة وهو باب إيلياء سجدا أي ركعا خضعا وأصل السجود الخضوع وفي الركوع خضوع وقال الشاعر
بجمع تضل البلق في حجراتهترى الأكم فيه سجدا للحوافر
أي ركعا خضعا
وقولوا حطة قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ معناه قولوا حط ذنوبنا وقال الزجاج تقديره قولوا مسألتنا حطة وقال عكرمة هو قول لا إله إلا الله نغفر لكم تقرأ بقراءتين نغفر لكم بالنون و يغفر لكم بالياء وهما

تفسير السمعاني ج:1 ص:83
تفسير السمعاني ج 1/ص 84
قولا غير الذي قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون 59 وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر واحد وهو من الغفر وهو الستر ومنه المغفرة لأنه يستر الرأس كذلك المغفرة تستر الذنوب
خطاياكم جمع الخطيئة وتجمع على الخطيئات أيضا وهي الذنوب يقال خطئ يخطئ خطأ وخطيئة إذا أذنب متعمدا
وأخطأ يخطئ إخطاء إذا أذنب خاطئا
وسنزيد المحسنين من فضلنا
قوله تعالى فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم أجمعوا على أنهم بدلوا قول الحطة بالحنطة وقالوا بلسانهم هطا سمقاثا أي حنطة حمراء وقيل إنهم دخلوا الباب يزحفون على استاههم وكان قد طوطىء لهم الباب فما استطاعوا أن يدخلوا قياما وأبوا أن يدخلوا سجدا فدخلوا يزحفون على استاههم مخالفة في الفعل كما بدلوا القول

قوله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
الرجز العذاب والرجس النتن والرجز بضم الراء صنم على قول من قرأ والرجز فاهجر وقيل أنزل الله عليهم ـ إذ فعلوا ذاك ـ طاعونا أهلك منهم أربعة وعشرين ألفا في ساعة واحدة

بما كانوا يفسقون من المخالفة فعلا وقولا
قوله تعالى وإذا استسقى موسى لقومه الاستسقاء طلب السقيا والسبب في ذلك أن بني إسرائيل بقوا في التيه فعطشوا فسألوا موسى أن يستسقي لهم ففعل

تفسير السمعاني ج:1 ص:84
تفسير السمعاني ج 1/ص 85
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين 60 وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على
قوله تعالى ـ فقلنا اضرب بعصاك الحجر اختلفوا في ذلك الحجر منهم من قال كان حجرا معينا على قدر رأس الرجل
وقيل كان ذراعا في ذراع وقيل كان حجرا من الأحجار لا يعنيه أي حجر كان
فانفجرت منه يعني فضرب وتفجرت هكذا تقديره منه اثنتا عشرة عينا على عدد الأسباط قد علم كل أناس مشربهم عرف كل سبط منهم مشربهم
وقيل كان يظهر فيه بضرب موسى اثنتي عشرة حفرة يعرف كل سبط منهم حفرته
وقيل كان يحمل الحجر مع نفسه في وعاء فكلما احتاجوا إلى الماء ضرب موسى على الحجر كلوا مما أنزلنا عليكم من المن والسلوى واشربوا من هذه المشارب من رزق الله
ولا تعثوا في الأرض مفسدين العيث أشد الفساد وقيل معناه ولا تسعوا في الأرض مفسدين
قوله تعالى ـ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد كأنهم أجمعوا وسئموا من أكل المن والسلوى فسألوا موسى أن يسأل لهم غيره من الطعام
فإن قيل كان لهم المن والسلوى فلم سماهما واحدا قيل كانوا يأكلون أحدهما بالآخر فكان كطعام واحد

تفسير السمعاني ج:1 ص:85
تفسير السمعاني ج 1/ص 86
طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا
وقيل إنه كان أبدا على نسق واحد وكان من حيث اتساقه كطعام واحد
فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها سألوا هذه الأطعمة

و قوله تعالى ـ وفومها اختلفوا فيه اختلفوا فيه قال ابن عباس والأكثرون إنه الحنطة وقيل الخبز وحكى أن بعض الأعراب قال لامرأته فومى لنا أي أجزي لنا وقال الضحاك بن مزاحم أراد به الثوم فأبدل الثاء بالفاء ومنه قول الشاعر
كانت ديارهم ـ إذ ذاك ـ بارزةفيها الفراديس والفومان والبصل
وقد قرأ أبي بن كعب وابن مسعود ونومها بالثاء وعدسها وبصلها
قوله تعالى قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير يعني أتختارون الأدنى على ما هو خير فإن قيل أليس فيما سألوا الحنطة والخبز وهي خير من المن والسلوى فلم سماه أدنى قيل أراد به أدنى في القيمة أو أراد به أسهل وجودا على العادة
اهبطوا مصرا أي انزلوا واذهبوا إلى مصر واختلفوا فيه فالأكثرون على أنه المصر المعروف وقد قرأ ابن مسعود اهبطوا مصر غير منصرف ومن صرفه كان لقلة الحروف
وقال الأعمش أراد به مصر الذي عليه صالح بن علي وهو المصر المعروف
وقيل كان مصرا من الأمصار لا بعينه يقول أنزلوا مصرا فإن لكم ما سألتم
وضربت عليهم الذلة قيل أراد به الجزية وقال عطاء بن السائب هو الكستيج والزنار
وقال ابن عباس أصحاب القبالات ممن ضربت عليهم الذلة

تفسير السمعاني ج:1 ص:86
تفسير السمعاني ج 1/ص 87

فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون 61 إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى
والمسكنة والفقر يقال تمسكن الرجل أي صار فقيرا وسمى الفقير مسكينا لأن الفقر أسكنه وأقعده عن الحركة
وباءوا بغضب من الله أي رجعوا واحتملوا غضب الله
ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله والآية العلامة والآية الجماعة يقال خرج القوم بآيهم أي بجماعتهم والآية من القرآن مجمع كلمات معلوم الأول والآخر
قوله تعالى ـ ويقتلون النبيين قرأ نافع بالهمز والمد والباقون بالتليين وأصله الإنباء فمن همزه كان على الأصل ومن لينه فلكثرة الاستعمال
وقيل هو مأخوذ من النبوة وهي المكان المرتفع فعلى هذا يكون التليين على الأصل
وفي الحديث أن رجلا قال يا نبيء الله ـ بالهمز والمد ـ فقال لست بنبي الله

إنما أنا نبي الله
قوله تعالى ـ ويقتلون النبيين بغير الحق فإن قال قائل لم قال بغير الحق وقتل النبيين لا يكون إلا بغير الحق قلنا ذكره وصفا للقتل والقتل يوصف تارة بالحق وتارة بغير الحق وهو مثل قوله تعالى ـ قال رب احكم بالحق ذكر الحق وصفا للحكم لا أن حكمه ينقسم إلى الجور والحق

تفسير السمعاني ج:1 ص:87
تفسير السمعاني ج 1/ص 88
والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون 62 وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
ذلك بما عصوا من المعاصي وكانوا يعتدون يتجاوزون الحد
قوله تعالى ـ إن الذين آمنوا والذين هادوا أراد بالذين هادوا اليهود وإنما سموا يهودا لأنهم قالوا إنا هدنا إليك أي ملنا إليك

وقيل لأنهم من أولاد يهودا بن يعقوب والنصارى قوم يعرفون وإنما سمعوا نصارى لأنهم نزلوا قرية تسمى ناصرة وقيل لقول عيسى من أنصاري إلى الله قالوا نحن أنصار الله
والصابئين قرأ نافع باللين وقرأ الباقون بالهمز وأصله الصبو وهو الميل والخروج
يقال صبأ ناب البعير إذا خرج وصبا قلبه إلى فلان أي مال قال الشاعر
صبا قلبي إلى هندوهند مثلها يصبي
أي مال قلبي إليها ومثلها تميل القلب
اختلوا في معناه قال ابن عباس هم قوم من اليهود والنصارى
وقال قتادة هم قوم يقرءون الزبور ويعبدون الملائكة ويصلون إلى الكعبة من آمن بالله فإن قيل قد ذكر في الجملة إن الذين آمنوا فكيف يستقيم قوله من آمن بالله
قيل هذا في سلمان وأتباعه الذين آمنوا بمحمد قبل البعث ثم أقروا به بعد البعث
وقيل أراد به من ثبت على الإيمان وقيل أراد بالذين آمنوا المنافقين الذين آمنوا باللسان

تفسير السمعاني ج:1 ص:88

تفسير السمعاني ج 1/ص 89
خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون 63 ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين 64 ولقد علمتم
وقوله تعالى من آمن بالله يعني بالقلب مع اللسان بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الآخرة
قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم أي عهدكم ورفعنا فوقكم الطور قيل أراد به طور سيناء
وقيل كل جبل طور وفي القصص أن الله تعالى قلع جبل طور ورفع فوق رأسهم وقال لهم إن لم تقبلوا التوراة أرسلت هذا الجبل عليكم فقبلوا التوراة وعليه دل قوله تعالى وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم الآية
خذوا ما آتيناكم من التوراة بقوة بجد واجتهاد واذكروا ما فيه وادرسوا ما فيه لعلكم تتقون النار في الآخرة

قوله تعالى ـ ثم توليتم من بعد ذلك أعرضتم من بعد ما قبلتم التوراة فلولا فضل الله عليكم ورحمته يعني بالإمهال والإدراج لكنتم من الخاسرين لمن المعذبين في الحال كأنه رحمهم بالإمهال
قوله تعالى ـ ولقد علمتم الذين اعتدوا أي جاوزوا الحد ويقال تعدى طوره أي جاوز حده
منكم في السبت وأصل السبت القطع وسمى يوم السبت بذلك لأن اليهود أمروا فيه يقطع الأعمال ـ أراد به قوم أيله وهي قرية على شط البحرـ وترك الاصطياد في يوم السبت فخالفوا واصطادوا وقصتهم تأتي مشروحة في سورة

تفسير السمعاني ج:1 ص:89
تفسير السمعاني ج 1/ص 90
الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين 65 فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين 66 الأعراف
فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين وهذا أمر تكوين ليس للعبد فيه صنع ولا اختيار خاسئين مبعدين ومنه يقال أخسا أي أبعد فإن قيل لم قال قردة خاسئين وإنما تنعت القردة بالخاسئات قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره خاسئين قردة
قوله تعالى ـ فجعلناها نكالا لما بين يديها أي فجعلنا عقوبتهم بالمسخ نكالا والنكال اسم لكل عقوبة تنكل الناظر من فعل ما جعلت العقوبة جزاء عليه ومنه النكول من اليمين وهو منع اليمين
لما بين يديها فإن قيل كيف يكون نكالا لما بين يديها وهم قد مضوا قيل أراد به

الذين حضروا في ذلك الزمان
وما خلفها الذين يأتون من بعد وما هاهنا بمعنى من وفيه قول آخر أراد لما بين يديها ما سبقت من الذنوب وما خلفها ما حضرت من الذنوب التي أخذوا بها
وفيه قول ثالث أراد بما بين يديها القرى التي كانت مبنية في الحال وما خلفها بالحدث من القرى من بعد
وموعظة للمتقين من أمة محمد

تفسير السمعاني ج:1 ص:90
تفسير السمعاني ج 1/ص 91
وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين 67 قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال
قوله تعالى وإذ قال موسى لقومه واذكر إذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة البقرة الأنثى من البقر وهي مأخوذة من البقر وهو الشق سميت بذلك لأنها تشق الأرض بالحراثة
وفي الخبر أن النبي نهى عن التبقر في الأهل والمال أي التوسع والقصة في ذلك أنه كان في بني إسرائيل رجل غني وله ابن عم فقير فاستطال حياته فقتله وحمله إلى حي آخر وطرحه بفنائهم ثم أصبح يطلب دمه فسألوا موسى أن يسأل ربه من القاتل فسأل فأوحى الله ـ تعالى ـ إليه أن يأمرهم بذبح البقرة
فقال إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا لأنهم لما سألوه أن يسأل ربه من القاتل فقال إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة فلبعد ما بين السؤال والجواب قالوا أتتخذنا هزوا وذلك من شدة جهلهم وتبسطهم في الكلام نسبوا نبيهم إلى الاستهزاء
قال أعوذ بالله أعتصم وأمتنع بالله أن أكون من الجاهلين بالجواب لا على وفق السؤال لأن كل من سئل عن شيء فأجاب لا على وفق السؤال يكون جاهلا

تفسير السمعاني ج:1 ص:91
تفسير السمعاني ج 1/ص 92
إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون 68 قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها
قوله تعالى ـ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي هذا استيصاف السن قال إنه

يقول يعني فسأل فقال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك قيل الفارض الكبيرة المسنة والبكر الفتى والعوان ما بين ذلك

ومنه يقال عونت المرأة إذا زادت على الثلاثين ويقال في المثل العوان لا تعلم الخمرة أي الاختمار
وقيل الفارض التي ولدت بطونا والبكر التي لم تلد أصلا والعوان التي ولدت بطنا أو بطنين فافعلوا ما تؤمرون من الذبح
قوله تعالى ادع لنا ربك سل لنا ربك يبين لنا ما لونها هذا اسيتصاف اللون قال إنه يقول إنها بقرة صفراء قال الحسن الصفراء السوداء
ومنه قول الشاعر
تلك خيلي منه وتلك ركابهن صفر ألوانها كالزبيب
يعني سود والصحيح أنه أراد به الصفراء المعهودة بدليل قوله فاقع لونها وإنما يقال أصفر فاقع وأسود حالك وأحمر قان وأبيض يقق ويقال ذلك للمبالغة
وقال سعيد بن جبير كانت صفراء القرون والظلف والصحيح أنه كانت صفراء بجميعها
تسر الناظرين أي تعجبهم وتدخل السرور في قلبهم من حسنها وهذا دأب كل حسن قد يرى وقد قال النبي من لبس نعلا صفراء لم يزل في سرور حتى ينزعها

تفسير السمعاني ج:1 ص:92
تفسير السمعاني ج 1/ص 93
تسر الناظرين 69 قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون 70 قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض
قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك سل لنا ربك يبين لنا ما هي وهذا استيصاف العمل أنها من العوامل أم لا إن البقر تشابه علينا أي اشتبه وإنا إن شاء الله لمهتدون وفي الخبر أنهم لو لم يقولوا إن شاء الله ما اهتدوا أبدا
قوله تعالى ـ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض الذلول بين الذلة والذليل بين الذل والبقرة الذلول التي أذلها العمل بإثارة الأرض
ولا تسقى الحرث ليست بساقية مسلمة عن العيوب لا شية فيها قال الزجاج ليس فيها لون يخالف معظم لونها

قالوا الآن جئت بالحق فإن قيل قد كان جاء بالحق في كل مرة فما معنى قوله الآن جئت بالحق قيل معناه الآن أتيت بالبيان التام الشافي الذي لم يبق معه لبس ولا إشكال
فذبحوها وما كادوا يفعلون يعني من غلاء ثمنها لأنه روى أنهم اشتروها بملء مسكها ذهبا
وحكى عن عكرمة أنه قال ما اشتروها بذلك إنما اشتروها بثلاثة دنانير
وقيل معناه وما كادوا يفعلون من شدة اضطرابهم واختلافهم فيها والأول أصح
وفي الحديث أن النبي قال شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم ولو

تفسير السمعاني ج:1 ص:93
تفسير السمعاني ج 1/ص 94
ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون 71 وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم اعترضوا بقرة فذبحوها حصل مرادهم
قوله تعالى وإذ قتلتم نفسا هذا في التلاوة مؤخر وفي المعنى مقدم لأنه أول القصة فادارأتم فيها أي اعوججتم ومنه قول الشاعر
فنكب عنهم درء الأعاديوداووا بالجنون من الجنون
أي اعوجاجهم
وقيل معناه تدافعتم إذا كان يحيل بعضهم على بعض وأصل الدرء الدفع
قوله تعالى والله مخرج ما كنتم تكتمون أي مظهر ما كنتم تكتمون فإن القاتل كان يكتم القتل
قوله تعالى فقلنا اضربوه ببعضها أمر الله تعالى أن يضرب المقتول بعض البقرة واختلفوا في ذلك البعض قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان ذلك من الغضروف إلى الكتف قال مجاهد وهو عجب الذنب وقال غيره هو الفخذ وقال بعضهم اللسان
وقيل بعض منها لا بعينه أي بعض كان
كذلك يحيى الله الموتى لأنه أراهم إحياء المقتول حين ضرب ببعض البقرة
وفي القصة أنه لما ضرب ببعضها قام حيا وقال قاتلي فلان ثم سقط ميتا فحرم قاتله الميراث
وفي الخبر أن النبي قال ما ورث قاتل بعد صاحب البقرة

تفسير السمعاني ج:1 ص:94

تفسير السمعاني ج 1/ص 95
تكتمون 72 فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون 73 ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد ويريكم آياته لعلكم تعقلون تمنعون أنفسكم من المعاصي
وقيل إنما خص البقرة بذلك الذبح لأنهم كانوا قد عبدوا العجل فأراد أن يريهم هوانها وأنها تعجز عن دفع القتل عن نفسها
أو ابتلاهم بالأمر بذبحها حتى يراهم هل يقتلون أم لا
قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك يعني يبست وجفت وجفاف القلب بخروج الرحمة والرقة عنه من بعد ذلك من بعد ما ظهر لكم من تلك الآيات فهي كالحجارة يعني في الصلابة أو أشد قسوة
فإن قيل لم قال أو أشد قسوة و أو كلمة التشكيك ولم شبه بالحجارة والحديد أصلب من الحجارة
قلنا أما الأول معناه وأشد قسوة وقيل بل أشد قسوة وهو مثل قوله تعالى إلى مائة ألف أو يزيدون أو بل يزيدون
وقال جماعة النحويين معناه إن شئت مثلهم بالحجارة وإن شئت مثلهم بما هو أشد من الحجارة فأنت مصيب في الكل وهذا قول حسن
وإنما لم يشبه بالحديد لأنه قابل للين فإنه يلين بالنار وقد لان لداود ـ عليه السلام ـ والحجارة لا تلين قط
قوله تعالى وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار قيل أراد به جميع الحجارة وقيل أراد به الحجر الذي كان يضرب عليه موسى للأسباط
وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء أراد به عيونا دون الأنهار وتكون في بعض

تفسير السمعاني ج:1 ص:95
تفسير السمعاني ج 1/ص 96

قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون 74 الأحجار
وإن منها لما يهبط من خشية الله أي ينزل من مخافة الله
فإن قيل الحجر جماد لا يفهم فكيف يخشى قلنا قد قال أهل السنة إن لله ـ تعالى ـ علما في الموات لا يعلمه غيره
وقيل إن الله تعالى يفهمهم ويلهمهم ذلك فيخشون بإلهامه وبمثل هذا وردت الأخبار
فإنه روى أن النبي كان علي ثبير والكفار يطلبونه فقال الجبل أنزل عني فإني أخاف أن تؤخذ على فيعاقبني الله بذلك فقال له جبل حراء إلى يا رسول الله

وروى عن النبي أنه قال كان حجر يسلم على بمكة قبل أن أبعث وأنا أعرفه الآن الخبر صحيح
وفي الباب حديث أنس وسهل بن سعد أن رسول الله كان يخطب إلى جذع في المسجد قائما فلما اتخذ له المنبر تحول إليه فلما رقاه حن الجذع
ويروي أنه خار كما يخور الثور حتى ارتج المسجد فنزل رسول الله من المنبر وكان الجذع يخور حتى التزمه فسكن فخيره النبي بين أن يكون شجرة في الدنيا أو شجرة في الجنة فاختار الجنة فأمر به فدفن

تفسير السمعاني ج:1 ص:96
تفسير السمعاني ج 1/ص 97
أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون 75 وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا
وقد قال مجاهد لا ينزل حجر من الأعلى إلى الأسفل إلا من خشية الله
ويشهد لكل ما قلنا قوله تعالى ـ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله
وما الله بغافل عما تعملون أي يشاهد ما تصنعون

قوله تعالى أفتطمعون أي ترجون أن يؤمنوا لكم أي يصدقونكم بما تخبرونهم به وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وفيه قولان أحدهما أنهم سمعوا التوراة ثم حرفوا ما فيها من الأحكام ونعت محمد
القول الثاني أنه أراد به السبعين الذين حملهم موسى إلى الطور حين قالوا إن كنت ترى الله فينبغي أن نرى الله وإن كنت تسمع كلام الله فينبغي أن نسمع كلام الله فقال موسى أما أنا فلا أرى الله ولكني أسمع كلامه ثم سأل موسى ربه تعالى أن يسمعهم كلامه فقال الله تعالى مرهم فليصوموا كذا وليغسلوا أو ليلبسوا ثيابا جددا نظيفة ثم ليحضروا ففعلوا ذلك وسمعوا كلام الله
وفي التفسير أنه قال لهم أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من مصر بيد شديدة فاعبدوني ولا تشركوا بي شيئا وافعلوا كذا وكذا فلما سمعوا كلامه خرجت أرواحهم وماتوا فأحياهم الله تعالى فقالوا لموسى إنا لا نطيق أن نسمع كلامه فاسمع أنت وبلغنا إياه ثم رجعوا إلى قومهم قالوا قد سمعنا كلام الله وقد أمرنا أن نفعل كذا وكذا لكنه قال افعلوا إن شئتم أو إن استطعتم
وفي رواية قال لا ترتكبوا كذا وكذا إلا أن يكون لكم بد فارتكبوا فهذا معنى

تفسير السمعاني ج:1 ص:97
تفسير السمعاني ج 1/ص 98
بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون 76 أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون قوله يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه أي فهموه وهم يعلمون أنه الحق
قوله تعالى وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا أنزل في قوم من اليهود آمنوا فنافقوا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم والفتح بمعنى القضاء قال الله تعالى إنا فتحنا لك فتحا مبينا أي قضينا لك قضاء بينا

وقال الأصمعي سمعت أعرابيا يقول تعال إلى الفتاح وفي معنى الآية ثلاثة أقوال أحدها أنهم قالوا لأهل المدينة حين شاوروهم في اتباع محمد آمنوا به فإنه حق ثم قال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليكون لهم الحجة عليكم عند ربكم أي يأخذونكم
والقول الثاني أنهم أخبروهم بما عذبهم الله به على الجنايات فقال بعضهم لبعض أتحدثونهم بما فتح الله عليكم من العذاب ليحاجوكم به عند ربكم ليروا الكرمة لأنفسهم عليكم الله
والقول الثالث أن النبي لما فتح خيبر حاصر بني قريظة قال لهم يا إخوة القردة والخنازير فقال بعضهم لبعض هذه الكلمة ما خرجت إلا منكم يعني أنتم حدثتموه بذلك أفلا تعقلون
قوله تعالى أو لا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني أنه عالم بما اسروا وأعلنوا

تفسير السمعاني ج:1 ص:98
تفسير السمعاني ج 1/ص 99
ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون 78
قوله تعالى ومنهم أميون الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب وفي اشتاقه قولان أحدهما أنه من الأم فالأمي باق على ما انفصل من الأم
والثاني من الأمة 0 وهي الخليقة ومنه قول الشاعر
وإن معاوية الأكرمينحسان الوجوه طوال الأمم
يعني بني معاوية وطوال الأمم أي الخلق فالأمي باق على ما كان عليه من أصل الخلقة
لا يعلمون الكتاب إلا أماني فيه ثلاثة أقوال أحدهما قال مجاهد الأماني الأكاذيب ومنه قول عثمان ـ رضي الله عنه ـ منذ أسلمت ما تمنيت ولا تغنيت أي ما كذبت وقال ابن دأب لرجل ذكر شيئا هذا شيء رويته أم شيء تمنيته أي اختلقته واخترعته من تلقائك

والقول الثاني أنه التلاوة أي لا يعلمون الكتاب إلا التلاوة ومثله وقوله إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته أي تلاوته وقيل في عثمان ـ رضي الله عنه ـ تمنى كتاب الله أول ليله

فياليته ما لاقى حمام المقادر
أي تلا كتاب الله
والقول الثالث قال الفراء والكسائي هو من التمني وذلك هي أمانيهم الباطلة من قولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودة ومن قولهم لن يدخل الجنة إلا

تفسير السمعاني ج:1 ص:99
تفسير السمعاني ج 1/ص 100
فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون 79 وقالوا من كان هودا أو نصارى ومن قولهم نحن أبناء الله وأحباؤه فعلى قوله هذا إلا بمعنى لكن يعنى لا يعلمون الكتاب لكن يتمنون أشياء لا تحصل لهم
وإن هم إلا يظنون قال مجاهد يكذبون ولم يعرف أهل البصرة الظن بمعنى الكذب فقالوا معناه إلا يخرصون
قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله فيه قولان
أحدهما أنهم كانوا يكتبون من عندهم أشياء ثم يقولون للأعراب هذا من عند الله يبتغونها منهم وقيل أراد به ما غيروا بأيديهم من نعت محمد في التوراة فإنه كان فيها أنه أكحل أعين ربعة سبط الشعر فكتبوا فيها أنه أشقر أزرق طويل القامة جعد الشعر
ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم ما كتبت أيديهم اختلفوا في الويل قال أبو سعيد الخدري ـ ويروي ذلك مرفوعا عن النبي أيضا ـ إن الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر سبعين خريفا
وقال عثمان هو جبل من نار وأصل الويل الهلاك ودعاء العذاب فإن قيل ما

تفسير السمعاني ج:1 ص:100
تفسير السمعاني ج 1/ص 101

لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون 80 بلى من كسب سيئة وأحاطت معنى قوله مما كتبت أيديهم والكتب لا يكون إلا باليد قيل ذكره مبالغة في التحقيق وقيل معناه أنهم كتبوا بأنفسهم اختراعا
وويل لهم مما يكسبون من المعاصي
قوله تعالى وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة اختلفوا فيه منهم من قال أرادوا به أربعين يوما عدد ما عبدنا العجل
ومنهم من قال سبعة أيام لأن مقدار زمان العالم سبعة آلاف سنة فقالوا نعذب بكل ألف سنة يوما
وقيل إنهم قالوا سمعنا أنبياءنا أنهم قالوا ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة فنحن نقطع في كل يوم مسيرة سنة فتبقى مسيرة جهنم في أربعين يوما وننجو منها
قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده معناه أني لكم بهذا قول من الله فلا يخالف قوله قوله أم تقولون على الله مالا تعلمون
قوله تعالى بلى من كسب سيئة بلى تذكر في جواب النفي ونعم تذكر في جواب الإيجاب قال الله ـ تعالى ـ ألست بربكم قالوا بلى
وقال ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى وقال فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم بلى من كسب سيئة السيئة الشرك وأحاطت به خطيئته أي مات على الشرك
وقيل أراد بالسيئة الكبيرة وأحاطت به خطيئته أي أصر عليها ومات

تفسير السمعاني ج:1 ص:101
تفسير السمعاني ج 1/ص 102
به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 81 والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون 82 وإذ أخذنا ميثاق غير تائب
وقال ابن السراج النحوي معناه انسدت عليه مسالك النجاة فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

قوله تعالى والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون إلى آخر الآية ظاهر المعنى
قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله قرأ أبي بن كعب وابن مسعود لا تعبدوا إلا الله على الأمر والقراءة المعهودة لا تعبدون
وتقرأ بالياء والتاء ومعناها واحد فإن العرب قد تذكر المخاطبة في موضع

المغايبة والمغايبة في موضع المخاطبة وفي هذا الميثاق عهد وقسم وتقديره والله لا تعبدون إلا الله
وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا والإحسان بهما البر والعطف والتحنن والنزول عند أمرهما فيما لا يخالف أمر الله ـ تعالى ـ وذي القربى أي أهل القرابات واليتامى اليتيم اسم لمن لا أب له من الآدميين ولمن لا أم له من البهائم وهو اسم للفقير منهم
وقال علي ـ رضي الله عنه ـ حفظت لكم عن رسول الله ستا لا طلاق قبل النكاح ولا عتاق في غير الملك ولا نذر في معصية الله ولا يتم بعد الحلم ولا صمت يوم إلى الليل ولا صوم وصال والمساكين هم الفقراء كما سبق

تفسير السمعاني ج:1 ص:102
تفسير السمعاني ج 1/ص 103
بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون 83 وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا وقولوا للناس حسنا تقرأ بقراءتين حسنا وحسنا
وتقديره وقولوا للناس قولا حسنا أو وقولوا للناس قولا ذا حسن وفي معناه ثلاثة أقوال أحدها قال سفيان الثوري القول الحسن هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والقول الثاني أنه اللين في القول والمعاشرة بحسن الخلق
والقول الثالث أنه خطاب لأهل التوراة يعني وقولوا للناس صدقا في نعت محمد في التوراة
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة سبق تفسيره

ثم توليتم أعرضتم إلا قليلا منكم وذلك أن فريقا منهم قد آمنوا وأنتم معرضون كإعراض آبائكم
قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم أي لا يسفك بعضكم دماء بعض
وقيل لا تسفكوا دماء غيركم فتسفك دماؤكم فكأنكم سفكتم دماء أنفسكم
ولا تخرجون أنفسكم من دياركم أي لا يخرج بعضكم بعضا
وقيل معناه لا تسيئوا جوار من جاوركم فتلجئوهم إلى الخروج بسوء الجوار
ثم أقررتم أي قبلتم وأنتم تشهدون تعترفون بالقبول
قوله تعالى ثم أنتم هؤلاء يعني يا هؤلاء تقتلون أنفسكم بقتل بعضكم بعضا

تفسير السمعاني ج:1 ص:103
تفسير السمعاني ج 1/ص 104
تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون 84 ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم وتخرجون فريقا منكم من دياركم تظاهرون يقرأ بالتشديد والتخفيف وأصله تتظاهرون فأدغمت التاء في الظاء فصار مشددا ومعناه تعاونون
عليهم بالإثم والعدوان فالإثم والعدوان المبالغة في الظلم وقد روى أن النواس بن سمعان سأل رسول الله ما البر فقال ما اطمأنت إليه نفسك قال ما الإثم فقال ما حاك في صدرك
قوله تعالى وإن يأتوكم أسارى يقرأ بقرائتين أسرى وأسارى وفرق أبو عمرو بينهما في المعنى فقال الأسارى لمن كان في اليد مع الوثاق والأسرى لمن كان في اليد من غير وثاق ولم يرضوا منه بهذا الفرق والصحيح أنهما واحد تفدوهم و تفادوهم قراءتان قيل هما في المعنى واحد وقيل تفادوهم تقال في فداء الأسرى بالأسرى وتفدوهم في الفداء بالمال
وهو محرم عليكم إخراجهم فيه تقدير وتأخير وتقديره وتخرجون فريقا منكم من ديارهم وهو محرم عليكم إخراجهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض لأنهم خالفوا في البعض وامتثلوا في البعض

تفسير السمعاني ج:1 ص:104
تفسير السمعاني ج 1/ص 105
والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون
قال السدى ـ في كشف معنى الآية ـ إنهم أمروا بأربعة أشياء أن لا يقتل بعضهم بعضا وأن لا يخرج بعضهم بعضا وأن لا يتعاونوا على الإثم والعدوان وأن يفادوا الأسارى فخالفوا في الثلاث وامتثلوا في المفاداة
والقصة فيه أن بني قريظة كانوا حلفاء الأوس وبنو النضير كانوا حلفاء الخزرج وكانت بين القبيلتين مقاتلة فوقعت المقاتلة بين حلفاء القبيلتين ثم إذا وقع أسير من حلفاء إحدى القبيلتين في يد أخرى القبيلتين فأداه حلفاء القبيلة الأخرى مع كون الأسير من عدوهم فإذا قيل لهم لم تفادون قالوا أمرنا بالمفاداة فإذا قيل لهم لم تقاتلون قالوا نحن حلفاؤهم فلابد لنا من القتال معهم فهذا معنى الآية

وقوله تعالى فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا يقال خزي يخزى خزيا من الذل والهوان وخزي يخزي خزاية من الخجل والاستحياء والافتضاح ومنه قول الشاعر
والموت خزيان ينظر خزيان
أي مستحي
ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعلمون
أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة اختاروا الدنيا على الآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون يمنعون العذاب
قوله تعالى ولقد آتينا أعطينا موسى الكتاب التوراة وقفينا من بعده بالرسل أتبعنا أي يقفو رسول رسولا
وآتينا عيسى ابن مريم البينات فيه قولان أحدهما أنها المعجزات التي أوتى

تفسير السمعاني ج:1 ص:105

تفسير السمعاني ج 1/ص 106
85 أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون 86 ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما عيسى من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك
والقول الثاني أنها الإنجيل وأيدناه قويناه من الأيد وهو القوة
بروح القدس اختلفوا في الروح قال الحسن وقتادة ـ وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس ـ أنه أراد به جبريل وقيل إنه أمر أن يسير معه حيث سار حتى صعد به إلى السماء وقيل إن الروح هو الاسم الأعظم الذي كان يحيى به الموتى وقيل هو الإنجيل
وإنما سمى روحا لأنه كان سببا لحياة القلوب ولذلك سمى القرآن روحا وسمى عيسى روحا لأنه حصل بتكوين الله من غير توليد والد
وأما جبريل فإنما سمى روحا للطافته أو لمكانه من الوحي الذي هو سبب لحياة القلوب
وأما القدس قيل إنه نعت جبريل وأصل القدس الطهارة ومنه القدوس وهو الطهارة والأرض المقدسة المطهرة وإنما وصف جبريل بالقدس لأنه لم يقترف ذنبا قط وكان طاهرا من الذنوب
وقيل القدس هو الله ـ تعالى ـ
قوله تعالى أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم لا تريد قلوبكم استكبرتم أنفتم وتعظمتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون

فالمكذبون مثل عيسى ومحمد والمقتولون مثل زكريا ويحيى ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ
قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف قرأ ابن عباس غلف بضم اللام وهو قراءة الأعرج وابن محيض وهو من الشواذ

تفسير السمعاني ج:1 ص:106
تفسير السمعاني ج 1/ص 107

لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون 87 وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون 88 ولما جاءهم كتاب والقراءة المعهودة بجزم اللام وهم جمع الأغلف ومعناه قلوبنا في أوعية مما تقول لا نفهم شيئا من ذلك وهذا مثل قوله تعالى ـ وقالوا قلوبنا في أكنة
وأما الغلف بضم اللام جمع الغلاف ومعناه قلوبنا أوعية العلم وليس فيها مما تقول شيء أي ما تقوله فليس بشيء
بل لعنهم الله بكفرهم طردهم الله عن الفهم والرحمة وأصل اللعن الطرد والأبعاد وقال الشاعر
ذغرق به القطا ونفيت عنهمقام الذئب كالرجل اللعين
أي مقام الذئب اللعين يعني المطرود
فقليلا ما تؤمنون قيل أراد به المشركين ومعناه قليل إيمانهم والمراد به إيمانهم بأن الله خالقهم وخالق السماوات والأرض
وقيل أراد به أهل الكتاب لأن الذين آمنوا منهم أقل من الذين آمنوا من المشركين
وقيل معناه فلا يؤمنون أصلا
وحكى الكسائي عن العرب قل ما تنبت هذه الأرض إلا الكراث والبصل أي لا تنبت إلا الكراث والبصل
قوله تعالى ولما جاءهم كتاب من عند الله يعنى القرآن مصدق لما معهم من التوراة والإنجيل
وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا يستنصرون ومنه قول الشاعر

تفسير السمعاني ج:1 ص:107
تفسير السمعاني ج 1/ص 108
من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما

جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين 89 بئسما اشتروا به
ألا أبلغ بني عصم رسولافإني عن قباحتكم غنى
أي عن نصرتكم
وفي الخبر أن النبي كان يستفتح بصعاليك المهاجرين أي يستنصر بهم في الدعاء للغزوات

ومعنى الآية أن المشركين من قبل كانوا يؤذون اليهود فربما تكون الغلبة لهم على اليهود في القتال فقالت اليهود- اللهم انصرنا بالنبي الأمي الذي تبعثه في آخر الزمان فكانوا ينصرون به فلما بعث كفروا به فهذا معنى قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين
قوله تعالى بئسما اشتروا بئس اسم مستوف لكل ذم ونعم اسم مستوف لكل حمد اشتروا به أنفسهم اختاروا لأنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله من القرآن بغيا حسدا والبغي الظلم وأصله الطلب فالباغي طالب للظلم والحاسد ظالم لأنه يريد زوال النعمة عن المحسود من غير جناية منه أن ينزل الله من فضله من النبوة على من يشاء من عباده من الأنبياء
فباءوا أي رجعوا بغضب على غضب فيه ثلاثة أقوال
أحدها أن الغضب الأول عبادة العجل والغضب الثاني الكفر بمحمد
والقول الثاني أن الغضب الأول تكذيب عيسى والغضب الثاني تكذيب محمد
والقول الثالث أن الغضب الأول الكفر بالإنجيل والغضب الثاني الكفر بالقرآن وللكافرين عذاب مهين أي مخز

تفسير السمعاني ج:1 ص:108
تفسير السمعاني ج 1/ص 109
أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين 90 وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق
قوله تعالى وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله من القرآن قالوا نؤمن بما أنزل علينا يكفينا ما أنزل علينا من التوراة

ويكفرون بما وراءه قال أبو عبيدة بما بعده قال الفراء بما سواه من الكتب وهو الأصح وهو الحق يعني القرآن مصدقا لما معهم من التوراة قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين فإن قال قائل القتل كان من آبائهم فكيف خاطب الأبناء به
الجواب قلنا قتل الأنبياء وإن وجد من الآباء لكن الأبناء رضوا به ووالوهم عليه فلهذا خاطب الأبناء به وأيضا فإنه قال فلم تقتلون أنبياء الله من قبل على صيغة الاستقبال فكان اللائق بالحال أن يقول فلم قلتم
وأما قوله فلم تقتلون معناه فلم قتلتم لكن العرب قد تضع الماضي في موضع المستقبل والمستقبل في موضع الماضي والدليل عليه قوله من قبل إن كنتم مؤمنين يعني في زعمكم
وقيل معناه ما كنتم مؤمنين على النفي كقوله تعالى قل إن كان للرحمن ولد أي ما كان للرحمن ولد وفيه قول آخر سيأتي
قوله تعالى ولقد جاءكم موسى بالبينات بالمعجزات ثم اتخذتم العجل من بعده في الهاء قولان أحدهما أنه عائد إلى موسى والثاني عائد إلى المجيء وأنتم ظالمون بذلك
قوله تعالى وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة قد ذكرناه واسمعوا واقبلوا قالوا سمعنا وعصينا يعني سمعنا بالآذان

تفسير السمعاني ج:1 ص:109
تفسير السمعاني ج 1/ص 110
مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين 91 ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون 92 وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا
وعصينا بالقلوب
وقيل إنهم لما سمعوا وخالفوا بالعمل فكأنهم قالوا سمعنا وعصينا وإن لم يقولوا ذلك ومثله قول الشاعر
امتلأ الحوض وقال قطنيمهلا رويدا قد ملأت بطني
فقدر القول من الحوض وإن لم يقل شيئا

وأشربوا أي خلطوا ومنه فلان مشرب اللون إذا اختلط بياضه بالحمرة في قلوبهم العجل أي حب العجل فحذف المضاف واكتفى بالمضاف إليه ومثله قول الشاعر
وكيف تواصل من أصبحت
خلالته كأبي مرحب

أي كخلالة أبي مرحب
وفي القصص أن موسى ـ صلوات الله عليه ـ أمر أن يبرد العجل بالمبرد ثم أمر أن يذر في النهر وأمرهم بالشرب منه فكل من بقي في قلبه شيء من حب العجل ظهرت سحالة الذهب على شاربه قل بئسما يأمركم به إيمانكم أي بئس إيمان يأمر بهذا إن كنتم مؤمنين
قوله تعالى قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس لأنهم قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى فعيرهم بذلك
فتمنوا الموت إن كنتم صادقين لأن من علم بدخول الجنة إذا مات يتمنى الموت ولا يشق عليه أن يموت
قوله تعالى ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم أخبر أنهم لن يتمنوا ذلك

تفسير السمعاني ج:1 ص:110
تفسير السمعاني ج 1/ص 111
سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين 93 قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين 94 ولن يتمنوه أبدا بما كأن الله صرفهم عن تمني الموت تصديقا للرسول وتحقيقا لمعجزته إذ كان يمكن أن يتمنى بعضهم ذلك تكذيبا للرسول
وفي الخبر قال لو تمنوا ذلك لأخذهم الموت في الحال
والله عليم بالظالمين منهم قوله ولتجدنهم أحرص الناس على حياة يعني اليهود ومن الذين أشركوا أي وأحرص من الذين أشركوا وهو مثل قولهم فلان أسخى الناس ومن هرم أي وأسخى من هرم
يريدون به هرم بن سنان كان رجلا معروفا بالسخاوة وله شاعر يقال له زهير بن أبي سلمى

والمراد بالذين أشركوا ها هنا المجوس وذلك أنهم يقول بعضهم لبعض عش ألف سنة بزء هزا رسال فأخبر الله ـ تعالـ أن اليهود أحرص الناس على حب الحياة ومن المجوس الذين يقولون ذلك
يود أحدهم لو يعمر ألف سنة كما وصفنا وما هو بمزحزحه بمبعده من العذاب أن يعمر يعني لا يبعدهم طول العمر من العذاب
والله بصير بما يعملون ظاهر المعنى
قوله تعالى ـ قل من كان عدوا لجبريل في سبب نزول الآية قولان

تفسير السمعاني ج:1 ص:111
تفسير السمعاني ج 1/ص 112
قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين 95 ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون 96 قل من كان عدوا لجبريل فإنه
أحدهما أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال لليهود أنشدكم بالرحمن الذي أنزل التوراة على موسى هل تجدون محمدا في كتابكم فسكتوا ثم عاودهم ثانيا فقالوا نعم قال عمر فلم لم تؤمنوا به قالوا لأنه ينزل عليه جبريل وهو عدونا وهو الذي يأتي بالعذاب ولو نزل عليه ميكائيل لآمنا به فقال عمر أشهد أن من كان عدوا لجبريل فهو عدو لميكائيل ومن كان عدوا لهما فالله عدو له فنزلت الآية على وفق قول عمر
وقد روى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال وافقت ربي في ثلاث
ويروى وافقني ربي في ثلاث أحدها هذا والثاني آية الحجاب وذلك قوله ـ تعالى ـ وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب
والثالثة الصلاة خلف مقام إبراهيم وذلك قوله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى

والقول الثاني في سبب نزول الآية أن ابن صوريا الأعور ـ وكان أعلم اليهود ـ أتى النبي وقال إني سائلك مسائل لا يعرفها إلا نبي فإن أجبتني عرفتك صادقا فقال سل قال ابن صوريا ما علامة النبي قال أن تنام عيناه ولا ينام قلبه قال صدقت ثم قال كيف خلق الولد من الماءين قال إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكر بإذن الله وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنث بإذن الله
وقال ومن ينزل عليك من الملائكة قال جبريل فقال لو نزل عليك ميكائيل لآمنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:112
تفسير السمعاني ج 1/ص 113
نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين 97 من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين بك فإنه عدونا فنزل قوله تعالى ـ قل من كان عدوا لجبريل
وفيه أربع قراءات جبريل على الكسر واللين وجبريل على الفتح واللين وجبريل على الفتح والهمزة والإشباع وجبرئيل على الفتح والهمز من غير إشباع
و جبر بمعنى العبد و ئيل اسم الله وكذلك ميكائيل ومعناه عبد الله أو عبد الرحمن كذا قال ابن عباس والحسن بن علي

فجبريل على وزن قنديل وبرطيل وزنبيل وجبرئيل على وزن عندليب وجبريل لا مثال له
فإنه نزله على قلبك يعني قلب محمد بإذن الله مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل وهدى وبشرى للمؤمنين
قوله تعالى ـ من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين هذا الذي نزل على وفق قول عمر ـ رضي الله عنه ـ وقوله وجبريل و ميكال وإن دخل في جملة الملائكة الرسل لكن خصهما بالذكر تشريفا
قوله تعالى ولقد أنزلنا إليك آيات بينات يعني القرآن وآياته وما يكفر بها إلا الفاسقون أي الكافرون
قوله تعالى أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم قيل أراد به العهد الذي

تفسير السمعاني ج:1 ص:113
تفسير السمعاني ج 1/ص 114
ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون 99 أو كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل أكثرهم لا يؤمنون 100 ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب أخذه الله على اليهود أن يؤمنوا بمحمد فخالفوا ونبذوا
وقيل هو العهد الذي أخذه رسول الله على بني قريظة والنضير أن لا يعاونوا المشركين على قتاله فخالفوا ونبذوا والنبذ الطرح ومنه قول الشاعر
نظرت إلى عنوانه فنبذتهكنبذك نعلا أخلقت من نعالكا
بل أكثرهم لا يؤمنون وقد آمن قليل منهم
قوله تعالى ولما جاءهم رسول من عند الله يعني محمدا
مصدق لما معهم من الكتب نبذ فريق من الذين أتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم أراد به التوراة
قال الشعبي كانوا يقرءون التوراة ولا يعملون بها فكذلك نبذهم
وقال سفيان الثوري أدرجوها في الحرير والديباج وحلوها بالذهب والفضة ثم لم يعملوا بها فهم نابذون
وقيل أراد بالكتاب القرآن كأنهم لا يعلمون أي لما خالفوا ما علموا كأنهم لا يعلمون
قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني اليهود ما تتلوا الشياطين أي ما تلت
مستقبل بمعنى الماضي قال الحطيئة
شهد الحطيئة حين يلقي ربه
أن الوليد أحق بالغدر
يعني يشهد

ومعنى قوله تتلوا أي تحكي وتقص على ملك سليمان على عهد

تفسير السمعاني ج:1 ص:114
تفسير السمعاني ج 1/ص 115

الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون 101 واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما ملك سليمان وقيل في ملك سليمان والقصة في ذلك ما روى أن في زمن سليمان صلوات الله عليه ـ كانت سحرة ولهم في ذلك كتب فانتزع سلمان كتب السحر من أيديهم ودفنها في صندوق تحت كرسيه فلما توفي قالت الشياطين للإنس ألا ندلكم على كنز كان سليمان يفعل به ما كان فاستخرجوا تلك الكتب وقال الجهال منهم به كان يفعل سليمان ما يفعل
وقيل لما لم نزع الله الملك من سليمان كتب الشياطين كتب السحر ودفنوها تحت الكرسي فلما رد الله الملك إليه بقي ذلك السحر مدفونا كما كان فلما توفي سليمان استخرجوا تلك الكتب وقالوا إن سليمان كان يفعل به ما يفعل وقيل إن الشيطان تمثل في صورة النبي وقال لهم ذلك وقيل إنه وسوس إليه ذلك فهذا الذي تلت الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان أي وما سحر سليمان وقيل أراد به الكفر المعهود
ولكن الشياطين كفروا يقرأ مخففا ومشددا فإذا شدد عمل في نصب الشياطين وإذا خفف بقي على الرفع كفروا سحروا ويحتمل الكفر المعهود يعلمون الناس السحر والسحر في اللغة عبارة عن تمويهات وتخييلات وخدع قال امرؤ القيس
أرانا موضعين لحتم غيبونسحر بالطعام وبالشراب
أي نخدع
وقال الفراء السحر قول يقوله إنسان يأخذ به الرجل عن امرأته

تفسير السمعاني ج:1 ص:115
تفسير السمعاني ج 1/ص 116
أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما

وحكى عن الشافعي أنه قال السحر يحيل ويمرض وقد يقتل والسحر يتحقق وجوده على مذهب أهل السنة ويؤثر ولكن العمل به كفر وتأثيره ما ذكرنا وقيل إنه يؤثر في قلب الأعيان فيجعل الآدمى على صورة الحمار والحمار على صورة الكلب والأصح أنه يخيل ذلك كما بينا
وقد سحر رسول الله فأثر فيه روى أن لبيد بن أعصم اليهودي سحر النبي حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله فأطلعه الله عليه فأمر به فاستخرج منه بئر ذي أروان وكان عليه إحدى عشرة عقدة فأنزل الله ـ تعالى ـ عليه المعوذتين إحدى عشرة آية فكلما قرأ آية انحلت عقدة حتى إذا انحلت العقد فكأنما أنشط من عقال
قوله تعالى وما أنزل على الملكين قرىء على النفي وهو محكي عن عطية بن عوف فعلى هذا في الآية تقديم وتأخير تقديره وما كفر سليمان وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما يعلمان من أحد وهذا قول غريب
والصحيح أن ما بمعنى الذي يعني والذي أنزل على الملكين
وقرأ ابن عباس على الملكين بكسر اللام وهو في الشواذ قال الحسن البصري هما كانا علجين من علوج بابل ولم يكونا ملكين
والصحيح أنهما كانا ملكين وهو القراءة المعهودة
والقصة في ذلك ما حكى ابن عمر عن كعب الأحبار وهو قول عطاء بن أبي رباح وجماعة من المفسرين قالوا إن الملائكة تعجبوا من كثرة معاصي بني آدم فقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:116
تفسير السمعاني ج 1/ص 117
نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم لهم الله ـ تعالى ـ لو أنزلتكم إلى الأرض وركبت فيهم ما ركبت فيكم لفعلتم مثل ما فعلوا فاختاروا من خيارهم ملكين هاروت وماروت فأنزلهما الله ـ تعالى ـ إلى الأرض وأخذ عليهما أن ألا يشركا ولا يقتلا ولا يزنيا قال كعب فما مضى عليهما اليوم إلا وفعلا الكل

وفي القصة أن المزني بها كانت زهرة فمسخت شهابا ورفعت إلى السماء فكان ابن عمر كلما رآها لعنها
وفي القصة أنهما لما ارتكبا ذلك خيرهما الله ـ تعالى ـ بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فعلقا بأرجلهما
قال عطاء بن أبي رباح رؤوسهما مطوية تحت أجنحتهما

وأما بابل قال ابن مسعود هي أرض الكوفة وقيل هو جبل دماوند وقيل هو من نصيبين إلى رأس العين وإنما سمي بابل لأنه تبلبلت فيه الألسن أي تفرقت وانتشرت في البلاد
وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر والفتنة الابتلاء ومنه يقال فتنت الذهب في النار أي اختبرته ليتبين الجيد من الرديء
فإن قيل ما معنى إنزال السحر على الملكين وما معنى تعليم السحر من الملكين وكلاهما مستبعد
قيل أما إنزال السحر بمعنى التعليم والإلهام يعني علما وألهما السحر وقيل هو حقيقة الإنزال وهو إنزال هيئة السحر وكيفيته لينتهوا عنه وأما تعليم السحر من الملكين بمعنى الإعلام ومثله قول الشاعر

تفسير السمعاني ج:1 ص:117
تفسير السمعاني ج 1/ص 118
بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا تعلم أن بعد الغي رشدا وأن لهذه الغبر انقشاعا
يعنى اعلم
وقيل هو على حقيقة التعليم ثم فيه قولان أحدهما أنهما يعلمان كيفية السحر لينتهوا عنه كان الرجل يأتيهما فيقول ما الذي نهى الله عنه فيقولان الشرك فيقول وما الشرك فيقولان كذا وكذا
ويأتيهما آخر فيقول ما الذي نهى الله عنه فيقولان السحر فيقول وما السحر فيعلمانه كيفية السحر لينتهي عنه وكذا في كل المعاصي
والقول الثاني أنه تعليم ابتلاء سلطهما الله على تعليم السحر ابتلاء للناس حتى أن كل من تعلم واعتقد وعمل به كفر

ومن لم يتعلم ولم يعمل به لم يكفر والدليل عليه قوله تعالى ـ إنما نحن فتنة أي بلية فلا تكفر أي لا تتعلم السحر فتعمل به فتكفر
و قوله تعالى ـ فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه يعني السحر الذي يؤخذ به الرجل عن امرأته كما وصفنا
وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله معناه إلا بتكوين الله فالساحر يسحر والله يكون
قال سفيان الثوري معناه إلا بقضاء الله وقدره
ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم يعني السحر يضرهم ولا ينفعهم
ولقد علموا لمن اشتراه اختاره ماله في الآخرة من خلاق من نصيب

تفسير السمعاني ج:1 ص:118
تفسير السمعاني ج 1/ص 119
يعلمون 102 ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون
103 يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين
ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون بئس اختيار اختاروه لأنفسهم
فإن قيل أليس قد قال ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق فما
معنى قوله لو كانوا يعلمون وقد أخبر أنهم قد علموا
قيل أراد بقوله ولقد علموا الشياطين وبقوله لو كانوا يعلمون اليهود
وقيل كلاهما في اليهود لكنهم لما لم يعملوا بما علموا فكأنهم لم يعلموا
قوله تعالى ـ ولو أنهم آمنوا واتقوا آمنوا بك يا محمد واتقوا الكفر والسحر
لمثوبة لثواب من عند الله خير لو كانوا يعلمون
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا معناه أرعنا سمعك واسمع منا
وحقيقته فرغ سمعك لكلامنا
وقولوا أنظرنا أي انتظرنا وقيل انظر إلينا
وقرأ الأعمش أنظرنا أي أمهلنا وقال الشاعر
أبا هند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقينا
أي أمهلنا

واسمعوا أي أطيعوا وللكافرين عذاب أليم أي عذاب مؤلم وفي سبب نزول
الآية قولان
أحدهما أن الصحابة كانوا يقولون للنبي راعنا ويريدون به ما ذكرنا فسمعه
اليهود وكان ذلك عندهم سبا وهو بمعنى يا أحمق
وقد قرأ الأعمش راعنا منونا وقرأ الحسن راعونا وهما لغتان من الرعونة

تفسير السمعاني ج:1 ص:119
تفسير السمعاني ج 1/ص 120
عذاب أليم 104 ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل
عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل فلما
سمعه اليهود فرحوا به حيث رأوهم يسبونه ولا يعلمون وكانوا يقولون ذلك
للنبي موافقة للمسلمين في الظاهر ويضحكون فيما بينهم إنا نسبه وهم لا
يعلمون فنزل قوله تعالى ـ لا تقولوا راعنا وقولوا أنظرنا

والقول الثاني أن قولهم راعنا كان فيه جفوة وخشونة لأن حقيقته فرغ سمعك لكلامنا حتى تفهم وفي هذا نوع جفاء فنزل قوله لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا حتى يقولوا ما يقولوا على طريق التبجيل والمسألة ويختاروا من الألفاظ أحسنها ومن المعاني أحكمها
قوله تعالى ـ ما يود الذين كفروا أي ما يحب والود الحب
ومعنى الآية أن الأنبياء قبله بعثوا من ولد إسحاق فلما بعث النبي من ولد إسماعيل لم يقع ذلك بود اليهود ومحبتهم وأما المشركون فإنما لم تقع نبوته بودهم لأنه جاء بتضليلهم وعيب آلهتهم فهذا معنى قوله تعالى ـ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم يعني عليك يا محمد ذكر الواحد بخطاب الجمع على ما هو عادة العرب من خير من ربكم يعني النبوة والله يختص برحمته من يشاء قال ابن عباس وأكثر المفسرين الرحمة بمعنى النبوة هاهنا وقيل بمعنى الإسلام والهداية إليه والله ذو الفضل العظيم الفضل ابتداء إحسان بلا علة

قوله تعالى ـ ما ننسخ من آية قرأ ابن عامر ما ننسخ بضم النون وكسر السين ومعناه ما تجده منسوخا وهو مثل قولهم أحمدت فلانا أي وجدته محمودا وأبخلت فلانا أي وجدته بخيلا
القراءة المعروفة ما ننسخ على الفتح

تفسير السمعاني ج:1 ص:120
تفسير السمعاني ج 1/ص 121
العظيم 105 ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير 106
والنسخ في اللغة رفع الشيء وإقامة غيره مقامه يقال نسخت الشمس الظل أي رفعته وأقامت الضياء مقامه
وقد يكون بمعنى رفع الشيء من غير إقامة غيره مقامه
يقال نسخت الرياح الآثار إذا رفعتها من أصلها من غير شيء يقوم مقامها
والنسخ جائز في الجملة باتفاق الأمة ونسخ القرآن على وجوه
منها نسخ يوجب رفع التلاوة والحكم جميعا وذلك مثل ما روى عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف أن قوما من الصحابة قاموا ليلة ليقرءوا سورة فلم يذكروا منها إلا قوله بسم الله الرحمن الرحيم فغدوا على النبي وأخبروه بذلك فقال ـ عليه السلام ـ تلك سورة رفعت بتلاوتها وأحكامها
وقيل إن سورة الأحزاب كانت مثل سورة البقرة فرفع أكثرها تلاوة وحكما
ومن النسخ ما يوجب رفع التلاوة دون الحكم وذلك مثل آية الرجم رفعت

تلاوتها وبقي حكمها
ومنه ما يوجب رفع الحكم دون التلاوة مثل آية الوصية للوالدين والأقربين وآية عدة الوفاة بالحول ومثلها آية التخفيف في القتال وآية الممتحنة ونحو ذلك
ومن وجوه النسخ ما يوجب رفع الحكم وإقامة غيره مقامه وذلك مثل القبلة نسخت إلى الكعبة والوصية نسخت إلى الميراث وعدة الوفاة نسخت من الحول إلى أربعة أشهر وعشرا ومقاومة الواحد العشرة في القتال نسخت إلى مقاومة الواحد الاثنين ونحو ذلك

تفسير السمعاني ج:1 ص:121

تفسير السمعاني ج 1/ص 122
ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وما لكم من دون الله من ولي ولا
ومنها رفع الحكم من غير إقامة شيء مقامه وذلك مثل امتحان النساء نسخ من غير خلف وكذلك أمثال هذا
رجعنا إلى تفسير الآية فقوله ما ننسخ من آية أي نرفع من آية فأما قوله أو ننسها اختلفوا في معناه وقال ابن عباس معناه أو نتركها فلا ننسخ وهو مثل قوله نسو الله فنسيهم أي تركوا الله فتركهم ومنه قول الشاعر
إن علي عقبة أقضيها لست بناسيها ولا منسيها
أي لست بناسيها ولا تاركها فعلى هذا يرجع قوله نأت بخير منها أو مثلها إلى قوله ما ننسخ من آية
وقيل معنى قوله أو ننسها يعنى ننسيها على قلبك يا محمد وذلك مثل ما روينا في حديث أبي أمامة
وروت عائشة أن رسول الله سمع رجلا يقرأ سورة فقال إن هذا الرجل ذكرني آية كنت نسيتها وهو نظير قوله تعالى ـ سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله وقرأ ابن مسعود ما ننسك من آية أو ننسخها وهذا يؤيد هذا القول فعلى هذا يكون الإنساء على القلب في معنى النسخ
وفيه قول ثالث معنى قوله أو ننسها أي نأمر بتركها ونبيح تركها وذلك مثل نسخ آية الممتحنة ونحوها
فإن قال قائل إذا كان الإنساء بمعنى إباحة الترك فأي فرق بينه وبين النسخ
قلنا هما وجهان من النسخ إلا أنه أراد بالنسخ الأول رفع الحكم وإقامة غيره مقامه وأراد بالثاني نسخ الحكم من غير إقامة غيره مقامه كما ذكرنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:122
تفسير السمعاني ج 1/ص 123
نصير 107 أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن

وقرأ أبو عمرو وابن كثير أو ننسأها على الفتح والهمز وحكى أبو عبيد القاسم بن سلام عن أبي نعيم القارئ أنه قال رأيت رسول الله في المنام فقرأت عليه بحرف أبي عمرو فغير على شيئين فقوله وأرنا فقال قل وأرنا بكسر الراء قال أبو عبيدة وأحسبه قال الحرف الثاني قوله أو ننسأها فقال قل أو ننسها النساء والإنساء بمعنى التأخير تقول العرب أنسأ الله أجلك ونسأ الله في أجلك في معناه قولان
أحدهما أن معنى قوله أو ننساها أي نرفع تلاوتها ونؤخر حكمهما كما فعل في آية الرجم ويكون النسخ الأول بمعنى رفع التلاوة والحكم جميعا
والقول الثاني أن معنى قوله أو ننسأها أي نؤخر إنزالها ونتركها في اللوح المحفوظ فلا تنزل
وقوله ما ننسخ من آية يعني ما ينزل أو ننسأها فلا ينزل نأتي بخير منها أو مثلها فإن قيل أيش معنى قوله نأت بخير منها وآيات القرآن سواء لا فضل لبعضها على بعض وإن أراد به الخير في السهولة فقد نسخ الأسهل بالأشق مثل الصوم كان على التخيير بينه وبين الفدية فنسخه بصوم رمضان على الحتم فما معنى الخيرية
قلنا قد قيل تقديره نأت منها بخير أي نرفع آية ونأت بآية
والصحيح أنه أراد بالخير الأفضل يعني في النفع والسهولة ومعناه نأت بخير منها أي أنفع وأسهل

تفسير السمعاني ج:1 ص:123
تفسير السمعاني ج 1/ص 124
يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل 108 ود كثير من أهل الكتاب أو مثلها في النفع والسهولة وإن نسخ الأسهل بالأشق فمعنى الخير فيه بالثواب فإن ثواب الأشق أكثر فإن قيل هما سواء في امتثال الأمر فكيف يختلفان في الثواب والجواب أن الله ـ تعالى ـ يجوز أن يثيب على الأشق أكثر مما يثيب على الأسهل وقد وعد الثواب على صوم رمضان ما لم يعد على الصوم المخير فيه أولا
وفيه قول آخر أنه أراد بقوله نأت بخير منها في نسخ القبلة خاصة

وبقوله أو مثلها على العموم وذلك أن التوجه إلى الكعبة كان خيرا للعرب وأدعى لهم إلى الإسلام إذ كانت في قلوبهم نفرة عن التوجه إلى البيت المقدس لأنه قبله اليهود
وفيه قول ثالث أن المراد بقوله نأت بخير منها يعنى في حال نسخ الأول فإن الثاني - الذي نزل جديدا ويعمل به - خير من الأول المنسوخ الذي لا يعمل به وهذا قول بعيد
قوله تعالى ـ ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير فقوله ألم تعلم وإن كان على صيغة الاستفهام لكن المراد به التقرير ومعناه أنك تعلم أن الله على كل شيء قدير وكذلك قوله ألم تعلم أن الله له ملك السماوات والأرض وأما الملك هو القدرة التامة ومنه الملك وهو السلطان التام القدرة
وما لكم من دون الله قال أبو عبيدة من بعد الله وقال غيره بما سوى الله من ولى أي وال وهو القيم بالأمور ولا نصير ولا مانع من العذاب
قوله أم تريدون أن تسألوا رسولكم أم ترد في اللغة على وجوه

تفسير السمعاني ج:1 ص:124
تفسير السمعاني ج 1/ص 125
لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم فتكون بمعنى التقرير وهو المراد هاهنا ومعناه أنتم تريدون
وقد ترد بمعنى التشكيك يقال رأيت زيدا أم عمرا
وقد ترد أم بمعنى بل قال الشاعر
بدت مثل قرن الشمس في رونق الضحىوصورتها أم أنت في العين أملح
أي بل أنت في العين أملح
أن تسألوا رسولكم كما سئل موسى من قبل وفى معناه قولان أحدهما أنهم سألوا الرسول فقالوا لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبيلا كما قال قوم موسى لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة
والثاني أنهم سألوا الرسول أن يجعل الصفا ذهبا كما سأل قوم عيسى من عيسى المائدة والأول أظهر والمراد بالآية منعهم عن السؤالات المفتوحة بعد ظهور البراهين

ومن يتبدل الكفر بالإيمان أي يستبدل الكفر بالإيمان وذلك أن مثل ذلك السؤال بعد ظهور البرهان كفر
فقد ضل سواء السبيل أي وسط السبيل
وقيل قصد السبيل وهما سواء وحكى عن عيسى بن عمر النحوي أنه قال

مازلت أكتب حتى انقطع سوائي أي وسطي
قوله تعالى ـ ود كثير من أهل الكتاب يعني أحب وتمنى كثير من أهل

تفسير السمعاني ج:1 ص:125
تفسير السمعاني ج 1/ص 126
الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره إن الله على كل شيء قدير 109
الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا قيل نزل ذلك في عمار وحذيفة فإن
اليهود دعوهم إلى دينهم فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال
عمار فقد عاهدت الله ألا أكفر بمحمد فقالوا لحذيفة ما تقول أنت قال الله ربى
ومحمد نبيي والقرآن إمامي فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية
وقيل هو في حق الكفار والمسلمين على العموم لأنهم مازالوا يودون عود
المسلمين إلى الكفر
حسدا وذلك أنهم عرفوا أن محمدا نبيي حق وأنهم باتباعه نالوا من الإسلام ما
لم ينالوه فحسدوهم على دينهم
فإن قيل ما معنى قوله حسدا من عند أنفسهم ولا يكون الحسد من عند الغير
قيل معناه من تلقائهم لم ينزل به كتاب ولا ورد به أمر
وقيل في الآية تقديم وتأخير وتقديرها ود كثير من أهل الكتاب من عند أنفسهم
لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا
من بعد ما تبين لهم الحق من بعد ما ظهر أنه حق
قوله تعالى ـ فاعفوا واصفحوا العفو المحو والصفح الإعراض وإنما نزل هذا
قبل آية القتال ثم نسخ بآية القتال
حتى يأتي الله بأمره يعني بشرع القتال وقال ابن عباس معناه حتى يأتي الله
بأمر من فتح قسطنطينية ورومية وعمورية
وقيل حتى يأتي الله بأمره من فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك وإجلاء بني
النضير ومثل بني قريظة
إن الله على كل شيء قدير أي قادر

تفسير السمعاني ج:1 ص:126
تفسير السمعاني ج 1/ص 127
وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله إن
الله بما تعملون بصير 110 وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى
تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين 111 بلى من أسلم وجهه لله

وهو قوله تعالى ـ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة معلوم
وما تقدموا لأنفسكم من خير من طاعة تجدوه عند الله ذخيرة لا تضيع إن الله بما تعملون بصير
قوله تعالى ـ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تقديره قالت اليهود لن يدخل الجنة إلا من كان يهوديا وقالت النصارى لن يدخل الجنة إلا من كان نصرانيا فاختصر اختصارا
نزلت الآية في وفد نجران وكانوا نصارى اجتمعوا في مجلس رسول الله مع اليهود فتنازعوا وكفر بعضهم بعضا وكذب بعضهم بعضا فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآيات
تلك أمانيهم يعنى تمنيهم الباطل قل هاتوا برهانكم ائتوا بالحجة على ما زعمتم إن كنتم صادقين بلى من أسلم يعني ليس الأمر على تمنوا بل الحكم للإسلام من أسلم وجهه أخلص عبادته لله وهو محسن مؤمن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهو ما جرى في مجلس رسول الله من منازعة اليهود مع النصارى فأما قوله وهم يتلون الكتاب يعني أنه يكذب بعضهم بعضا ويضلل بعضهم بعضا وهم يتلون الكتاب وليس في كتابهم هذا الاختلاف فدلت تلاوتهم الكتاب ومخالفتهم ما في الكتاب على كونهم على الباطل
كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم قيل أراد به المشركين قاله ابن عباس وقال مجاهد أراد به عوام النصارى
فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يريهم دخول المسلمين

تفسير السمعاني ج:1 ص:127
تفسير السمعاني ج 1/ص 128
محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون 112 وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما الجنة ودخولهم النار
قوله تعالى ـ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها قال ابن عباس وقتادة وجماعة من المفسرين أراد بالآية النصارى الذي عاونوا بختنصر المجوسي على تخريب بيت المقدس
أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين وذلك أن بيت المقدس موضع حج النصارى وموضع زيارتهم فلا يدخله نصراني إلا خائفا من ذلك الوقت إلى يوم القيامة لهم في الدنيا خزي أي جزية لذميهم وقتل لحربيهم ولهم في الآخرة

عذاب عظيم أي عذاب النار
وفيه قول آخر أن الآية نزلت في المشركين الذين منعوا رسول الله من دخول مكة عام الحديبية
و قوله تعالى ـ وسعى في خرابها لأنهم منعوا المسلمين من دخول المسجد ولم يسلموا حتى دخلوا فكأنهم سعوا في خرابها
أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين وهذا شرعنا ألا يمكن مشرك من دخول الحرم ولا يدخله أحد منهم إلا خائفا
لهم في الدنيا خزي هوان ولهم في الآخرة عذاب عظيم
قوله تعالى ـ ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله فيه أربعة أقوال
أحدهما أنها نزلت في نسخ القبلة أي الكعبة فإنها لما حولت إلى الكعبة عير اليهود المسلمين وقالوا ليست لهم قبلة معلومة فتارة يستقبلون هكذا وتارة هكذا فنزلت الآية ردا لقولهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:128
تفسير السمعاني ج 1/ص 129

كانوا فيه يختلفون 113 ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين لهم في الدنيا خزي
والقول الثاني ما روى عمر أن رسول الله كان يصلي على راحلته أينما توجهت به راحلته فنزلت الآية في إباحة النافلة على الراحلة أينما توجهت به الراحلة
والقول الثالث روى جابر أنه قال كنا في سفر فاشتبهت علينا القبلة فصلى كل واحد منا إلى جهة وخط بين يديه خطا فلما أصبحنا فإذا الخطوط إلى غير القبلة فسألنا عن ذلك رسول الله فلم يأمرنا بالإعادة ونزلت الآية في معناه
والقول الرابع أنه نزلت في ابتداء الإسلام حين لم تكن القبلة معلومة وجازت الصلاة إلى أي جهة شاءوا فعلى هذا تكون الآية منسوخة بآية القبلة وهذا قول غريب
وأما قوله فثم وجه الله قال مجاهد قبلة الله الوجه بمعنى القبلة وكذلك الوجهة والجهة هي القبلة وقيل معناه رضا الله وقيل معناه قصد الله ومنه قول الشاعر
استغفر الله ذنبا لست أحصيهرب العباد إليه الوجه والعمل
يعني إليه القصد والعمل
وقد ذكر الله ـ تعالى ـ الوجه في كتابه في أحد عشر موضعا وهو صفة لله ـ تعالى ـ وتفسيره قراءته والإيمان به وسيأتي

تفسير السمعاني ج:1 ص:129
تفسير السمعاني ج 1/ص 130
ولهم في الآخرة عذاب عظيم 114 ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم 115 وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما في السماوات والأرض كل له قانتون 116 بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا إن الله واسع أي غني يعطي من السعة عليم أي عالم بالأمور

قوله تعالى وقالوا اتخذ الله ولدا يعني النصارى سبحانه تنزيه بل له ما في السماوات والأرض ملكا وملكا كل له قانتون القانت المطيع وأصل القنوت القيام وفي الخبر أن النبي سئل عن أفضل الصلاة فقال طول القنوت أي طول القيام
وقوله كل له قانتون أي قائمون بالعبودية وفي معناه أقوال
أحدها قال ابن عباس هو عام بمعنى الخصوص والمراد به المسلمون وبه قال الفراء ولم يرضه من الفراء نحاة البصرة وقالوا الكل يقتضي الإحاطة بالشيء بحيث لا يشذ منه شيء ومعناه كل العباد قانتون فالمسلم يسجد طوعا والكافر يسجد ظله كرها كما قال الله ـ تعالى ـ ولله يسجد من في السماوات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال
والقول الثاني معناه كل له قانتون مذللون مسخرون لما خلقوا له
والقول الثالث كل له قانتون يعني في القيامة
قوله تعالى ـ بديع السماوات والأرض أي مبدعها قال ابن عباس هو الخالق لا على مثال سبق ومنه المبتدع لأنه أحدث ما لم يسبق إليه
وإذا قضى أمرا أي أحكم وأتقن وأصل القضاء الفراغ ومنه يقال لمن مات قضى نحبه لفراغه من الدنيا ومنه قضاء القاضي لأنه فرغ عن فصل الحكومة ومنه قضاء الله وقدره لأنه فرغ عنه تقديرا وتدبيرا وقال الشاعر

تفسير السمعاني ج:1 ص:130
تفسير السمعاني ج 1/ص 131
فإنما يقول له كن فيكون 117 وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم وعليهما مسرودتان قضاهماداود وصنع السوابغ تبع

أي صناع السوابغ وقوله قضاهما داود أي أحكمهما فكذلك قوله وإذا قضى أمرا أي أحكم وأتقن فإنما يقول له كن فيكون فإن قال قائل كيف قال فإنما يقول له والمعدوم لا يخاطب قيل قد قال ابن الأنباري معناه فإنما يقول له أي لأجل تكوينه فعلى هذا ذهب معنى الخطاب
وقيل هو وإن كان معدوما لكنه لما قدر وجوده وهو كائن لا محالة كان كالموجود فصح الخطاب
وفيه قول ثالث أنه خرج على ما يفهمه الناس في العادة فإن كل من يريد فعلا فإما أن يقول قولا أو يفعل فعلا ومعناه التكوين فحسب إلا أنه قال فإنما يقول له لأنه كذا يفهمه الناس
فأما قوله ـ تعالـ فيكون قرأ ابن عامر فيكون بنصب النون وهو أظهر على النحو لأنه جواب الأمر بالفاء فيكون على النصب
والقراءة المعروفة فيكون بالرفع ومعناه فهو يكون
قوله تعالى ـ وقال الذين لا يعلمون قال ابن عباس أراد به اليهود
وقال مجاهد أراد به النصارى
لولا يكلمنا الله أي هلا يكلمنا الله ولولا في كل القرآن بمعنى هلا إلا في موضع واحد وذلك في قوله تعالى ـ فلولا أنه كان من المسبحين معناه فلو لم يكن من المسبحين

تفسير السمعاني ج:1 ص:131
تفسير السمعاني ج 1/ص 132
يوقنون 118 إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ولا تسأل عن أصحاب الجحيم 119 ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو أو تأتينا آية أي آية نقترحها كما اقترحوا من الآيات كذلك قال الذين من قبلهم من الكفار في القرون الماضية مثل قولهم تشابهت قلوبهم أي أشبه بعضها بعضا في القسوة وطلب المحال قد بينا الآيات لقوم يوقنون
قوله تعالى ـ إنا أرسلناك بالحق أي مع الحق والصلات تتعاقب ومثله قوله ـ تعالـ فادخلي في عبادي أي مع عبادي
والمراد بالحق القرآن وقيل شريعة الإسلام

بشيرا ونذيرا أي مبشرا ومنذرا ولا تسئل عن أصحاب الجحيم قرئ بقراءتين ولا تسأل ولا تسأل فأما قوله ولا تسأل يعني أرسلناك غير مسئول عن حال الكفار وذلك مثل قوله فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب
وقرأ ابن مسعود وما تسأل وقرأ أبي بن كعب ولن تسأل ومعنى الكل واحد

وأما قوله ولا تسأل له معنيان أحدهما أنه على معنى قولهم لا تسأل عن شر فلان فإنه فوق ما تحسب
وقيل هو على النهى وسببه ما روى محمد بن كعب القرظي أن رسول الله قال ليت شعري ما فعل أبواي فنزل قوله تعالى ـ ولا تسئل عن أصحاب الجحيم والجحيم اسم للنار الشديدة الالتهاب

تفسير السمعاني ج:1 ص:132
تفسير السمعاني ج 1/ص 133
الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير 120 الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ومن يكفر
قوله تعالى ـ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم معناه ولن ترضى عنك اليهود إلا باليهودية ولا النصارى إلا بالنصرانية
حتى تتبع ملتهم والملة الطريقة ومنه خبز الملة سمى الرماد الذي جعل فيه الخبز ملة لأنه يظهر فيه آثار وخطوط
قل إن هدى الله هو الهدى يعني دين الله هو الدين الذي أنت عليه
ولئن اتبعت أهواءهم قيل إنه خطاب للنبي والمراد به الأمة لأنه كان معصوما من اتباع الأهواء ومثله قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير معلوم
وقيل معنى الآية أن اليهود طلبوا من النبي المهادنة وقالوا لا تحاربنا ولا تقتلنا وأمهلنا فربما نسلم فنزل قوله تعالى ـ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم يعني إنك إن هادنتهم فلن يرضون بها وإنما يطلبون ذلك تعللا وافتعالا ولا يرضون عنك إلا باتباع ملتهم

قوله تعالى ـ الذين آتيناهم الكتاب قيل أراد به قوما من اليهود أسلموا
وقيل أراد به قوما من النصارى جاءوا مع جعفر بن أبي طالب حين قدم من الحبشة فأسلموا
يتلونه حق تلاوته قال ابن عباس وابن مسعود يحللون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفون الكلم عن مواضعه
وقال الحسن يعملون بأوامره ويؤمنون بمحكمه ويكلون المتشابه إلى الله ـ تعالى ـ وقال عكرمة يتبعونه حق اتباعه من قولهم تلا أي تبع ومنه قوله ـ تعالى والقمر إذا تلاها

تفسير السمعاني ج:1 ص:133
تفسير السمعاني ج 1/ص 134
به فأولئك هم الخاسرون 121 يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين 122 واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا
أولئك يؤمنون به يعني ما ذكرنا ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون أي الغالبون أنفسهم
قوله -تعالى- يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين أعاده تأكيدا لما سبق
قوله تعالى ـ واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا قد ذكرنا معناه ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون إن قيل أليس قد جعل الشفاعة للأنبياء وغيرهم حيث قال ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وقال النبي شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي قيل أراد بقوله ولا تنفعها شفاعة في قوم مخصوصين وهم اليهود والكفار

قوله تعالى ـ وإذ ابتلى إبراهيم ربه أي اختبر ومعنى ابتلاء العباد ليس ليعلم أحوالهم بالابتلاء ـ لأنه عالم بهم وبما يملكون منهم ـ ولكن ليعلم العباد أحوالهم حتى يعرف بعضهم بعضا بكلمات وأما الكلمات قيل هي التي وردت في الخبر في قوله عشر من الفطرة خمس في الرأس وخمس في الجسد والخمس التي في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب والسواك وفرق الرأس وأما اللواتي في الجسد مثل قلم الأظفار ونتف الإبط وحلق العانة والختان والاستنجاء ـ في رواية وغسل البراجم ـ

تفسير السمعاني ج:1 ص:134
تفسير السمعاني ج 1/ص 135
يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون 123 وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي
وفي الخبر أن الله ـ تعالى ـ بعث جبريل إلى إبراهيم أن تطهر لي فتمضمض ثم بعث إليه أن تطهر لي فاستنشق هكذا إلى العشر فلما أمره في المرة العاشرة أن تظهر لي فنظر إلى بدنه فلم يجد شيئا ينظفه فتنبه على الختان فاختتن
وفي الخبر أنه اختتن بعد ثمانين سنة بالقدوم وهو اسم موضع وعاش بعده ثمانين

وفي الأخبار أن إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ أول من قص الشارب وأول من اختتن وأول من قلم الأظفار وأول من رأى الشيب فلما رآه قال يا رب ما هذا فقال الوقار فقال يا رب زدني وقارا
فأتمهن أي فأداهن به تامة قال ابن عباس ما أتى أحد بسهام الإسلام كما أتى بها الخليل إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ
وفيه قولان آخران أن معنى الكلمات هو أن الله ـ تعالى ـ ابتلاه بالكوكب فرضى عنه وابتلاه بالقمر فرضى عنه وابتلاه بالشمس فرضى عنه وابتلاه بنار نمروذ فرضى عنه وابتلاه بذبح الولد فرضى عنه وابتلاه بالختان فرضى عنه

و قوله تعالى ـ قال إني جاعلك للناس إماما يعني في الخير وقد يكون الإمام في الشر على طريق المجاز كما قال ـ تعالـ وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار وحقيقة الإمام أن يقصد من فعله ما يقصد وهو من الأم وهو القصد

تفسير السمعاني ج:1 ص:135
تفسير السمعاني ج 1/ص 136
الظالمين 124 وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وآمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع
قال ومن ذريتي أي اجعل من ذريتي أئمة
قال لا ينال عهدي الظالمين أي لا يناله من كان فيهم ظالما واختلفوا في هذا العهد قال ابن عباس هو النبوة وقال مجاهد أراد به الإمامة وهو الأليق بظاهر النسق وفيه قول آخر أنه الأمان من النار
والظالم الفاسق وقيل أراد به المشرك هاهنا وهو مثل قوله تعالى ـ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي بشرك أولئك لهم الأمن فجعل الأمن لمن لا يشرك به فكذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين أي أن أماني لا يناله المشركون منهم
قوله تعالى ـ وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا قال عطاء مثابة أي مجمعا وقال غيره مثابة أي مرجعا وهو مأخوذ من ثاب أي رجع والبيت مثابة لأنهم يعودون إليه مرة بعد أخرى
قال الضحاك لا يقضون منه وطرا أي لا يملون منه والمثاب والمثابة بمعنى واحد قال الشاعر
مثاب لأفناء القبائل كلها تخب إليه اليعملات الذوامل
وأما قوله وأمنا أي ذا أمن قال ابن عباس أمنه أن يدخله الجاني فيأمن ولا يستوفي منه حتى يخرج وإليه ذهب أبو حنيفة وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ

وقال غيره معناه أنه مأمن من أيدي المشركين فإنهم ما كانوا يتعرضون لأهل مكة ويقولون إنهم أهل الله وخاصته وإنما كانوا يتعرضون لمن حوله كما قال الله ـ تعالى ـ أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم فأما قول

تفسير السمعاني ج:1 ص:136
تفسير السمعاني ج 1/ص 137
السجود 125 وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات ابن عباس فمحمول على الاستحباب وذلك الأولى عندنا أن لا يتعرض له حتى يخرج لكن مع هذا أجاز الاستيفاء لأن الحرم لا يمنع استيفاء الحقوق
قوله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى قرىء بقراءتين واتخذوا على الخبر واتخذوا على الأمر وأما المقام بالفتح موضع الإقامة والمقام بالضم فعل الإقامة ومعناه على القول الصحيح أن مقام إبراهيم هو الحجر الذي في المسجد يصلي إليه الأئمة وذلك الحجر الذي قام عليه إبراهيم عند بناء البيت وبذلك سمى مقام إبراهيم
وقيل كان أثر أصابع رجله بينة فيه واندرس من كثرة مسح الأيدي
وفي الخبر أن الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة ولولا ما مسته أيدي المشركين لأضاءا ما بين المشرق والمغرب
وقد روى عن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال وافقني ربي في ثلاث
قلت لرسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فنزل قوله تعالى ـ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى
وفيه قول آخر أنه أراد بمقام إبراهيم جميع مشاهد الحج مثل عرفة والمزدلفة وسائر المشاهد

تفسير السمعاني ج:1 ص:137
تفسير السمعاني ج 1/ص 138
من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير 126 وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا

وقوله مصلى أي مدعا أمرهم أن يتخذوها مواضع للدعاء
و قوله تعالى ـ وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أي أمرنا والعهد هاهنا بمعنى الأمر
وأما إسماعيل أصله اسمع إيل وذلك أن إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ كان يدعو الله أن يرزقه ولدا ويقول اسمع إيل فلما رزقه الله الولد سماه إسماعيل
و قوله تعالى ـ أن طهرا بيتي يعني من الشرك والأوثان للطائفين الدائرتين حول الكعبة والعاكفين المقيمين المجاورين والركع السجود المصلين ركع جمع راكع والسجود جمع ساجد قال الكلبي ومقاتل الطائفين هم الغرباء والعاكفين أهل مكة
قال عطاء ومجاهد الطواف للغرباء أفضل لأنه يفوتهم والصلاة لأهل مكة أفضل لأنه لا يفوتهم
قوله تعالى ـ وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا أي اجعل الحرم ذا أمن وارزق أهله من الثمرات وإنما دعا بذلك لأنه كان بواد غير ذي زرع
وفي القصص أن الطائف كانت مدينة من مدائن الشام بأردن فلما دعا إبراهيم هذا الدعاء أمر الله ـ تعالى ـ جبريل حتى قلعها من أصلها وأدارها حول البيت سبعا ثم وضعها موضعها الذي هي الآن فيه فمن تلك ثمرات أهل مكة
من آمن منهم بالله واليوم الآخر دعا إبراهيم أن يرزق من الثمرات المؤمنين خاصة
قال ومن كفر يقول الله ـ تعالى ـ والكافرين أيضا وذلك أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وعد الرزق للخلق كافة مؤمنهم وكافرهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:138
تفسير السمعاني ج 1/ص 139
تقبل منا إنك أنت السميع العليم 127 ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم 128 ربنا وابعث فأمتعه قليلا يقرأ مخففا ومشددا ومعناهما واحد يعني أبقيه في النعمة قليلا

وإنما ذكر القليل لأن الإمتاع أصله الطول والكثرة يقال متع النهار أي طال وارتفع ونخلة ماتعة أي طويلة وإنما أراد به الإمتاع في الدنيا وهو قليل لانقطاعه
ثم اضطره ألجئه إلى عذاب النار وبئس المصير أي المرجع
قوله تعالى ـ وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت قال الفراء القواعد أسس البيت
وقال الكسائي هي جدر البيت وحكى أن ابن الزبير لما هدم البيت ليبنيه

ظهرت أحجار بيض كبار فقال هذه هي القواعد التي بنى عليها إبراهيم البيت
وقال ابن عباس إنما بنى البيت من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان وهو جبل بالشام ـ والجودى وهو جبل بالجزيرة وحراء وهو جبل بمكة
وفي الأخبار أن الله ـ تعالى ـ بنى في السماء بيتا ـ وهو البيت المعمور ويسمى صراح ـ وأمر الملائكة أن يبنوا الكعبة في الأرض بحذائه على قدره ومثاله
وقيل أول من بنى الكعبة آدم ـ صلوات الله عليه - فاندرس ذلك زمان الطوفان ثم أظهره الله ـ تعالى ـ لإبراهيم حتى بناه
قال وإسماعيل ربنا تقبل منا قرأ أبي بن كعب يقولان ربنا تقبل منا وهو في الشواذ وهذا هو المعنى إنك أنت السميع العليم
قوله تعالى ـ ربنا واجعلنا مسلمين لك يقول مستسلمين خاضعين منقادين

تفسير السمعاني ج:1 ص:139
تفسير السمعاني ج 1/ص 140
فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم 129 ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد
ومن ذريتنا أمة والأمة أتباع الأنبياء مسلمة لك خاضعة لك وأرنا قرأ أبو عمرو مختلسا وقرأ غيره بكسر الراء مناسكنا أي متعبداتنا
والنسك العبادة ومنه يقال للعابد ناسك معناه مواضع حجنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم

قوله تعالى ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يعني محمدا وفي الخبر أن النبي قال أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى وأراد بدعوة إبراهيم هذا فإنه دعا أن يبعث في بني إسماعيل رسولا منهم
قال ابن عباس كل الأنبياء من بني إسرائيل إلا عشرة نوح وهود وصالح وشعيب ولوط وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومحمد ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ
وفي القصص أن لكل نبي ممن مضى اسما واحدا في القرآن إلا نبين يعقوب وعيسى أما يعقوب له اسمان يعقوب وإسرائيل وأما عيسى له اسمان

تفسير السمعاني ج:1 ص:140
تفسير السمعاني ج 1/ص 141
اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين 130 إذ قال له ربه أسلم

قال أسلمت لرب العالمين 131 ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله عيسى والمسيح
يتلو عليهم آياتك يعني من القرآن ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة فيها أقوال قيل الحكمة فهم القرآن وقال أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة الحكمة كل كلمة زجرتك ووعظتك ونهتك عن قبيح ودعتك إلى حسن وقيل الحكمة الفقه وهذا قول حسن
ويزكيهم أي يطهرهم ويجعلهم أزكياء طهرة وفيه قول آخر أنه بمعنى التزكية يشهد الرسل بالنبوة من سائر الأمم وذلك أن مؤمني سائر الأمم شهدوا للرسل بالنبوة وتبليغ الرسالة فهذه الأمة تزكى أولئك الشهود
إنك أنت العزيز قيل هو الممتنع والله ممتنع لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء وقيل هو القوي الغالب ومنه قوله تعالى ـ وعزني في الخطاب أي غلبني ويقال في المثل من عز بز أي من غلب سلب الحكيم معلوم
قوله ـ تعالـ ومن يرغب عن ملة إبراهيم أي طريقة إبراهيم إلا من سفه نفسه حكى أبو عبيد عن أبي عبيدة معناه أهلك نفسه
وقال الزجاج معناه جهل نفسه وكل سفيه جاهل وذلك أن من جهل نفسه لم يعرف الله

وفي الأخبار أن الله ـ تعالـ أوحى إلى داود اعرف نفسك واعرفني فقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:141
تفسير السمعاني ج 1/ص 141
اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين 130 إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين 131 ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله عيسى والمسيح
يتلو عليهم آياتك يعني من القرآن ويعلمهم الكتاب القرآن والحكمة فيها أقوال قيل الحكمة فهم القرآن وقال أبو بكر بن دريد صاحب الجمهرة الحكمة كل كلمة زجرتك ووعظتك ونهتك عن قبيح ودعتك إلى حسن وقيل الحكمة الفقه وهذا قول حسن
ويزكيهم أي يطهرهم ويجعلهم أزكياء طهرة وفيه قول آخر أنه بمعنى التزكية يشهد الرسل بالنبوة من سائر الأمم وذلك أن مؤمني سائر الأمم شهدوا للرسل بالنبوة وتبليغ الرسالة فهذه الأمة تزكى أولئك الشهود
إنك أنت العزيز قيل هو الممتنع والله ممتنع لا تناله الأيدي ولا يصل إليه شيء وقيل هو القوي الغالب ومنه قوله تعالى ـ وعزني في الخطاب أي غلبني ويقال في المثل من عز بز أي من غلب سلب الحكيم معلوم

قوله ـ تعالـ ومن يرغب عن ملة إبراهيم أي طريقة إبراهيم إلا من سفه نفسه
حكى أبو عبيد عن أبي عبيدة معناه أهلك نفسه
وقال الزجاج معناه جهل نفسه وكل سفيه جاهل وذلك أن من جهل نفسه لم يعرف الله
وفي الأخبار أن الله ـ تعالـ أوحى إلى داود اعرف نفسك واعرفني فقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:141
تفسير السمعاني ج 1/ص 142
اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون 132 أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك

يا رب كيف أعرف نفسي وكيف أعرفك فأوحى الله إليه اعرف نفسك بالضعف والعجز والفناء واعرفني بالقوة والقدرة والبقاء
وقيل معناه سفه نفسه وجعله سفيها وفيه قول رابع معناه سفه في نفسه فحذف كلمة في فصار سفه نفسه
ولقد اصطفيناه اخترناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين من الأنبياء
قوله تعالى ـ إذ قال له ربه أسلم يعني أي استسلم وأخلص عبادتك لله
قال أسلمت لرب العالمين أخلصت وفوضت إليه
قال ابن عباس وقد حقق التفويض إليه ولم يستعن بأحد من الملائكة حين ألقى في النار
قوله تعالى ـ ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب قرىء وأوصى من الإيصاء ووصى من التوصية وهي للمبالغة والتكثير يعني أوصى إبراهيم بنيه وأوصى يعقوب بنيه يا بني إن الله اصطفى لكم الدين اختار لكم دين الإسلام فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون فإن قيل كيف قال فلا تموتمن إلا وأنتم مسلمون وليس بيدهم أن لا يموتوا إلا مسلمين
قيل معناه داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون وهذا كقول القائل لا أريتك تفعل كذا معناه لا تفعل كذا حتى لا أراك وأنت فاعل له

تفسير السمعاني ج:1 ص:142
تفسير السمعاني ج 1/ص 143
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلها واحدا ونحن له مسلمون 133 تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون 134 وقالوا

قوله تعالى ـ أم كنتم شهداء بمعنى أكنتم شهداء والمراد به ما كنتم شهداء إذا حضر يعقوب الموت أي ما كنتم حضورا حين قرب يعقوب من الموت

إذ قال لبنيه وهم اثنا عشر سبطا على ما سيأتي ما تعبدون من بعدي أي أيش تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب إلها واحدا ونحن له مسلمون وقرأ الحسن البصري وعاصم الجحدري وإله أبيك كأنه على هذه القراءة لم يجعل العم ولا الجد أبا
والقراءة المعروفة وإله آبائك فجعل الجد والعم أباء
وإبراهيم هو الجد وإسماعيل هو العم وقد سمى رسول الله عمه العباس أبا حيث قال إنه من بقية آبائي وقال ردوا على أبي كيلا تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وذلك أنهم قتلوه
قوله تعالى ـ تلك أمة قد خلت أي مضت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعلمون معناه يجازي كل بكسبه ويسأل كل عن عمله والله أعلم
قوله تعالى ـ وقالوا كونوا هودا أو نصارى هود جمع هائد وهو مثل حائل وحول وقيل كان أصله كونوا يهودا فحذفت الياء فصار هودا
وقيل هود مصدرها يهود هودا فهو مصدر بمعنى الجمع كما يقال قوم صوم

تفسير السمعاني ج:1 ص:143
تفسير السمعاني ج 1/ص 144
كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين 135 قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وقوم فطر
ومعناه قالت اليهود كونوا يهودا وقالت النصارى كونوا نصارى فهذا معنى قوله تعالى ـ كونوا هودا أو نصارى تهتدوا
قل بل ملة إبراهيم حنيفا قرأ الأعرج بل ملة بالرفع ومعناه بل ملتنا ملة إبراهيم والقراءة المعروفة بل ملة إبراهيم أي بل نتبع ملة إبراهيم
وقيل معناه بل نكون على ملة إبراهيم فحذف على فصار منصوبا

قال الكسائي هو نصب على الإغراء كأنه يقول اتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وأما الحنيف هو المسلم وأصله الميل ومنه الأحنف وهو المائل القدم والمسلم مائل

من سائر الأديان إلى ملة الإسلام
وقيل معناه المستقيم فسماه حنيفا على الضد كما يقال للمهلكة مفازة وللديغ سليم
وقيل الحنيف هو الحاج المختتن وذلك أنه لم يبق مع العرب من ملة إبراهيم إلا الحج والختان وكانوا يعرفون كل من حج واختتن على ملة إبراهيم وعرفوا الرجل بذلك حنيفا فقال بل ملة إبراهيم حنيفا على وفق ما عرفوا وما كان من المشركين
قوله تعالى ـ قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم
قال الضحاك علموا أولادكم أسماء الأنبياء المذكورين في القرآن كي يؤمنوا بهم ولا تظنوا أن الإيمان بمحمد يكفي عن الإيمان بسائر الأنبياء

تفسير السمعاني ج:1 ص:144
تفسير السمعاني ج 1/ص 145
ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون 136 فإن آمنوا بمثل ما أمنتم به فقد اهتدوا وإن
وفي الخبر أن النبي قرأ في الركعة الأولى من ركعتي الفجر هذه الآية قوله تعالى ـ آمنا بالله إلى آخرها وقرأ في الركعة الثانية قل آمنا بالله وما أنزل علينا إلى آخرها أخرجه مسلم في الصحيح
حكى عن السلف أنهم كانوا إذا قيل للرجل منهم أمؤمن أنت قرأ آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية
وأما الأسباط هم اثنا عشر سبطا وهم أولاد يعقوب والأسباط في بني إسرائيل كالقبائل في العرب
وقيل السبط الشجر سمى بذلك لكثرة فروعه
لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون أي نؤمن بالكل ولا نفضل البعض عن البعض

قوله تعالى ـ فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به قرأ ابن عباس بالذي آمنتم به وهو المعنى فقيل معناه بما أمنتم به
والمثل ضد كما في قوله ليس كمثله شيء ومعناه ليس كهو شيء
قال الشاعر
يا عاذلي دعني عن عذلكامثلي لا يقبل من مثلكا

تفسير السمعاني ج:1 ص:145
تفسير السمعاني ج 1/ص 146
تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم 137 صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون 138
أي لا يقبل منك
وقال الزجاج معناه فإن أتوا بإيمان كإيمانكم وتصديق كتصديقكم وتوحيد كتوحيدكم وقال أبو معاذ النحوي معناه فإن آمنوا بكتابكم كما آمنتم بكتابهم فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق أي منازعة لأن كل منازع يكون في شق آخر عند المنازعة
فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وعده أن يكفيه شرهم وقد كفى بإجلاء بني النضير وقتل بني قريظة وضرب الجزية على اليهود والنصارى وقتل المشركين
وهو السميع العليم ظاهر المعنى
قوله تعالى صبغة الله قال ابن عباس ـ في رواية الكلبي ـ وقتادة والحسن وعكرمة والسدى معناه دين الله وإنما سماه صبغة لأنه يظهر أثر الدين على المتدين كما يظهر أثر الصبغ على الثوب
وقال مجاهد معناه فطرة الله وهذا يقرب من الأول
وقيل أراد به الختان وقوله صبغة الله أي تطهير الله بالختان وإنما سماه صبغة لأنه أقامه مقام فعل النصارى وذلك أنهم كانوا يصبغون الولد في ماء أصفر بدل الختان في زي اليهود ويعدونه تطهيرا للولد فالله ـ تعالى ـ أقام التطهير بالختان في حق المسلمين مقام ما صبغوا
قال الكسائي هو نصب على الإغراء وتقديره ألزموه دين الله ومن أحسن من الله دينا أو ألزموا تطهير الله ومن أحسن من الله صبغة أي تطهيرا ونحن له عابدون

تفسير السمعاني ج:1 ص:146
تفسير السمعاني ج 1/ص 147
قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون 139 أم تقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط
قوله تعالى قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم والمحاجة المجادلة بالحجة لإظهار الحق
نزلت في اليهود ونصارى نجران حيث حاجوا رسول الله وقالوا ديننا أقدم من

دينكم وكتابنا أقدم من كتابكم فنحن أولى بالله منكم فنزل قوله قل يا محمد أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم أي نحن وأنتم سواء في الله فإنه ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم أي نجازي بأعمالنا وتجازون بأعمالكم ونحن له مخلصون يعني كيف تدعون أنكم أولى بالله ونحن له مخلصون وأنتم به مشركون
قوله تعالى ـ أم تقولون يعني أتقولون والصيغة صيغة الاستفهام ومعناه التوبيخ يعني أتقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودا أو نصارى وذلك أنهم ادعوا أن هؤلاء الأنبياء كانوا يهودا أو نصارى
قل أأنتم أعلم أم الله وذلك أن الله ـ تعالى ـ قد أعلم المسلمين أنهم كانوا على الدين الحنيفية وما كان يهودا ولا نصارى كما قال ـ تعالى ـ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما
ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله فيه قولان
أحدهما أنه أراد به أن الله ـ تعالى ـ قد أشهدهم في كتبهم علي أن إبراهيم كان على الدين الحنيفية ولم يكن يهوديا ولا نصرانيا فكتموا تلك الشهادة
وقيل أراد بالشهادة على نعت محمد
وما الله بغافل عما تعملون أي لا يخفى عليه شيء مما تعملون
قوله تعالى ـ تلك أمة قد خلت أي مضت لها ما كسبت ولكم ما

تفسير السمعاني ج:1 ص:147

تفسير السمعاني ج 1/ص 148
كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون 140 تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون 141 سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون يعني أنكم غير مسؤولين عن أعمالهم بل هم المسئولون
فإن قيل هذا تكرار فإنه قد ذكره مرة
قلنا أما الأول كان في الأنبياء الذين سبق ذكرهم وهذا الثاني في اليهود والنصارى الذي سبق ذكرهم في هذه الآيات أو كرره تأكيدا
وحكى عن بعض العلماء أنه سئل عما وقع من الفتن بين علي ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة ـ رضوان الله عليهم -فقرأ تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم الآية وهذا جواب حسن في مثل هذا السؤال
قوله تعالى ـ سيقول السفهاء من الناس أي يقول السفهاء الجهال والسفيه خفيف الحلم والعقل ومنه الثوب ـ يعني ـ السفيه ويقال رمح سفيه أي سريع

النفوذ
ما ولاهم ما عدلهم وحرفهم عن قبلتهم التي كانوا عليها يعني بيت المقدس قل لله المشرق والمغرب يوجه العباد إلى أيهما شاء يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم أي طريق مستقيم والطريق المستقيم هو الموصل إلى المقصود ونزلت الآية في اليهود حيث عيروا المسلمين على تحويلهم من بيت المقدس إلى الكعبة
قوله تعالى ـ وكذلك جعلناكم يعني كما اخترنا الأنبياء واخترنا بني إسرائيل من الخلق فكذلك اخترناكم من الأمم أمة وسطا أي عدلا خيارا قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:1 ص:148
تفسير السمعاني ج 1/ص 149
عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم 142 وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون
هم وسط يرضى الأنام بحكمهمإذا نزلت إحدى الليالي بمعظم

وفي الخبر أن النبي قال إنكم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأعدلها
وقد ورد في الخبر عنه أنه قال خير الدين النمط الأوسط يعني الذي ليس فيه غلو ولا تقصير وذلك دين الإسلام لأن النصارى غلوا في دينهم واليهود قصروا وأما المسلمون أخذوا بالنمط الأوسط
لتكونوا شهداء على الناس وذلك يوم القيامة حين يسأل الأمم عن إبلاغ الرسل فينكرون تبليغهم الرسالة فيسأل الرسل فيقولون بلغنا فيقال لهم ومن يشهد لكم فيأتون بهذه الأمة فيشهدون لهم بالبلاغ فتقول الأمم إنهم أتوا بعدنا فكيف يشهدون بذلك فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأنزلت علينا كتابا وأخبرتنا فيه ببلاغ الرسل وأنت صادق فيما أخبرت فبذلك نشهد لهم بالبلاغ
ويكون الرسول عليكم شهيدا على أعمالكم
وقيل معناه مزكيا مصدقا علي شهادتكم
قوله تعالى ـ وما جعلنا القبلة التي كنت عليها أي ما حولنا القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه فإن قال قائل ما معنى قوله إلا لنعلم وهو عالم بالأشياء قبل كونها

تفسير السمعاني ج:1 ص:149
تفسير السمعاني ج 1/ص 150
الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله وما كان الله
قلنا بلى كان عالما به علم الغيب وإنما أراد بهذا العلم الذي يتعلق به الثواب والعقاب وهو العلم بوجود الأتباع فإن كونه موجودا إنما يعلم بعد الوجود وقيل معناه إلا لنرى وهو قريب من الأول

وقيل الابتلاء مضمر فيه وتقديره إلا لنبتلي فيظهر المتبع من المنقلب وفي الخبر أن القبلة لما حولت إلى الكعبة ارتد قوم من المسلمين إلى اليهودية وقالوا إن محمدا رجع إلى دين آبائه فهذا معنى قوله ممن ينقلب على عقبيه و قوله تعالى ـ وإن كانت لكبيرة لثقيلة
قيل معناه وإن كانت القبلة لكبيرة قال الزجاج وإن كانت التحويلة لكبيرة إلا على الذين هدى الله أي هداهم الله وما كان الله ليضيع إيمانكم نزل هذا في قوم معينين ذلك ما روى أن القبلة لما حولت سأل قوم رسول الله فقالوا إن قوما منا كانوا قد صلوا إلى بيت المقدس وماتوا فما شأنهم منهم أسعد بن زرارة وأبو أمامة والبراء بن معرورـ فنزل قوله تعالى ـ وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم فجعل الصلاة إيمانا وهذا دليل على المرجئة حيث لم يجعلوا الصلاة من الإيمان وإنما سموا مرجئة لأنهم أخروا العلم عن الإيمان وحكى أن أبا يوسف شهد عند شريك بن عبد الله القاضي فرد شهادته قيل له أترد شهادة يعقوب فقال كيف أقبل شهادة من يقول إن الصلاة ليست من الإيمان
وقيل معنى قوله وما كان الله ليضيع إيمانكم بالتحويل
إن الله بالناس لرءوف رحيم والرأفة أشد الرحمة
قوله تعالى ـ قد نرى تقلب وجهك في السماء هذه الآية وإن كانت

تفسير السمعاني ج:1 ص:150
تفسير السمعاني ج 1/ص 151
ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرءوف رحيم 143 قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم متأخرة في التلاوة لكنها متقدمة في المعنى فإنها رأس القصة

وسبب نزول الآية ما روى جابر أن النبي بعد ما قدم المدينة صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرا ـ أو سبعة عشر شهرا ـ وكان يود أن يحوله الله إلى الكعبة فكان يقول لجبريل وددت لو حولني الله إلى الكعبة فإنها قبلة أبي إبراهيم وكان يقول لجبريل سل ربك فقال له جبريل سل أنت فإنك عند الله بمكان وكان كلما نزل جبريل تردد وجهه في السماء رجاء أن ينزل بالنسخ قال السدى إنه كلما افتتح صلاة كان يردد وجهه في السماء رجاء أن يحوله الله إلى الكعبة فأقامه الله عليه ستة عشر شهرا ثم نزل قوله تعالى ـ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها أي تودها وتهواها لأن القبلة الأولى كانت ترضيه أيضا
فول وجهك شطر المسجد الحرام أي نحو البيت
وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره أي نحوه وفي الخبر أن النبي قال هذه القبلة وأشار إلى البيت
وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم يعني التحويل إلى الكعبة وما الله بغافل عما تعملون قال ابن عباس أول ما نسخ بعدما قدم المدينة هو القبلة

تفسير السمعاني ج:1 ص:151
تفسير السمعاني ج 1/ص 152
فولوا وجوهكم شطره وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون 144 ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا وقيل أول صلاة صليت إلى الكعبة كانت صلاة العصر وروى أنها حولت إلى الكعبة وكانوا في الصلاة والصحيح أن التحويل كان خارج الصلاة وإنما كان ذلك في حق أهل قباء فإنهم شرعوا في صلاة العصر وكانت صلاة العصر نحو بيت المقدس فأتاهم آت وقال أشهد أني صليت هذه الصلاة مع رسول الله إلى الكعبة فاستداروا إلى الكعبة وبنوا على صلاتهم

قوله تعالى ـ ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك معناه لو أتيتهم بكل معجزة ما تبعوك في الكعبة وما أنت بتابع قبلتهم يعني قبلة اليهود والنصارى وما بعضهم بتابع قبلة بعض يعني اليهود والنصارى وذلك أن قبلة اليهود بيت المقدس وهو المغرب وقبلة النصارى المشرق وأما قبلة المسلمين هي الكعبة
وقد روى ابن عمر عن النبي أنه قال ما بين المشرق والمغرب قبلة قال ابن عمر يعني لأهل المشرق وصورته أن يجعل مشرق الشتاء في أقصر يوم من

السنة على يساره ومغرب الصيف في أطول يوم من السنة عن يمينه فيكون وجهه إلى الكعبة وذلك بأن يتوجه إلى مسقط قلب العقرب حين يسقط فهذا معنى قوله ما بين المشرق والمغرب قبله
ولئن اتبعت أهواءهم وإن كان الخطاب مع الرسول ولكن المراد به الأمة كما سبق

تفسير السمعاني ج:1 ص:152
تفسير السمعاني ج 1/ص 153
قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين 145 الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون 146 الحق من
من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين معلوم التفسير
قوله تعالى ـ الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم قيل أراد به القبلة وقيل أراد به محمدا
وروى أن عبد الله بن سلام قال معرفتي بهذا النبي أشد من معرفتي بابني قال له عمر وكيف ذاك قال لأني لا أعرف ما أحدثت النساء وأعرف أنه نبي حق فقال عمر لله درك
وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين أي الشاكين
قوله ـ تعالى ـ ولكل وجهة هو موليها قال مجاهد هو موليها وجهة يعني القبلة وقال أبو حاتم عن الأخفش معناه الله موليها

فقوله هو كناية عن الله ـ تعالى ـ يعني الله مولي الأمم إلى قبلتهم وقرأ ابن عامر هو مولاها أي المستقبل مصروف إليها
فاستبقوا الخيرات أي بادروا والمراد هاهنا المبادرة إلى القبول من الله أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير
قوله تعالى ـ ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام أي نحوه وإنه للحق من ربك ذكره تأكيدا للأول وما الله بغافل عما تعملون

تفسير السمعاني ج:1 ص:153
تفسير السمعاني ج 1/ص 154
ربك فلا تكونن من الممترين 147 ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات

أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا إن الله على كل شيء قدير 148 ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك وما الله بغافل عما
قوله تعالى ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة يعني اليهود وذلك أنهم قالوا إن محمدا اتبع قبلتنا فسيعود إلى ملتنا
إلا الذين ظلموا وهم المشركون وقيل إلا بمعنى ولا الذين ظلموا ومثله قول الشاعر
وكل أخ مفارقه أخوهلعمرو أبيك إلا الفرقدان
يعني ولا الفرقدان
والصحيح أنه استثناء منقطع وإلا بمعنى لكن الذين ظلموا يخاصمونكم ويحاجونكم بالحجة الباطلة وذلك أن المشركين قالوا ـ حين تحولت القبلة إلى الكعبة ـ إنه رجع إلى قبلتنا فسيعود إلى ملتنا والحجة الباطلة قد تسمى حجة كما قال الله ـ تعالـ حجتهم داحضة فكأنه أبطل حجة اليهود بالتحويل إلى الكعبة ثم أبطل حجة المشركين بدليل سواه
إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون قال سعيد بن جبير لا تتم نعمته على المسلم إلا بأن يدخله الجنة
وفي الخبر أن النبي سمع رجلا يقول الحمد لله على الإسلام فقال لقد حمدت الله على نعمة عظيمة

قوله تعالى ـ كما أرسلنا فيكم رسولا منكم فإن قال قائل الكاف للتشبيه فأين المشبه به قلنا قال ـ علي رضي الله ـ عنه تقديره فاذكره لي كما

تفسير السمعاني ج:1 ص:154
تفسير السمعاني ج 1/ص 155
تعملون 149 ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون 150 كما أرسلنا أرسلنا فيكم رسولا فيكون الذكر على هذا القول بمعنى الشكر
وقيل تقديره ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم وذلك أن إبراهيم ـ صلوات الله عليه ـ كان قد دعا دعوتين دعا أن يبعث فيهم رسولا منهم ودعا إتمام النعمة على ذريته بالرزق من الثمرات فأجاب إحدى الدعوتين بأن بعث فيهم رسلا ثم أجاب الدعوة الثانية فقال ولأتم نعمتي عليكم كما أرسلنا فيكم رسولا منكم

يتلو عليكم آياتنا يعني القرآن ويزكيكم كما بينا ويعلمكم الكتاب والحكمة وقد ذكرنا وقيل الحكمة السنة وقيل مواعظ القرآن
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم قيل ذكر الله هاهنا بمعنى المدح والثناء عليه
وفي الخبر عن النبي أن الله ـ تعالى ـ يقول أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه حين يذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه وإن تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإن أتاني يمش أتيته هرولة أخرجه مسلم في الصحيح
وقيل معناه فاذكروني كما أرسلنا وهذا قريب من قول علي
وقيل الذكر من العبد الطاعة ومن الله المغفرة والرحمة ومعناه فاذكروني بالطاعة أذكركم بالمغفرة والرحمة
واشكروا لي ولا تكفرون يعني واشكروا لي بالطاعة ولا تكفروني بالمعصية فإن من أطاع الله فقد شكره ومن عصاه فقد كفره

تفسير السمعاني ج:1 ص:155
تفسير السمعاني ج 1/ص 156
فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون 151 فاذكرني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون 152 يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين
وحكى أن موسى ـ صلوات الله عليه ـ سأل ربه فقال ما الشكر الذي ينبغي لك فقال أن لا يزال لسانك رطبا بذكرى
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة فالاستعانة طلب المعونة وفي الصبر قولان أحدهما الثبات على الدين والآخر الصوم ووجه الاستعانة بهما ما سبق
إن لله مع الصابرين قال عطاء عن ابن عباس بالحفظ والنصر
قوله تعالى ـ ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات نزلت الآية في قوم معينين استشهدوا يوم بدر وكان يقول المسلمون مات فلان فلم يرض الله ـ تعالى ـ ذلك منهم وأنزل الله هذه الآية
بل أحياء ولكن لا تشعرون أي شهداء لأن الشهيد حي
وقيل معناه ما ورد في الخبر أن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلف من ثمار الجنة ـ أي تأكل ـ وتأوى إلى قناديل معلقة تحت العرش فذلك قوله بل أحياء عند ربهم
وقيل معناه أحياء بالثواب والثناء الحسن وليسوا بأموات بالذكر السيء وعدم الثواب

قوله تعالى ـ ولنبلونكم بشيء من الخوف واللام فيه لجواب القسم وتقديره والله لنبلونكم وحكمة الابتلاء لإظهار المطيع من العاصي لا ليعلم شيئا

تفسير السمعاني ج:1 ص:156
تفسير السمعاني ج 1/ص 157

(1/106)

---

153 ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون
154 ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس لم يكن عالما به واختلفوا فيمن نزلت الآية فيه منهم من قال نزلت في اليهود وقيل نزلت في المسلمين
بشيء من الخوف خوف العدو والجوع بالقحط والجدب ونقص من الأموال بالخسران والهلاك والأنفس بالمرض والشيب والموت والثمرات بالجوائح وقيل بالأولاد وذلك أنهم ثمرات القلوب وحكمة الابتلاء بهذه الأشياء حتى إذا صبروا عليه فكل من سمع به بعدهم علم أنهم أنما صبروا عليه لما عرفوا من الحق
وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون قال سعيد بن جبير كلمة الاسترجاع لم تعط لأحد من الأمم سوى هذه الأمة ألا ترى أن يعقوب ـ صلوات الله عليه ـ لما ابتلي بفراق يوسف قال يا أسفي على يوسف ولم يقل إنا لله وإنا إليه راجعون ومعناه إنا لله ملكا وعبودية وإنا إليه راجعون في القيامة وإنما قيد بهذا لأن الأمر في القيامة يخلص لله ـ تعالى ـ وروي أن رسول الله طفيء سراجه فقال إنا لله وإنا إليه راجعون فقيل له في ذلك فقال كل ما أذى المؤمن فهو مصيبة له
قوله تعالى أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ومعنى الصلوات هاهنا الرحمة بعد الرحمة لأن الصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار ومن الناس الدعاء قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:1 ص:157
تفسير السمعاني ج 1/ص 158
والثمرات وبشر الصابرين 155 الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون 156 أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون
صلي على يحي وأشياعهرب كريم وشفيع مطاع
يعني ترحم عليه

قوله ورحمة ذكرها تأكيدا للأول وأولئك هم المهتدون قال عمر ـ رضي الله عنه ـ نعم العدلان ونعمت العلاوة والعدلان الصلوات والرحمة والعلاوة الهداية
وقد ورد في ثواب المصيبة أخبار كثيرة منها ما روى عن رسول الله أنه قال ما أصيب العبد المؤمن بمصيبة إلا كفر عنه حتى الشوكة يشاكها
قوله تعالى ـ إن الصفا والمروة من شعائر الله الصفا جبل بأحد طرفي المسعى والمروة جبل بالطرف الثاني والصفا الحجر الصلب والمروة الحجر الرخو
قوله تعالى ـ من شعائر الله فالشعائر جمع الشعيرة وهي الأعلام التي على مناسك الحج ومثله المشاعر فالموقف شعيرة والمطاف شعيرة والمنحر شعيرة والمشعر شعيرة
فمن حج البيت أو اعتمر فأصل الحج القصد قال الشاعر
وأشهد من عوف حلولا كثيرة
يحجون سب الزبرقان المزعفرا أي يقصدون وأصل العمرة الزيارة قال الشاعر
وجاشت النفس لما جاء فلهم
وراكب جاء من تثليث معتمر أي زائرا وفي الحج والعمرة قصد وزيارة

تفسير السمعاني ج:1 ص:158
تفسير السمعاني ج 1/ص 159
157 إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوع خيرا فإن الله شاكر عليم 158 إن الذين يكتمون ما
و قوله تعالى ـ فلا جناح عليه أن يطوف بهما قرأ ابن عباس فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما وهي قراءة أنس وكذلك كان في مصحف أبي بن كعب وابن مسعود والقراءة المعروفة أن يطوف بهما
وقد روى عن عروة بن الزبير أنه قال لعائشة أنا لا أرى جناحا على من لا يطوف بين الصفا والمروة وقرأ هذه الآية
فقالت عائشة بئسما رأيت يا ابن أختي وذكرت القصة في سبب نزول الآية

والقصة في ذلك أنه كان في الجاهلية على الصفا والمروة صنمان إساف ونائلة وكان إساف على الصفا ونائلة على المروة وكان أهل الجاهلية يطوفون بين الصفا والمروة تعظيما للصنمين فلما فتح النبي مكة وكسر الأصنام وكان

المسلمون يتحرجون عن السعي بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين كانا عليهم فنزلت الآية في رفع ذلك الحرج
ثم وجوب السعي بالخبر وهو قوله إن الله ـ تعالى ـ كتب عليكم السعي فاسعوا

تفسير السمعاني ج:1 ص:159
تفسير السمعاني ج 1/ص 160
أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون 159 إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم أنا
فأما تلك القراءة أن لا يطوف بهما فهي قراءة مهجورة فلا تترك بها القراءة المعهودة
وقيل لا فيه صلة والمراد أن يطوف قال الشاعر
لا ألوم البيض ألا تسخرالما رأين الشمط القفندرا
أي أن تسخر
قوله تعالى ـ ومن تطوع خيرا قرأ حمزة ومن يطوع مشدد ومعناه يتطوع والمعروف ومن تطوع ثم من قال إن السعي ليس بركن صرف قوله ومن تطوع إلى السعي
ومن قال إنه ركن صرفه إلى أصل الحج والعمرة
ويحتمل أنه أراد التطوع بسائر الأعمال
فإن الله شاكر عليم والشكر من الله أن يعطي فوق ما يستحق العبد
قوله تعالى ـ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب نزلت الآية في اليهود
أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون قال ابن عباس اللاعنون هم كل الخلائق سوى الجن والإنس
وفي الأخبار أن الأرض إذا أجدبت يلعن كل شيء عصاة بني آدم حتى الخنافس يقولون اللهم العن عصاة بني آدم فإنا حرمنا الرزق بشؤم معاصيهم
وقال قتادة اللاعنون هم الملائكة والمؤمنون وقيل هم الجن والإنس

تفسير السمعاني ج:1 ص:160
تفسير السمعاني ج 1/ص 161
التواب الرحيم 160 إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين 161 خالدين فيها لا يخف عنهم العذاب ولا هم
وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ما تلاعن اثنان ولم يكونا مستحقين إلا

رجعت اللعنة على اليهود
قوله تعالى ـ إلا الذين تابوا أي أسلموا وأصلحوا أي داموا على التوبة وبينوا ما كتموا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم
قوله تعالى ـ إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين فإن قال قائل قد قال الناس أجمعين والملعون من جملة الناس فكيف يلعن نفسه قيل يلعن نفسه في القيامة قال الله ـ تعالى ـ ويلعن بعضكم بعضا
وقوله خالدين فيها يعني في اللعنة ويحتمل في النار وإن لم تكن مذكورة في الآية لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون معلوم التفسير
قوله تعالى ـ وإلهكم إله واحد وسبب نزول هذه الآية ما روى أن المشركين قالوا لرسول الله أنسب لنا ربك أوصف لنا ربك فنزل قوله تعالى ـ وإلهكم إله واحد وسورة الإخلاص
قال الأزهري الواحد الذي لا نظير له يقال فلان واحد العالم أي لا نظير له في العالم وحقيقة الواحد هو المنفرد الذي لا نظير له ولا شريك لا إله إلا هو الرحمن الرحيم روى شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد النهشلية عن النبي أنه قال اسم الله الأعظم في آيتين من سورة البقرة آية الكرسي وهذه الآية وإلهكم إله واحد
قوله تعالى ـ إن في خلق السماوات والأرض روى أنه لما نزل قوله

تفسير السمعاني ج:1 ص:161
تفسير السمعاني ج 1/ص 162

ينظرون 162 وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم 163 إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع وإلهكم إله واحد قال المشركون لرسول الله ما الدليل على أنه واحد فنزل قوله إن في خلق السماوات والأرض والخلق هو ابتداع الشيء وتقديره ومنه قول الشاعر
ولأنت تفري ما خلقت وبعضالقوم يخلق ثم لا يفري
أي يقطع ما قدرت
والسماوات جمع سماء وهي سبع سماوات وكذلك الأرضون سبع على الصحيح وإنما ذكر السماوات بلفظ الجمع والأرض يلفظ الواحد لأن كل سماء من جنس آخر والأرضون كلها من جنس واحد وهو التراب والآية في السماوات سمكها وسعته وارتفاعها من غير عمد ولا علاقة وما ترى فيها من الشمس والقمر والنجوم

والآية في الأرض مدها وبسطها وسعتها وما يرى فيها من الأشجار والأنهار والجبال والبحار والجواهر والنبات
وقوله تعالى واختلاف الليل والنهار وذلك ذهابهما ومجيئهم ومنه قولهم فلان يختلف إلى فلان أي يذهب ويجيء مرة بعد أخرى ومثله قوله تعالى ـ وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة أي يخلف أحدهما الآخر والآية في الليل والنهار نقصانهما وزيادتهما وأن يذهب ضوء النهار فلا يدري أين ذهب ويذهب سواد الليل فلا يدري أين ذهب

تفسير السمعاني ج:1 ص:162
تفسير السمعاني ج 1/ص 163
الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم
و قوله تعالى ـ والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس والفلك اسم للجمع والواحدان فإذا أريد به الجمع يؤنث وإذا أريد به الواحد يذكر وقد ورد بالصيغتين في القرآن والمراد ها هنا الجمع

والآية في الفلك تسخيره وجريها على وجه الماء وهي موفرة مثقلة لا ترسب تحت الماء بل تعلو على وجه الماء
قوله تعالى ـ وما أنزل الله من السماء من ماء قيل إن الله ـ تعالى ـ يخلق الماء في السحاب فعلى هذا السماء ها هنا بمعنى السحاب وقيل بل يخلق الماء في السماء ومن السماء ينزل إلى السحاب ثم من السحاب ينزل إلى الأرض
و قوله تعالى ـ فأحيا به الأرض بعد موتها أي بعد يبسها وجدوبتها فإن الأرض إذا أجدبت فقد ماتت وإذا أخصبت فقد حييت
و قوله تعالى ـ وبث فيها من كل دابة أي فرق فيها وقوله وتصريف الرياح قيل تصريفها أن الرياح تارة تكون شمالا وتارة تكون جنوبا وتارة تكون قبولا وتارة تكون دبورا وتارة نكباء والنكباء فهي التي لا تعرف لها جهة
وقيل تصريفها أن الريح تارة تكون لينا وتارة عاصفا وتارة حارة وتارة باردة
قال ابن عباس أعظم جنود الله الريح والماء وقال ابن المبارك للريح جناحان والسحاب غلاف مملوء نت الماء
وفي مصحف حفصة وتصريف الأرواح وهو قريب من الرياح وسميت الريح ريحا لأنها تريح النفس
قال شريح القاضي ما هبت ريح إلا لشفاء سقيم أو لسقم صحيح

و قوله تعالى ـ والسحاب المسخر أي المذلل بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون

تفسير السمعاني ج:1 ص:163
تفسير السمعاني ج 1/ص 164
يعقلون 164 ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله
قال وهب بن منبه ثلاثة لا يدري من أين تجيء الرعد والبرق والسحاب
قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا كأنه عاب المشركين حيث اتخذوا من دونه أندادا بعدما أظهر الدلائل ونصب البراهين على الوحدانية أندادا أي أصناما

قوله تعالى ـ يحبونهم كحب الله قال أبو العباس المبرد النحوي معنى قوله يحبونهم كحب الله أي يحبون آلهتهم كحب المؤمنين لله
وقيل معناه يحبون الأصنام كما يحبون الله لأنهم أشركوها مع الله
والذين آمنوا اشد حبا لله لأنهم لا يختارون على الله ما سوى الله والمشركون إذا اتخذوا صنما ثم رأوا أحسن منه طرحوا الأول واختاروا الثاني
و قوله تعالى ـ ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب قرىء هذا بقراءتين ولو يرى بالياء ولو ترى بالتاء
والمعنى اعلم أولا أن جواب لو هاهنا محذوف ومثله كثير في القرآن
قال الله ـ تعالىـ ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم وقال ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى ثم حذف الجواب اختصار السبقه إلى الإفهام

تفسير السمعاني ج:1 ص:164
تفسير السمعاني ج 1/ص 165
جميعا وأن الله شديد العذاب 165 إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا ثم من قرأ ولو يرى بالياء فتقديره ولو يرى الذين ظلموا شدة عذاب الله وعقوبته ـ حين يرون العذاب ـ لعرفوا أن ما اتخذوا من الأصنام لا يضرهم ولا ينفعهم
ومن قرأ ولو ترى بالتاء ففي معناه قولان أحدهما ولو ترى يا محمد الذين ظلموا في شدة العذاب ـ حين رأوا العذاب ـ لرأيت أمرا عجيبا
والثاني معناه قل يا محمد أيها الظالم ولو ترى الذين ظلموا في شدة العذاب

لتعجبت منه ولرأيت أمرا فظيعا
و قوله تعالى ـ أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب قوله أن القوة يقرأ بكسر الألف وفتحها فمن قرأ بالكسر كان على الابتداء بعد تمام الأول ومن قرأ بالفتح كان تمام الأول ومعناه لأن القوة لله
قوله تعالى ـ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا هذا في القيامة حين يجمع الله القادة وأتباعهم يبرأ بعضهم من بعض

ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب أي الوصلات في الدنيا من القرابات والصداقات
قال مجاهد يعني الوصل وهو قريب من الأول
وقيل الأسباب الأعمال وقد ترد بمعنى أبواب السماوات والأرض

تفسير السمعاني ج:1 ص:165
تفسير السمعاني ج 1/ص 166
العذاب وتقطعت بهم الأسباب 166 وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار 167
وذلك في قوله تعالى ـ لعلي أبلغ الأسباب أسباب السماوات أي أبوابها قال الشاعر
ومن هاب أسباب المنايا يتلقها وإن رام أسباب السماء بسلم
وأصل السبب ما يوصل ومنه يقال للحبل سبب و قوله تعالى ـ وتقطعت بهم أي عنهم ومثله قوله تعالى ـ فاسأل به خبيرا أي عنه خبيرا
و قوله تعالى ـ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة أي رجعة إلى الدنيا فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار
وفيه قولان أحدهما أنه يريهم ما ارتكبوا من السيئات فتلك الحسرات
والثاني أنه يريهم ما تركوا من الخيرات والحسنات ليكون عليهم حسرات

تفسير السمعاني ج:1 ص:166
تفسير السمعاني ج 1/ص 167
يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين 168 إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على الله مالا

تعلمون 169 وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان

قوله تعالى ـ يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حكى عن أبي محمد سفيان بن عيينة الهلالي أنه سئل عن أكل الطين فقال لا تأكل لأن الله ـ تعالى ـ قال كلوا مما في الأرض ولم يقل كلوا من الأرض حلالا طيبا فالحلال كل ما أحله الشرع وفي الطيب قولان
أحدهما كل ما يستطاب ويستلذ فهو طيب والمسلم يستطيب الحلال ويعاف الحرام
وقيل الطيب الطاهر
و قوله تعالى ـ ولا تتبعوا خطوات الشيطان فيه ثلاثة أقوال
أحدها قال مجاهد هي خطايا الشيطان وقال أبو مجلز لاحق بن حميد السدوسي هي النذور في المعاصي والقول الثالث هي كل أعمال الشيطان واشتقاقها من الخطوة لأن للخطا آثارا تبقى إنه لكم عدو مبين ظاهر المعنى
قوله تعالى ـ إنما يأمركم بالسوء والفحشاء فالسوء المعصية
والفحشاء فيه قولان أحدهما أنه أراد به الزنا وقيل البخل ومنه قول الشاعر
عقيلة مال الفاحش المتشدد
أي البخيل المتشدد
وأن تقولوا على الله مالا تعلمون قوله تعالى ـ وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا أي وجدنا
عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون معناه كيف يتبعون

تفسير السمعاني ج:1 ص:167
تفسير السمعاني ج 1/ص 168
آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون 170 ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون 171 يا أيها الذين آمنوا
آباءهم وآباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون وفي هذا نهي عن تقليد الآباء في الدين
قوله تعالى ـ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء النعق صوت الراعي بالغنم قال الأخطل
فانعق بضأنك يا جرير فإنمامنتك نفسك في الخلاء ضلالا

وفي الآية محذوف مقدره وتقديرها مثل الكفار ومثلك يا محمد في دعائهم كمثل الراعي ينعق بالغنم وهي لا تسمع إلا صوتا ولا تفهم إلا دعاء
ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون وقيل معناه مثل الكفار في دعاء الأصنام على هذا القول إشكال لأن الأصنام لا يسمعون النداء ولا الدعاء وكيف يكون مثلا أن يسمع ذلك كمثل الذي ينعق بما لا يسمع كما بينا
قال ابن الأنباري أراد بالذي ينعق الصائح في الجبل يصيح فيسمع صوتا وهو الصدى وليس هناك معقول ولا مفهوم وضرب المثل به للكفار في قلة الفهم والعقل
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وفي الخبر عن النبي أنه قال أمر الله المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال يا أيها الرسل كلوا من الطيبات وقال للمؤمنين يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله وقد ذكرنا معنى الطيبات

تفسير السمعاني ج:1 ص:168
تفسير السمعاني ج 1/ص 169
كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون 172 إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون يعني أنكم كما تعبدونه على الإلهية فاشكروه على الإحسان قوله تعالى ـ إنما حرم عليكم الميتة إنما لنفي والإثبات لأنها مركبة من حرفي النفي والإثبات فإن للإثبات وما للنفي
تقول إن في الدار زيدا يفهم منه وجود زيد في الدار فإذا قلت إنما زيد في الدار يفهم منه أنه لا أحد في الدار إلا زيد
وأما الميتة اسم لما خرج روحه من غير ذكاة والدم معروف وفيهما تخصيص فإن الشرع أباح من الميتة السمك والجراد ومن الدماء الكبد والطحال
و قوله تعالى ـ ولحم الخنزير أي الخنزير بلحمه وشحمه وجميع أجزائه

وما أهل به لغير الله أي ذبح على اسم الأصنام وأصل الإهلال رفع الصوت وكانوا يرفعون أصواتهم على الذبائح قال ابن أحمر
يهل بالفرقد ركبانهاكما يهل الراكب المعتمر
قوله تعالى ـ فمن اضطر يقرأ بقراءتين بكسر النون ورفعها فمن قرأ بالكسر فهو على الأصل ومن قرأ بالضم فلا تباع ضمة الطاء والاضطرار إلى أكل الميتة غير باغ ولا عاد قال ابن عباس ومجاهد غير باغ أي غير خارج على السلطان ولا عاد ولا متعد عاص في سفره ففي هذا دليل على أن العاصي في سفره لا يترخص بأكل الميتة

وقال الحسن وقتادة غير باغ أي غير طالب للميتة على الشبع فيأكله تلذذا ولا عاد ولا مجاوزا بأكله حد الحاجة
فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:1 ص:169
تفسير السمعاني ج 1/ص 170
عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم 173 إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم
قوله تعالى إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا قد سبق تفسيره
و قوله تعالى ـ أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار فيه قولان أحدهما أن الذين أكلوا من الرشوة فالمأكلة تصير في بطونهم نارا
وقيل معناه أن ذلك الأكل لما كان يفضي بهم إلى النار فكأنهم يأكلون في بطونهم نارا
ومثله قول الشاعر
وأم سليم فلا تجزعنفللموت ما تلد الوالدة
وقال آخر
لدوا للموت وابنوا للخراب
فكلكم يصير إلى الفوات
ومعلوم أن الولد لا يولد للموت ولكن لما كان يؤول إلى الموت لا محالة أضافه إليه
و قوله تعالى ـ ولا يكلمهم الله يوم القيامة فيه قولان أحدهما أنه لا يكلمهم ولكن يكلمهم بالتهديد والتوبيخ
وقيل في معناه أنه غضبان عليهم كما يقال فلان لا يكلم فلانا إذا كان عليه غضبان

تفسير السمعاني ج:1 ص:170
تفسير السمعاني ج 1/ص 171
الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم 174 أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار 175 ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد 176 ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر

والملائكة
ولا يزكيهم أي لا يطهرهم من الذنوب ولهم عذاب أليم قوله تعالى ـ أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار قال ابن عباس معناه أي شيء صبرهم على النار
وقال الكسائي والفراء معناه فما أجرأهم على النار وحكى الكسائي أن أعرابيين اختصما إلى قاض فحلف المنكر فقال له المدعي ما أصبرك على النار أي ما أجرأك على النار
وقال بعض النحويين معناه فما أبقاهم في النار يقال فلان ما أصبره على الحبس أي ما أبقاه في الحبس وما للتعجب هاهنا
قال الكسائي التعجب من الله بمعنى التعجب للخلق ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وهم منكرون لذلك
وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد أي خلاف طويل
وإنما سمى الخلاف شقاقا لأن المخالف يكون في شق وصاحبه في شق آخر
قوله تعالى ـ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب فالبر كل عمل خير يفضي بصاحبه إلى الجنة
وفي معناه قولان أحدهما أن الخطاب مع المسلمين فإنهم كانوا في الابتداء يأتون بالشهادتين والصلوات إلى أي جهة شاءوا
فقال ليس كل البر أن تصلوا قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله فأمرهم بسائر الشرائع المذكورة في الآية

تفسير السمعاني ج:1 ص:171
تفسير السمعاني ج 1/ص 172

والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا
وقيل هو خطاب لليهود والنصارى إذ كان قبلة اليهود المغرب وقبلة النصارى المشرق
فقال ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق أيها النصارى وقبل المغرب أيها اليهود ولكن البر من آمن بالله
وفي تقديره قولان أحدهما أن تقديره ولكن ذا البر من آمن بالله والثاني أن تقديره ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه أي حب المال
قال ابن مسعود هو أن تتصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفقر

ذوي القربى أهل القرابات واليتامى والمساكين قد ذكرناهم
وابن السبيل هو المنقطع وقيل أراد به الضيف والسائلين معلوم وفي الرقاب يعني المكاتبين
وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدم إذا عاهدوا فإن قال قائل لم قال والموفون على الرفع قيل فيه قولان أصحهما أنه معطوف على خبر لكن وتقديره ولكن ذا البر المؤمنون بالله والموفون
وقيل تقديره وهم الموفون كأنه عد أصنافا ثم قال هم والموفون كذا وكذا
وفيه قول ثالث أن الكلام إذا طال فالعرب قد تخالف في الأعراب
والصابرين نصب على المدح وقيل تقديره أعني الصابرين قال الشاعر
لا يبعدن قومي الذين همسم العداة وآفة الجزر
النازلين بكل معترك
والطيبين معاقد الأزر
و قوله تعالى ـ في البأساء هو الجوع والضراء المرض والضرر

تفسير السمعاني ج:1 ص:172
تفسير السمعاني ج 1/ص 173

عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون 177 يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء
وحين البأس وحين القتال أولئك الذين صدقوا وفوا بالعهد وقيل صدقت أفعالهم أقوالهم وأولئك هم المتقون
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى أي فرض عليكم الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى قال ابن عباس كان هذا في ابتداء الإسلام وكان القصاص بين الحر والحر والعبد مع العبد والأنثى مع الأنثى وما كان يقتل الحر بالعبد ولا العبد بالحر ولا الذكر بالأنثى ولا الأنثى بالذكر ثم نسخ ذلك بقوله وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس فجرى القصاص بين الكل
وأما علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقد قال في الحر إذا قتل عبدا يقتل الحر به ثم سيد العبد يغرم لولى القاتل الحر ما بين ديته وقيمة العبد وإذا قتل العبد حرا يقتل العبد به ثم يغرم سيد العبد القاتل لولى الحر المقتول ما بين ديته وقيمة العبد
وفيه قول آخر محكي عن ابن عباس أن الآية نزلت في قبيلتين كان لأحديهما على الأخرى فضل فقالت القبيلة الفاضلة يقتل الحر منكم بالعبد منا والذكر

منكم بالأنثى منا فنزلت الآية ردا لقولهم
وقوله ـ تعالـ فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان
وأصل العفو الترك وأظهر الأقوال فيه مذهب عامة الصحابة والتابعين أن من عفا عن القصاص فله أخذ الدية فهذا يتبع بالمعروف يعني لا يطلب المزيد على قدر حقه ويؤدي ذلك بالإحسان أي لا يماطل في الأداء

تفسير السمعاني ج:1 ص:173
تفسير السمعاني ج 1/ص 174

إليه بإحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم 178 ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون 179 كتب عليكم
قال الأزهري في الآية تقدير ومعناه فمن جعل له من مال أخيه ـ يعني القاتل ـ أو فمن جعل له من بدل دم أخيه ـ يعني المقتول ـ عفو أي فضل فليتبع الطالب بالمعروف وليؤد المطلوب بالإحسان
وظاهره يقتضي أن أخوة الدين لا تنقطع بين القاتل والمقتول حيث قال من أخيه وهو الذي نقول به وقيل معناه أخوة النسب
وقيل إنما سماه أخا حال إنزال الآية وحال نزول الآية كان أخا له قبل حصول القتل لا أنه يبقى أخا له فإن القتل يقطع الموالاة بين القاتل والمقتول ويوجب البراءة منه لفسقه وقتله
ذلك تخفيف من ربكم ورحمة ومعناه أن الدية كانت في شرع النصارى حتما والقصاص في شرع اليهود حتما وخيرت هذه الأمة بين القصاص والدية فذلك التخفيف
فمن اعتدى بعد ذلك أي قتل بعد العفو فله عذاب أليم أي القصاص
قال ابن جريج إن القصاص حتم عليه بحيث لا يقبل العفو
قوله ـ تعالـ ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب ومعنى الحياة أنه إذا فكر أنه لو قتل قتل لم يقتل فيبقى والمقتول حيين لعلكم تتقون ترتدعون عن القتل
قوله تعالى ـ كتب عليكم أي فرض عليكم إذا حضر أحدكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:174
تفسير السمعاني ج 1/ص 175
إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا

على المتقين 180 فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله الموت إذا قارب أوان الموت إن ترك خيرا أي مالا وسعة والخير في كل القرآن بمعنى المال
الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقا على المتقين وذلك أن الوصية كانت واجبة في ابتداء الإسلام للوالدين والأقربين ثم صار منسوخا بآية الميراث

قال النبي إن الله تعالى ـ قد أعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث
وقال الحسن وطاوس وقتادة والضحاك إن النسخ في الوالدين دون الأقربين ثم اختلفوا فيمن أوصى بثلث ماله للأجنبي فقال بعضهم ثلث ما أوصى به للأقربين وثلثاه للأجنبي
وقال بعضهم ثلثاه للأقربين وثلثه للأجنبي
وقال بعضهم كل الثلث للأقربين ولا شيء للأجنبي والأصح أنه صار منسوخا في حق الكل وبقي الاستحباب في حق الأقربين الذين لا يرثون
وقيل هو في ابتداء الإسلام كان على الندب والمندوب في الوصية بما دون الثلث
وحكى عن بعض السلف أنه قال الخمس معروف والربع جهد والثلث غاية تنفذها القضاة
قوله تعالى ـ فمن بدله بعد ما سمعه فإن قال قائل لم قال فمن

تفسير السمعاني ج:1 ص:175
تفسير السمعاني ج 1/ص 176
سميع عليم 181 فمن خاف من موص جنفا أو إثما فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم 182 يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على
بدله بعلامة التذكير والمذكور مؤنث وهي الوصية قيل معناه فمن بدل أمر الوصية
وقيل معناه فمن بدل قول الموصي لأن الوصية تصدر عن قول الموصي فرجع إلى المعنى دون اللفظ وهذا مثل قوله تعالى ـ فمن جاءه موعظة أي جاءه وعظ فرجع إلى المعنى كذا وأراد بالتبديل تبديل الشهداء والأوصياء والأولياء فإنما إثمه على الذين يبدلونه لا على الموصي إن الله سميع لما أوصى به الموصي عليم بتبديل المبدلين
قوله تعالى ـ فمن خاف من موص جنفا أو إثما الخوف ها هنا بمعنى العلم وهو مثل قوله -تعالى- فإن خفتم ألا يقيما حدود الله وقوله وإن خفتم شقاق بينهما أي علمتم وإنما عبر بالخوف عن العلم لأن الخوف طرف إلى العلم فإنه إنما يخاف الوقوع في الشيء للعلم به

وقوله ـ تعالىـ من موص قرىء بالتخفيف والتشديد يقال أوصى ووصى بمعنى واحد

وأما الجنف الميل والإثم الظلم وأنشد سيبويه
تجانف عن جو اليمامة ناقتيوما كان قصدي أهلها لسوائكا

تفسير السمعاني ج:1 ص:176
تفسير السمعاني ج 1/ص 177
الذين من قبلكم لعلكم تتقون 183 أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع
وقال السدى الجنف الخطأ والإثم العمد
ومعنى الآية على ـ قول ابن عباس ومجاهد ـ أن الرجل إذا حضر وصية الموصي فرآه يميل إما بتقصير أو بإسراف أو وضع الوصية في غير موضعها فأرشده ورده إلى الحق فهو مباح له وهذا معنى قوله تعالى ـ فأصلح بينهم فلا إثم عليه
وقيل هذا في الوصية للأقربين حين كانت واجبة فإذا رآه يوصي لغير الأقربين يرده إلى الوصية للأقربين
وقيل أراد به الإمام يصلح بين الموصي لهم والورثة فيردهم إلى الحق
فلا إثم عليه أي فلا حرج عليه إن الله غفور رحيم
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام أي فرض عليكم الصيام والصيام في اللغة هو الإمساك يقال صامت الخيل إذا أمسكت عن العلف والسير ومنه قول الشاعر
خيل صيام وخيل غير صائمةتحت العجاج وأخرى تعلك اللجما
ومنه يقال صام النهار إذا ارتفعت الشمس وصارت في إبطاء السير كالواقفة وذلك في وقت الهاجرة ومنه قول الشاعر
فدعها وسل النفس عنك بجسرة
ذمول إذا صام النهار وهجرا
ومنه قوله تعالى ـ إني نذرت للرحمن صوما أي صمتا وفي الصمت إمساك عن الكلام

تفسير السمعاني ج:1 ص:177
تفسير السمعاني ج 1/ص 178
خيرا فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون 184 شهر رمضان

الذي أنزل
وأما الصوم في الشريعة هو الإمساك عن الأكل والشرب والوطء مع النية في وقت مخصوص

كما كتب على الذين من قبلكم اختلفوا في هذا التشبيه
قال سعيد بن جبير كان الصوم في ابتداء الإسلام واجبا من العتمة إلى الليلة القابلة وكذا كان واجبا على من قبلنا
وقيل أراد به صوم رمضان كتب على المسلمين كما كتب على الذين من قبلهم يعني النصارى
قال دغفل بن حنظلة كان الصوم واجبا على النصارى ثلاثين يوما ثم إن ملكا منهم مرض فقال إن شفاني الله أزيد عشرة فشفاه الله فزاد عشرة ثم إن ملكا آخر منهم مرض وقال إن شفاني الله أزيد فيه سبعة أيام فشفاه الله فزاد سبعة قالوا ما هذا النقصان أكملوه بخمسين وقالوا نصومه في وقت لا حر ولا قر فكانوا يصومون الخمسين في وقت الربيع فهذا أصل صوم الخمسين في حق النصارى
وقيل أراد به صوم ثلاثة أيام من كل شهر كان واجبا في ابتداء الإسلام كما كتب على اليهود
روى معاذ بن جبل أن النبي لما هاجر إلى المدينة رأى اليهود يصومون ثلاثة أيام من كل شهر ويوم عاشوراء ففرضه الله عليه كذلك
وكان يصومها سبعة وثلاثين يوما من الربيع إلى الربيع ثم نسخ ذلك بصوم

تفسير السمعاني ج:1 ص:178
تفسير السمعاني ج 1/ص 179
فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه رمضان
وقيل كان يصوم الثلاث في أيام البيض
قال ابن عباس أول ما نسخ بعد الهجرة أمر القبلة والصوم
قوله تعالى ـ لعلكم تتقون يعني بالصوم لأن الصوم وصلة إلى التقوى بما فيه من قهر النفس وكسر الشهوات
وقيل معناه لعلكم تختررزون عن الشهوات من الأكل والشرب والوطء
قوله تعالى ـ أياما معدودات فإن قلنا بنسخ الآية فهو صوم كان واجبا ثم نسخ

وإن قلنا الآية غير منسوخة فالمراد بقوله أياما معدودات أيام رمضان وفيه إشارة إلى التيسير حيث لم يوجب صوم كل السنة وإنما أوجبه أياما معدودات فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر قال داود وأهل الظاهر يجب على المسافر صوم عدة من أيام أخر وإن صام رمضان قولا بظاهر الآية والجمهور على أن فيه إضمارا وتقديره فأفطر فعدة من أيام أخر
ثم اختلفوا في حد المرض الذي يبيح الفطر فقال داود وأهل الظاهر هو ما ينطلق عليه اسم المرض وهو قول ابن سيرين من السلف وقال الحسن هو المرض الذي تجوز معه الصلاة قاعدا
ومذهب الشافعي هو المرض الذي يخاف من الصوم معه الزيادة في المرض
فأما حد السفر الذي يبيح الفطر اختلفوا فيه فقال داود ومن تابعه هو ما ينطلق عليه اسم السفر ومذهب الشافعي أنه مسافة القصر ستة عشر فرسخا

تفسير السمعاني ج:1 ص:179
تفسير السمعاني ج 1/ص 180
ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم
ومذهب أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ أنه مسيرة ثلاثة أيام كما قال في القصر
قوله تعالى ـ وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين في الآية قراءات فالقراءة المعروفة هذا
وقرأ ابن عباس وعباس وعائشة ـ وهو صحيح عن ابن عباس ـ و على الذين يطوقونه وقرأ مجاهد وعلى الذين يطوقونه وهما من الشواذ
فأما قراءة فدية طعام مسكين فيه قراءتان معروفتان أحدهما هذه
والثانية قراءة أهل المدينة والشام فدية طعام مساكين بالألف
وأما القراءة المعروفة وعلى الذين يطيقونه فدية أراد به في ابتداء الإسلام كانوا مخيرين بين الصوم والفدية فقال وعلى الذين يطيقونه فدية إن اختاروا الفدية
وقيل معناه وعلى الذين يطيقونه في حال الشباب وعجزوا عنه في الكبر الفدية إذا أفطروا وهو مروى عن على فعلى هذا لا تكون الآية منسوخة

فأما قراءة ابن عباس معناه وعلى الذين يطوقونه فلا يطيقونه الفدية

تفسير السمعاني ج:1 ص:180

تفسير السمعاني ج 1/ص 181
العسر ولتكلموا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون 185
وأما قراءة مجاهد يطوقونه أي يتطوقونه ويكلفونه فلا يطيقونه
وأما قوله فدية طعام مساكين إنما أضاف الفدية إلى الطعام لأن الفدية قدر من الطعام والطعام اسم الجنس وهو كما يقال خاتم فضة وثوب خز ونحو ذلك
وأما القراءة الثانية فدية رفع على الابتداء طعام مسكين تفسير له وبدل عنه
وإنما قال مسكين لأن كل يوم يطعم مسكينا
ومن قرأ مساكين لأن جملة طعام أيام الصوم تكون لمساكين
و قوله تعالى ـ فمن تطوع خيرا فهو خيرا له قال ابن عباس أراد به من أطعم مسكينين وعليه طعام مسكين واحد أو أطعم صاعا وعليه مد فهو خير له
قوله ـ تعالـ وأن تصوموا خير لكم إن قلنا بقول النسخ معناه وأن تصوموا خير لكم من الفدية
وإن قلنا الآية غير منسوخة فمعناه وأن تصوموا في حال الشباب خير لكم من الفدية في حال الكبر والعجز
وقيل هذا في حق الشيخ الهرم أن يتكلف الصوم خير له من أن يفدي والصحيح أحد القولين الأولين إن كنتم تعلمون
قوله تعالى ـ شهر رمضان سمى الشهر بذلك لشهرته
وأما رمضان كان في الجاهلية يسمى شهر رمضان ناتقا
قال أبو علي قطرب إنما سمى رمضان لأنهم كانوا يصومون في الحر الشديد ومنه الرمضاء للرمل الذي حمى بالشمس
وقال مجاهد هو اسم من أسماء الله ولذلك لا يجمع على رمضانات ويروى هذا

تفسير السمعاني ج:1 ص:181
تفسير السمعاني ج 1/ص 182
عن النبي غريبا والصحيح أنه اسم الشهر
وقد ورد في فضل الشهر والصوم أخبار منها ما روى مرفوعا سيد الشهور شهر رمضان

وصح عن رسول الله أنه قال إذا كان أول ليلة من رمضان فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين أخرجه مسلم في الصحيح
وقال يقول الله ـ تعالى ـ كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به الخبر
واختلفوا في تخصيص الصوم منهم من قال لأنه أشد العبادات في كسر

تفسير السمعاني ج:1 ص:182
تفسير السمعاني ج 1/ص 183
الشهوات وقمع النفس ومنهم من قال لأنه سر بين العبد وبين ربه
و قوله تعالى ـ الذي أنزل فيه القرآن فإن قال قائل إنما أنزل القرآن في ثلاث وعشرين سنة فكيف قال أنزل فيه القرآن والجواب قال ابن عباس أنزل الله ـ تعالى ـ القرآن جملة في رمضان إلى بيت في السماء الدنيا يسمى ببيت العزة ثم منه أنزل إلى الأرض إرسالا
روى وائله بن الأسقع عن النبي أنه قال أنزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من رمضان وأنزلت التوراة في الليلة السادسة من رمضان وأنزل الإنجيل في ليلة الثالث عشر من رمضان وأنزل القرآن لأربع وعشرين من رمضان
وفيه قول ثالث معناه أنزل فيه القرآن بفريضة صوم رمضان
وإنما سمى القرآن قرآنا لأنه يجمع السور والآي والحروف وأصل القرآن الجمع ومنه قول الشاعر
ذراعي عيطل أدماء بكرهجان اللون لم تقرأ جنينا
و قوله تعالى ـ هدى للناس رشاد وبيان و قوله تعالى ـ وبينات من الهدى والفرقان أي دلالات واضحات من الحلال والحرام والفرقان المفرق بين الحق والباطل
و قوله تعالى ـ فمن شهد منكم الشهر فليصمه قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد معناه فمن كان منكم مقيما في الحضر فأدرك الشهر فليصمه
ثم اختلفت الصحابة فيمن أدرك الشهر وهو مقيم ثم سافر على قولين فقال علي ـ رضي الله عنه ـ لا يجوز له أن يفطر وأكثر الصحابة على أنه يجوز الفطر

تفسير السمعاني ج:1 ص:183
تفسير السمعاني ج 1/ص 184
وهو الأصح لما صح عن رسول الله برواية جابر أنه سافر في رمضان فلما بلغ كراع الغميم أفطر وأفطر الناس
و قوله تعالى ـ فليصمه أي بقدر ما أدرك وهو مقيم ومن كان مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر إنما أعاد هذا ليعلم أن هذا الحكم في الناسخ مثل ما كان في المنسوخ
و قوله تعالى ـ يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يعني في إباحة الفطر بالمرض والسفر وتأخير الصوم إلى أيام أخر
وحكى عن الشعبي أنه قال ما خير رجل بين أمرين فاختار أيسرهما إلا كان

ذلك أحبهما إلى الله
وروى محجن بن أدرع أن النبي أخبر برجل كان يطيل الصلاة في المسجد طول النهار ـ فجاء إليه وأخذ بمنكبيه وهزهما هزا ثم قال إن الله ـ تعالى ـ رضي لهذه الأمة باليسير وكره لهم العسر وإن هذا الرجل رضي بالعسر ويكره اليسر
ومشهور عن رسول الله أن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه

تفسير السمعاني ج:1 ص:184
تفسير السمعاني ج 1/ص 185
وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي ولتكملوا العدة أي عدة الشهر بقضاء ما أفطر في المرض أو السفر ولتكبروا الله على ما هداكم أي لتعظموه على ما أرشدكم إلى ما رضى به من صوم رمضان قال ابن عباس هو تكبيرات ليلة الفطرـ وهو مروي عن ابن عمر وعائشة ـ رضي الله عنهما ـ وقال حق على كل مسلم أن يكبر ليلة الفطر إلى أن يفرغ من صلاة العيد ولعلكم تشكرون
قوله تعالى ـ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب في سبب نزول الآية قولان أحدهما أن الصحابة قالوا يا رسول الله أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت الآية
والثاني أنه لما نزل قوله تعالى ـ ادعوني استجب لكم قالوا يا رسول الله كيف ندعوه ومتى ندعوه فنزلت الآية

وقول فإني قريب أي لا يخفى على شيء وهو أقرب إلى العباد من حبل الوريد وأقرب إلى القلب من ذي القلب
و قوله تعالى ـ أجيب دعوة الداع إذا دعان فيه حذف وتقديره أجيب دعوة الداع إن شئت وهذا مثل قوله تعالى ـ فيكشف ما تدعون إليه إن شاء
قال ابن الأنباري معناه أسمع دعوة الداعي تقول العرب فلان يدعو من لا يجيب أي من لا يسمع وهذا لأنه قد يدعى فلا يجيب فدل أنه أراد بالإجابة السماع
وقيل هو على حقيقة الإجابة ومعناه أنه لا يخيب من دعاه فإنه إن دعاه بما قدر

تفسير السمعاني ج:1 ص:185
تفسير السمعاني ج 1/ص 186

وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون 186 أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا له أعطى وإن دعاه بما لم يقدر له يدخر له الثواب في الآخرة فلا يخيب دعاءه
وقد ورد عن رسول الله أنه قال ما من عبد يقول يا رب إلا قال الله ـ تعالى ـ لبيك عبدي فيعجل ما شاء ويدخر ما شاء
قوله تعالى ـ فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي قيل الاستجابة هاهنا بمعنى الإجابة وعليه يدل قول الشاعر
وداع دعايا من يجيب إلى الندىفلم يستجبه عند ذاك مجيب
أي فلم يجبه وقال أبو عبيدة معناه فليستدعوا مني الإجابة
وحقيقته فليطيعوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون ظاهر المعنى
قوله تعالى ـ أحل لكم أي أبيح لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم
قيل والرفث كل ما يريده الرجل من امرأته وهو بمعنى الوطء هاهنا
قال ابن عباس إن الله حيي كريم يكنى بالحسن عن القبيح
هن لباس لكم وأنتم لباس لهن قيل معناه هن سكن لكم وأنتم سكن لهن وقيل لا يسكن شيء إلى شيء كسكون أحد الزوجين إلى الآخر وقيل أراد به حقيقة اللباس فإن أحدهما يصير لباسا لصاحبه عند المباشرة قال

تفسير السمعاني ج:1 ص:186
تفسير السمعاني ج 1/ص 187
عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم
الشاعر
إذا ما الضجيع ثنى جيدهتثنت فصارت عليه لباسا
قال الربيع بن أنس معناه هن فرش لكم وأنت لحف لهن
و قوله تعالى ـ علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم هو افتعال من الخيانة أي تخونون أنفسكم بمخالفة الأمر وترك الوقاية و قوله تعالى ـ فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن قيل أراد به الوطء وقيل ما دون الوطء وقوله ـ تعالى وابتغوا ما كتب الله لكم قال أنس بن مالك أراد به طلب الولد
وروى أبو الجوزاء عن ابن عباس أراد به ابتغاء ليلة القدر
وقال قتادة ـ وهو أحسن الأقوال ـ يعني وابتغوا ما كتب الله لكم من الرخصة بإباحة الأكل والشرب والوطء في اللوح المحفوظ
وقرأ ابن عباس في الشواذ واتبعوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا
وسبب نزول الآية أن الله ـ تعالى ـ كان قد أوجب الصوم في الابتداء من العتمة إلى الليلة القابلة وكان كل من نام أو صلى العشاء حرم عليه الأكل والشرب

والوطء فروى أن رجلا يقال له صرمة أبو قيس ظل يعمل جميع النهار ثم آوى إلى منزله وطلب من امرأته طعاما فأبطأت فغلبه النوم فلما استيقظ كان قد حرم الطعام والشراب فأصبح وقد جهد جهدا شديدا حتى خر مغشيا عليه فأخبر به

تفسير السمعاني ج:1 ص:187
تفسير السمعاني ج 1/ص 188
الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل رسول الله فنزلت الآية بإباحة الأكل والشرب بالليل
وسبب إباحة المباشرة ما روى أن عمر ـ رضي الله عنه ـ قال يا رسول الله إني أصبت امرأتي بعد ما نمت فقال ما كنت جديرا بهذا يا عمر

وروى أن رجلا من الصحابة أخبر النبي بمثل ذلك فنزلت الآية بإباحة المباشرة وذلك معنى قوله كنتم تختانون أنفسكم
فأما قوله وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر قال أبو عبيدة معمر بن المثنى أراد بالخيط اللون ومعناه بياض النهار من سواد الليل
و قوله تعالى ـ من الفجر سبب نزوله ما روى أنه لما نزلت هذه الآية أخذ عدي ابن حاتم عقالين أحدهما أبيض والآخر أسود ووضعهما تحت وسادته فلما أصبح كان ينظر إليهما ويتسحر حتى يتبين الأبيض من الأسود فأخبر به النبي فقال إنك لعريض الوساد
وفي رواية إنك لعريض القفا إنما هو بياض النهار من سواد الليل وهي كلمة لهم يكنون بها عن قلة الفهم فنزل قوله من الفجر والفجر فجران

تفسير السمعاني ج:1 ص:188
تفسير السمعاني ج 1/ص 189
ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك
أحدهما فجر مستطيل كذنب السرحان يطاع صاعدا ثم يغيب ويغلب الظلام وهو الفجر الكاذب
والثاني بعده فجر مستطير ينتشر في الأفق سريعا وقيل يختلط به الحمرة وهو الفجر الصادق الذي يحرم الطعام ويبيح الصيام
وتقول العرب الفجر بشير الشمس

ويحكى عن حذيفة بن اليمان خلافا غريبا وهو معروف عنه أنه قال أراد بالفجر طلوع الشمس وكان يبيح التسحر بعد طلوع الفجر
و قوله تعالى ـ ثم أتموا الصيام إلى الليل وهذا يقتضي حرمة الصوم بالليل لأنه قد جعله حدا
وقد قال من صام بالليل فقد تعب ولا أجر له
وقال أيضا إذ أقبل الليل من هاهنا وأدبر النهار من هاهنا فقد أفطر الصائم
قوله ـ تعالىـ ولا تباشروهن وأنتم عاكفون في المساجد والعكوف هو المقام في الموضع

وقيل نزلت الآية في قوم من المسلمين كانوا يخرجون من الاعتكاف ويباشرون الأهل ثم يعودون إلى المعتكف فحرم الله ـ تعالى ـ المباشرة في الاعتكاف

تفسير السمعاني ج:1 ص:189
تفسير السمعاني ج 1/ص 190
يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون 187 ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون 188 يسألونك
والاعتكاف جائز في كل المساجد وحكى عن حذيفة بن اليمان خلافا شاذا فيه فقال لا يجوز الاعتكاف إلا في ثلاثة مساجد في المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجد المدينة وكان يعيب على عبد الله بن مسعود اعتكافه في غيرها من المساجد وكان عبد الله ينكره ويرد عليه قوله والأمة على قول عبد الله
و قوله تعالى ـ تلك حدود الله وهي ما منع الله ـ تعالى ـ عنها من المعاصي وأصل الحد المنع ومنه الحداد للبواب لأنه يمنع الناس ومنه الحديد لأنه يحتمي به للامتناع من الأعادي
و قوله تعالى ـ فلا تقربوها أي فلا ترتكبوها
و قوله تعالى ـ كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ظاهر المعنى
قوله تعالى ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل أي لا يأكل بعضكم أموال بعض بالباطل والأكل بالباطل نوعان
أحدهما أن يكون بطريق الغصب والنهب والظلم
والآخر بطريق اللهو مثل القمار والرهان وأجرة المغني ونحو ذلك
وقوله تعالى وتدلوا بها إلى الحكام قيل معناه ولا تدلوا بها إلى الحكام أي لا ترشوهم وتصانعوهم فيحكموا لكم بالجور

وقيل معناه ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتنسبونه إلى قول الحكام وتتخذون قولهم حجة
وأنتم تعلمون خلافة هذا دليل على من يقول بنفوذ القضاء ظاهرا وباطنا
والإدلاء الإلقاء يقال أدلى دلوه إذا أرسل ودلى إذا أخرج

تفسير السمعاني ج:1 ص:190
تفسير السمعاني ج 1/ص 191
عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون 189
و قوله تعالى ـ لتأكلوا فريقا أي طائفة من أموال الناس بالإثم بالظلم وأنتم تعلمون
قوله تعالى ـ يسألونك عن الأهلة وهي جمع الهلال وهو اسم للقمر أول ما يبدو دقيقا وإنما سمى هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته يقال استهل الصبي إذا صاح بالبكاء والعرب تسمى كل ثلاثة من الشهر باسم خاص فتقول للثلاثة الأولى غرر ثم يليه نفل ثم يليه تسع ثم يليه عشر ثم يليه بيض ثم يليه ربع والأصح روع ثم يليه ظلم ثم يليه حناوس ثم يليه وادي ثم يليه محاق
وسبب نزول الآية ما روى أن معاذ بن جبل وثعلبة بن عثيمة قالا يا رسول الله ما بال حال القمر يبدو دقيقا ثم يمتلئ فورا ثم يعود دقيقا فنزل قوله تعالى يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج
يعني فعلت ما فعلت ليكون مواقيت لصومكم وفطركم وحجكم وآجال ديونكم
و قوله تعالى ـ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها قال البراء بن عازب نزلت الآية فينا معشر الأنصار كان الرجل منا إذا خرج إلى الحج ثم عاد لا يدخل داره من الباب ولكن ينقب نقبا في مؤخر البيت فيدخل منه ويعد الدخول من باب البيت فجورا فنزل قوله تعالى ـ وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها أي بآخرها
ولكن البر من اتقى أي بر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها ردهم إلى الأبواب واتقوا الله لعلكم تفلحون
قوله تعالى ـ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم قيل كان في ابتداء

تفسير السمعاني ج:1 ص:191
تفسير السمعاني ج 1/ص 192

وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين 190 واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل الإسلام أمر الله ـ تعالى ـ نبيه بالكف عن قتال المشركين ثم لما هاجر إلى المدينة أمره بقتالهم إذا قاتلوا ب قوله تعالى ـ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ثم أمره بقتالهم قاتلوا أو لو يقاتلوا
و قوله تعالى ـ ولا تعتدوا أي لا تبدءوهم بالقتال
وقيل ولا تعتدوا أي لا تقتلوا المعاهدين منهم إن الله لا يحب المعتدين
قوله تعالى ـ واقتلوهم حيث ثقفتموهم قيل نسخت الآية الأولى بهذه كما بينا
وقيل بل نسخت ب قوله تعالى ـ اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم
وقالوا نسخت بها قريبا من سبعين آية
حيث ثقفتموهم أي وجدتموهم
و قوله تعالى ـ وأخرجوهم من حيث أخرجوكم وذلك أنهم أخرجوا المسلمين من مكة فقال أخرجوهم من ديارهم كما أخرجوكم من دياركم
والفتنة أشد من القتل يعني بالفتنة الكفر وسبب ذلك أن الله ـ تعالى ـ لما حرم بدايتهم بالقتال في الشهر الحرام بادر إلى قتالهم بعض المسلمين فعيرهم الكفار عليه فقال الله ـ تعالى ـ والفتنة أشد من القتل يعني الشرك الذي أنتم عليه أشد من قتالهم الذي بدءوا به
و قوله تعالى ـ ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه كذا كان في الابتداء حراما بدايتهم بقتال في البلد الحرام ثم صار منسوخا

تفسير السمعاني ج:1 ص:192
تفسير السمعاني ج 1/ص 193
ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلونكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين 191 فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم 192 وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين 193 الشهر
قال عطاء لم يصر هذا منسوخا والأصح أن الآية منسوخة

و قوله تعالى ـ فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين
فإن انتهوا يعني فإن أسلموا فإن الله غفور رحيم لما سلف
قوله تعالى ـ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي شرك ويكون الدين لله أي

قاتلوهم حتى يسلموا لله وقيل حتى لا تكون سجدة إلا لله
و قوله تعالى ـ فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين أي فإن أسلموا فلا نهب ولا أسر ولا قتل إلا على الذين بقوا على الشرك
قوله تعالى ـ الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص في معنى الآية قولان
أحدهما أنه أراد به في أمر العمرة وذلك ما روى أن النبي خرج معتمرا في ذي القعدة فلما بلغ الحديبية صده المشركون فصالحهم على أن يعود في العام المقبل ثم عاد معتمرا في العام المقبل في ذي القعدة فأقضاه الله ـ تعالى ـ ما فات في العام الأول بما فعله في العام الثاني فهذا معنى قوله الشهر الحرام بالشهر الحرام يعني ذا القعدة والحرمات قصاص يعني حرمة الشهر الحرام وحرمة البلد الحرام وحرمة الإحرام
والقول الثاني أنه وارد في أمر القتال ومعناه فإن بدءوكم بالقتال في الشهر الحرام وانتهكوا حرمته فقاتلهم فيه ولا تبالوا بحرمته فإنه قصاص بما فعلوا فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم والاعتداء الظلم

تفسير السمعاني ج:1 ص:193
تفسير السمعاني ج 1/ص 194
الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين 194 وأنفقوا في سبيل وإنما سمى الجزاء على الظلم اعتداء على ازدواج الكلام ومثله قوله تعالى ـ وجزاء سيئة سيئة مثلها
وتقول العرب ظلمني فلان فظلمته أي جازيته على الظلم ويقال جهل فلان على فجهلت عليه قال الشاعر
ألا لا يجهلهن أحد علينافنجهل فوق جهل الجاهلينا
وقال آخر

ولي فرس للحلم بالحلم ملجم
ولي فرس للجهل بالجهل مسرج
واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين
قوله ـ تعالىـ وأنفقوا في سبيل الله أراد به الإنفاق في الجهاد وكل خير سبيل الله ولكن إذا أطلق سبيل الله ينصرف إلى الجهاد
ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة قيل الباء زائدة وتقديره ولا تلقوا أيديكم وعبر بالأيدي عن الأنفس كما قال الله ـ تعالى ـ بما كسبت أيديكم أي بما كسبتم وقيل الباء في موضعها وفيه حذف وتقديره ولا تلقوا أنفسكم بأيديكم إلى

التهلكة
والتهلكة والهلاك واحد وقيل بينهما فرق فالتهلكة ما يمكن الاحتراز عنه والهلاك ما لا يمكن الاحتراز عنه وفي معناه قولان أحدهما ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة بترك الإنفاق في سبيل الله
والثاني قال النعمان بن بشير والبراء بن عازب إن المراد به أن يذنب الرجل

تفسير السمعاني ج:1 ص:194
تفسير السمعاني ج 1/ص 195
الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين 195 وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رءوسكم حتى ذنبا ثم يقول لا توبة لي فيقنط من رحمة الله ـ ونعوذ بالله
والأول أصح لما روى عن أبي أيوب الأنصاري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال نزلت الآية فينا معشر الأنصار فإن الله ـ تعالى ـ لما نصر دنيه وأعز نبيه قلنا لو أقمنا في أموالنا نصلحها ونترك الجهاد فإنها تضيع فنزلت الآية ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة يعني بترك الإنفاق في الجهاد والإقامة على الأموال حتى روى أنه لما نزلت الآية مازال أبو أيوب يغزو حتى آخر غزوة غزاها بقسطنطينية في بعث بعثة معاوية وتوفي هنالك ودفن في أصل سور قسطنطينية وهم يستسقون به
و قوله تعالى ـ وأحسنوا يعني بالإنفاق في سبيل الله
وقال عكرمة معناه أحسنوا الظن بالله

وقيل معناه أدوا فرائض الله إن الله يحب المحسنين قال فضيل بن عياض من كانت تحت يده دجاجة فلم يحسن إليها لم يكن من المحسنين
قوله تعالى ـ وأتموا الحج والعمرة لله وقرأ ابن مسعود في الشواذ وأتموا الحج والعمرة إلى البيت من غير قوله لله وقرأ الشعبي وأتموا الحج والعمرة لله على الابتداء
واختلفوا معنى الإتمام قال عمر إتمامهما أن لا ينسخ إذ كان جائزا نسخه في الابتداء وقال علي وابن مسعود إتمامهما أن يحرم بهما من دويرة الأهل وقيل إتمامهما أن يكون الزاد والنفقة من الحلال وقال سفيان الثوري إتمامهما أن يقصد

تفسير السمعاني ج:1 ص:195
تفسير السمعاني ج 1/ص 196

يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو الحج ولا يقصد التجارة
وقيل إتمامهما أن لا يعصي الله فيه ويأتي به على وجهه كما أمر
ثم اعلم أن العمرة واجبة وهو قول ابن عمر وعند أبي حنيفة ـ رضي الله عنه ـ سنة وهو مروى عن جابر
والدليل على وجوبها ظاهر الآية وهو قوله وأتموا الحج والعمرة لله وظاهر الأمر للوجوب
وقد ورد في فضل الحج والعمرة أخبار منها ما روى عن رسول الله أنه قال العمرتان تكفران ما بينهما والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة
و قوله تعالى ـ فإن أحصرتم قال ابن عمر الإحصار من العدو وقال ابن مسعود الإحصار من العدو والمرض كلاهما معتبر وعن ابن عباس فيه روايتان والإحصار والحصر بمعنى واحد
وقال الفراء الإحصار بالحبس والحصر منع العدو والصحيح أنه من العدو دون المرض لقوله فإذا أمنتم والأمن من العدو ومن قال بالأول قال فيه حذف وتقديره فإذا أمنتم من العدو وبرأتم من المرض

وقول ـ تعالى ـ فما استيسر من الهدى وأقل ما يجب منه ذبح الشاة والأعلى نحر بدنة والأوسط ذبح بقرة والهدى والتهدية والهدى بمعنى واحد وهو ما يهدي إلى موضع أو إلى شخص قال الشاعر حلفت برب مكة والمصلىوأعناق الهدى مقلدات
و قوله تعالى ـ ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدى محله أي حتى

تفسير السمعاني ج:1 ص:196
تفسير السمعاني ج 1/ص 197
صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن يذبح في موضعه وموضع الذبح عندنا حيث أحصر وتحلل
وقال أبو حنيفة موضعه مكة وما قلناه أصح لأن رسول الله لما بلغ الحديبية معتمرا فصده المشركون تحلل وذبح هنالك
قوله تعالى ـ فمن كان منكم مريضا أبو به أذى من رأسه نزل هذا في كعب بن عجرة روى عبد الرحمن بن أبي ليلى عن كعب بن عجرة أنه قال كنت مع رسول الله بالحديبية وكنت أنفخ تحت القدر والقمل يتهافت على وجهي فقال ـ عليه السلام ـ ما هذا احلق رأسك واذبح شاة أو صم ثلاثة أيام أو أطعم ستة مساكين فهذا معنى قوله ففدية من صيام أو صدقة أو نسك يعني ذبح الشاة وذلك المذهب عندنا أن يذبح في فدية الأذى شاة أو يصوم ثلاثة أيام أو يتصدق

بفرق من طعام والفرق ثلاثة أصوع كل صاع أربعة أمداد فيتصدق على كل مسكين بمدين
وقال عطاء يطعم عشرة مساكين
و قوله تعالى ـ فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج قال ابن الزبير يختص التمتع بالمحصر ل قوله تعالى ـ فإذا أمنتم وعامة الصحابة على أنه جائز على العموم للكافة
ثم مذهب المدنيين والكوفيين أن التمتع هو أن يحرم بالعمرة في أشهر الحج

تفسير السمعاني ج:1 ص:197
تفسير السمعاني ج 1/ص 198

لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب
ثم يقيم بمكة ويحج من عامه ذلك
وسمى تمتعا لأنه يستمتع بالمحظورات إذا تحلل عن العمرة إلى أن يحرم بالحج
وقال طاوس لا يختص التمتع بأشهر الحج بل إذا أحرم بالعمرة في غير أشهر الحج يكون متمتعا
و قوله تعالى ـ فما استيسر من الهدى أي ذبح الشاة
و قوله تعالى ـ فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وذلك بأن يصوم يوما قبل التروية ويوم التروية ويوم عرفة ويجوز أن يصوم الثلاثة متفرقة
وقال ابن عمر وعائشة يصوم ثلاثة أيام منى وذلك التشريق وهو قول الشافعي في القديم و قوله تعالى ـ وسبعة إذا رجعتم قال ابن عمر معناه إذا رجعتم إلى الأهل
والصحيح أنه إذا أراد الرجوع عن الحج حتى لو صام السبع في الطريق جاز ويجوز متفرقا أيضا
و قوله تعالى ـ تلك عشرة كاملة فإن قال قائل لا يشكل أن الثلاثة والسبع عشرة فلم قال تلك عشرة كاملة قلنا قيل إنما قاله تأكيدا ومثله قول الفرزدق
ثلاث واثنتان فهن خمسوسادسة تميل إلى شمام
وهذا لأن العرب ما كانوا يهتدون إلى الحساب وكانوا يحتاجون إلى فضل شرح وزيادة بيان

تفسير السمعاني ج:1 ص:198
تفسير السمعاني ج 1/ص 199
196 الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال
وقد صح عن رسول الله أنه قال الشهر هكذا وهكذا وهكذا ـ حبس إبهامه في الكرة الثالثة فأشار إليهم بأصابعه ليعرفوا الحساب
وقيل فيه تقديم وتأخير يعني فصيام عشرة أيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم وقيل إنما قال ذلك لقطع توهم الزيادة فإن قوله فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم يوهم وخمسة إذا فعلتم كذا ونحو ذلك فقال تلك عشرة ليقطع توهم الزيادة

وقوله كاملة أي كاملة في الأجر وقيل كاملة فيما أريد به وإقامة الصوم مقام الهدى
قوله تعالى ـ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام قال بعض الصحابة أراد بحاضري المسجد الحرام أهل مكة وكان ابن عباس يقول يا أهل مكة لا تمتع لكم إنما التمتع للغرباء
وقيل هم جميع أهل الحرم وقال الشافعي كل من كان من مكة على ما دون مسافة القصر فهو من حاضري المسجد الحرام
واتقوا الله أي في أداء الأوامر واعلموا أن الله شديد العقاب على ارتكاب المناهي
قوله تعالى ـ الحج أشهر معلومات الأكثرون على أن المراد به شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة
وقال مالك كل ذي الحجة و قوله تعالى ـ فمن فرض فيهن الحج قال ابن عمر وابن مسعود أراد به فمن فرض فيهن الحج بالتلبية أي فمن لبى

تفسير السمعاني ج:1 ص:199
تفسير السمعاني ج 1/ص 200
في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا
وعندنا يختص إحرام الحج بأشهر الحج وعند أبي حنيفة يجوز في جميع السنة وفيه خلاف الصحابة وهو مذكور في الفقه
و قوله تعالى ـ فلا رفث قيل هو الوطء وقيل الرفث الإفحاش في القول وقيل هو أن يتعرض لأمر الوطء مع النساء وذلك بأن يقول إذا حللنا فعلنا كذا وعن ابن عباس أنه كان محرما فأنشد

فهن يمشين بنا هميسا إن تصدق الطير ننك لميسا
فقيل له أترفث وأنت محرم فقال الرفث هو ما روجع به النساء أي يذكر في مشاهدتهن
و قوله تعالى ـ ولا فسوق الفسوق السباب وقيل هو كل المعاصي
وقوله ولا جدال في الحج قال ابن مسعود الجدال أن يمارى الرجل صاحبه حتى يغضبه

وقيل أراد به ما كان عليه أهل الجاهلية من الاختلاف في أمر الحج حتى كان بعضهم يقف بعرفة وبعضهم بالمزدلفة وكان يحج بعضهم في ذي القعدة وبعضهم في ذي الحجة وكل يقول ما فعلته فهو صواب فقال ولا جدال في الحج أي استقر أمر الحج على ما فعله الرسول فلا خلاف فيه من بعد وذلك معنى قوله ألا إن الزمان قد استدار كهيئته الحديث
و قوله تعالى ـ وما تفعلوا من خير يعلمه الله أي لا يخفى عليه ولا يضيعه بل يثيب عليه

تفسير السمعاني ج:1 ص:200
تفسير السمعاني ج 1/ص 201
أولي الألباب 197 ليس عليكم جناح أن يبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وإن كنتم من قبله وقوله ـ تعالـ وتزودوا نزل في قوم من اليمن كانوا يخرجون إلى الحج من غير زاد ويسألون الناس الزاد وربما يفضي الحال بهم في السلب والنهب فقال وتزودوا أي اخرجوا مع الزاد
وقوله فإن خير الزاد التقوى يعني من السلب والسؤال
وقال سعيد بن جبير تزودوا بالكعك والسويق
وقال غيره وتزودوا بالخشكنانج والسويق و قوله تعالى ـ واتقون يا أولي الألباب معلوم المعنى
قوله ـ تعالـ ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في سبب نزول هذا قولان أحدهما ما روى عن أبي أمامة التيمي أنه قال قلت لابن عمر إنا نكرى في هذا الوجه ـ يعني إلى مكة ـ والناس يقولون لا حج لكم فقال ابن عمر ألست تقف ألست تسعى ألست تطوف قلت نعم فقال لك حج وروى ابن عمر أن رسول الله سئل عن ذلك فلم يجب بشيء حتى نزل جبريل بهذه الآية

والثاني قال ابن عباس كان في الجاهلية أسواق يقال لها عكاظ والمجنة وذو المجاز وكان أهل الجاهلية يتجرون منها فلما جاء الإسلام كان المسلمون يتحرجون عن التجارة في تلك الأسواق فنزل قوله ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم يعني بالتجارة في تلك الأسواق
وقرأ ابن الزبير فضلا من ربكم في مواسم الحج
و قوله تعالى ـ فإذا أفضتم من عرفات أما عرفات سمى بذلك لأن

تفسير السمعاني ج:1 ص:201
تفسير السمعاني ج 1/ص 202
لمن الضالين 198 ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله إن الله غفور جبريل لما وقف بإبراهيم كان يقول له عرفت فيقول عرفت
والإفاضة الدفع بكثرة يقال فاض الإناء إذا امتلأ حتى سال من الجوانب ومنه رجل فياض إذا كان كثير العطاء قال الشاعر
وأبيض فياض يداه غمامةعلى معتقيه ما تغب نوافله
وإنما قال فإذا أفضتم لأنه يدفع بعضهم بعضا بكثرة عند الرجوع
وقوله ـ تعالىـ فاذكروا الله عند المشعر الحرام والمشعر الحرام والمزدلفة والجمع أسامي موضع واحد فالمشعر المعلم فإن المزدلفة معلم للمبيت والوقوف والدعاء والجمع بين الصلاتين وإنما سمى جمعا لأنه يجمع هنالك بين المغرب والعشاء
وسمى مزدلفة من الازدلاف وهو الاجتماع والمزدلفة موضع بين جبلين يسمى أحدهما قزح يقف عليه الإمام وهو من جملة الحرم ولذلك سمى المشعر الحرام
و قوله تعالى ـ واذكروه كما هداكم أي واذكروه بالتوحيد والتعظيم كما ذكركم بالهداية
و قوله تعالى ـ وإن كنتم من قبله لمن الضالين قيل ما كنتم من قبله إلا من الضالين وقيل معناه قد كنتم من قبله لمن الضالين
قوله تعالى ـ ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس يعني من عرفات

فإن قيل كيف قال ثم أفيضوا ـ بكلمة التعقيب ـ والإفاضة من عرفات إنما تكون قبل الوصول إلى المزدلفة قلنا ثم بمعنى الواو ههنا يعني وأفيضوا وهو مثل قوله ثم كان من الذين آمنوا أي وكان من الذين آمنوا فيكون

تفسير السمعاني ج:1 ص:202
تفسير السمعاني ج 1/ص 203
رحيم 199 فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا جمعا بين الحكمين
وقيل تقديره ثم أمركم أن تفيضوا من عرفات وهذا مثل قوله تعالى ـ ثم آتينا موسى الكتاب وإنما آتاه الكتاب قبل محمد لكن معناه ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب كذلك هاهنا فيكون عمل ثم في الأمر لا في الإفاضة
وأما الكلام في المعنى قيل إن قريشا وأحلافهم كانوا يقفون بالمزدلفة ويقولون نحن أهل حرم الله فلا نخرج من حرم الله لأن عرفات كانت في الحل وأما سائر العرب كانوا يقفون بعرفات
فقوله ثم أفيضوا خطاب لقريش يعني قفوا بعرفات وأفيضوا منها من حيث أفاض الناس يعني سائر العرب
وقيل أراد بالناس في قوله من حيث أفاض الناس إبراهيم وقد يسمى الواحد ناسا كما قال الله ـ تعالى ـ الذين قال لهم الناس وأراد به نعيم ابن مسعود الأشجعي وحده
وقرأ الضحاك وسعيد بن جبير من حيث أفاض الناس يعني آدم ـ عليه السلام ـ
و قوله تعالى ـ واستغفروا الله إن الله غفور رحيم
قوله تعالى ـ فإذا قضيتم مناسككم يعني فرغتم من المناسك وذلك عند رمي جمرة العقبة والاستقرار بمنى وقوله فاذكروا الله كذكركم آباءكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:203
تفسير السمعاني ج 1/ص 204

فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق 200
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار 201 يعني فاذكروا الله بالتكبير والتمجيد والثناء عليه
وفي قوله كذكركم آباءكم قولان قال عطاء هو أن الصبي أول ما يتكلم فإنما يلهج بذكر أبيه فيقول يا أبة لا يذكر غيره فقال ـ تعالى ـ فاذكروا الله لا غيره كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا
والثاني هو أن العرب كانوا إذا فرغوا من الحج ذكروا مفاخر آبائهم فقال ـ تعالى ـ فاذكروا الله بدل ذكركم آباءكم أو أشد ذكرا
و قوله تعالى ـ فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا أراد به المشركين كانوا لا يسألون الله في الحج إلا الدنيا وكان الرجل منهم يقول اللهم إن أبي كان عظيم القبة كبير الجفنة كثير المال اللهم فاعطني مثل ما أعطيته
و قوله تعالى ـ وما له في الآخرة من نصيب

قوله تعالى ـ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة أراد به المسلمين واختلفوا في معناه
قال الحسن البصري في الدنيا حسنة يعني العلم والعبادة وفي الآخرة حسنة يعني الجنة
وحكى عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال في الدنيا حسنة المرأة الصالحة وفي الآخرة حسنة الجنة
وقد ورد في الحديث مرفوعا من أوتي قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا وامرأة صالحة تعينه على أمر دينه فقد جمع له خير الدنيا والآخرة

تفسير السمعاني ج:1 ص:204
تفسير السمعاني ج 1/ص 205
أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب 202
وقال قتادة في الدنيا حسنة يعني العافية وفي الآخرة حسنة يعني العاقبة

وروى أنس عن النبي أنه عاد مريضا قد أنهكه المرض حتى صار كالفرخ فقال له ـ عليه السلام ـ بم كنت تدعو فقال الرجل قلت اللهم إن كنت معاقبي بشيء في الآخرة فعجله لي في الدنيا فقال سبحان الله ما تطيق ذلك هلا قلت ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقيل كان هذا أكثر دعاء رسول الله و قوله تعالى ـ وقنا عذاب النار أي اصرف عنا عذاب النار
قوله ـ تعالـ أولئك لهم نصيب أي الاستجابة مما كسبوا من الدعاء والله سريع الحساب قال أهل التفسير يحاسب العباد أسرع من لمح البصر
وقال أهل المعاني يحاسب العباد من غير تدبير ولا رؤية لكونه عالما بما للعباد وما على العباد فلا يحتاج إلى رؤية
وقال ابن الأنباري معناه أن الله آت بالقيامة عن قريب فإن ما هو كائن لا محالة فهو قريب ففيه إشارة إلى قرب القيامة

تفسير السمعاني ج:1 ص:205
تفسير السمعاني ج 1/ص 206
في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه لمن اتقى واتقوا الله اعلموا أنكم إليه تحشرون 203 ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد
قوله تعالى ـ واذكروا الله في أيام معدودات يعني أيام منى وهي أيام التشريق

قال ابن عمر الأيام المعلومات والأيام المعدودات في أربعة أيام فيوم النحر ويومان بعده هي الأيام المعلومات وثلاثة أيام بعد يوم النحر هي الأيام المعدودات
والمعدودات المحصيات وإنما قال ذلك لقلتهن والمراد بالذكر منها ههنا هو التكبيرات أدبار الصلوات
و قوله تعالى ـ فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه أراد به النفر في اليوم الثاني من أيام التشريق يعني فمن تعجل بالنفر بالرجوع من منى فيه فلا حرج عليه
و قوله تعالى ـ ومن تأخر فلا إثم عليه يعني من تأخر بالنفر الثاني في اليوم الثالث من أيام التشريق فلا حرج عليه

فإن قيل الآية فيمن رجع على إتمام المناسك فكيف نفى الحرج عنه وهو بمحل استحقاق الثواب لا بمحل الحرج قلنا قال ابن مسعود أراد به من نفى الحرج أنه رجع مغفورا له وهذا مؤيد بالحديث وما روى مرفوعا من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه
وقال النخعي معناه فمن تعجل فلا إثم عليه بالتعجيل ومن تأخر فلا إثم عليه بالتأخير
وفيه قول ثالث إنما قال ذلك لأن بعضهم كان يزيد في المقام بمنى على الثلاث تبررا وتقربا فقال الله ـ تعالى ـ من رجع في اليوم الثاني أو الثالث ولم يزد على الثلاث فلا حرج عليه يعني في ترك الزيادة

تفسير السمعاني ج:1 ص:206
تفسير السمعاني ج 1/ص 207
الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام 204 وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها ويهلك
وفيه قول رابع حسن معناه من ترخص بالتعجيل فلا إثم عليه بالترخص ومن تأخر فلا إثم عليه بترك الترخص وذلك أن النبي كان قد ندب إلى الرخصة بقوله إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه
قوله تعالى ـ لمن اتقى قال أبو العالية معناه لمن اتقى الله بعد الحج في جميع عمره
وقال الآخرون معناه لمن اتقى المعاصي في الحج وقوله ـ تعالـ واتقوا الله واعلموا أنكم إليه تحشرون ظاهر المعنى
قوله ـ تعالـ ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا نزلت الآية في الأخنس بن شريق حليف بني زهرة فإنه أتى النبي ـ عليه السلام ـ وقال إني أحبك وأريد أن أؤمن بك والله يعلم ما في قلبي وكان يبطن بغضه وكان ـ عليه

السلام ـ يعجبه قوله ويسر به فنزلت الآية ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا يعني في العلانية
وأما قوله ويشهد الله على ما في قلبه قرأ ابن مسعود وشهيد الله على ما في قلبه وقرأ ابن محيصن ويشهد الله على ما في قلبه وهما في الشواذ
والمعروف هو الأول

و قوله تعالى ـ وهو ألد الخصام أي شديد الخصومة قال الشاعر
إن تحت التراب حزما وجوداوخصيما ألد ذا معلاق

تفسير السمعاني ج:1 ص:207
تفسير السمعاني ج 1/ص 208
الحرث والنسل والله لا يحب الفساد 205 وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد 206 ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف
وقال مجاهد ألد الخصام أي الظالم في الخصومة
و قوله تعالى ـ وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها فيه نزلت الآية أيضا فإنه خرج من عند النبي فرأى حمارا فعقره ومر بزرع فأحرقه فهذا معنى قوله سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل فالحرث الزرع والنسل ولد كل دابة
والله لا يحب الفساد أي لا يرضى الفساد وقيل من الفساد كسر الدرهم وشق الثوب من غير مصلحة
قوله تعالى ـ وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فيه نزلت الآية أيضا وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة أي حمية الجاهلية بالإثم أي بالظلم والعزة التكبر والمنعة ومنه قوله تعالى في عزة وشقاق
وعن ابن مسعود قال كفى بالمرء إثمان أن يقال له اتق الله فيقول أنت الذي تأمرني بالتقوى
وروى أنه قيل لعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ اتق الله فوضع خده على الأرض تواضعا لله
وفي رواية قيل لعمر اتق الله فأنكر المغيرة بن شعبة على قائله فقال عمر إنكم لا تزالون بخير ما قالوا ذلك لنا وقبلنا منهم
وقوله ـ تعالـ فحسبه جهنم أي كافيه قال امرؤ القيس
وتملأ بيتنا أقطا وسمناوحسبك من غنى شبع وروى
و قوله تعالى ـ ولبئس المهاد المهاد كل فراش يستقر المرء عليه

تفسير السمعاني ج:1 ص:208
تفسير السمعاني ج 1/ص 209

بالعباد 207 يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين 208 فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم 209 هل

قوله تعالى ـ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله قال سعيد ابن المسيب نزلت الآية في صهيب بن سنان وذلك أنه خرج من مكة مهاجرا إلى المدينة فتبعه المشركون ولحقوه فنثر كنانته وقال إنكم تعلمون أني من أرماكم والله لا تصلون إلي حتى أرمي جميع ما بكنانتي ثم أخذ سيفي وأضرب حتى أعجز أو ترجعوا عني ومالكم مالي ثمة فقالوا أين مالك فدلهم عليه فرجعوا عنه فلما سمع ذلك رسول الله قال ربح البيع يا أبا يحيى فهذا معنى قوله و ومن الناس من يشري نفسه أي يبيع

والشراء البيع ومنه قول الشاعر

وشريت بردا ليتنيمن بعد برد صرت هامه

قال رجل كان له غلام يسمى بردا وكان مفتونا به فباعه فندم عليه

و قوله تعالى ـ والله رءوف بالعباد أي شديد الرحمة بهم

قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة آمنوا أي صدقوا ادخلوا في السلم كافة أي ادخلوا جميعا في الإسلام

قال الأزهري السلم الصلح والسلم الانقياد والمراد به الإسلام ههنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:209
تفسير السمعاني ج 1/ص 210

ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور 210 سل بني إسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله

وقال الأزهري أيضا معناه ادخلوا في الإسلام وشرائعه كافة

وفيه قول ثالث معناه ادخلوا في الإسلام إلى منتهى شرائعه كافين عن المجاوزة إلى غيره من الكف

قال ابن عباس نزلت الآية في عبد الله بن سلام وقوم من اليهود أسلموا وأرادوا أن يجمعوا بين الإسلام واليهودية فقالوا نلزم السبت فلا نأكل لحوم الإبل ونحو ذلك فنزلت الآية أي كونوا للإسلام خاصة ولا تجمعوا بينه وبين اليهودية وكفوا عن المجاوزة إلى غيره
فإن قال قائل كيف خاطب المؤمنين بالدخول في الإسلام قيل يحتمل معناه الثبات على الإسلام ويحتمل أنه خطاب للذين آمنوا باللسان ولم يؤمنوا بالقلب
و قوله تعالى ـ ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي آثار الشيطان وهي جمع الخطوة والخطوة ما بين القدمين إنه لكم عدو مبين
قوله تعالى ـ فإن زللتم زل يزل إذا ضل وتنحى عن الطريق وأزل يزل إذا أسدى نعمة إلى غيره ومنه قوله من أزلت إليه نعمة فليشكرها
و قوله تعالى ـ من بعد ما جاءتكم البينات الدلالات الواضحات
فاعلموا أن الله عزيز حكيم فالعزيز الغالب الذي لا يفوته شيء والحكيم ذو الإصابة في الأمر
قوله تعالى ـ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة والآية من المتشابهات

تفسير السمعاني ج:1 ص:210
تفسير السمعاني ج 1/ص 211
شديد العقاب 211 زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا
وروى أصحاب الحديث عن أبي بن كعب ومجاهد أنهما قالا في تفسير الآية يأتي الله يوم القيامة في ظلل من الغمام
وأما أبو بكر محمد بن الحسن النقاش المفسر فلم يتعرض للآية بشيء وقال الزجاج يحتمل معنى الآية من حيث اللغة يأتي الله بما وعدهم من العقاب
قال الشيخ الإمام والأولى في هذه الآية وما يشاكلها أن نؤمن بظاهره ونكل علمه إلى الله ـ تعالى ـ وننزه الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن سمات الحدث والنقص
وأما قوله في ظلل فهو جمع الظلة وهو السترة من الغمام قد ذكرنا معنى الغمام

والملائكة قرئ بالرفع والخفض فإذا قرئ بالرفع فهو منسوق على الله وإذا قرئ بالخفض فهو منسوق على الظلل
وقضى الأمر أي فرغ من الأمر وذلك فصل الله القضاء بالحق بين الخلق
وإلى الله ترجع الأمور قال قطرب إنما خص به يوم القيامة لأن الأمر يخلص

يومئذ لله ـ تعالى ـ
قوله تعالى ـ سل بني إسرائيل هو خطاب للرسول يعني سل الذين أسلموا منهم كم آتيناهم من آية بينة أي من دلالة واضحة على نبوة موسى
وقيل معناه الدلالات التي آتاهم في التوراة والإنجيل على نبوة محمد ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب في معناه قولان
أحدهما ومن يغير عهد الله
والثاني معناه ومن ينكر الدلالة التي على نبوة محمد

تفسير السمعاني ج:1 ص:211
تفسير السمعاني ج 1/ص 212
فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب 212 كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما
قوله تعالى ـ زين للذين كفروا الحياة الدنيا قال الزجاج المزين هو الشيطان فإن الله ـ تعالى ـ قد زهد الخلق في الدنيا ورغبهم في الآخرة وقال الأكثرون المزين هو الله ـ تعالى ـ والتزيين من الله هو أنه خلق الأشياء الحسنة والمناظر المعجبة فنظر الخلق إليها بأكثر من قدرها فأعجبهم ذلك ففتنوا به فلذلك التزيين من الله
ويسخرون من الذين آمنوا أي يستهزئون وهم رؤساء قريش كأبي جهل وغيره وكانوا يسخرون من الفقراء
قال ابن عباس أراد بالذين آمنوا عبد الله بن مسعود وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت وأبا ذر
والذين اتقوا أي هؤلاء الفقراء فوقهم يوم القيامة لأنهم في أعلى عليين وأولئك في أسفل السافلين
والله يرزق من يشاء بغير حساب فيه أقوال أحدها أنه يوسع على من يشاء من غير مضايقة ولا تقتير

والقول الثاني معناه أنه لا يأخذ شيئا من شيء مقدر كالعبد يأخذ ألفا من ألفين فيعطى قدرا من مقره فيخاف الإجحاف على ماله ولكن الله يرزق العباد من خزائنه التي لا تنفذ
والثالث معناه أنه يقتر على من يشاء ويبسط على من يشاء ولا يعطي كل أحد على قدر حاجته بل يعطي الكثير من لا يحتاج إليه ولا يعطي القليل من يحتاج إليه
والقول الرابع قال ابن عباس هذا فيما سهل الله ـ تعالى ـ على رسوله من

تفسير السمعاني ج:1 ص:212
تفسير السمعاني ج 1/ص 213
اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما الاستيلاء على بني قريظة والنضير على اسهل وجه من غير قتال ولا تعب
و قوله تعالى ـ كان الناس أمة واحدة فالأمة في اللغة على وجوه منها الأمة بمعنى الدين ومنه قول النابغة
حلفت فلم أترك لنفسك ريبةوهل يأثمن ذو أمة وهو طائع
أي ذو دين
والأمة الفرقة من الناس وغيرهم فالترك أمة والروم أمة والفرس أمة ومن الطير أمة قال الله ـ تعالى ـ ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم
والأمة الحين وقال الله تعالى وادكر بعد أمة أي بعد حين
والأمة الإمام الذي يقتدي به ومنه قوله تعالى ـ إن إبراهيم كان أمة
والأمة المعلم للخير والأمة القامة ومنه قول الشاعر
وإن معاوية الأكرمين
حسان الوجوه طوال الأمم
والأمة ـ بكسر الألف ـ النعمة والمراد بالأمة ههنا الدين
يعني كان الناس على دين واحد ثم اختلفوا في معناه
وقال بعضهم ـ وهو قول مجاهد ـ أراد به آدم كان أمة واحدة
وقيل ـ وهو قول قتادة وسعيد بن جبير أراد به عشرين قرنا من بني آدم ونوح كانوا على الإسلام

تفسير السمعاني ج:1 ص:213
تفسير السمعاني ج 1/ص 214

اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم 213 أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى
وقيل أراد به الناس في زمن إبراهيم كانوا على ملة الكفر
فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه

فإن قال قائل كيف يحكم الكتاب قيل قرأ عاصم الجحدري ليحكم بين الناس بضم الياء ـ فيكون الحكم من الأنبياء
وأما قوله ليحكم بين الناس يعني ليحكم الذين أوتوا الكتاب من النبيين
و قوله تعالى ـ وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه يعني أوتوا الكتاب من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم أي حسدا وظلما فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه قال زيد بن أسلم اختلفوا في القبلة فهدانا الله إلى الكعبة واختلفوا في الأيام فاختار اليهود السبت والنصارى يوم الأحد فهدانا الله للجمعة واختلفوا في عيسى فقال بعضهم كذاب وقال بعضهم ابن الله فهدانا الله لكونه نبيا عبدا واختلفوا في إبراهيم فادعاه كل فرقة فهدانا الله لكونه حنيفا مسلما
وروى عن رسول الله أنه قال نحن الآخرون السابقون وأول الناس دخولا الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا وأوتيناه من بعدهم الناس لنا تبع فاليوم لنا ـ يعني الجمعة ـ وغدا لليهود وبعد غد للنصارى
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

تفسير السمعاني ج:1 ص:214
تفسير السمعاني ج 1/ص 215
يقول الرسول والذين آمنوا معه حتى نصر الله ألا إن نصر الله قريب 214
يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا
قوله تعالى ـ أم حسبتم أن تدخلوا الجنة

نزل في المهاجرين إلى المدينة حين أصابهم حر شديد وفاقة عظيمة فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية تطييبا لقلوبهم وتسلية لهم
فقوله أم كلمة للخروج من كلام إلى كلام ونكون بمعنى بل يقول الله ـ تعالى ـ لهم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم يعني ولم يصبكم ما أصابهم وقوله ـ تعالـ مثل الذين خلوا أي صفة الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء الفقر والضراء المرض وزلزلوا حركوا بشدة وخوفوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله حتى استبطئوا نصر الله ألا إن نصر الله قريب
قوله تعالى ـ يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين
قيل المراد به الوصية التي كانت واجبة في الابتداء للوالدين والأقربين
وقيل أراد به التطوعات والصدقات جعلها للوالدين والأقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل
وقيل إنه كان في الابتداء ثم نسخت بآية الزكاة

وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم أي يحصي ويجازي عليه وهذا مثل قوله تعالى ـ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره أي يرى الجزاء على العمل لأن العمل فائت فلا يراه
قوله تعالى ـ كتب عليكم القتال وهو كره لكم أي شاق عليكم
واعلم أن أكثر العلماء على أن الجهاد فرض على الكفاية وقال عطاء ـ وهو قول الثوري ـ أنه تطوع قالوا والآية في الذين أمروا بالقتال من الصحابة

تفسير السمعاني ج:1 ص:215
تفسير السمعاني ج 1/ص 216
من خير فإن الله به عليم 215 كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شرا لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون 216 يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به

وعسى أن تكرهوا شيئا يعني القتال وهو خير لكم بإصابة الشهادة وحيازة الغنيمة والظفر بالعدو
وعسى أن تحبوا شيئا يعني القعود عن القتال وهو شر لكم بفوت المنازل قال ابن عباس كنت رديف رسول الله فقال لي يا غلام ارض بما قدر الله لك فعسى أن تكره شيئا وهو خير لك وعسى أن تحب شيئا وهو شر لك وتلا هذه الآية والله يعلم وأنتم لا تعلمون
قوله تعالى ـ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه أي عن قتال فيه خفض على البدل قل قتال فيه كبير عظيم ثم ابتدأ فقال وصد عن سبيل الله يعني صدكم المسلمين عن الإسلام
وكفر به أي كفركم بالله والمسجد الحرام أي وصدكم المسلمين عن المسجد الحرام
وإخراج أهله منه أي إخراج أهل مكة من مكة أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل أي والكفر الذي أنتم عليه وأفعالكم تلك أكبر عند الله وأشد من قتال المسلمين في الشهر الحرام
قال عروة بن الزبير سبب نزول الآية ما روى أن النبي بعث عبد الله بن جحش مع ثمانية نفر قبل مكة ودفع إليهم كتابا وقال لا تفكوه إلا بعد يومين فلما مضى يومان فكوا الكتاب فإذا فيه امضوا إلى بطن النخل ـ وذلك موضع بين مكة والطائف ـ وفيه استعلموا أخبار قريش فنزلوا هنالك وكانوا يستعلمون خفية فمر بهم عير من الطائف عليهم عمرو بن الحضرمي مع زبيب وأدم فرماه واحد من

تفسير السمعاني ج:1 ص:216
تفسير السمعاني ج 1/ص 217

والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 217 إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمت الله والله غفور رحيم المسلمين فقتله وقادوا العير إلى رسول الله وكان ذلك في آخر يوم من جمادى الآخر أو في أول يوم من رجب ـ وكانوا شاكين فيه ـ فعيرهم المشركون بقتلهم ابن الحضرمي في الشهر الحرام فنزلت الآية
يعني الذي فعلتم أنتم من تلك الأفعال أكبر وأشد من قتلهم في الشهر الحرام وفي الخبر أن النبي لم يمد يده إلى شيء من ذلك العير حتى نزلت الآية ثم قسمها بين المسلمين
ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا يعني المشركين كانوا يقاتلون المسلمين ويعيرونهم على الإسلام
ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وألئك أصحاب النار هم فيها خالدون
قال ـ تعالى ـ إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله هذه الآية متصلة بالأولى في المعنى وذلك أن عبد الله بن جحش لما مر بالسرية وقتل ابن الحضرمي من قتله قال المشركون إن لم يصيبوا وزرا فلا ينالون خيرا فنزلت هذه الآية إن الذين آمنوا يعني عبد الله بن جحش وقومه والذين وهاجروا من أوطانهم وجاهدوا يعني بالغزو في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله أخبر أنهم على رجاء الرحمة وإنما لم يقطعوا لأنفسهم بالرحمة لأن الإنسان يعرف من نفسه أنه لا يمكنه تأدية حق الله ـ تعالى ـ على وجهه فلا يأمن تقصيرا فلا يمكنه القطع لنفسه بالرحمة

تفسير السمعاني ج:1 ص:217
تفسير السمعاني ج 1/ص 218

218 يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من
ولأنه ربما يرتكب في المستقبل ما يستوجب به العقاب
والله غفور رحيم فالغفور الستور والرحيم العطوف
قوله تعالى ـ يسألونك عن الخمر والميسر فالخمر كل شراب مسكر وسمى المسكر خمرا لأنه يخامر العقل ويستره
وأصل الخمر الستر والتغطية ومنه الخمار لأنه يستر الرأس ويقال دخل فلان في خمار الناس أي تستر فيهم
وقال عمر ـ رضي الله عنه ـ الخمر ما خامر العقل وهو حجة أصحاب الحديث على أن كل مسكر خمر ومنه يقال للسكران من أي شراب كان مخمورا
والميسر القمار وقال ابن مسعود دعوا الكعاب فإنه من الميسر
وقال ابن سيرين كل ما يعلب به فهو ميسر حتى الجوز الذي يلعب به الصبيان
ثم اختلفوا في تحريم الخمر أنه بأي آية كان
قال بعضهم هو بهذه الآية فإنه قال قل فيهما إثم كبير ولفظ الإثم يدل على التحريم فإنه حرم الخمر بلفظ الإثم في آية أخرى حيث قال قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم وأراد به الخمر ومنه قول الشاعر
شربت الإثم حتى ضل عقليكذاك الإثم يذهب بالعقول
وقال ابن عباس وأكثر المفسرين إن تحريم الخمر بالآية التي في سورة المائدة بأنه لما نزلت هذه الآية قل فيهما إثم كبير فانتهى بعضهم ولم ينته البعض فنزل قوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فكانوا يتحينون للشرب حتى كان

تفسير السمعاني ج:1 ص:218
تفسير السمعاني ج 1/ص 219
الرجل يشرب بعد العشاء الأخيرة فيصبح وقد زال السكر ثم يشرب بعد صلاة الصبح فيصحو إذا جاء وقت الظهر فنزلت آية المائدة قال ابن عمر حرمت الخمر بآية المائة وروى هو عن رسول الله أنه قال تحريم الخمر بآية المائدة
وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه لما سمع قوله فهل أنتم منتهون قال انتهينا ربنا

قل فيهما إثم كبير قرأ حمزة والكسائي بالثاء وقرأ الباقون كبير ـ بالباء فالكبير بمعنى العظيم والكثير لكثرة عدد الآثام في الخمر التي ذكرها في آية المائدة
إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء الآية
و قوله تعالى ـ ومنافع للناس فالإثم في الخمر هو ما يقع فيه من العداوة و

البغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة
وأما المنافع في الخمر اللذة والفرح واستمراء الطعام والربح في التجارة فيه
وقد قال حسان بن ثابت في الخمر ونفعها
ونشربها فتتركنا أسوداولبوثا ما ينهنهنا اللقاء
وقال آخر
وإذا سكرت فإنني
رب الخورنق والسدير
وإذا صحوت فإنني
رب الشويهة والبعير
وأما المنافع للناس في الميسر فهو إصابة المال فيه من غير كد وتعب
والإثم فيه أنه إذا ذهب ماله من غير عوض يأخذه يسوءه ذلك فيعادى صاحبه
ويقصده بالسوء

تفسير السمعاني ج:1 ص:219
تفسير السمعاني ج 1/ص 220
نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم
تتفكرون 219
وقوله وإثمهما أكبر من نفعهما قيل معناه إثمهما بعد التحريم أكبر من نفعهما
قبل التحريم
وقيل إثمهما أكبر من نفعهما قبل التحريم يعني الإثم الذي يصير الخمر سببا
فيه من العداوة والعربدة أكبر من نفعهما
قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو قرأ أبو عمرو وحده بضم الواو
وقرأ الباقون بفتحها فمن قرأ بالضم فتقديره ما الذي ينفقون فقال قل الذي
ينفقون العفو ومن قرأ بالفتح فتقديره ماذا ينفقون فقال قل ينفقون العفو
واختلفوا في معنى العفو فقال طاوس هو اليسير من كل شيء وقال أكثر
المفسرين العفو الفضل وذلك أن الصدقة إنما تجب في الفاضل عن الحاجة
وكانت الصحابة يكتسبون المال ويمسكون قدر النفقة ويتصدقون بالفضل
بحكم هذه الآية ثم نسخ ذلك بآية الزكاة

وقيل معناه التصدق عن ظهر الغنى وذلك أن يتصدق وهو غني ولا يتصدق وهو
فقير فيبقى كلا على الناس وهو معنى قوله أفضل الصدقة ما كان عن ظهر
غنى
وحقيقة العفو الميسور ومنه قوله خذ العفو أي ما تيسر من أخلاق الرجال

تفسير السمعاني ج:1 ص:220
تفسير السمعاني ج 1/ص 221
في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم 220
كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فيه تقديم وتأخير وتقديره يبين الله لكم الآيات في الدنيا والآخرة لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة فتعرفون فضل الآخرة على الدنيا فتزهدون في الدنيا وتنفقون رغبة في الآخرة
وقوله تعالى ويسألونك عن اليتامى روى أنه لما نزل قوله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا تحرج المسلمون من أموال اليتامى تحرجا شديدا حتى عزلوا أموال اليتامى عن أموالهم في المرعى والطعام والإدام فنزلت هذه الآية بإباحة المخالطة في ذلك كله لكن بشرط أنه إن استخدم غلام اليتيم يخدمه وإن أكل بطعامه يبدله
قال مجاهد يوسع عليه من طعام نفسه لا يتوسع من طعام اليتيم
وقوله تعالى قل إصلاح لهم خير قرأ الضحاك قل إصلاح إليهم خير والمتلو قل إصلاح لهم ومعناه إصلاح لهم خير لكم في الدين وإن تخالطوهم فإخوانكم هو إباحة المخالطة
والله يعلم المفسد يعني الذي يخالط فيخون من المصلح وهو الذي يخالط فلا يقصد الخيانة ولو شاء الله لأعنتكم قال أبو عبيدة لأهلككم وقال ابن عباس يجعل ما أصبتم من أموال اليتامى موبقا لكم وقيل معناه ولو شاء الله لما أباح لكم المخالطة

وقال أهل اللغة العنت المشقة ومعناه ولو شاء الله لأعنتكم أي كلفكم في كل شيء ما يشق عليكم
إن الله عزيز حكيم فالعزيز هو الذي يأمر بعزة سهل على العباد أو لم يسهل والحكيم قد ذكرنا معناه

تفسير السمعاني ج:1 ص:221
تفسير السمعاني ج 1/ص 222
ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم قوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن قال ابن عباس لا يجوز نكاح

الكوافر أبدا إلى يوم القيامة بحكم هذه الآية
وسائر المفسرين والعلماء من الصحابة وغيرهم على أن الآية منسوخة في الكتابيات بقوله والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب
وروى عن عثمان ـ رضي الله عنه ـ أنه تزوج بنائلة بنت فرافصة ـ وكانت نصرانية ـ فأسلمت تحته وعن طلحة بن عبيد الله أنه تزوج بنصرانية وعن حذيفة أنه تزوج يهودية وقال قتادة وسعيد بن جبير أراد بالمشركات الوثنيات
فإن قال قائل الكفار عندكم مشركون كلهم فمن لا ينكر إلا نبوة محمد كيف يكون مشركا بالله
قلنا قال أبو الحسين بن فارس صاحب المجمل هو مشرك لأنه يقول القرآن الذي أتى به محمد كلام غير الله وهذا القرآن معجز لا يقوله إلا من كان إلها فإذا هو كلام غير الله وكأنهم أشركوا بالله غير الله
وأما سبب نزول الآية ما روى أن أبا مرثد الغنوي كانت له حبيبة بمكة وكان يصيبها بالفجور ـ وتسمى عناقا ـ فلما هاجر إلى المدينة وأسلم تمنت له حاجة فرجع إلى مكة فتزينت له فقال أبو مرثد إني قد دخلت في دين الإسلام وإن الزنا حرام في ديني فحتى أرجع فاستأذن رسول الله أن أتزوج بك فرجع واستأذن فنزل قوله تعالى و لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وقوله ولأمة مؤمنة خير من مشركة نزل هذا في عبد الله بن رواحة كانت له أمة سوداء فلطمها ثم أخبر رسول الله بذلك فسأله عنها فقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:222
تفسير السمعاني ج 1/ص 223
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعوا إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون 221 ويسألونك عن المحيض قل هو أذى فاعتزلوا النساء في
إنها مؤمنة تؤمن بالله والرسل وتحسن الوضوء والصلاة فقال عليه السلام بئسما صنعت فقال والله لأتزوجن بها فأعتقها وتزوج بها وكان قد عرضت عليه حرة مشركة فعيره المشركون على نكاح الأمة السوداء فنزل قوله ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم
ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا في هذا إجماع أن المسلمة لا تنكح من المشركين أجمع ولعبد مؤن خير من مشرك ولو أعجبكم فإن قال قائل كيف قال خير من مشرك ولا خير في المشرك قيل يجوز مثله كما قال الله ـ تعالـ ءآلله خير أما يشركون ويقال الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل
أولئك يدعون إلى النار أي إلى أسباب النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه أي بقضائه وإرادته ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون

قوله تعالى ويسألونك عن المحيض أما السائل عنه هو أسيد بن حضير وعباد بن بشير وأما المحيض مفعل من الحيض والمراد به نفس الحيض
قال الأزهري يقال حاضت المرأة حيضا ومحيضا إذا نزل بها الدم من الرحم في وقت معلوم
ويقال استحيضت المرأة إذا نزل بها الدم من عرق لا من الرحم لا في وقت معلوم

تفسير السمعاني ج:1 ص:223
تفسير السمعاني ج 1/ص 224
المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين 222
قل هو أذى أي قذر وقال الكلبي الأذى هو الدم

فاعتزلوا النساء في المحيض وسبب نزول الآية ما روى عن أنس أن اليهود كانوا يعتزلون المرأة في حالة الحيض أشد الاعتزال وكانوا لا يؤاكلونها ولا يشاربونها ويخرجونها من البيت فسألوا رسول الله عن ذلك فنزلت الآية ولم يرد بهذا الاعتزال ما كانوا يفعلونه وإنما أراد به الاعتزال بترك الوطء حتى تحل المضاجعة وسائر أنواع المباشرة
وقد روى عن النبي أنه قال اصنعوا كل شيء إلا الوطء
وفيه قول آخر أنه يفعل كل شيء ويجتنب ما تحت الإزار وذلك ما بين السرة والركبة وهو قول الشافعي
ولا تقربوهن أراد به القربان بالوطء فإن قربانها بغير الوطء مباح حتى يطهرن يقرأ مخففا والمراد به حتى يطهرن من المحيض وقرأ أهل الكوفة غير حفص حتى يطهرن مشدد
وقرأ أبي بن كعب وابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ حتى يتطهرن في الشواذ وقوله يطهرن بمعنى يتطهرن إلا أنه أدغم التاء في الطاء ومعناه حتى

تفسير السمعاني ج:1 ص:224
تفسير السمعاني ج 1/ص 225
نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أني شئتم وقدموا لأنفسكم واتقوا الله واعلموا
يغتسلن
قال أبو جعفر النحاس قوله يطهرن على التخفيف قد يكون بمعنى الاغتسال

من فعل الطهارة
والكل حجة الشافعي في وجوب الاغتسال لإباحة الوطء فإنه مد التحريم إليه
وقوله فإذا تطهرن أي اغتسلن فأتوهن من حيث أمركم الله فيه قولان أحدهما
معناه من حيث أمركم الله بالاجتناب في حال الحيض
والثاني ـ وهو قول محمد بن الحنفية ـ معناه من حيث أباح الله وذلك بطريق
النكاح
إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين قيل معناه التوابين من الذنوب
والمتطهرين من العيوب
والقول الثاني معنى التوابين الرجاعين إلى الله بالتوبة والاستغفار ومعنى
المتطهرين المتبرئين من حول أنفسهم وقوتهم

وفيه قول ثالث أن التوابين من التوبة والمتطهرين يعني بالاستنجاء بالماء
وهذا مثل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين يعني
المتطهرين بالاستنجاء بالماء بعد الحجر
قوله تعالى نساؤكم حرث لكم أي موضع حرث لكم ومزدرع وقد قال الشاعر
إذا أكل الجراد حروث قومفحرثي همه أكل الجراد

تفسير السمعاني ج:1 ص:225
تفسير السمعاني ج 1/ص 226
سمى العيال حرثا أنشده المبرد
فأتوا حرثكم أنى شئتم وسبب نزول هذا ما روى جابر أن اليهود قالوا من أتى
امرأته مولية جاء ولده أحول فنزلت الآية
فأتوا حرثكم أني شئتم أي مقبلة ومدبرة وقائمة وقاعدة وكيف شئتم
وقيل معناه متى شئتم
قال ابن عباس معنى قوله أنى شئتم أي إن شئتم فاعزلوا وإن شئتم فلا تعزلوا
قال الشيخ واعلم أن الآية لا تدل على إباحة إتيان النساء في غير المأتي لأنه
قال نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم فخص الإتيان بموضع الحرث وهو القبل
وروى نافع عن ابن عمر أنه كان يبيح إتيان المرأة في الدبر وأنكروا هذا على
نافع وقالوا كذب العبد على سيده ـ عبد الله بن عمر ـ فإنه ما كان يبيحه قط
وحكى ذلك عن مالك أيضا وأنكره أصحابه
وقد ورد عن رسول الله أنه قال إن الله لا يستحي من الحق لا تأتوا النساء في
أدبارهن
وعن ابن عباس أنه قال هي اللوطية الكبرى وقال في العزل هي الموؤدة
الصغرى
وقوله تعالى وقدموا لأنفسكم قال ابن عباس هو التسمية على الوطء وقيل هو

طلب الولد وقيل سائر أفعال الخير

تفسير السمعاني ج:1 ص:226
تفسير السمعاني ج 1/ص 227
أنكم ملاقوه وبشير المؤمنين 223 ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم 224 لا يؤاخذكم الله باللغو في

واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه صائرون إليه وبشر المؤمنين يا محمد
قوله تعالى ـ ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم نزلت الآية في عبد الله بن رواحة كان له ختن على ابنته فحلف أن لا يبره فإذا قيل له ألا تصل ختنك فقال حلفت ـ وكان من أقربائه ـ فنزلت الآية ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن تبروا والعرضة كل ما يعترض فيمنع من الشيء ومعناه ولا تجعلوا الحلف بالله سببا يمنعكم عن البر والتقوى
وقيل معناه لا تستكثروا من الإيمان فإن من كثر يمينه فقد جعل اسم الله عرضة للهتك
وفيه قول آخر معناه ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم أن لا تبروا ولا محذوفة وهذا كما قال الشاعر
فقالت يمين الله أبرح قاعداوإن قطعت رأسي لديك وأوصالي
أي لا أبرح قاعدا
وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم قوله تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم اللغو كل مطرح من الكلام وفي معناه هاهنا خمسة أقوال
أحدها وهو قول عائشة ـ رضي الله عنهاـ قالت يمين اللغو قول الرجل لا والله وبلى والله وإي والله وهذا قول الشافعي
والثاني وهو قول أبي هريرة وابن عباس وهو أن يحلف الرجل على شيء أنه فعله ولم يفعله أو على عكسه وهذا قول أبي حنيفة وقال الشعبي هو اليمين في

تفسير السمعاني ج:1 ص:227
تفسير السمعاني ج 1/ص 228
أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والله غفور حليم 225 للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة أشهر فإن فاءوا فإن الله غفور رحيم 226 وإن عزموا
حال الغضب وقال سعيد بن جبير هو الحلف بتحريم الحلال

وقال زيد بن أسلم هو أن يقول الرجل أعمى الله بصري أو أتلف مالي إن لم أفعل كذا فهذا يمين اللغو والله لا يؤاخذ به ولو يؤاخذ به الناس لعجل عقوبتهم

والأصح ما قالت عائشة لأن الله تعالى يقول ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم وكسب القلب هو القصد بالقلب إلى اليمين فدل أن يمين اللغو ما لم يقصد بالقلب
والله غفور أي ستور حليم وهو الذي لا يعجل بالعقوبة
قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص أربعة اشهر الألية اليمين وكذلك الإيلاء قال الشاعر
قليل الألايا حافظ ليمينهوإن بدرت منه الألية برت
فقوله للذين يؤلون أي يحلفون قال ابن عباس إنما ينعقد الإيلاء إذا حلف على ترك الوطء أبدا ومطلقا ومذهب أبي حنيفة أنه ينعقد الإيلاء بالحلف على أربعة أشهر ومذهب الشافعي أنه إنما يصير موليا بالحلف على أربعة أشهر وهي تربص أربعة اشهر أي انتظار أربعة أشهر
فإن فاءوا أي فإن رجعوا عن اليمين بالوطء في حق من يقدر على الوطء أو بالقول في حق من لا يقدر على الوطء فإن الله غفور رحيم وقرأ أبي بن كعب فإن فاءوا فيهن يعني في المدة وهذا يوافق قول أبي حنيفة
وإن عزموا الطلاق يعني بالإيقاع فإن الله سميع عليم لقول الزوج عليم بما يضمره
ومذهب الشافعي أنه تجوز الفيئة بعد المدة بوقف حتى يفيء أي يطلق وهو

تفسير السمعاني ج:1 ص:228
تفسير السمعاني ج 1/ص 229
الطلاق فإن الله سميع عليم 227والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا مروى عن عمر وعلى وأبي الدرداء ـ رضي الله عنهم ـ
وذهب أبو حنيفة إلى أنها تطلق طلقة بائنة بانقضاء المدة وهو مروى عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ وابن مسعود وعلي في رواية ضعيفة والمسألة في الخلافيات
قوله تعالى والمطلقات يعني المخليات يقال أطلق الأسير وأطلق البعير إذا خلاه
يتربصن بأنفسهن ينتظرن ثلاثة قروء والقرء الطهر وهو قول أهل الحجاز
قال الزهري لم يقل أحد من أهل الحجاز أن الأقراء الحيض إلا سعيد بن المسيب

ومذهب أبي حنيفة أن الأقراء الحيض وهو مروى عن عمر وعلي وابن مسعود وهو قول أهل الكوفة
وقال أبو عمر بن العلاء القرء اسم ينطلق على الحيض وينطلق على الطهر ويذكر بمعناهما أيضا
وأصل القرء الجمع وقيل هو مأخوذ من القرء بمعنى الوقت يقال أقرأت الرياح إذا هبت لوقتها
وقرأت النجوم إذا أفلت ويكون بمعنى طلعت لوقت معلوم
وأنشدوا في الأقراء بمعنى الأطهار قول الأعشى أفي كل عام أنت جاشم غزوةتشد لأقصاها عزيم عزائكا
مورثة مالا وفي الحي رفعة
لما ضاع فيها من قروء نسائكا

تفسير السمعاني ج:1 ص:229
تفسير السمعاني ج 1/ص 230
يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن أرادوا إصلاحا ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم 228 الطلاق مرتان فإمساك
وإنما يضيع في السفر زمان الأطهار لا زمان الحيض لأنهما مضيعة
وقوله تعالى ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن يعني من الحيض والحبل
قال قتادة علم الله تعالى أن يكون في النساء لوائم تقول المرأة حضت ولم تحض وطهرت ولم تطهر وحبلت ولم تحبل
قوله تعالى إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر فإن قيل ما معنى قوله إن كن يؤمن بالله والحكم في الكافرة مثل الحكم في المؤمنة قيل معناه أن هذا من فعل المؤمنات كما يقال إن كنت مؤمنا فأد حقي يعني من فعل المؤمنين أداء الحقوق وقوله وبعولتهن أي أزواجهن أحق بردهن أي برجعتهن في ذلك يعني في تلك المدة إن أرادوا إصلاحا معناه إن أرادوا بالرجعة الصلاح وحسن العشرة ولم يكن قصده الإضرار كما كانوا يفعلون في الجاهلية كان الرجل منهم يطلق امرأته ثم يراجعها إذا أشرفت العدة على الانقضاء ثم يطلقها ثم يراجعها كذلك يقصد به تطويل العدة عليها

ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف قال ابن عباس في معناه إني أحب أن أتزين لامرأتي كما تحب امرأتي أن تتزين لي لأن الله تعالى يقول ولهن مثل الذي

عليهن بالمعروف وفيه قول آخر معناه على الرجل أن يتقي لحقها كما على المرأة أن تتقي لحقه يعني من الحرام
وللرجال عليهن درجة قال مجاهد بالجهاد والميراث وقيل يعني في الطلاق لأن الطلاق بيد الرجال وقال حميد باللحية والله عزيز أي منيع

تفسير السمعاني ج:1 ص:230
تفسير السمعاني ج 1/ص 231
بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما حكيم
قوله تعالى الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان قال عروة بن الزبير كان الناس في الابتداء يطلقون من غير حصر ولا عدد فيطلق الرجل امرأته فلما قاربت انقضاء العدة راجعها ثم طلقها كذلك ثم راجعها وقال لا أخليك تتزوجين أبدا فنزلت الآية الطلاق مرتان ويعني الطلاق الذي يملك عقيبه الرجعة مرتان
فإمساك بمعروف هو الرجعة وقيل هو الإمساك بعد الرجعة للصحبة وقوله بمعروف هو كل ما يعرف في الشرع من أداء حقوق النكاح وحسن الصحبة أو تسريح بإحسان هو أن يتركها بعد الطلاق حتى تنقضي عدتها
وسئل رسول الله أين الطلقة الثالثة فقال أو تسريح بإحسان
ولفظ السراح والفراق صريحان مثل الطلاق عند الشافعي
وقال أبو حنيفة الصريح لفظ واحد وهو الطلاق
وقوله تعالى ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا يعني غصبا وظلما وذلك مثل قوله في سورة النساء وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا وإثما مبينا
وقوله تعالى إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله يعني إنما يحل الأخذ عند

تفسير السمعاني ج:1 ص:231
تفسير السمعاني ج 1/ص 232
إرادة الخلع ووجود الخوف
وقوله إلا أن يخافا يقرأ بفتح الياء وهو المعروف وقرأ الأعمش وحمزة إلا أن يخافا بضم الياء وقرأ ابن مسعود إلا أن تخافوا
أما الأول راجع إلى الزوجين وأما قراءة ابن مسعود فهي خطاب للولاة

والقضاة
وأما قراءة حمزة قيل إنه قصد اعتبار معنى قراءة ابن مسعود ومعناه إلا أن يخاف الزوجان فيعلم الولاة والقضاة وقالوا إنه لم يصب
واختلفوا في معنى هذا الخوف قال أبو عبيدة إمام اللغة الخوف بمعنى العلم
قال أبو إسحاق الزجاج هو على حقيقة الخوف معناه إلا أن يغلب على الظن خوف أن لا يقيما حدود الله
وفيه قول ثالث أن الخوف بمعنى الظن قال الشاعر
أتاني كلام من نصيب يقولهوما خفت يا سلام أنك عائبي
أي ما ظننت
وقوله تعالى فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به أي فيما اختلعت به واختلفوا في الخلع
قال طاوس والربيع بن أنس يختص جواز الخلع بحال خوف النشوز تمسكا بظاهر الآية
وقال الزهري يختص جواز الخلع بقدر ما ساق إليها من المهر حتى لا يجوز بالزيادة وقال الحسن الخلع إنما يجوز للولاة والقضاة تمسكا بظاهر الآية

تفسير السمعاني ج:1 ص:232
تفسير السمعاني ج 1/ص 233
افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون 229 فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فإن طلقها فلا جناح والأكثرون على أن الخلع يجوز بكل حال وبكل قدر تراضيا عليه من الزوجين وغيرهما
وإنما الآية خرجت على وفق العادة في أن الخلع إنما يكون في حال خوف النشوز وهو الأولى أن يؤتى بالخلع في حال النشوز وبقدر المهر

و قوله تعالى ـ تلك حدود الله فلا تعتدوها أي فلا تجاوزوها وحدود الله كل ما منع الشرع من المجاوزة عنه
وقوله تعالى ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ظاهر المعنى
قوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد هو الطلقة الثالثة وحكمها تحريم العقد إلى أن يوجد الزوج الثاني ثم التحليل للزوج الأول إنما يحصل بالعقد والوطء جميعا على قول أكثر العلماء
وحكى عن سعيد بن المسيب ـ وقيل عن سعيد بن جبير ـ أنه يحصل بمجرد النكاح بظاهرة الآية وقد عد هذا من شواذ الخلاف
والدليل على صحة القول الأول ما روى أن امرأة رفاعة القرظي جاءت إلى

رسول الله وقالت إن رفاعة بت طلاقي وتزوجت بعده بعبد الرحمن بن الزبير وإنما معه مثل هدبة الثوب فقال عليه السلام أتريدين أن ترجعي إلى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك فدلت السنة على اشتراط الوطء وهذا خبر صحيح
وقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره فالنكاح بمعنى الوطء ويكون بمعنى

تفسير السمعاني ج:1 ص:233
تفسير السمعاني ج 1/ص 234
عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون 230 وإذ طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب العقد فإن طلقها يعني الزوج الثاني فلا جناح عليهما أن يتراجعا وأراد بالرجعة هاهنا إنشاء النكاح مع الزوج الأول
وقوله تعالى إن ظنا أن يقيما حدود الله يعني إن علما أن يكون بينهما الصلاح وحسن الصحبة
وقوله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون أي يعلمون ما أمر الله به
قوله تعالى وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أي قاربن بلوغ الأجل كما يقال بلغت المنزل إذا قاربه

وقوله فأمسكوهن بمعروف أي راجعوهن بالمعروف
أو سرحوهن بمعروف أو اتركوهن حتى تنقضي العدة
ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا أي لا تقصدوا بالرجعة الضرار بالمرأة كما كانوا يفعلونه ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه أي أضر بنفسه لا بغيره
ولا تتخذوا آيات الله هزوا قالت عائشة ـ وهو الأصح ـ هو النهي عن قصد الإضرار بالرجعة فإن كل من خالف أمر الشرع فهو متخذ آيات الله هزوا وقال أبو الدرداء ـ وهو قول الحسن ـ هو أن الرجل منهم كان يطلق ثم يقول ما كنت جادا ويعتق ثم يقول ما كنت جادا كنت لاعبا
وفيه قول ثالث أنه نهى عن الزيادة على قدر الطلاق الثلاث

تفسير السمعاني ج:1 ص:234
تفسير السمعاني ج 1/ص 235

والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم 231 وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم
وقوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم قال عطاء أراد به نعمة الإسلام
وما أنزل عليكم من الكتاب يعني القرآن والحكمة يعني السنة
يعظكم به يرشدكم به واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم
قوله تعالى وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن أراد ببلوغ الأجل في هذه الآية تمام انقضاء العدة
قوله تعالى فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن والعضل المنع
قال الخليل يقال دجاج معضل إذا نشبت فيها البيضة وامتنعت من الخروج لضيق المخرج ومنه الداء العضال وهو الذي لا يطاق علاجه
وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال أعضل بي أهل الكوفة أي ضيقوا علي وأوقعوا بي في أمر شديد
وأكثر العلماء والمفسرين على أنه خطاب للأولياء نهاهم عن الامتناع من التزويج
وقد قال الشافعي هذا بين أنه دليل على أن المرأة لا تلي عقد النكاح

ونزلت الآية في معقل بن يسار المزني فإنه زوج أخته من رجل فطلقها وتركها حتى انقضت عدتها ثم جاء يخطبها مع الخطاب ورغبت المرأة فيه فقال معقل زوجتك أختي دون غيرك وخطبها أشراف قومي فاخترتك أطلقتها لا أنكحتكها أبدا فنزلت الآية
وفيه قول آخر أنه خطاب للأزواج لأن ابتداء الآية خطاب لهم
ومنع الأزواج هو ما ذكرنا من أن يطلقن ثم يراجع ثم يطلق والأول أصح
و قوله تعالى ـ إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:235
تفسير السمعاني ج 1/ص 236
بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون 232 والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن
بالمعروف لا يؤمن بالله واليوم الآخر إنما خصهم لأن الوعظ إنما يؤثر في المؤمنين
وقوله تعالى ذلكم أزكى لكم وأطهر أزكى لكم أي خير لكم وأطهر أي أصلح
والله يعلم وأنتم لا تعلمون
قوله تعالى والوالدات يرضعن أولادهن هذا خبر بمعنى الأمر

حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة
فالحولان مدة الرضاع فإن قال قائل لم قال كاملين
قيل لأن الحولين قد ينطلق على الحول وبعض الحول الثاني كما في قوله الحج أشهر معلومات أطلق الأشهر على شهرين وبعض الثالث فقال كاملين ليعرف أنه أراد تمام الحولين وقيل إنما قاله تأكيدا
وروى أن امرأة أتت بولد لستة أشهر من وقت النكاح فجاء زوجها إلى عثمان في ذلك فهم عثمان ـ رضي الله عنه ـ برجمها فقال علي لا سبيل لك عليها لأن الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين فإذا ذهب الفصال حولين بقي للحمل ستة أشهر فتركها عثمان ودرأ الحد

وقوله تعالى وعلى المولود له يعني الزوج أبو الولد رزقهن وكسوتهن بالمعروف وذلك نفقة مدة الرضاع لا تكلف نفس إلا وسعها إلا طاقتها

تفسير السمعاني ج:1 ص:236
تفسير السمعاني ج 1/ص 237
تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فإن أراد فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وإن أردتم أن يعني على الموسع بقدر وسعه وعلى المقتر بقدر طاقته
وقوله تعالى لا تضار والدة بولدها بفتح الراء وقرأ أبو عمرو وغيره بضم الراء وقرأ أبان عن عاصم لا تضارر وفي الشواذ فمن قرأ بفتح الراء فمعناه لا تضار المرأة بولدها يعني لا ينتزع الأب ولدها منها فيسلمه إلى غيرها وهي راغبة في الإرضاع
ويحتمل أن معناه أن المرأة لا تضار بولدها فتتركه لغيرها وتمتنع من الإرضاع ومن قرأ بالرفع فهذا أيضا معناه وهو معنى القراءة الثالثة
وقوله تعالى ولا مولود له بولده يعني الأب لا يضر بولده فيسلم إلى غير الأم
وقوله تعالى وعلى الوراث مثل ذلك قال عمر أراد به على غير الوالدين مثل ذلك النفقة وهذا قول أبي حنيفة فإنه يوجب نفقة القرابة على الإخوة والأعمام والقول الثاني أراد بمثل ذلك ترك المضارة وهو قول ابن عباس ولم ير النفقة على غير الوالدين وهذا مذهب مالك والشافعي
وفيه قول ثالث أراد بالوارث هذا الولد عليه نفقته من ماله إن كان له مال
وقوله تعالى فإن أرادا فصالا أي فيما دون الحولين عن تراض منهما يعني من الوالدين وتشاور أي يشاور أهل العلم به حتى يخبروا أن الفصال في ذلك الوقت لا يضر بالولد والمشاورة استخراج الرأي

تفسير السمعاني ج:1 ص:237
تفسير السمعاني ج 1/ص 238

تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير 233 والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن
وقيل إن عمر ركب فرسا يشوره أي يستخرج سيره فعطب تحته فحكم شريحا فقضي عليه بالضمان وقال إنما ركبته سوما فولاه القضاء فقضى بعد ذلك سبعين سنة
وقوله فلا جناح عليهما أي فلا حرج في الفصال قبل تمام الحولين
وقوله وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم أي تستأجروا مرضعة لأولادكم واللام محذوفة ومعناه أن تسترضعوا لأولادكم
وقوله فلا جناح عليكم إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف
يقرأ آتيتم ممدودا ويقرأ أتيتم مقصورا ومعنى الأول إذا سلمتم إلى الأم وما آتيتم أي ما سميتم لها من أجر الرضاع بقدر ما أرضعت ويحتمل التسليم إلى المستأجرة أجرتها إلى الرضاع
ومن قرأ أتيتم فمعناه إذا سلمتم ما أتيتم بالمعروف يعني إذا سلمتم لأمره وانقدتم لحكمه فيما فعلتم من المعروف واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون بصير
قوله تعالى والذين يتوفون منكم قرأ علي يتوفون بفتح الياء ومعناه يستوفون أعمارهم والمعروف بضم الياء ومعناه والذين يموتون ويتوفى آجالهم ويذرون أزواجا أي ويتركون أزواجا والمراد بالأزواج الزوجات
يتربصن ينتظرن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا الآية في عدة الوفاة وهي مقدرة بأربعة أشهر وعشر باتفاق الأمة لنص الكتاب

تفسير السمعاني ج:1 ص:238
تفسير السمعاني ج 1/ص 239
في أنفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير 234 ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكنتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن

وقيل إنما قدر بتلك المدة لحكمة وهي أن الولد يرتكض في بطن الحامل لنصف مدة الحمل وأربعة أشهر وعشر قريب من نصف مدة الحمل والارتكاض بمعنى التحرك ويقال امرأة مركضة إذا تحرك في بطنها قال الشاعر
ومركضة صريحي أبوهايهان لها الغلامة والغلام
وأما قوله وعشرا فهي ليال يقال عشرة أيام وعشر ليال وإنما خص الليالي لأن كل أجل يبتدىء من الليل
وقال المبرد أراد به عشر مدد كل مدة يوم وليلة
وقوله تعالى فإذا بلغن أجلهن أي انقضت عدتهن
فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف يعني فيما فعلن من اختيار الأزواج دون العقد والعقد إلى الولي
وقيل معناه فيما تزين للأزواج زينة لا ينكرها الشرع واتقوا الله واعلموا أن الله بما تعملون خبير
قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء التعريض بالخطبة في أوان العدة جائز والخطبة خطبة العقد يقال خطب يخطب خطبة إذا خطب العقد وخطب يخطب خطبة إذا خطب الناس بكلام معلوم الأول والآخر
وصورة التعريض بالخطبة أن يقول للمرأة إنك لجميلة وإنك علي لكريمة وإني لراغب في النساء أو ما قضى الله يكون ونحو ذلك فهذا لا بأس به في حق المعتدة ولا يجوز التصريح بالخطبة
وقال مجاهد وذلك أن يقول لا تسبقيني بالنكاح أو يقول لا تفوتي على نفسك أو أخطبك حتى إذا حللت أتزوجك ونحو هذا

تفسير السمعاني ج:1 ص:239
تفسير السمعاني ج 1/ص 240
ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه واعلموا أن الله
وقيل إن ذلك يجوز مع الولي بأن يقول له لا تسبقني بالنكاح ونحو ذلك

وإنما لا يجوز التصريح معها والدليل على جواز التعريض بالخطبة ما روى أن سكينة بنت حنظلة تأيمت عن زوجها فدخل عليها أبو جعفر محمد بن علي الباقر وقال تعلمين قرابتي من رسول الله وقرابتي من علي وحقي في الإسلام وشرفي في العرب فقال سكينة أتخطبني وأنا معتدة وأنت أنت ـ يعني منك يؤخذ العلم فقال ما خطبتك ولكن ذكرت منزلتي

ثم روى أن رسول الله دخل على أم سلمة ـ وكانت في عدة زوجها أبي سلمة فذكر ـ عليه السلام ـ كرامته على الله ومنزلته عند الله وكان يذكر من ذلك ويعتمد على يديه حتى أثر الحصير في يديه فهذا كله من التعريض بالخطبة ودل الحديث على جوازه

و قوله تعالى ـ أو أكننتم في أنفسكم أي أضمرتم في أنفسكم أمر النكاح علم الله أنكم ستذكرونهن يعني في أنفسكم ولكن لا تواعدوهن سرا إلا أن تقولوا قولا معروفا في معنى هذا السر أقوال أصحها أنه أخذ ميثاق النكاح مما نهى الشرع عنه في حال العدة

وقيل السر الزنا وقيل هو الوطء قال امرؤ القيس

ألا زعمت بسباسة اليوم أنني كبرت وأن لا يحسن السر أمثالي

يعني الجماع قال الشافعي قوله لا تواعدهن سرا هو أن يصف نفسه بكثرة الجماع ليرغبها في نكاحه

وقوله تعالى إلا أن تقولوا قولا معروفا هو ما ذكرنا من التعريض المباح

قوله ولا تعزموا عقدة النكاح أي لا تحققوا العزم على عقد النكاح في العدة حتى يبلغ الكتاب أجله أي فرض الكتاب لأن العدة من فرض الكتاب

واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه هذا في التحذير عما نهاهم عنه

واعلموا أن الله غفور حليم

تفسير السمعاني ج:1 ص:240

تفسير السمعاني ج 1/ص 241

غفور حليم 235 لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين 236 وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة

قوله تعالى لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة تقديره ولم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضة

هذه الآية في المطلقة قبل الفرض والمسيس وفي الآية دليل على جواز إخلاء النكاح عن تسمية المهر وفيها دليل على وجوب المتعة في الجملة فإنه قال ومتعوهن

قال ابن عباس في المتعة أعلاها خادم وأوسطها الورق وأدناها ثوب للكسوة

قال الشافعي واستحسن في المتعة أن تكون من عشرين درهما إلى ثلاثين

وفي الجملة هي مفوضة إلى اجتهاد الحكام فيوجب على كل واحد تقدير ما يرى على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين

قال شرح هذا إرشاد وندب إلى الإمتاع ولم ير وجوب المتعة وسائر العلماء ذهبوا إلى وجوب المتعة فمذهب علي ـ رضي الله عنه ـ أن لكل مطلقة متعة
وقال ابن عمر لكل مطلقة متعة إلا التي فرض لها زوجها وطلقها قبل الدخول حسبها نصف المسمى وهذا أحد قولي الشافعي
وفيه قول ثالث أنها لا تجب إلا للتي لم يفرض لها وطلقت قبل الدخول
وقوله تعالى وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم هذه الآية في المطلقة بعد الفرض قبل المسيس وجب لها نصف المسمى عند الطلاق قبل الدخول
إلا أن يعفون هذا في الزوجات يقال تعفو تعفوان يعفون ومعنى عفو المرأة هو الفضل بترك النصف الذي وجب لها
أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح قال علي ـ وهو مذهب شريح والشعبي

تفسير السمعاني ج:1 ص:241
تفسير السمعاني ج 1/ص 242

فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفو أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم إن الله بما تعملون بصير 237 حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين 238 فإن خفتم فرجالا أو ركبانا
إن المراد به الزوج وعفوه الفضل بإعطاء تمام المهر
وقال ابن عباس أراد به الولي ـوهو الأليق بنظم الآية ـ ورأى جواز إبراء الولي عن مهر المرأة
وفيه قول ثالث أنه في أب البكر خاصة وله العفو عن مهر ابنته ما دامت بكرا والفتوى على أن ليس إلى الولي من العفو شيء وإنما الآية في الزوج كما قال علي رضي الله عنه
وأن تعفو أقرب للتقوى الخطاب مع الكل ولا تنسوا الفضل بينكم أي أفضال بعضكم على بعض إن الله بما تعملون بصير
قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى أمر بالمحافظة على جميع الأوقات
وأما الصلاة الوسطى ففيها سبعة أقوال أحدها قال عمر وعلي وأبو هريرة وأبو أيوب وعائشة ـ رضي الله عنهم ـ هي صلاة العصر لأنها وسط صلاتي الليل وصلاتي النهار
وعن حفصة أنها قالت لكاتب مصحفها إذا بلغت قوله حافظوا على الصلوات فأعلمني فلما بلغه أعلمها فقالت اكتب والصلاة الوسطى صلاة العصر
وقد صح الخبر عن رسول الله أنه قال يوم الخندق شغلونا عن صلاة الوسطى

ـ صلاة العصرـ ملأ الله بطونهم وقبورهم نارا
والقول الثاني ـ وهو قول زيد بن ثابت ـ أنها صلاة الظهر لأنها وسط النهار

تفسير السمعاني ج:1 ص:242
تفسير السمعاني ج 1/ص 243
والقول الثالث ـ وهو قول ابن عباس وابن عمر وجابر ـ أنها صلاة الصبح وهو اختيار الشافعي لأنها وسط صلاتي الليل وصلاتي النهار
ووراء هذا فيه أربع أقوال غريبة أحدها قاله قبيصة بن ذؤيب أنها صلاة المغرب لأنها وسط في عدد الركعات

والقول الثاني ـ وهو قول سعيد بن المسيب والربيع بن خثيم ـ أنها كل صلاة من الصلوات الخمس لأن كل صلاة من الصلوات الخمس وسطى بين الأربع وإنما خصه بعد ذكر الصلوات تأكيدا وتحريضا على المحافظة على جميع الصلوات
والقول الثالث أنها الجمعة
والقول الرابع أنها الجماعة
واختلفوا في صلاة الصبح أنها من صلاة الليل أو من صلاة النهار
فأكثر العلماء على أنها من صلاة النهار
وقال بعضهم أنها من صلاة الليل وهذا الخلاف يرجع إلى أن النهار من وقت طلوع الفجر أو من وقت طلوع الشمس
فمن قال إنه من وقت طلوع الفجر جعل صلاة الصبح من صلاة النهار
ومن قال إن النهار من وقت طلوع الشمس جعلها من صلاة الليل واستدل قائل هذا القول بقول أمية بن الصلت
والشمس تطلع كل آخر ليلة
حمراء يصبح لونها يتورد
وقال ابن الأنباري ليل محض ونهار محض ومشترك بين الليل والنهار فصلاة المغرب والعشاء الآخرة في محض الليل
وصلاة الظهر والعصر في محض النهار وصلاة الصبح مشترك بين الليل والنهار

تفسير السمعاني ج:1 ص:243
تفسير السمعاني ج 1/ص 244
فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون 239 والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول غير إخراج فإن خرجن

فلا
وفيه قول آخر ـ هو المختار ـ أنه ليل لغة ونهار شرعا
وقوله وقوموا لله قانتين أي مطيعين ساكتين
وذلك أن الكلام كان مباحا في الصلاة في الابتداء فلما نزلت هذه الآية سكتوا والقارئ في الصلاة ساكت عن الكلام ومذهب الشافعي أنه لو حلف لا يتكلم فقرأ القرآن لم يحنث لأنه كلام الله لا كلامه
خلافا لأبي حنيفة قال يحنث
قوله تعالى فإن خفتم فرجالا أو ركبانا هذه في صلاة الخوف يصلون مشاة وفرسانا

وقوله فإذا أمنتم فاذكروا الله كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون يعني كما علمكم من أصل الصلاة في حال الأمن
قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا وصية لأزواجهم يقرأ بالفتح وتقديره أوصوا وصية ويقرأ بالضم وتقديره عليكم وصية وهذا ورد في ابتداء الإسلام حين كانت العدة للوفاة حولا كاملا وكانت نفقة جميع الحول على الزوج واجبة وكان يجب عليه الوصية بالإنفاق إذا مات فهذا معنى قوله وصية لأزواجهم متاعا إلى الحول أي نفقة الحول
وقوله غير إخراج وحرم على الوارث إخراج المعتدة من البيت قبل تمام الحول لكن إذا خرجت بنفسها سقطت نفقتها فنسخ ذلك بآية عدة الوفاة كما سبق وتلك

تفسير السمعاني ج:1 ص:244
تفسير السمعاني ج 1/ص 245
جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم 240 وللمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين 241 كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون 242 ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت
الآية وإن كانت متقدمة في التلاوة ولكنها متأخرة في المعنى وهي ناسخة لهذه الآية
وقيل لعثمان ألا تضع تلك الآية مكان هذه الآية وهذه مكان تلك فقال أكره أن أغير القرآن عن موضعه
وقوله تعالى فإن خرجن فلا جناح عليكم في ما فعلن في أنفسهن من معروف هو ما ذكرنا بعد الفراغ من العدة
وقوله تعالى والله عزيز حكيم ظاهر المعنى
قوله تعالى وللمطلقات متاع بالمعروف أعاد ذكر المتعة تأكيدا

وسبب نزول الآية ما روى أنهم لما سمعوا قوله تعالى متاعا بالمعروف حقا على المحسنين قالوا إن شئنا نمتع وإن شئنا لا نمتع فنزلت هذه الآية
وللمطلقات متاع بالمعروف أي المتعة لهن ملكا جعلها لهن بلام التمليك وقوله حقا على المتقين يعني واجبا على المؤمنين

قوله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته لأنه ذكر فيما قبل كثيرا من الآيات والأحكام فأراد به ذلك وقوله لعلكم تعقلون أي تفهمون وتفقهون
قوله تعالى ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قال ابن عباس كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثمانية آلاف وقال السدي كانوا بضعة

تفسير السمعاني ج:1 ص:245
تفسير السمعاني ج 1/ص 246
فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون 243 وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم 244 من ذا وثلاثين ألفا وفي رواية ابن جريج أربعين ألفا وقال ابن دريد ألوف أي مؤتلفة قلوبهم والصحيح أن المراد به العدد كما بينا
وقوله حذر الموت فقال لهم الله موتوا أي أماتهم الله ثم أحياهم هذا في قوم من بني إسرائيل هربوا من الطاعون وقالوا نذهب إلى أرض ليس بها طاعون فذهبوا فأماتهم اله تعالى هنالك وبقوا سبعة أيام كذلك فمر بهم نبي يقال له حزقيل فدعا الله تعالى فأحياهم قال الحسن البصري أماتهم الله تعالى قبل آجالهم عقوبة لهم ثم أحياهم ليستوفوا آجالهم
وفي القصص أنه بعد ما أحياهم كان يوجد منهم ريح الموت وكذلك من أولادهم
وقوله تعالى إن الله لذو فضل على الناس قيل هو على العموم في حق الكافة في الدنيا وقيل هو على الخصوص في حق المؤمنين وقوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون أما الكفار فلا يشكرون
وأما المؤمنون فلم يبلغوا غاية الشكر
قوله تعالى وقاتلوا في سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم قيل الخطاب مع الصحابة والمعنى فيه أن أولئك القوم لما هربوا من الموت لم ينفعهم الهرب حتى أدركهم الموت فلا تقعدوا وأنتم عن القتال خوفا من الموت بل جاهدوا وقاتلوا في سبيل الله

وقيل الخطاب مع أولئك القوم من بني إسرائيل فإنهم إنما قعدوا عن القتال فأماتهم الله ثم أحياهم وأمرهم بالقتال

تفسير السمعاني ج:1 ص:246
تفسير السمعاني ج 1/ص 247
الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة والله يقبض ويبصط وإليه
قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا القرض هو القطع ومنه المقراض وسمى القرض قرضا لأنه يقطع شيئا من ماله ليكافأ عليه أو يرد عليه مثله
قال لبيد
وإذا جوزيت قرضا فأجزهإنما يجزي الفتى ليس الإبل
فإن قيل كيف يكون الإقراض من الله تعالى قيل معناه يقرض أنبياء الله فقال الضحاك معناه يتصدق لله وسماه قرضا لأن الله تعالى قد وعد الثواب عليه
وقوله تعالى قرضا حسنا يعني حلالا وقيل حسنا أي طيبة نفسه به
وقوله فيضاعفه له أضعافا كثيرة يقرأ بقراءات فيضاعفه بضم الفاء على إتباع قوله يقرض
وقرئ فيضاعفه بفتح الفاء نصبا على جواب الاستفهام ويقرأ فيضعفه بالياء ويقرأ بالنون فنضعفه
ولتضعيف والمضاعفة بمعنى واحد والضعف كل ما زاد على المثل
وقوله أضعافا كثيرة قال السدي كثيرة لا يعلم عددها إلا الله
وقال غيره سبعمائة ضعف
وقوله والله يقبض ويبسط فيه أربعة أقوال

تفسير السمعاني ج:1 ص:247
تفسير السمعاني ج 1/ص 248
ترجعون 245 ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم
أحدهما قال الحسن يقبض بالتقتير ويبسط بالتوسيع
وقال الزجاج يقبض بقبول الصدقة ويبسط بإعطاء الثواب عليه
والقول الثالث يقبض بتقليل الأعمار ويبسط بتكثير الأعمار
والقول الرابع يقبض بالتحريم ويبسط بالإباحة
وقوله تعالى وإليه ترجعون ظاهر المعنى

قوله تعالى ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل من بعد موسى الملأ أشراف كل قوم وفي الخبر أنه لما قتل رءوس المشركين مثل أبي جهل وعتبة وغيرهما يوم بدر قال رجل من الأنصار ما قتلنا إلا عجائز صلعا ـ أي أواخر القوم شيوخا ـ فكره ذلك رسول الله وقال أولئك الملأ من قريش لو رأيتهم هبتهم وإن أمروك أطعتهم واحتقرت فعلك مع فعلهم
وقوله إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قيل ذلك النبي كان اشمويل وقيل كان يوشع بن النون وقيل هو شمعون وسمى بذلك لأن الله تعالى دعاه فسمعه والقصة في ذلك أن بني إسرائيل ظهر عليهم العدو وسبوا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين نفرا ـ وكانوا قد قعدوا عن القتال أربع سنين ـ فجاءوا إلى نبيهم ذلك وقالوا له ابعث لنا ملكا يجتمع أمرنا عليه

تفسير السمعاني ج:1 ص:248
تفسير السمعاني ج 1/ص 249
ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم بالظالمين 246 وقال لهم نبيهم إن الله قد فنقاتل في سبيل الله
وقوله تعالى قال هل عسيتم القراءة المعروفة بفتح السين وقرىء هل عسيتم بكسر السين وهما في المعنى سواء وبالفتح أصوب
وقوله إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا ومعنى الآية لعلكم أن تجبنوا عن القتال فلا تقاتلوا
وقوله قالوا ومالنا ألا نقاتل في سبيل الله أي ما يمنعنا أن نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا لأنهم كانوا أخرجوا من بيت المقدس
وأبنائنا أي أخرجنا من أبنائنا بالسبي والسبي فيه مضمر ومثله قول الشاعر
ورأيت زوجك في الوغىمتقلدا سيفا ورمحا
أي وحاملا رمحا

وقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليهم بالظالمين
وأراد بالقليل أولئك الذين اقتصروا على الغرفة وجاوزوا مع طالوت وسيأتي
قوله تعالى وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا قيل إنه كان سقاء يستسقي على الحمار
وسمى طالوت لطوله لأنه كان أطول من كل أحد برأسه ومنكبه
وقيل كان الرجل منهم إذا رفع يديه وصل إلى رأسه يعني رأس طالوت

تفسير السمعاني ج:1 ص:249
تفسير السمعاني ج 1/ص 250
بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم 247 وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن
وقوله قالوا أني يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه أي كيف يكون له الملك علينا وليس هو من سبط النبوة والملك
وذلك أن سبط النبوة كان سبط لاوي بن يعقوب وهو سبط موسى بن عمران وسبط الملك كان سبط يهوذا وكان طالوت من سبط بنيامين ولم يكن سبط ملك و لا نبوة وذلك أنهم كانوا قد عصوا الله معصية عظيمة فنزع الله منهم النبوة والملك وكانوا يسمون سبط الإثم
وقوله ولم يؤت سعة من المال لأنه كان سقاء كما بينا
قوله تعالى قال إن الله اصطفاه عليكم أي اختاره عليكم
وقوله وزاده بسطة في العلم والجسم أما الزيادة بالجسم معلوم
وأما العلم قيل أراد به علم الحرب ـ وكان طالوت أعلمهم بأمر الحرب ـ وقيل أراد به علم الدين والأول أصح
وقوله والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم فالواسع ذو السعة وهو الذي يعطى عن غني
وأما العليم فقيل العليم والعالم بمعنى واحد ومنهم من فرق بين العليم والعالم فقال العالم بما كان والعليم بما يكون

قوله تعالى وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت طلبوا منه آية على الملك فأخبرهم نبيهم بآية ملكه وذلك إتيان التابوت
قيل هو التابوت الذي كان مع موسى وهارون كانت بنو إسرائيل يخرجون به إلى الغزوات ويستنصرون به

تفسير السمعاني ج:1 ص:250
تفسير السمعاني ج 1/ص 251
يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله

وقيل كان من شجر الشمشاذ وكان ثلاثة أذرع في ذراعين
وفيه قول آخر أنه التابوت الذي أنزله الله تعالى على آدم مع الركن وكان فيه صور الأنبياء
وقوله فيه سكينة من ربكم قال علي ـ رضي الله عنه ـ السكينة لها وجه كوجه الإنسان وهي بعد ريح هفافة
وقال ابن عباس هو طست من ذهب كان يغسل فيه قلوب الأنبياء وقيل هي شيء يشبه الهر له عينان لهما شعاع وله جناحان من الزمرد والزبرجد وكانوا إذا سمعوا صوته تيقنوا بالنصر وكانوا إذا خرجوا بالتابوت إلى الحرب يضعونه قدامهم فإن سار ساروا وإن وقف وقفوا
وقال مجاهد السكينة آية كانوا يسكنون إليها
و قوله تعالى ـ وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون وذلك عصى موسى ونعلاه وعمامة هارون ورضاض الألواح التي تكسرت وقفيز من المن الذي أنزل على بني إسرائيل
وقيل أراد به التوراة كانت في التابوت مما ترك آل موسى وآل هارون يعني موسى وهارون ومثله قول الشاعر
فلا تبك ميتا بعد ميت أجنهعلي وعباس وآل أبي بكر
أي دفنه يعني وأبو بكر
وقوله تعالى تحمله الملائكة قال الحسن كان التابوت مع الملائكة في السماء فلما تولى طالوت الملك حملت الملائكة التابوت ووضعوه بينهم
وقيل إن العمالقة غلبوا على التابوت ودفنوه فأمر الله تعالى الملائكة حتى استخرجوه وحملوه إليهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:251
تفسير السمعاني ج 1/ص 252
الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين 248 فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من
قال ابن عباس إن العمالقة لما غلبوا على التابوت أخذهم الباسور فعلموه أن ذلك عقوبة عليهم من أجل التابوت فشدوه على عجلة وحملوه على ثورين وساقوهما إلى المفازة وتركوه فجاءت الملائكة وساقوا ذلك إلى بني إسرائيل
وقوله تعالى إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ظاهر المعنى
قوله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ابن عباس كان عدد الجنود ثمانين ألفا
وقوله تعالى قال إن الله مبتليكم بنهر وذلك نهر كان بين أردن وفلسطين

ومعناه أن الله ممتحنكم بذلك النهر ليظهر من له نية وقصد في القتال ممن لا نية له
وقوله فمن شرب منه فليس منى قاله طالوت يعني ليس من أهل ولايتي وصحابتي
ومن لم يطعمه فإنه مني أي من لم يذقه قال الشاعر
فإن شئت حرمت النساء سواكموإن شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا
أي لم أذق ماء ولا نوما يقال منع البرد البرد أي منع البرد النوم
وقوله تعالى إلا من اغترف غرفة بيده يقرأ بقراءتين بفتح الغين وضمها والغرفة بفتح الغين المرة والغرفة بضم الغين ملء الكف
وقوله فشربوا منه إلا قليلا منهم قال عكرمة كان عدد القليل الذين اقتصروا على الغرفة أربعة آلاف

تفسير السمعاني ج:1 ص:252
تفسير السمعاني ج 1/ص 253
اغترف غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين 249 ولما برزوا لجالوت
وأكثر المفسرين ـ وهو الأصح ـ على أنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا

قال البراء بن عازب كنا نتحدث أن عدد أصحاب رسول الله ورضى عنهم يوم بدر كانوا على عدة الذين جاوزا مع طالوت وكانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا قال البراء بن عازب ولم يجاوز إلا مؤمن
وفي القصص أنهم لما وصلوا إلى النهر كان قد ألقى الله عليهم العطش فشرب الكل إلا هذا العدد القليل وكل من شرب منهم اسودت شفتاه ولم يرو وبقي على الشط وكل من اقتصر على الغرفة روى وجاوز
وقيل إن الكل جاوزا ولكن حضر بعضهم القتال ولم يحضر البعض
وقوله فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال ابن عباس والسدى إنما قاله الذين انخذلوا ولم يجاوزا وقيل إنما قاله من الذين جاوزوا من قلت بصيرته في الدين دون من قويت بصيرته
و قوله تعالى ـ قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله يعني الذين قويت بصيرتهم يظنون يستيقنون أنهم ملاقو الله وقد ذكرنا الظن بمعنى اليقين وقيل هو على حقيقة الظن يعني الذين يظنون إصابة الشهادة في الوقعة
وقوله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله بقضائه وإدارته

والله مع الصابرين بالنصر والعونة
وقوله ولما برزوا لجالوت وجنوده كان جالوت رئيس تلك العمالقة

تفسير السمعاني ج:1 ص:253
تفسير السمعاني ج 1/ص 254
وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين
250 فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل
وقوله قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا معناه أصبب علينا
وقوله وثبت أقدامنا أي في القتال وانصرنا على القوم الكافرين
قوله تعالى ـ فهزموهم بإذن الله أي كسروهم يقال سقاء مهزم ومنهزم أي متكسر متثن بعضه على بعض

وقوله بإذن الله أي بقضائه وإرادته
وقوله وقتل داود جالوت وفي القصة أن أبا داود حضر الحرب مع ثلاثة عشر نفرا من أولاده كان أصغرهم سنا داود و كان أصاب معه مقلاع وقذافة فبرز جالوت وطلب البراز وخرج إليه داود ورماه بالمقلاع ـ الحجرـ بين عينيه وخرج من قفاه وأصاب قوما آخرين وقتلهم
وقوله وآتاه الله الملك والحكمة جمع لدواد بين الملك والحكمة يعني النبوة قيل بعده بسبع سنين ولم يكن من قبل مجتمعا بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط وقيل الملك والحكمة هو العلم مع العمل
وقوله وعلمه مما يشاء قيل صنعة الدروع وأصوات الطيور والزبور
وقوله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض قرأ نافع ولولا دفاع الله والمعنى واحد
قال ابن عباس ومجاهد معناه لولا دفع الله الكفار بالمؤمنين لكثر الكفر ونزلت السخطة واستؤصلت الأرض

تفسير السمعاني ج:1 ص:254
تفسير السمعاني ج 1/ص 255
على العالمين 251 تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين
252 تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم

درجات
وقال علي وعامة المفسرين إن الله يدفع بالمتقي عن غير المتقي وبالصالح عن الفاجر وبالمصلح عن غير المصلح وبالمؤمن عن الكافر وهو معنى قول النبي لولا مشايخ ركع وبهائم رتع وصبيان رضع لصب عليكم العذاب صبا
وقال رسول الله أن الله يدفع البلاء بالرجل الصالح عن مائة بيت من أهله وجيرانه
وقوله ولكن الله ذو فضل على العالمين ظاهر المعنى
قوله تعالى تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وإنك لمن المرسلين وهي ما ذكر من الآيات
قوله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض هذه الآية في بيان فضل الرسل بعضهم على بعض مع استوائهم في أصل الرسالة

وقوله منهم من كلم الله يعني موسى وقوله ورفع بعضهم درجات يعني محمدا قال الزجاج ما أوتى نبي آية إلا أوتى نبينا مثل تلك الآية وقد أوتى انشقاق

تفسير السمعاني ج:1 ص:255
تفسير السمعاني ج 1/ص 256
وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد 253 يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم القمر وحنين الجذع وكلام الشجر ونبع الماء من بين الأصابع والقرآن العظيم وبعث إلى الأحمر والأسود وغيره من الأنبياء بعث إلى قوم مخصوصين
وقوله وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس قد سبق ذكره
وقوله ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات هذا دليل على القدرية حيث أحالوا الاقتتال على المشيئة
وقوله ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر منهم من تفضل عليه الله فآمن ومنهم من خذله الله فكفر
وقوله ولو شاء الله ما اقتتلوا أعاده ثانيا تأكيدا وقوله ولكن الله يفعل ما يريد ظاهر المعنى
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم قال السدى أراد به الزكاة المفروضة وقال غيره أراد به الإنفاق في سبيل الله وقوله من قبل أن يأتي يوم يعني يوم القيامة

وقوله لا بيع فيه أي لا فدية فيه وسماها بيعا لأن في الفدية شراء نفسه
وقوله ولا خلة فإن قال قائل قد نفى الخلة هاهنا في القيامة وقد قال في آية أخرى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو فأثبت الخلة

وقيل تقديره الأخلاء في الدنيا بعضهم لبعض عدو يوم القيامة وإنما قال ولا خلة ولا شفاعة وذلك أن الكفار كانوا يقولون إن الملائكة أخلاؤنا والأصنام

تفسير السمعاني ج:1 ص:256
تفسير السمعاني ج 1/ص 257
الظالمون 254 الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في
شفعاؤنا فقال لا تنفع خلتهم ولا شفاعتهم
وقوله والكافرون هم الظالمون ظاهر المعنى
قوله تعالى الله لا إله إلا هو ذكره مبالغة في الثناء وهو مثل قولهم لا كريم إلا فلان أبلغ من قولهم فلان كريم
وقوله الحي القيوم قرأ عمر القيام وقرأ علقمة القيم والمعروف القيوم فالحي هو الباقي الدائم على الأبد وهو من الحياة
والحياة صفة الله تعالى وأما القيوم قيل هو القائم على كل أحد بتدبيره في الدنيا
وقيل هو القائم على كل نفس بما كسبت للمجازاة في الآخرة
وقيل هو القائم بالأمور
وقوله لا تأخذه سنة ولا نوم قال المفضل الضبي السنة في الرأس والنوم في القلب فالسنة أول النوم وهو النعاس
ومنهم من فرق بين السنة والنعاس فقال السنة في الرأس والنعاس في العين والنوم في القلب
والنوم غشية ثقيلة تقع على القلب تمنع من المعرفة بالأشياء
وفي الأخبار أن موسى ـ عليه السلام ـ قال يا رب ألك نوم فأوحى الله إليه يا موسى انظر ما تقول خذ قارورتين فأخذهما بيديه فألقى الله عليه النوم فوقعت إحداهما على الأخرى وانكسرتا قال الله تعالى لو كان لي نوم ما قامت سماء ولا أرض
وقوله له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه

تفسير السمعاني ج:1 ص:257
تفسير السمعاني ج 1/ص 258

السماوات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السماوات والأرض
لأنهم زعموا أن الملائكة والأصنام يشفعون لهم فقال من ذا الذي يمكنه الشفاعة إلا برضاه
وقوله يعلم ما بين أيديهم يعني الآخرة وما خلفهم يعني الدنيا وقيل ما بين أيديهم ما قدموا وما خلفهم ما خلفوا
وقوله ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء
الإحاطة العلم بالشيء بجميع جهاته وأنواعه ومعناه ولا يحيطون بشيء من علم الغيب إلا بما شاء يعني إلا بما أخبر به الرسل وهو مثل قوله في سورة الجن فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول
وقوله وسع كرسيه السماوات والأرض قرأ يعقوب الحضرمي وسع كرسيه السماوات والأرض والمعروف هو الأول
واختلفوا في الكرسي قال الحسن هو العرش نفسه وقال أبو هريرة الكرسي موضوع قدام العرش
ومعنى قوله وسع كرسيه السماوات والأرض أي سعته مثل سعة السماوات والأرض وأوسع منه وهو ظاهر في قراءة الحضرمي وفي الأخبار أن السماوات والأرض في جنب الكرسي كحلقة في فلاة والكرسي في جنب العرش كحلقة في فلاة
وفي رواية عطاء عن ابن عباس أن السماوات والأرض في جنب الكرسي كدراهم سبعة على الترس

تفسير السمعاني ج:1 ص:258
تفسير السمعاني ج 1/ص 259
ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم 255 لا إكراه في الدين قد تبين الرشد
من وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه أراد بالكرسي علمه ومثله قول الشاعر مالي بأمرك كرسي أكاتمهولا بكرسي علم الله مخلوقه
ومعناه العلم وقيل هو ملكه وسلطانه قال الزجاج وفي الجملة هو أمر عظيم يدل على كمال قدرته
وقوله ولا يؤده حفظهما قيل هو راجع إلى الله تعالى يعني ولا يثقل عليه حفظ السماوات والأرض

وقيل هو راجع إلى الكرسي وقيل على هذا إن الكرسي تحت الأرض كالعرش فوق السماوات والسماوات والأرض على الكرسي وقيل معلقة بالكرسي
ولا يؤده أي لا يثقل على الكرسي حفظ السماوات والأرض
وهو العلي العظيم يعني بالعلى المتعالي عن الأشياء والأنداد
وقيل العلى بالملك والسلطنة والعظيم الكبير
وقد ورد في فضل آية الكرسي أخبار منها
ما روى عن رسول الله أنه قال لأبي بن كعب أي أعظم في القرآن فقال آية الكرسي فقال عليه السلام ليهنئك العلم أبا المنذر
قوله لا إكراه في الدين قيل سبب نزول الآية أن المرأة من أهل المدينة كان لا يعيش لها ولدا فكانت تنذر وتقول إن عاش لي ولد لأهودنه فإذا عاش لها ولد جعلته بين اليهود فلما جاء الإسلام وأجلى رسول الله بني النضير إلى الشام بقي بينهم عدد من أولاد الأنصار قد هودوا فاستأذنوا رسول الله في استردادهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:259
تفسير السمعاني ج 1/ص 260
الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم 256 الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور فنزلت الآية لا إكراه في الدين فمن شاء منهم أن يدخل في الإسلام فليدخل ومن لم يشأ فلا إكراه في الدين
وقال الشعبي هذا في أهل الكتاب لا يجبرون على الإسلام إذا بذلوا الجزية وفيه قول ثالث أنه كان في الابتداء ثم صار منسوخا بآية القتال
وقوله قد تبين الرشد من الغي أي الحق من الباطل والإيمان من الكفر
وقوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله الطاغوت هو الشيطان وينطلق على الواحد والعدد وقيل كل ما يعبد من دون الله فهو طاغوت
وأما الطاغوت في قوله يريدون أن يتحكموا إلى الطاغوت هو كعب بن الأشرف خاصة

وقوله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها العروة الكوز والدلو والمراد هاهنا بالعروة الوثقى العقد الوثيق المحكم في الدين
قال ابن عباس أراد به كلمة لا إله إلا الله قال مجاهد أراد به الإسلام وقيل هو القرآن ومعناه فقد تمسك بتمسك
لا انفصام لها أي لا انقطاع لها والله سميع بدعائك إياهم إلى الإسلام عليم بحرصك على إسلامهم
قوله تعالى الله ولي الذين آمنوا يعني القيم عليهم بالنصر والمعونة والمثوبة

وقوله يخرجهم من الظلمات إلى النور يعني من الكفر إلى الإسلام وإنما سمى الكفر ظلمات لأن طريق الكفر مشتبه ملتبس وإنما سمى الإسلام نورا لأن طريقه بين واضح

تفسير السمعاني ج:1 ص:260
تفسير السمعاني ج 1/ص 261
والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 257 ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال
وقوله والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أي من الإسلام إلى الكفر
فإن قال قائل كيف يخرجونهم من الإسلام ولم يدخلوا فيه قيل هو في قوم من المرتدين خاصة
وقيل هو على العموم وذلك أنهم لما عدلوا وصرفوا عن الإسلام فكأنهم أخرجوا عنه يقول الرجل لغيره أخرجتني عن صلتك أي لم تعطني ولم تصلني
وقوله أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ظاهر المعنى
قوله تعالى ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه معناه هل انتهى إليك خبر الذي حاج إبراهيم ـ وهو نمروذ ـ قاله قتادة
وهو أول من تجبر في الأرض وادعى الربوبية والمحاجة المجادلة ثم بين المحاجة في سياق الآية
قوله أن آتاه الله الملك أي كانت تلك المحاجة في الربوبية من نظر الملك وطغيانه

وقوله تعالى إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت وفي القصص أن الناس قحطوا على عهد نمروذ وكانوا يتمارون من عنده الطعام وكان إذا أتاه الرجل في طلب الطعام يسأله من ربك فإذا قال أنت باع منه الطعام فجاء إليه إبراهيم فيمن جاء يمتار الطعام فقال له نمروذ من ربك قال ربي الذي يحيي ويميت فأشغل بالمحاجة ولم يعطه شيئا فانصرف عنه إبراهيم ومر بكثيب من الرمل فملأ منه الجواليق تطييبا لقلوب أهله فلما بلغ منزله فإذا فيه الدقيق

تفسير السمعاني ج:1 ص:261
تفسير السمعاني ج 1/ص 262

إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين 258 أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على
وقوله تعالى قال أنا أحيي وأميت هذا قول نمروذ حين قال له إبراهيم ربى الذي يحيى ويميت
قال سفيان إنه دعا برجلين وجب القتل عليهما فقتل أحدهما ولم يقتل الآخر فهذا إحياؤه وإماتته
وقوله قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب
فإن قال قائل لم انتقل إبراهيم من حجة إلى حجة وهذا يكون عجزا قيل كانت الحجة الأولى لازمة ومعارضة نمروذ إياه كانت فاسدة لأنه أراد به الحياة والموت اختراعا ولم يعارضه بمثله لكنه خاف أن يشتبه على السامعين فأتى بحجة أوضح من الأولى مبالغة في الإلزام وقطعا لشغب
وقوله فبهت الذي كفر أي تحير بغلبة الحجة عليه ومنه قول الشاعر
وما هو إلا أن أراها فجأةفأبهت حتى ما أكاد أجيب
فإن قال قائل كيف بهت وكان يمكنه أن يعارض إبراهيم فيقول له سل أنت ربك حتى يأتي بها من المغرب قلنا إنما لم يقله لأنه خاف أن لو سأله ذلك دعا فأتى بها من المغرب فكان زيادة في فضيحته وانقطاعه
والصحيح أن الله صرفه عن تلك المعارضة إظهار للحجة عليه ولتكون معجزة لإبراهيم

وقوله والله لا يهدي القوم الظالمين ظاهر المعنى
قوله تعالى أو كالذي مر على قرية تقديره ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم وإلى الذي مر على قرية
وقيل تقديره هل رأيت كالذي حاج إبراهيم وكالذي مر على قرية

تفسير السمعاني ج:1 ص:262
تفسير السمعاني ج 1/ص 263
عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم
واختلفوا في الذي مر على قرية فقال قتادة هو عزيز النبي وقال وهب هو إرمياء النبي وقال محمد بن إسحاق هو الخضر- عليهم السلام
والصحيح أنه كان عزيز النبي مر على قرية يعني على بيت المقدس
وقوله وهي خاوية على عروشها قيل كانت السقوف ساقطة على الأرض وكانت الجدران متساقطة على السقوف فهي الخاوية على عروشها ومعناه أنها كانت خالية وكان قد خربها بختنصر الملك البابلي

وقوله قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها وفي القصة أن عزيزا مر بها وهو على حمار ومعه التين والعصير فقال إني يحيي هذه الله بعد موتها
فإن قال قائل كيف قال أنى يحيى هذه الله بعد موتها وهذا يكون سببه الشك في قدرته قيل لم يكن شاكا فيه وإنما قال ذلك استبعادا على ما يقال في العادة أي لا يحي هذه الله بعد خرابها
قال عطاء دخل في قلبه ما يدخل في قلوب الناس
وقوله فأماته الله مائة عام ثم بعثه أي أحياه وإنما سمى الإحياء بعثا لأنه إذا أحيي يبتعث للأمور
وفي القصة أنه لما قال تلك المقالة غلبة النوم فقبض الله روحه مئة عام وبعث ملكا عمر بيت المقدس في تلك الأعوام ثم لما أحياه بعث إليه ملكا فسأله كم لبثت
فهذا معنى قوله قال كم لبثت وقوله قال لبثت يوما أبو بعض يوم لأن الله تعالى إنما أماته في أول النهار وبعثه في آخر النهار وقبل غروب الشمس فقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:263
تفسير السمعاني ج 1/ص 264
لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف لبثت يوما ثم نظر إلى الشمس لم تغرب بعد فقال أو بعض يوم قال ـ يعني ـ الملك ـ بل لبثت مئة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه أي لم يتغير فإن التين الذي كان معه لم يتغير كأنه قطف من ساعته وكذلك العصير كأنه عصر من ساعته
قال الكسائي لم يتسنه معناه كأنه لم تأت عليه السنون وقطف من ساعته
وقال مجاهد معناه لم ينتن ومنه قوله تعالى من حمأ مسنون
وقيل أصله لم يتسنن فقلبت إحدى النونين هاء ومثله في كلام العرب كثير مثل يتمطى كان في الأصل يتمطط فقلبت إحدى الطائين ياء وقال الشاعر يقضي البازي إذا البازي انكسر
وكان في الأصل يقضض البازي
وقوله وانظر إلى حمارك قيل فنظر إليه فإذا عظام بيض تلوح نخرة فركب الله تعالى العظام بعضها على بعض وجعله حمارا من عظام ثم أدخل فيه الدم ثم كساه الجلد ثم نفخ فيه الروح فقام الحمار ونهق وهو ينظر إليه فهذا معنى قوله ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزها يقرأ بقرائتين بالراء نحييها وبالزاي يركب بعضها على بعض من النشز وهو الارتفاع
وقوله ثم نكسوها لحما في الآية تقديم وتأخير وتقديرها وانظر إلى حمارك

وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما لنحييها

تفسير السمعاني ج:1 ص:264
تفسير السمعاني ج 1/ص 265
ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير
259 وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن

وقوله ولنجعلك آية للناس وبيان الآية فيه أنه بعث شابا وابنه شيخ
قال علي ـ رضي الله عنه ـ أماته الله وهو ابن خمسين سنة وامرأته حامل ثم بعث بعد مئة سنة وهو ابن خمسين وابنه ابن مئة سنة
وقوله فلما تبين له قال أعلم فلما ظهرت له قدرة الله تعالى على عمارة بيت المقدس وإحياء الموتى قال أعلم يقرأ بقراءتين على الخبر وعلى الأمر أما على الخبر فمعناه علمت أن الله على كل شيء قدير وأما على الأمر قال لنفسه أعلم أن الله على كل شيء قدير
قوله تعالى وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قيل سبب سؤاله ذلك أن إبراهيم مر على حيوان على شط البحر مزقته السباع والوحش وكان يأكل منه حيتان البحر فقال رب أرني كيف تحيي الموتى
وفيه قول آخر أنه لما حجه نمروذ في إحياء الموتى أراد أن يعرف بالعيان ما آمن به بالخبر والاستدلال
وقوله تعالى قال أو لم تؤمن يعني قد آمنت فلم تسأل وهذا مثل قول الشاعر
ألستم خير من ركب المطايا
يعني أنتم كذلك
وقوله قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فإن قال قائل أكان إبراهيم شاكا فيه

تفسير السمعاني ج:1 ص:265
تفسير السمعاني ج 1/ص 266
ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن حتى احتاج إلى السؤال وما معنى قوله عليه السلام نحن أحق بالشك من إبراهيم والجواب أنه لم يكن شاكا فيه ولكنه إنما آمن بالخبر والاستدلال فأراد أن يعرفه عيانا
قال عكرمة ليزداد يقينا على يقين لأن العيان فوق الخبر في ارتفاع العلم وقد

قال عليه السلام ليس الخبر كالمعاينة
وأما قوله ولكن ليطمئن قلبي وذلك أنه لما سأل ذلك تعلق به قلبه فقال ولكن ليطمئن قلبي عن ذلك التعلق

وقيل إنما قال ذلك لأن الله تعالى لما اتخذه خليلا قال ملك الموت يا رب ائذن لي حتى أبشره فبشره بأن الله اتخذك خليلا فأراد أن يريه الله إحياء الموتى تخصيصا له بكرامته ليطمئن قلبه بالخلة
وقيل معناه ولكن ليطمئن قلبي فأعرف أني إذا سألتك أعطيتني وإذا دعوتك أجبتني وأما قوله نحن أحق بالشك من إبراهيم إنما قاله على سبيل التواضع يعني نحن دونه وأحق بالشك منه فإذا لمن نشك نحن فكيف يشك إبراهيم
وقوله تعالى قال فخذ أربعة من الطير قيل هي الطاووس والديك والحمامة والغراب

تفسير السمعاني ج:1 ص:266
تفسير السمعاني ج 1/ص 267
جزاءا ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم 260 مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله
وقوله تعالى فصرهن إليك أي فضمهن إليك وقرأ حمزة بكسر الصاد
وفيه تقديم وتأخير وتقديره فخذ أربعة من الطير إليك فصرهن أي فقطعن
وقوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا قيل جعلها على أربعة أجبل
وقال السدى على سبعة أجبل وقال ابن عباس على أربعة أرباع العالم جزءا على جبل بجانب الشرق وجزءا على جبل جانب الغرب وجزءا على الشمال وجزءا على الجنوب
وفيه قول آخر أنه أراد بقوله اجعل على كل جبل منهن جزءا أي عشرا وكان على عشرة أجبل حتى ذهب بعض العلماء من هذا إلى أنه لو أوصى الإنسان بجزء من ماله ينصرف إلى العشر
وقوله ثم ادعهن يأتينك سعيا وفي القصة أنه جزء تلك الطيور الأربعة وخلط اللحم باللحم والريش بالريش والعظم بالعظم وجعلها على الأجبل
وقيل دقه بالهاون وأخذ رءوسهن بين أصابعه وقيل مناقيرهن ثم دعاهن فكان يطير الريش إلى الريش واللحم إلى اللحم والدم إلى الدم ويركب بعضها على بعض وأتين ساعيات إلى رءوسهن
وقوله تعالى واعلم أن الله عزيز حكيم ظاهر المعنى

قوله تعالى مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله قيل سبيل الله الجهاد

تفسير السمعاني ج:1 ص:267
تفسير السمعاني ج 1/ص 268
يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم 261 الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم
وقيل جميع أبواب الخير سبيل الله
وقوله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة ضربه مثلا للمتقين وما وعد من الثواب على الإنفاق
فإن قال قائل كيف ضرب المثل به وهل يتصور في كل سنبلة مئة حبة
قيل لما كان ذلك متصورا في الجملة صح ضرب المثل به وإن لم يعرف ومثله ما قاله امرؤ القيس
ومسنونة زرق كأنياب أغوال
وناب الغول لا يعرف ولكن لما تصور وجوده بالجملة مثل به وقيل هو يتصور في سنبلة الدخن ونحوه
وقوله والله يضاعف لمن يشاء قيل معناه يضاعف هذه المضاعفة لمن يشاء
وقيل معناه يضاعف على هذا ويزيد لمن يشاء
وقوله والله واسع أي واسع الفضل والرحمة والقدرة يعطي عن سعة
وقوله عليم أي عليم بنية من يعطي
قوله تعالى الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى أما المن فهو أن يقول للفقير أعطيتك كذا وصنعت بك كذا فيعدد عليه نعمه وأما الأذى فهو أن يعير الفقير فيقول له إلى كم تسأل وكم تؤذيني فلا زلت فقيرا ونحو ذلك
وقيل من الأذى أن يذكر إنفاقه عليه عند من لا يريد أن يعرف
وقوله لهم أجرهم عند ربهم أي ثوابهم وقوله ولا خوف عليهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:268
تفسير السمعاني ج 1/ص 269

يحزنون 262 قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غني حليم 263 يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل

ولا يخافون فوات الثواب وقوله ولا هم يحزنون أي على ما أنفقوا إذا رأوا الثواب
قوله تعالى قول معروف قال الحسن هو القول الجميل
وقيل هو أن يعطيه ويبرك له فيقول بارك الله لك فيه أو يمنعه ويدعو له
وقوله ومغفرة هو أن تستر خلته ولا تهتك ستره
وقيل هو أن تعفو عن الفقير إن بدرت منه مساءة أو أذى
وقوله خير من صدقة يتبعها أذى يقول ذلك القول المعروف وتلك المغفرة خير من صدقة يتبعها أذى
وقوله والله غني أي مستغن عن صدقاتكم وقوله حليم أي لا يعجل بالعقوبة إذا منعتم الصدقة
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى قد ذكرنا معناهما
وقيل المن في الصدقة بمنزلة الحدث في الصلاة يبطلها ويحبطها
وقوله كالذي ينفق ماله رئاء الناس أي كإبطال الذي ينفق ماله رئاء الناس لأن الرياء يبطل الصدقة ويحبطها
وقوله ولا يؤمن بالله واليوم الآخر يعني النفقة مع الرياء ليس من فعل المؤمنين
وفي الجملة كل من أتى بالصدقة تقربا إلى مخلوق فلا يكون مؤمنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:269
تفسير السمعاني ج 1/ص 270
فتركه صلدا لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين 264 ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة
وقوله فمثله كمثل صفوان عليه تراب الصفوان الحجر الصلد الأملس
وقوله فأصابه وابل الوابل المطر الشديد العظام القطر

وقوله فتركه صلدا أي أملس لا يقدرون على شيء مما كسبوا ومعنى هذا المثل أن الذي يرائي بالإنفاق يفرق نفقته ولا يفوز بشيء من الثواب كالتراب الذي يكون على الحجر فيصيبه الوابل فيفوت الذي عليه ويبقى أملس بحيث لا يقدر على شيء منه
وقوله والله لا يهدي القوم الكافرين ظاهر المعنى
قوله تعالى ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله أي خالصا لوجه الله

وقوله وتثبيتا من أنفسهم قال قتادة هو أن يكون محتسبا بالإنفاق
وقال الحسن هو أن يثبت من نفسه حتى إن كانت نيته أن يتصدق لله يفعل وإن كانت نيته غيره يمسك وقال الكلبي والشعبي هو أن يتصدق على يقين بالثواب وتصديق بوعد الله فيه
وقوله كمثل جنة بربوة الجنة البستان والربوة المكان المرتفع
وقوله أصابها وابل كما ذكرنا وقوله فآتت أكلها ضعفين أي ثمرها ضعف ما تؤتى غيرها قوله فإن لم يصبها وابل فطل الطل المطر الخفيف الصغار القطر ويكون دائما
ومعنى هذا المثل أن الذي ينفق خالصا لوجه الله تعالى لا تخلف نفقته بل تنمو وتزكو بكل حال كما أن الجنة التي على الربوة لا تخلف بل تنمو وتزكوا بكل حال سواء أصابها الوابل أو أصابها الطل وذلك أن الطل إذا كان يدوم يعمل عمل

تفسير السمعاني ج:1 ص:270
تفسير السمعاني ج 1/ص 271
بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير 265 أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون 266 يا أيها الذين
الوابل الشديد
وقوله والله بما تعملون بصير ظاهر المعنى

قوله تعالى أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء أي صغارا فأصابها إعصارا فيه نار فاحترقت الإعصار ريح ترتفع كالعمود نحو السماء تسميه العرب وسائر الناس زوبعة ومنه قول الشاعر
إن كنت ريحا فقد لاقيت إعصارا
وأما معنى الآية روى أن عمر- رضي الله عنه- سأل الصحابة عن معنى هذه الآية فقالوا الله أعلم فغضب عمر وقال قولوا نعلم أو لا نعلم ونحن نعلم أن الله يعلم فسكتوا وكان ابن عباس فيهم فقال في قلبي شيء فقال له عمر قل ولا تحقر نفسك ضرب مثلا لعمل وروى تمام الكلام فيه - ثم اختلفوا منهم من قال تمام الكلام من عمر ومنهم من قال تمام الكلام من ابن عباس-
وتمامه أن الله تعالى ضرب هذا مثلا للذي يعمل طول عمره عملا ثم يحبطه

برياء أو بشيء في آخر عمره فيفوته ذلك ولا ينفعه في أحوج حال يكون إليه كالذي له بستان ذات أشجار وثمار وأنهار فيدركه الكبر وله عيلة كبيرة وأولاده صغار فلما قرب إدراكه واحتاج إليه أصابته نار فأحرقته فيفوته ذلك ولا ينفق في أحوج حال يكون إليه

تفسير السمعاني ج:1 ص:271
تفسير السمعاني ج 1/ص 272
آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد 267
قوله كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون ظاهر المعنى
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم أي من حلال ما كسبتم وفي هذا دلالة على أن الكسب يتنوع إلى الطيب والخبيث
وقوله ومما أخرجنا لكم من الأرض قيل هو الأمر بإخراج العشور
وقيل هو أمر بإخراج الحقوق التي كانت واجبة في نبات الأرض في الابتداء ثم صارت منسوخة بآيات الزكاة
وقيل هو في صدقات التطوع

وقوله ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون أم وتيمم إذا قصد وأراد بالخبيث الرديء هاهنا أي ولا تقصدوا الرديء منه تنفقون
وسبب نزول الآية ما روى أن أصحاب النخيل على عهد رسول الله كانوا يأتون بقنو فيعلقونه في المسجد ليأكله الفقراء فجاء رجل بقنو حشف أراد ما يكون وعلقه فلم يرضه رسول الله ونزلت الآية ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون
وقوله ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه إلا أن تسامحوا وتساهلوا في أخذه ومعناه أن الحق لو كان لكم على غيركم فجاء به رديئا لا تأخذونه إلا بإغماض فيه فتعتقدون أنكم تركتم بعض حقكم وأغمصتم
وقوله وأعلموا أن الله غني يعطي عن غنى حميد محمود الغنى وفيه دليل على أن الغنى لغير الله مذموم
وقيل الحميد المستحق للحمد

تفسير السمعاني ج:1 ص:272
تفسير السمعاني ج 1/ص 273

الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم 268 يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا
قوله تعالى الشيطان يعدكم الفقر يخوفكم بالفقر و الباء محذوفة
وقوله ويأمركم بالفحشاء أي بأن لا تتصدقوا وتبخلوا ومنه قول طرفة
عقيلة مال الفاحش المتشدد
أي البخيل المتشدد
والبخل داء عظيم قال ولا داء أدوى من البخل
وقوله والله يعدكم مغفرة منه وفضلا مغفرة أي عفو الله وفضلا بالثواب
وقوله والله واسع عليم وقد ذكرنا معناهما
وقوله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء قال ابن عباس وهو حكمة القرآن وهو أن يعرف ناسخه ومنسوخه ومقدمه ومؤخره ومحكمه ومتشابهه وحرامه وحلاله وأمثاله
وقيل هو الفقه في الدين
وقال إبراهيم النخعي هو معرفة معاني الأشياء وفهمها
وفيه قول رابع هو الإصابة فعلا وقولا
وقوله ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب

قرأ يعقوب ومن يؤت بكسر التاء يعني ومن يؤته الله الحكمة

تفسير السمعاني ج:1 ص:273
تفسير السمعاني ج 1/ص 274
كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب 269 وما أنفقتم من نفقة أو أنذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار 270 إن تبدوا الصدقات فنعما هي وإن تخفوها
قيل هذه الحكمة هي الكتابة ومعرفة الخط
وقيل هي العقل وقيل الأمانة
وما يذكر إلا أولوا الألباب أي وما يتفكر إلا أولوا العقول
قوله تعالى وما أنفقتم من نفقة أو أنذرتم فيه قولان أحدهما أن المراد بالنفقة الزكاة المفروضة وأما النذر هو أن ينوي عمل الخير وصدقة التطوع
والقول الثاني أن النفقة هي صدقة التطوع وأما النذر هو ما عرف من نذر اللسان وهو أن يوجب التصدق على نفسه
وقوله فإن الله يعلمه أي يجازي وقال مجاهد يحصيه
وقوله وما للظالمين أي الذين يتصدقون من الغصب والنهب من أنصار جمع النصير أي ما لهم من ينصر ويمنع من العذاب

قوله تعالى أن تبدوا الصدقات معناه إن تظهروا فنعما هي يقرأ بالقراءات بفتح النون وكسر العين ويقرأ بكسرهما وقرأ أبو عمرو بكسر النون وجزم العين ولم يرض ذلك منه نحاة البصرة وقالوا فيه التقاء الساكنين واستشهد أبو عمرو بقوله لعمرو بن العاص نعم المال الصالح للرجل الصالح والكل في المعنى سواء ومعناه نعم خلة هي أو نعم شيء هو
قوله وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قيل هذا في صدقات

تفسير السمعاني ج:1 ص:274
تفسير السمعاني ج 1/ص 275
وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير التطوع والإخفاء فيها أفضل وقد روى عن النبي أنه قال صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعفا

وإما الزكاة المفروضة فالإظهار فيها أفضل وقد قال صدقة العلانية تفضل صدقة السر بخمس وعشرين وهذا في الزكاة والأول في التطوعات
وقيل الآية في الزكاة المفروضة وكان الإخفاء خيرا في الكل على عهد رسول الله فأما في زمننا فالإظهار خير في الزكاة لسوء الزمان كيلا يساء الظن به
وقوله ويكفر عنكم يقرأ بالنون والياء ويقرأ بالرفع والجزم من سيئاتكم قيل من صلة فيه وتقديره ويكفر عنكم سيئاتكم فعلى هذا يكون شاملا للصغائر والكبائر
وفيه قول آخر أن من على التحقيق والتفكير بالصدقات يكون من الصغائر فأما الكبائر فإنما تكفرها التوبة
والأول أقرب إلى أهل السنة وقد قال النبي صدقة السر تطفئ غضب الرب
وقوله والله بما تعملون خبير هذا ظاهر المعنى

تفسير السمعاني ج:1 ص:275
تفسير السمعاني ج 1/ص 276
271 ليس عليكم هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون 272 للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في
قوله تعالى ليس عليكم هداهم ليس المراد به هداية الدعوة فإنها عليه حتم وإنما المراد به هداية التوفيق

قال سعيد بن جبير سبب نزول الآية ما روى أن النبي نهى عن التصديق على المشتركين وإنما كان نهى عنه كي تحملهم الحاجة على الدخول في الإسلام فنزلت الآية فأمر النبي- -بالتصدق على أهل الأديان كلها
ومعناه ليس عليك هداهم بأن تلجئهم وتحملهم على الدخول في الإسلام ولكن الله يهدي من يشاء أي يوفق من يشاء ويخذل من يشاء
قوله وما تنفقوا من خير فلأنفسكم أي تعلمونه لأنفسكم
قوله وما تنفقون إلا ابتغاء وجه الله هذا خبر بمعنى الأمر أي أنفقوا لوجه الله ومعناه ابتغاء مرضاة الله

وقيل هو على المبالغة فإن قول الرجل عملت لوجه فلان أبلغ وأشرف من قوله عملت لفلان فذكرنا شرف اللفظين
وقوله وما تنفقوا من خير يوف إليكم أي يوفر عليكم ثوابه
وأنتم لا تظلمون ظاهر
قوله تعالى للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله يعني تلك الصدقات التي سبق ذكرها للفقراء
قال مجاهد أراد به فقراء المهاجرين من مكة
وأما قوله أحصروا في سبيل الله فيه ثلاثة أقوال
أحدها قال ابن عباس يعني حبسهم العدو والفقر عن سبيل الله والجهاد فصاروا محصورين عنه

تفسير السمعاني ج:1 ص:276
تفسير السمعاني ج 1/ص 277
الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا
وقال سعيد بن المسيب أراد به أنهم خرجوا إلى الحرب فأصابتهم جراحات فصاروا محصرين عن الجهاد بسبب الجراحات
وقال قتادة- وهو أحسن الأقوال- معناه أنهم حبسوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وتركوا الخروج للتجارة والمعاش ووقفوا أنفسهم على الحرب
وقد ورد ذلك في أهل الصفة كانوا قريبا من أربعمائة نفر اجتمعوا في مسجد رسول الله وكانوا لا يأوون إلى أهل ولا إلى مال وكان يبعث الناس إليهم بفضل قوتهم وكانوا وقفوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله وقالوا لا تخرج سرية إلا ونخرج معها فهذا معنى قوله أحصروا في سبيل الله
وقوله لا يستطيعون ضربا في الأرض هذا على القولين الأولين يرجع إلى الضرب في الأرض للجهاد

وعلى القول الثالث هو الضرب في الأرض للمعاش والتجارة
وقوله يحسبهم الجاهل قال قال مجاهد ليس المراد بهذا الجاهل خلاف العالم وإنما هو الذي لا خبرة له ولا معرفة بحالهم
وقوله أغنياء من التعفف يعني من القناعة التي لهم يظنهم من لم يعرفهم أغنياء
قوله تعرفهم بسيماهم قيل بالتخشع الذي كان لهم
وقال الضحاك بصفرة الألوان

وقال ابن زيد برثاثة الثياب
وقيل أثر الجوع والجهد
وقوله لا يسألون الناس إلحافا أي إلحاحا

تفسير السمعاني ج:1 ص:277
تفسير السمعاني ج 1/ص 278
وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم 273 الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا
وقيل أصله من إلحاف فالإلحاف السؤال على العموم كأنه يسأل كل من يلقى وفيه قول آخر أنه أراد به ترك السؤال أصلا فإنه إذا سأل فقد ألحف يعنى لا يسألون أصلا
والدليل عليه أنه قال أغنياء من التعفف وإذا سأل لا يكون متعففا وقد روى عن النبي أنه قال من سأل وعنده أوقية فقد ألحف يعني عنده أربعون درهما
وروى عن النبي أنه قال لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من يسأل الناس أعطى أو منع
وقوله وما تنفقوا من خير فإن الله به عليم ظاهر المعنى
وقوله تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية
قال ابن عباس هذا في علي ابن أبي طالب كانت له أربعة دراهم فتصدق بدرهم بالليل ودرهم بالنهار ودرهم في السر ودرهم في العلن فنزلت الآية رضا بفعله وثناء عليه
وقيل أراد بالنفقة هاهنا النفقة على الخيل في سبيل الله فإنها تعتلف من تلك النفقة ليلا ونهارا وسرا وعلانية والنفقة على الخيل في سبيل الله باب عظيم في

تفسير السمعاني ج:1 ص:278
تفسير السمعاني ج 1/ص 279
وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون 274 الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف
الخير وقد ورد في الحديث أنه يؤجر بأوراثها وأبوالها

(1/205)

وقوله تعالى فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ظاهر المعنى
قوله تعالى الذين يأكلون الربا أي يأخذون فعبر بالأكل عن الأخذ لأنه يؤخذ ليؤكل
وقوله لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
الخبط ضرب على غير استواء يقال فلان يخبط خبط عشواء إذا كان يسلك طريقا لا يهتدي إليه ومنه قول الشاعر
رأيت المنايا خبط عشواء من تصبتمته ومن تخطيء يعمر فيهرم
ومعناه أن آكل الربا يحشر يوم القيامة كمثل السكران يقوم تارة ويقع أخرى
وقيل هو من تخبط الشيطان وذلك أن يدخل الإنسان فيصرعه
والمس الجنون والخبط أول الجنون ومعناه أنه يحشر يوم القيامة كمثل المصروع وذلك علامة أكلة الربا يوم القيامة
وقوله ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا أراد بهم ثقيف فإنهم قالوا إنما البيع مثل الربا

تفسير السمعاني ج:1 ص:279
تفسير السمعاني ج 1/ص 280
وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 275 يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم 276 إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون 277 يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين 278 فإن
وأحل الله البيع وحرم الربا هذا جوابهم
وقوله فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى يعني من أكل الربا
فله ما سلف أي مغفورا له ما سلف منه وأمره إلى الله ومن عاد إلى أكل الربا فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

قوله تعالى يمحق الله الربا أي يذهب بركة المال فإن للحلال بركة وليست للحرام بركة
وقيل معناه يبطل الصدقة من الربا ويربي الصدقات ويكثر الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم فالكفار عظيم الكفران والأثيم كثير الإثم

قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقد سبق تفسيره
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين نزل هذا في ثقيف وبني مخزوم تنازعوا إلى عتاب بن أسيد قاضي مكة فقالت ثقيف إنما أسلمنا على أن ما علينا من الربا موضوع وما لنا باقي فكتب بذلك عتاب إلى رسول الله فنزلت الآية فبعث رسول الله بالآية إلى عتاب ليقرأ عليهم
وقوله إن كنتم مؤمنين يعني ترك الربا من فعل المؤمنين

تفسير السمعاني ج:1 ص:280
تفسير السمعاني ج 1/ص 281
لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون 279 وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم
وقيل معناه إذا كنتم مؤمنين
والآية في إبطال ربا الجاهلية وذلك أنهم كانوا يدينون الناس بشرط أن يزيدوا في الدين عند الأداء وكان يقرض الرجل غيره ويضرب له أجلا ثم عند حلول الأجل يقول له زدني في الدين حتى أزيدك في الأجل فهذا كان ربا الجاهلية وهو حرام
وقوله تعالى فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله أي فأيقنوا به ويقرأ ممدودا فآذنوا بحرب من الله أي أعلموا غيركم أن يتركوا الربا إنكم حرب الله ورسوله فإذا علمتم فقد علمتم
وإن تبتم أي تركتم استحلال الربا ورجعتم عنه فلكم رءوس أموالكم أبطال الزيادة وجعل لهم أصل المال
وإنما قال وإن تبتم فلكم رءوس أموالكم لأنهم ما داموا على استحلال الربا كان ما لهم فيئا ليس لهم أصله ولا فرعه
لا تظلمون ولا تظلمون أي لا تظلمون بطلب الزيادة ولا تظلمون بنقصان حقكم في أصل المال

قوله تعالى وإن كان ذو عسرة فنظر إلى ميسرة قرأ أبي بن كعب وإن كان من عليه الدين ذا عسرة وقرأ عطاء فناظرة إلى ميسرة
والمعروف وإن كان ذو عسرة أي وإن وقع ذو عسرة أو وإن كان ذو عسرة غريما لكم فنظر إلى ميسرة أي فأنظروه إلى اليسار
وقرأ نافع إلى ميسرة بضم السين وهو مثل الأول في المعنى

تفسير السمعاني ج:1 ص:281
تفسير السمعاني ج 1/ص 282
تعلمون 280 واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون 281 يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب
وروى أبو اليسر عن النبي - عليه السلام - أنه قال من أنظر معسرا أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله
وروى أبو هريرة عن النبي أنه قال كان فيمن قبلكم رجل يداين الناس فقال لفتاه إذا كان معسرا فتجاوز عنه لعل الله يتجاوز عنا فلقى الله فتجاوز عنه والخبر في الصحاح
وإن تصدقوا يعني بترك أصل المال الذي أعطيتموه قرضا خير لكم إن كنتم تعلمون
قوله - تعالى واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله قال ابن عباس هذه آخر آية نزلت على رسول الله
قال ابن جريج إنما عاش بعدها سبع ليال وفي رواية تسع ليال
ويروى أن جبريل - صلوات الله عليه - لما نزل بهذه الآية قال ضعها على رأس مائتين وثمانين آية من سورة البقرة وهذه الآية مسجلة سجلها الله على الخلق كافة
ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون وهو ظاهر المعنى
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين قال ابن عباس أشهد أن السلف المضمون المؤجل في كتاب الله قد أنزل فيه أطول آية وتلا هذه الآية
وقوله تداينتم بدين أي تعاملتم بالدين يقال داينته إذا عاملته بالدين

فإن قيل قوله تداينتم يغني عن المعاملة بالدين فلم قال تداينتم بدين قيل لأن العرب تقول تداينا - أي تعاطينا وتجازينا وإن لم يكن في الدين فقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:282
تفسير السمعاني ج 1/ص 283
بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا
تداينتم بدين ليعرف المعنى المراد من اللفظ ويحتمل أنه قاله تأكيدا إلى أجل مسمى الأجل مدة معلومة الأول والآخر وهذا يشتمل على الأجل في السلم والأجل في الثمن والأجل في القرض ولم يجوز أكثر العلماء الأجل في القرض وجوزه بعضهم
فاكتبوه قيل هو على الوجوب وهو قول مجاهد
وقال الشعبي إنما يجب الكتب إذا وجد ممن يكتب والأصح أنه على الندب
وقال أبو سعيد الخدري هذا الأمر منسوخ بقوله تعالى فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي أؤتمن أمانته
وقوله وليكتب بينكم كاتب بالعدل الكتابة بالعدل هو أن يكتب من غير زيادة ولا نقصان ولا تقديم في الأجل ولا تأخير
ولا يأب كاتب أن يكتب قيل الكتابة واجبة على الكتبة لظاهر الآية والأصح أنه على الندب
كما علمه الله فليكتب أي كما شرعه الله فليكتب
وليملل الذي عليه الحق الإملال والإملاء بمعنى واحد
والإملال لغة قريش وبني أسد والإملاء لغة قيس وتميم وهما مذكوران في القرآن فالإملال ها هنا والإملاء في قوله فهي تملى عليه بكرة وأصيلا
وليتق الله ربه يعنى المملى ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص من الحق شيئا
وقوله فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أما السفيه قال مجاهد

تفسير السمعاني ج:1 ص:283
تفسير السمعاني ج 1/ص 284

يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تظل إحداهما فتذكر إحداهما
الجاهل
وقال الزجاج هو خفيف العقل ويشتمل هذا على المرأة والصغير ونحوه ومنه قول الشاعر

مشين كما اهتزت رماح تسفهتأعاليها مر الرياح النواسم
وقيل السفيه الصغير ومذهب الشافعي أنه المبذر المفسد لماله
وأما الضعيف هو ضعيف العقل من عته أو جنون
أو لا يستطيع أن يمل هو أي لا يقدر على الإملال من خرس أو عمى
فليملل وليه بالعدل يعنى ولى هؤلاء
أما من لم يجوز الحجر على السفيه - كالنخعي وابن سرين وغيرهما - قالوا
أراد بالولى صاحب الحق يعني إن عجز من عليه الحق من الإملال فليملل الذي له الحق
واستشهدوا شهيدين من رجالكم أي وأشهدوا
فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان يعني فإن لم يكن الشاهدان رجلين فرجل وامرأتان
ممن ترضون من الشهداء وهم أهل الفضل والدين قاله ابن عباس أن تضل إحداهما أن تنسى وتغفل إحداهما وذلك بأن يغيب حفظها عن الشهادة أو تغيب الشهادة عن الحفظ
فتذكر إحداهما الأخرى وذلك بأن تقول ألسنا حضرنا مجلس كذا ألم نسمع كيت وكيت

تفسير السمعاني ج:1 ص:284
تفسير السمعاني ج 1/ص 285
الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة
وقرأ حمزة إن تضل فتذكر إحداهما الأخرى على الشرط
قال سفيان بن عيينة فتذكر إحداهما الأخرى معناه تجعل إحداهما الأخرى ذكرا أي يقومان مقام الذكر والأول أصح
ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا قيل أراد به إذا ما دعوا للتحمل وإنما سماهم شهداء على معنى أنهم يكونوا شهداء وقيل هو الدعاء إلى الشهادة

ولا تسأموا أي لا تملوا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله يعنى الذي قل أو كثر ذلكم أقسط عند الله أعدل عند الله وأقوم للشهادة لأن الكتبة تذكر الشهود وأدنى ألا ترتابوا أي أن لا تشكوا إلا أن تكون تجارة حاضرة قرأ بضم التاء على اسم كان وقرأ بفتح التاء يعني إلا أن تكون التجارة تجارة حاضرة ومثله قول الشاعر
فدى لبني ذهل بن شيبان ناقتيإذا كان يوما ذا كواكب أشهبا

يعني إذا كان اليوم يوما
تديرونها بينكم يعني إذا كانت التجارة يدا بيد

تفسير السمعاني ج:1 ص:285
تفسير السمعاني ج 1/ص 286
تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم 282 وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فإن آمن بعضكم بعضا
فليس عليكم جناح ألا تكتبوا وأشهدوا إذا تبايعتم أمر به استحبابا
ولا يضار كاتب ولا شهيد قرأ عمر ولا يضارر وقرأ ابن مسعود ولا يضارر والمعروف ولا يضار وهذا يحتمل أن يكون نهيا للكاتب والشاهد عن الإضرار ويحتمل أن يكون نهيا للمملي والداعي
فأما إضرار الشهود والكاتب أن يأبى الكتابة و الشهادة إذا دعي إليها وأما الإضرار بالكاتب والشهود أن يدعوه وهو مشغول فيمنعه من شغله
قوله تعالى وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم أي معصية منكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم
قوله تعالى وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا قرأ عطاء ولم تجدوا كتابا وهو جمع الكاتب كما يقال قائم وقيام ونائم ونيام
فرهن مقبوضة ويقرأ فرهان مقبوضة والمعنى واحد
وحكم الرهن معلوم وليس ذكر السفر وعدم الكاتب على سبيل الشرط في جواز الرهن وإنما خرج الكلام على الأعم الأغلب

فإن أمن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن أمانته يعني إن ائتمنه في الدين فليقضه على الأمانة
وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة نهى الشهود عن كتمان الشهادة وهو

تفسير السمعاني ج:1 ص:286
تفسير السمعاني ج 1/ص 287
فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه والله بما تعملون عليم 283 لله ما في السموات ما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء

والله على كل
حرام
ومن يكتمها فإنه آثم قلبه قيل ما أوعد الله تعالى على شيء كإيعاده على كتمان الشهادة فإنه قال فإنه آثم قلبه وأراد به مسخ القلب ونعوذ بالله والله بما تعملون عليم
قوله تعالى لله ما في السموات وما في الأرض ملكا وملكا وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله هذا منسوخ فإنه روى لما نزلت هذه الآية شق ذلك على المسلمين وقالوا يحاسبنا الله بما نحدث به أنفسنا وبقوا في ذلك حولا كاملا فنزل قوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها فصار هذا منسوخا به
هذا قول أبي هريرة وابن مسعود وابن عمر وفي إحدى الروايتين عن أبن عباس
وقد قال النبي إن الله تعالى عفى عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تكلم به أي تتكلم به
وقال أهل الأصول هذا ليس بمنسوخ لأن قوله يحاسبكم به الله خبر والنسخ لا يرد على الأخبار وإنما يرد على الأوامر و النواهي
وقد روى الوالبي عن ابن عباس - في الرواية الثانية - أن معنى قوله يحاسبكم به الله أي يعلمكم به أي لا يخفي عليه شيء من ذلك

تفسير السمعاني ج:1 ص:287
تفسير السمعاني ج 1/ص 288

شيء قدير 284 آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير 285 لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا
فيغفر لمن يشاء أي يغفر للمؤمنين ويعذب من يشاء يعني الكافرين والله على كل شيء قدير
قوله تعالى آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون لأنه ذكر الآيات والأحكام ثم قال آمن الرسول بذلك كله
والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله
وقرأ يعقوب لا يفرق بالياء أي لا يفرق الرسول بين أحد من رسله
وقالوا سمعنا وأطعنا أي قبلنا غفرانك ربنا أي اغفر غفرانك أو أعطنا غفرانك

ربنا و إليك المصير أي المرجع
قوله تعالى لا يكلف الله نفسا إلا وسعها أي طاقتها
وقيل ما يشق عليها وهو مثل قول الرجل لا أستطيع أن أنظر إلى فلان أي يشق علي أن أنظر إليه فكذلك ذكر الوسع بمعنى السهولة أي لا يكلف الله نفسا إلا ما يسهل عليها
وهذه الآية هي الناسخة لما بينا
لها ما كسبت أي من الخير وعليها ما اكتسبت أي من الشر
ربنا لا تؤاخذنا أن نسينا أي تركنا وقيل هي على حقيقة النسيان
أو أخطأنا الخطأ يكون بمعنى العمد ويكون على حقيقة الخطأ يقال أخطأ يخطىء و خطأ يخطأ والمراد بقوله ها هنا أو أخطأنا أي تعمدنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:288
تفسير السمعاني ج 1/ص 289
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وأغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين 286
ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا
قيل هو العهد الثقيل الذي حمل من قبلنا

وقيل لا تحمل علينا ما يشق علينا
وقيل الإصر هو ذنب لا توبة له أي اعصمنا من ذنب لا تقبل له توبة
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به في هذا دليل على أن الله تعالى يجوز أن يحمل العباد مالا يطيقونه لكنه إنما حمل الكفار ما لا يطيقونه ولم يحمل المؤمنين
واعف عنا أي امح عنا واغفر لنا أي استر علينا وارحمنا أي ارحم علينا
أنت مولانا أنت ناصرنا والقيم بأمورنا فانصرنا على القوم الكافرين وقد ورد في فضل الآيتين أخبار منها ما روى عن النبي أنه قال من قرأ في ليلة بآيتين من آخر سورة البقرة كفتاة
وروى أنه قال - عليه السلام - هما آيتان أنزلتا على من كنز تحت العرش و وآله أجمعين

تفسير السمعاني ج:1 ص:289
تفسير السمعاني ج 1/ص 290
تفسير سورة آل عمران وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الأجل - رضي الله عنه - لقد ورد في فضل هذه السورة وسورة البقرة أخبار منها ما روي عن رسول الله أنه قال تعملوا البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان تظلان صاحبهما يوم القيامة
وروى عنه أنه قال تجيء البقرة و آل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف

تفسير السمعاني ج:1 ص:290
تفسير السمعاني ج 1/ص 290
تفسير سورة آل عمران وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الإمام الأجل - رضي الله عنه - لقد ورد في فضل هذه السورة وسورة البقرة أخبار منها ما روي عن رسول الله أنه قال تعملوا البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان تظلان صاحبهما يوم القيامة
وروى عنه أنه قال تجيء البقرة و آل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف

تفسير السمعاني ج:1 ص:290
تفسير السمعاني ج 1/ص 290
تفسير سورة آل عمران وهي مدنية بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ الإمام الأجل - رضي الله عنه - لقد ورد في فضل هذه السورة وسورة البقرة أخبار منها ما روي عن رسول الله أنه قال تعملوا البقرة وآل عمران فإنهما الزهروان تظلان صاحبهما يوم القيامة
وروى عنه أنه قال تجيء البقرة و آل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طير صواف

تفسير السمعاني ج:1 ص:290
تفسير السمعاني ج 1/ص 291
الم 1 الله لا إله إلا هو الحي القيوم 2 نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل 3 من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن
قوله تعالى آلم الله
فالألف هو الله واللام جبريل والميم محمد وفيه إشارة لما أنزل الله على

لسان جبريل على محمد
وقد ذكرنا الأقوال في حروف التهجي
وإنما فتح الميم عند الوصل وإن كان الساكن إذا حرك حرك إلى الكسر لأنهم استثقلوا الكسرة بعد الجزم والياء فيه جزم
لا إله إلا هو لا معبود سواه الحي القيوم فالحي الدائم الذي لا يزل
وأما القيوم فقد سبق تفسيره وقيل هو الذي لا يزول ولا يحول وقال جعفر بن محمد بن الزبير هو دائم الوجود وقرأ عمر وابن مسعود الحي القيام وهو في الشواذ
قوله تعالى نزل عليك الكتاب بالحق الكتاب القرآن وسمى كتابا لأنه يجمع الآي والحروف وهو من الكتب وهو الجمع ومنه الكتيبة و هي السرية لاجتماعهم ومنه يقال كتبت البغلة إذا جمع بين شفريها بحلقة وقوله بالحق أي بالصدق في الدلالات و الإخبارات والوعد و الوعيد
وقوله مصدقا لما بين يديه يعني القرآن مصدق لما قبله من التوراة والإنجيل

وإنما قال لما بين يديه لأنه في تصديق ما قبله وإظهار صدقه كالشيء الحاضر بين يديه
وأنزل التوراة و الإنجيل من قبل هدى للناس

تفسير السمعاني ج:1 ص:291
تفسير السمعاني ج 1/ص 292
الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام 4 إن الله لا
فذكر ها هنا أنزل وذكر في الابتداء نزل الكتاب لأنه أنزل التوراة جملة والإنجيل جملة ونزل القرآن مفصلا
وأما التوراة أصلها وورية من الورى من قولهم ورى الزند إذا أضاء وخرجت ناره ويقال ورى زندي عند فلان إذا أضاء أمره عنده
فسمى وورية لضيائها وكونها نورا وقلبت الواو تاء فصارت تورية وأما الإنجيل من النجل وهو الأصل فسمي به لأنه كان أصلا من الأصول في العلم
وأنزل الفرقان قيل هو القرآن وهو المفرق بين الحلال والحرام وقيل كل ما أنزل الله فهو فرقان لكونه مفرقا بين الحلال والحرام وفي الآية تقديم وتأخير وتقديره وأنزل التوراة و الإنجيل من قبل وأنزل الفرقان هدى للناس
قوله تعالى إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد نزلت في وفد نجران من النصارى قدموا على رسول الله وفيهم السيد والعاقب كانا رجلين منهم وهم ستون راكبا وقيل قريبا من عشرين راكبا فدخلوا المسجد والنبي قد صلى العصر فوقفوا يصلون نحو المشرق صلاتهم فلما فرغوا سألهم رسول الله عن عيسى فاختلفوا فيه فقال بعضهم الله وقال بعضهم ابن الله وقال بعضهم ثالث

ثلاثة فقال أسلموا فقالوا نحن مسلمون فقال كذبتم يمنعكم من ذلك قولكم عيسى ولد الله فأنزل الله تعالى فيهم بضع وثمانين آية من أول سورة آل عمران في الحجاج والدلالة عليهم ورد قولهم وهذه الآية من جملها نزلت فيهم والله عزيز ذو انتقام فالعزيز المنيع الذي لا يقدر عليه ومنه الأرض العزاء

تفسير السمعاني ج:1 ص:292
تفسير السمعاني ج 1/ص 293
يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء 5 هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم 6 هو الذي أنزل عليك الكتاب منه وهي الصلبة الشاقة المسلك وقيل العزيز الغالب الذي لا يفوته شيء ومنه يقال من عز بز أي من غلب سلب والمنتقم المعاقب على الجناية والنقمة العقوبة
قوله تعالى إن الله لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء وهذا لا شك فيه
هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء هذا في الرد على وفد نجران حيث قالوا عيسى ولد الله فكأنه يقول هو الذي صوره في الرحم فكيف يكون ولد له وقد روى عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال إن النطفة إذا وقعت في الرحم تكون أربعين يوما نطفة ثم أربعين يوما علقة ثم أربعين يوما مضغة ثم يبعث الله تعالى ملكا يأخذ ترابا بين أصبعيه فيخلطه بالمضغة ثم يصوره بإذن الله كيف شاء أحمر أو أسود أو أبيض طويلا أو قصيرا حسنا أو قبيحا ثم يكتب رزقه وعمله وأثره وأجله وشقى أو سعيد ثم إذا مات يدفن في التربة التي أخذ منها التراب 6لا إله إلا هو العزيز في أمره الحكيم في سلطانه
قوله تعالى هو الذي أنزل عليكم الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات اختلفوا في المحكمات و المتشابهات قال ابن عباس المحكمات هي الآيات الثلاث التي في آخر سورة الأنعام وذلك قوله قل تعالوا إلى

تفسير السمعاني ج:1 ص:293
تفسير السمعاني ج 1/ص 294
آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون

آخر الآيات الثلاث وأما المتشابهات حروف التهجي في اوائل السور وقال عكرمة ومجاهد المحكمات الحلال والحرام وما سواه كله من المتشابهات لأنه يشبه بعضها بعضا في الحق والتصديق يصدق بعضه بعضها
وقال الضحاك المحكمات الناسخات و المتشابهات المنسوخات
وقال جابر بن عبد الله الأنصاري المحكمات ما أوقف الله تعالى الخلق على معناها والمتشابهات ما لا يعقل معناها ولا يعلمها إلا الله وفيه قولان آخران أحدهما أن المحكمات ما لا يشتبه معناها و المتشابهات ما يشتبه ويلتبس معناها والقول الثاني أن المحكمات ما يستقل بنفسه في المعنى والمتشابهات ما لا يستقل بنفسه في المعنى إلا بنوع استدلال أو رد إلى غيره وإنما سميت محكمات من الإحكام كأنه أحكمها فمنع الخلق من التصرف فيها لظهورها ووضوح معناها
هن أم الكتاب أي أصل الكتاب فإن قال قائل لم لم يقل هن أمهات الكتاب قيل قال الفراء تقديره هن الشيء الذي هو أصل الكتاب وقال غيره معناه كل واحدة منهن أصل الكتاب كما يقال القوم أسد على أي كل واحد منهم أسد على ومعناه هن أصل الكتاب لأن الخلق يفزعون إليه كما تفزع الفروع إلى الأصول فإن قال قائل كيف فرق ها هنا بين المحكمات والمتشابهات وسمى كل القرآن متشابها في قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها وسمى الكل محكما حيث قال الر كتاب أحكمت آياته قلنا لما ذكر هنالك كتابا متشابه على معنى أنه يشبه بعضه بعضا في الحق والصدق وإنما ذكر في الموضع الآخر أحكمت آياته على معنى أن الكل حق وجد ليس فيه

تفسير السمعاني ج:1 ص:294
تفسير السمعاني ج 1/ص 295
عبث ولا هزل ثم ذكر تفصيلا آخر بعده فجعل البعض محكما و البعض متشابها

فأما الذين في قلوبهم زيغ قال مجاهد الزيغ اللبس وقيل هو الشرك وقيل هو الشبهات التي تتعلق بالقلب فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله يعني أن الذين في قلوبهم زيغ يغلون في طلب التأويل للمتشابه فيقعون على التأويل المظلم فذلك ابتغاء الفتنة لأن من غلا في الدين وطلب تأويل ما لا يعلمه إلا الله يقع في الفتنة ويكون مفتونا وخير الدين النمط الأوسط الذي ليس فيه غلو ولا تقصير
ثم اختلفوا في الذين يتبعون ما تشابه من هم قيل هم اليهود الذين قالوا مدة أمة محمد على حروف التهجي وقيل هم النصارى من وفد نجران حيث قالوا

لرسول الله ما تقول في عيسى فقال عبد الله ورسوله قالوا فهل تقول أنه كلمة الله وروح منه فقال نعم قالوا حسبنا الله واتبعوا ما تشابه من قوله كلمة الله وروح منه وقيل هم الغالون في طلب التأويل واتباع المتشابه وروت عائشة أن النبي قرأ هذه الآية ثم قال إذا رأيتم الذين يجادلون في الآيات فاحذروهم فهم هم
قوله تعالى وما يعلم تأويله إلا الله استأثر الله تعالى بعلم التأويل وقطع أفهام العباد عنه والفرق بين التأويل والتفسير أن التفسير هو ذكر المعنى الواضح كما تقول في قوله لا ريب فيه أي لا شك فيه وأما التأويل هو ما يؤول المعنى إليه ويستقر عليه ثم الكلام في الوقف فاعلم أن أبي بن كعب وعائشة

تفسير السمعاني ج:1 ص:295
تفسير السمعاني ج 1/ص 296
ما تشابه منه إبتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب 7 ربنا لا تزغ

وابن عباس - في رواية طاوس عنه - رأو الوقف على قول إلا الله وهو قول الحسن وأكثر التابعين وبه قال الكسائي والفراء و الأخفش وأبو عبيد وأبو حاتم قالوا إن الواو في قوله والراسخون واو الإبتداء و الدليل على صحته قراءة ابن عباس ويقول الراسخون في العلم آمنا به وروى ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس - في رواية أخرى - الواو للنسق ولا وقف على قوله إلا الله وأن الراسخون في العلم يعلمون التأويل قال ابن عباس وأنا ممن يعلم تأويله وقد ثبت عن النبي أنه قال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل قالوا والصحيح رواية طاوس عن ابن عباس كما ذكرنا وعليه إجماع القراء ولأن على قضية قول مجاهد لا يستقيم
قوله والراسخون في العلم يقولون قال النحاة وإنما يستقيم أن تقول وما يعلم تأويله إلا الله و الراسخون في العلم قائلين أمنا به و لأنه قال و الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ولو علموا التأويل لم يكن لقولهم هذا معنى وقد روى عن ابن عباس أنه قال أنزل القرآن على أربعة أوجه الحلال والحرام وعربية تعرفها العرب ومما يعلم العباد تأويله وما لا يعلم تأويله إلا الله وهذا يشهد لما قلنا فدل أن الوقف على قوله إلا الله والواو واو الابتداء في قول و الراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا قالوا ومن رسوخهم في العلم يقولون ذلك وما يذكر إلا أولوا الألباب
قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا أي لا تمل قلوبنا بعد إذ هديتنا وهذا

تفسير السمعاني ج:1 ص:296
تفسير السمعاني ج 1/ص 297

قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب 8 ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه إن الله لا يخلف الميعاد 9 إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك هم وقود النار 10 كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد
دعاء للتثبيت والإدامة عليه وقد روت أم سلمة عن النبي أنه كان يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وهب لنا من لدنك رحمة نصرة ومعونة إنك أنت الوهاب
قوله تعالى ربنا إنك جامع الناس ليوم لا ريب فيه أي لا شك فيه عند أهل الحق وقيل أراد لا ريب فيه يوم القيامة إذا قامت وظهرت
إن الله لا يخلف الميعاد فلا تزغ قلوبنا وارحمنا ولكنه أوجزه ولم يذكر تمام الدعاء
قوله تعالى إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا هو قول الكافرين يوم القيامة شغلتنا عن الحق أموالنا وأهلونا يقول لا عذر لهم فيه ولا يغنيهم ذلك وأولئك هم وقود النار
قوله تعالى كدأب آل فرعون الدأب الشأن والدأب العادة ومعنى الآية أن هؤلاء الكفار في تكذيب الرسول وجحد الحق والتظاهر على الكفر كعادة آل فرعون وآل فرعون فرعون وقومه
والذين من قبلهم يعني عادا وثمود كذبوا بآيتنا فأخذهم الله بذنوبهم عاقبهم بجرائمهم والله شديد العقاب لأنه دائم عقابه لا ينقطع وكل دائم شديد
قوله تعالى قل للذين كفروا قال ابن عباس وسبب نزول الآية ما روى أنه لما فرغ رسول الله من قتال المشركين يوم بدر جمع اليهود بقينقاع وقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:297
تفسير السمعاني ج 1/ص 298
العقاب 11 قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد 12 قد كان لكم آية في فئتين التقيا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة

لهم أسلموا قبل أن ينزل بكم ما نزل بالمشركين من بأس الله فقالوا إنك لقيت قوما أغمارا لا يعرفون القتال فلو قاتلتنا لوليت فنزل قوله تعالى قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد يعني ستغلبون في الدنيا وتحشرون في الآخرة إلى جهنم وبئس المهاد وقال مقاتل وجماعة هو خطاب لأولئك المشركين يوم بدر يقول الله قا للمشركين ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وقد غلبوا وحشروا إلى جهنم ويقرأ سيغلبون ويحشرون بالياء - وهو بمعنى الأول قال الفراء وهو مثل قول الرجل قل لزيد إنك قائم هو بمعنى قوله قل لزيد إنه قائم فهما في المعنى سواء ويحتمل أن يكون هذا خطاب لليهود يعني قل للذين كفروا من اليهود سيغلب المشركون ويحشرون إلى جهنم وبئس المهاد أي بئسما مهدوا لأنفسهم أو بئسما مهد لهم
قوله تعالى قد كان لكم آية أي معجزة وعلامة في فئتين في فرقتين التقتا أجتمعتا من الالتقاء وهو الإجتماع ومنه يوم التلاق لأنه يجتمع فيه أهل السماء وأهل الأرض فئة تقاتل في سبيل الله يعني المسلمين يوم بدر وأخرى كافرة يعني المشركين يرونهم مثليهم رأى العين يعني المسلمين رأو المشركين مثلى عددهم وكانوا ثلاثة أمثالهم لأن عدد المسلمين يوم بدر كان ثلثمائة وثلاثة عشر نفرا أو أربعة عشر نفرا وكان عدد المشركين تسعمائة وخمسين

تفسير السمعاني ج:1 ص:298
تفسير السمعاني ج 1/ص 299
يرونهم مثليهم رأي العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي

نفرا وعن علي وابن مسعود أن عدد المشركين كانوا ألفا فرآهم المسلمون نيفا وستمائة قال ابن مسعود رأيناهم ضعفى عددنا ثم رأيناهم مثل عددنا رجل برجل وهذا معنى قوله تعالى في سورة الأنفال وإذا يريكهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا فرآهم المسلمون أقل من عددهم وكذلك المشركون رأوا المسلمين أقل من عددهم وكانت الحكمة فيه إذا رأوهم أقل مما كانوا لا يحجمون ولا يفترون عن القتال لأن الله تعالى قد أخبرهم أن الواحد منهم يقاوم اثنين من المشركين وكذلك المشركون إذا رأوا المسلمين أقل مما كانوا لا يمتنعون عن القتال ليقضي الله أمرا كان مفعولا وذلك من قتل رؤسائهم وقادتهم بإذن الله تعالى
قال الفراء إنما رأوهم على عددهم كما كانوا وإنما قال يرونهم مثليهم يعني مثليهم سوى عددهم وهذا مثل قول الرجل - وعنده درهم - أنا أحتاج إلى مثلى هذا الدرهم يعني إلى مثليه سواه والأول أصح
وقرىء ترونهم بالتاء فيكون خطابا لليهود وكان جماعة منهم حضروا قتال بدر

لينظروا على من الدبرة فرأو المشركين مثلى عدد المسلمين ورأو النصرة مع ذلك للمسلمين وكان ذلك معجزة وآية للرسول في أعينهم وعلى القراءة الأولى يكون الخطاب مع المسلمين في قوله قد كان لكم آية في فئتين والله يؤيد بنصره من يشاء لأنه نصر المؤمنين يومئذ
إن في ذلك لعبرة لأولى الأبصار أي علامة لأولى البصائر في الدين ولذوي العقول أجمعين

تفسير السمعاني ج:1 ص:299
تفسير السمعاني ج 1/ص 300
الأبصار 13 زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب 14 قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات

قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين قال الحسن المزين هو الشيطان لأن الله تعالى ذم الدنيا بأبلغ ذم فلا يزينه في الأعين وقال عامة المفسرين المزين هو الله تعالى وتزيينه أنه حبب في قلوبهم شهوة النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة فالقناطير جمع القنطار وهو مال كثير ثم اختلفوا قال معاذ وأبي بن كعب القنطار ألف ومائتا أوقية وقال ابن عباس والضحاك هو ألف دينار أو اثنا عشر ألف درهم وقال سعيد بن المسيب هو ثمانون ألف درهم وقال مجاهد هو سبعون ألف دينار وقال قتادة هو مائة رطل من ذهب أو فضة وقال أبو نضرة هو ملء مسك ثور من ذهب أو فضة وسمى قنطارا من الأحكام والتوثيق وأما المقنطرة فهي المجموعة المملكة قال الفراء القناطير ثلاثة والمقنطرة تسعة
قوله والخيل المسومة قال مجاهد هي الحسان المطهمة وقال سعيد ابن جبير المسومة الراعية يقال أسام الخيل من الرعى وفيه قول ثالث المسومة المعلمة من السيما وهي العلامة منهم من قال سيماها الشبه ومنهم من قال سيماها الكي والأنعام هي الإبل والبقر والغنم والحرث هي الأراضي المهيأة للزراعة ذلك متاع الحياة الدنيا فيه إشارة إلى أنه متاع يفنى
والله عنده حسن المآب فيه تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة ثم أكده بقوله تعالى قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله وقرىء رضوان بضم الراء وهما في المعنى سواء يقال رضى يرضى رضاء ورضوانا ورضوانا

تفسير السمعاني ج:1 ص:300
تفسير السمعاني ج 1/ص 301

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد 15 الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار 16 الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار 17 شهد الله
وفي الخبر عن النبي أن أهل الجنة إذا دخلوا الجنة يقول الله تعالى إن لكم عندي موعدا وأنا منجزكموه فيقولون قد أعطيتنا كل ما نتمنى فما هو يارب فيقول أنزل عليكم رضواني ولا أسخط عليكم أبدا
قوله تعالى والله بصير بالعباد الذين يقولون فقوله الذين يقولون يحتمل أن يكون في موضع الخفض وتقديره بالعباد الذين يقولون ويحتمل أن يكون في موضع الرفع وتقديره يقولون على الابتداء ويحتمل أن يكون في موضع النصب وتقديره أعنى الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار
الصابرين يحتمل أن يكون في موضع الخفض ويحتمل في موضع النصب يعني الصابرين على الشدائد والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصي والصادقين الذين استقامت أحوالهم وأفعالهم والقانتين المقيمين على الطاعة المداومين عليها والمنفقين يعني المتصدقين قيل في الجهاد وقيل في كل أبواب البر والمستغفرين بالأسحار قال ابن عباس هم المصلون بالليل وقال أنس هم السائلون بالمغفرة وقال زيد بن أسلم المصلون صلاة الصبح في الجماعة وإنما قيده بالأسحار لقرب صلاة الصبح من السحر
قوله تعالى شهد الله أي بين وأعلم وكل شاهد مبين ومعلم أنه لا إله إلا هو لنفسه بالوحدانية وذلك أن وفد نجران قد أنكروا وحدانيته وهذه الآية من الآيات التي نزلت في شأنهم والحجاج عليهم والملائكة أي وشهدت الملائكة وأولوا العلم قيل هم علماء بني إسرائيل وذلك مثل عبد الله بن سلام ومن

تفسير السمعاني ج:1 ص:301
تفسير السمعاني ج 1/ص 302

أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم
حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين
آمن معه وقيل هم المهاجرون والأنصار وقيل هم جميع علماء الأمة
قائما نصب على الحال فهو الله تعالى قائم بتدبير الخلق بالقسط بالعدل يقال
قسط يقسط إذا جار وأقسط يقسط إذا عدل فالقاسط الجائر ومنه قوله
تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا والمقسط العادل ومنه قوله تعالى
إن الله يحب المقسطين
لا إله إلا هو العزيز الحكيم إن الدين عند الله الإسلام ويقرأ أن الدين بفتح الألف
فمن قرأ بكسر الألف فهو على الابتداء وقرأ الكسائي بالنصب وتقديره شهد
الله أن الدين عند الله الإسلام فإنه لا إله إلا هو والإسلام هو الأنقياد
والإستسلام وقد يكون مجرد الاستسلام من غير العقيدة فرقا بينه وبين الإيمان
على ما سيأتي
والإسلام المعروف في الشرع هو الإتيان بالشهادتين مع سائر الأركان الخمس
وفي الأخبار أنه يؤتى بالأعمال يوم القيامة فيؤتى بالصلاة على صورة فتقول يا
رب إني الصلاة فيقول الله تعالى إنك بخير ويؤتى بالزكاة على صورة فتقول يا
رب إني الزكاة فيقول الله إنك بخير وهكذا الصوم والحج ثم يؤتى بالإسلام
على أحسن الصور فيقول يا رب إني الإسلام فيقول الله تعالى إنك إلى خير بك
أخذ اليوم وبك أعطي
وحكي عن غالب القطان أنه قال أتيت الكوفة للتجارة فنزلت قريبا من
الأعمش فكنت أختلف إليه وأسمع منه الحديث فقصدت منه ليلة أن أنحدر منه
إلى البصرة فوجدته يتجهد في المسجد فمر بهذه الآية شهد الله انه لا إله إلا هو
والملائكة

تفسير السمعاني ج:1 ص:302
تفسير السمعاني ج 1/ص 303

إن الدين عند الله الإسلام وما أختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم
العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب 19 فإن وألوا
العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ثم قال وأشهد بما شهد الله به
وأستودع الله هذه الشهادة لتكون وديعة لي عنده ثم قال إن الدين عند الله
الإسلام كرره مرارا فقلت في نفسي لقد سمع فيه شيئا فمكث وصليت معه
الصبح ثم قلت له مررت بهذه الآية وكنت تكررها فقال أما بلغك ما ورد فيها
قلت أنا عندك منذ سنتين ولم تحدثني وقد قصدت الإنحدار إلى البصرة فقال
والله لا أحدثك سنة فمكثت بالكوفة وكتبت على بابه ذلك اليوم فلما تمت

السنة أتيته فقلت يا أبا محمد قد تمت السنة فقال حدثني أبو وائل عن عبد الله بن مسعود عن النبي - - أنه قال يجاء بصاحبها يوم القيامة فيقول الله تعالى إن لعبدي هذا عندي عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدي الجنة
قوله تعالى وما أختلف الذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم أي حسدا بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب ظاهر المعنى
قوله تعالى فإن حاجوك أي فإن جادلوك فقل أسلمت وجهي لله ومن أتبعن أي قصدت بعبادتي الله تعالى وقل للذين أوتوا الكتاب يعني اليهود والنصارى والأميين يعني المشركين

تفسير السمعاني ج:1 ص:303
تفسير السمعاني ج 1/ص 304
ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد
20 إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبين بغير حق ويقتلون الذين

أأسلمتم يعني أسلموا وقيل ذكره على التهديد كما يقال أقبلت هذا مني على وجه التهديد فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد أي عليك تبليغ الرسالة وليس عليك الهداية والله بصير بالعباد بالضال منهم والمهتدي
وتلخيص معنى الآية أن الله تعالى يقول فإن جادلوك بالباطل فقل أسلمت وجهي لله أي أخلصت عملي لله أو قصدت بعبادتي إلى الله الذي لا تقرون له بالخلق والتربية فإنهم كانوا مقرين بأن الله خالقهم ومربيهم فأنا أقصد إليه بعبادي ولا أتبع هواي كما تتبعون أهواءكم
ثم قال وقل للذين أوتو الكتاب والأميين أأسلمتم أي أسلموا كما قال فهل أنتم منتهون أي انتهوا وإنما سمى المشركين أميين لأنهم لم يكونوا قراء وقيل نسبهم إلى أم القرى وهي مكة لسكونهم فيها
قوله تعالى إن الذين يكفرون بآيات الله أراد به اليهود م بني إسرائيل ويقتلون النبيين بغير حق إنما قال بغير حق تأكيدا لأن قتل النبيين لا ينقسم إلى الحق والباطل
وروى أبو عبيدة بن الجراح عن النبي أنه قال أشد الناس عذابا يوم القيامة من قتل نبيا أو قتله نبي ثم روى في هذا الخبر أنه قال قتلت بنو إسرائيل اثنين وأربعين نبيا في ساعة واحدة فقام إليهم مائة واثنا عشر رجلا من زهادهم وعبادهم وأمروا بالمعروف فقتلوهم فهذا قوله تعالى ويقتلون الذين

تفسير السمعاني ج:1 ص:304
تفسير السمعاني ج 1/ص 305
يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم 21 أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين 22 ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم

يأمرون بالقسط من الناس أي بالعدل فبشرهم بعذاب أليم وإنما خاطب أبناءهم به مع أن الجناية وجدت من آبائهم لأنهم رضوا بفعلهم ودانوا بدينهم فاستوجبوا هذا العذاب
قوله تعالى أولئك الذين حبطت أعمالهم أي بطلت والحبوط والبطلان في الدنيا والآخرة وبطلان العمل في الدنيا ألا يقبل وفي الآخرة أنه لا يجازى عليه بالثواب وما لهم من ناصرين من يمنع عنهم العذاب
قوله تعالى ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب قيل ورد هذا في يهود بني قريظة والنضير فإن النبي أتى بيت مدارسهم فقال له نعيم بن عمرو الحارث بن يزيد على أي ملة أنت فقال على ملة إبراهيم فقال نعيم إن إبراهيم كان يهوديا فقال بيني وبينكم التوراة أخرجوا التوراة فأبوا أن يخرجوها فهذا هو
قوله يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم يعني التوراة
وفيه قول آخر أن الآية في نصارى وفد نجران وقوله يدعون إلى كتاب الله يعني القرآن ليحكم بينهم
ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون وذلك أن بعضهم قد أسلموا
قوله تعالى ـ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات يرجع هذا

تفسير السمعاني ج:1 ص:305
تفسير السمعاني ج 1/ص 306
معرضون 23 ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون 24 فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون 25 قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن يشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على
إلى اليهود وقد ذكرناه من قبل وغرهم في دينهم الغرور هو الإطماع فيما لا يحصل منه شيء والغرور الشيطان وغر الثوب طيه فيقال أعد الثوب إلى غره

أي إلى طيه والغرور ركوب الخطر ما كانوا يفترون الافتراء اختلاق الكذب ومنه الفرية تسوية الكذب قال الشاعر

ولا أنت تفري ما خلقتوبعض القوم يخلق ثم لا يفرى
أي لا يكذب ولا يسوى
قوله تعالى فكيف إذا جمعناهم أي فكيف حالهم إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت من الجزاء وهم لا يظلمون
قوله تعالى قل اللهم مالك الملك في سبب نزول الآية قولان أحدهما أنه لما فتح مكة وعد أصحابه ملك الفرس فسمعه اليهود وقالوا هيهات الفرس والروم أعز وأمنع جانبا مما تظنون فنزلت هذه الآية
وقال الحسن إنه سأل ربه لأصحابه ملك فارس والروم
فأما قوله قل اللهم فأصله يا الله فلما حذف حرف النداء زيدت الميم في آخره قال الفراء للميم فيه معنى ومعناه يا الله أعنا بالمغفرة أي اقصدنا
مالك الملك تقديره يا مالك الملك ومعناه مالك العباد وما ملكوه وقيل أراد بالملك النبوة وقيل ملك السموات والأرض تؤتي الملك من تشاء أي من تشاء أن تؤتيه من المسلمين وتنزع الملك ممن تشاء أي ممن تشاء أن تنزعه وهم فارس والروم وتعز من تشاء وتذل من تشاء فيه ثلاثة أقوال

تفسير السمعاني ج:1 ص:306
تفسير السمعاني ج 1/ص 307
كل شيء قدير 26 تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من
أحدهما تعز من تشاء بالنصر وتذل من تشاء بالقهر والثاني تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر
والثالث تعز من تشاء بالهداية وتذل من تشاء بالضلالة
بيدك الخير أي بيدك الخير والشر كما قال سرابيل تقيكم الحر أي تقيكم الحر والبرد فاكتفى بأحد المذكورين عن الآخر

إنك على كل شيء قدير وقد ورد في فضل هذه الآية من الأخبار ما روى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن على عن النبي أنه قال فاتحة الكتاب وآية الكرسي وآيتان من آل عمران - شهد الله وهذه الآية - متشفعات لمن قرأها

يوم القيامة ليس بينهما وبين الله حجاب وروى في هذا الخبر أنه قال لما أنزل الله تعالى هذه الآيات تعلقن بالعرش وقلن يا رب تهبطنا إلى أرضك وعبادك فقال الله تعالى وعزتي وجلالي ما قرأكن عبد من عبادي إلا أسكنته جنتي على ما كان عليه وقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة
قوله تعالى تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل الإيلاج الإدخال ومعناه تنقص من أحدهما وتزيد في الآخر وقيل معناه تغطي الليل بالنهار والنهار بالليل
وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قال الحسن معناه تخرج

تفسير السمعاني ج:1 ص:307
تفسير السمعاني ج 1/ص 308
الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب 27 لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء
الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر والقول الثاني تخرج النطفة من الحي والحي من النطفة وفيه قول غريب تخرج الفطن الكيس من البليد الفاجر والبليد من الفطن لأن البليد ميت فهما والفطن حي فهما ويقرأ من الميت مخففا ومشددا وفرق نحاة الكوفة بين الميت والميت فقالوا الميت - بالتشديد - هو الحي الذي لا يموت والميت مخففا هو الذي مات واستدلوا بقوله تعالى إنك ميت وأنهم ميتون وأنكر ذلك نحاة البصرة وقالوا هما بمعنى واحد
وأنشد المبرد لبعض الشعراء
ليس من مات فاستراح بميتإنما الميت ميت الأحياء
إنما الميت من يعيش كئيبا
كاسفا باله قليل الرجاء
فجمع بين الميت والميت على معنى واحد
وترزق من تشاء بغير حساب من غير تضييق ولا تقتير

قوله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين هذا في قوم مخصوصين أسلموا على موالاة اليهود والمشركين فنهاهم الله عن ذلك وهو معنى قوله لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء أي ليس من حزب الله إلا أن

تفسير السمعاني ج:1 ص:308
تفسير السمعاني ج 1/ص 309
إلا أن تتقوا منهم تقاةويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير 28 قل إن تخفوا وقرىء تقية ومعناهما واحد يعني إلا أن يقع في أيديهم فيخافهم فيوافقهم باللسان وقلبه مطمئن بالإيمان فلا بأس به ولكن لو صبر حتى قتل فله من الأجر العظيم ما الله به عليم
وقد روى أن مسيلمة الكذاب - لعنة الله - أخذ رجلين من أصحاب رسول الله وقال لأحدهما أتشهد أن محمدا رسول الله قال نعم فقال أتشهد أني رسول الله قال نعم تقية منه فخلى سبيله ثم قال للآخر أتشهد أن محمد رسول الله فقال نعم نعم قال أتشهد أني رسول الله فقال أنا أصم فقتله فبلغ ذلك رسول الله فذكر درجة الذي صبر على القتل وقال إن الأول أخذ برخصة الله وقد صح عن رسول الله أنه قال أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وقال إن فضل الشهداء بعد شهداء أحد من قام إلى سلطان جائر وأمره بالمعروف فقتله عليه
قوله تعالى ـ ويحذركم الله نفسه أي يخوفكم إياه وإلى الله

تفسير السمعاني ج:1 ص:309
تفسير السمعاني ج 1/ص 310

أما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير 29 يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ويحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد 30 قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم لمصير أي المرجع
قوله تعالى قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله أي يجازى عليه ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير ظاهر المعنى
قوله تعالى يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا أي محضر لها ما عملت من الخير والشر فتسر بما عملت من الخير
وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا أي غاية مديدة قال السدي ما بين المشرق والمغرب وفي الأخبار أن الأعمال يؤتى بها يوم القيامة على صور فما كان منها حسنا فعلى الصورة الحسنة وما كان قبيحا فعلى الصورة القبيحة
ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد ومن رأفته أن حذرهم ورغبهم ورهبهم ووعدهم وأوعدهم

قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله في سبب نزول هذه الآية قولان أحدهما أنه خطاب لليهود والنصارى من وفد نجران وذلك أنهم قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه فنزل قوله قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم والثاني أنه خطاب لمشركي قريش فإنه رآهم يعبدون الأصنام فقال لهم خالفتم ملة أبيكم إبراهيم فقالوا إنما نعبدهم تقربا إلى الله فإنا نحبه فنزل قوله تعالى قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:310
تفسير السمعاني ج 1/ص 311
والله غفور رحيم 31 قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين 32 إن الله أصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين 33
والله غفور رحيم

واعلم أن محبة الله العبد ومحبة العبد الله لا يكون بلذة شهوة ولكن محبة العبد في حق الله هو إتيان طاعته وابتغاء مرضاته واتباع أمره ومحبة الله في حق العبد هو العفو عنه والمغفرة والثناء الحسن وأكده قوله تعالى قل أطيعوا الله والرسول بين أن محبته في طاعته وطاعة رسوله
فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين فإن قال قائل لم كرر اسم الله مرارا وكان يكفيه أن يقول فإنه لا يحب الكافرين قيل هو على عادة العرب فإن من عادتهم أنهم إذا عظموا شيئا كرروا ذكره وأنشد سيبويه في مثل ذلك
لا أرى الموت سبق الموت شيءنغص الموت زلته الغني والفقير
وقوله تعالى إن الله أصطفى آدم ونوحا الاصطفاء الاختيار والصفوة الخيرة ولم اختار آدم اختلفوا فمنهم من قال اختاره للدين ومنهم من قال اختاره للنبوة فإن قال قائل إلى من كان مبعوثا قيل الملائكة حتى علمهم الأسماء وإلى أولاده قال وآل إبراهيم هم إسماعيل وإسحاق ويعقوب
وآل عمران موسى وهارون وآل عمران من آل إبراهيم وقيل أراد به عيسى لأنه ابن مريم بنت عمران على العالمين على عالمي أهل زمانهم
قوله تعالى ذرية بعضها من بعض قيل هو مشتق من ذرأ بمعنى خلق وقيل هو من الذر لأنه خلقهم واستخرجهم من صلب آدم كالذر والأبناء يسمون ذرية وكذلك الأباء قال الله تعالى وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في

تفسير السمعاني ج:1 ص:311
تفسير السمعاني ج 1/ص 312
33 ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم 34 إذ قالت امرأت عمران رب إني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم 35 فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم 36 فتقبلها ربها بقبول حسن

الفلك المشحون يعني آباءهم والأبناء ذرية لأنه ذرأهم والآباء ذرية لأنه ذرأ الأبناء منهم بعضها من بعض في التفاضل وقيل في التناسل والله سميع بما قالوا عليم بما اضمروا
قوله تعالى إذ قالت امرأت عمران وهي حنة زوجة عمران وكانت أختها تحت زكريا رب إني نذرت لك ما في بطني محررا قال الشعبي معناه مخلصا لعبادة الله تعالى وقال مجاهد معناه مسمى لخدمة البيت مفرغا لها عن سائر الأشغال فتقبل مني إنك أنت السميع العليم ظاهر المعنى
قوله تعالى فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى وذلك أن زوجها عمران كان قد عاتبها على ما نذرت وقال لها لا تدرين أنه يخلق ولدك ذكرا أو أنثى وقد نذرت مطلقا
والله أعلم بما وضعت هذا إخبار من الله تعالى عن علمه ويقرأ والله أعلم بما وضعت على الخبر وذلك من قول المرأة وليس الذكر كالأنثى فإن الذكر أقوم وأقوى لخدمة البيعة من الأنثى وقيل لأنه أبعد عن الموانع من العبادة بخلاف الأنثى يمنعها الحيض والنفاس
وإني سميتها مريم فإن قال قائل ما معنى قولها وإني سميتها مريم قيل حتى تعرف هل وقع ذلك الاسم برضا الله تعالى حتى يغير أو يقرر

تفسير السمعاني ج:1 ص:312
تفسير السمعاني ج 1/ص 313
وأنبتها نباتا حسنا وكلفها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال
وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم فالشيطان المطرود والرجيم المرجوم بالشهب وروى أبو هريرة عن النبي أنه قال ما من ولد يولد إلا ويطعن الشيطان في خاصرته فيستهل صارخا إلا مريم وابنها فإنه ضربهما فوقع الضرب في الحجاب وقرأ قوله تعالى وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

قوله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن أي رضى بها وقبلها وأنبتها نباتا حسنا أي وأنبتها فنبتت نباتا حسنا

قال أبو العباس بن عطاء الصوفي لما أنبتها الله نباتا حسنا فانظروا إلى ثمرته كيف أثمر النبات يعني عيسى صلوات الله عليه
وكفلها - مشدد - زكريا بنصب الألف وتقرأ مخففا وكفلها زكريا بضم الألف ومعنى الكفالة الضم يعني وضمها زكرياء إلى نفسه ومن قرأ بالتشديد معناه ضمها الله إلى زكريا وقال النبي أنا وكافل اليتيم كهاتين
ومن الأسباب التي خص بها زكريا بكفالة مريم أن خالتها كانت تحته وهي أخت حنة امرأة عمران ولكفالة زكريا مريم قصة معروفة ستأتي في سورة مريم إن شاء الله تعالى
كلما دخل عليها زكريا المحراب يقرأ زكريا بالمد والقصر والمحراب

تفسير السمعاني ج:1 ص:313
تفسير السمعاني ج 1/ص 314
يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب 37 هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة إنك أنت سميع الدعاء 38
غرفة يرتقي إليها بالسلم وكان زكريا قد اتخذ لمريم مثل تلك الغرفة وكان يرقى إليها بالسلم قال الشاعر في معناه
ربة محراب إذا جئتهالم ألقها أو أرتقى سلما
إي ربة غرفة وقيل المحراب أشرف المجالس وقيل هو المحراب المعروف
وجد عندها رزقا والرزق ما يؤكل قال قتادة فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء كان قد رآها عندها قال الحسن حين ولدت مريم لم تلقم ثديا وكان يأتيها الله تعالى برزقها
قال يا مريم أنى لك هذا قال أبو عبيدة معناه من أين لك هذا وأنكرت النحاة هذا وقالوا هذا تساهل من أبي عبيدة وبينهما فرق ف أنى للسؤال عن الجهة و أين للسؤال عن المكان وأنشد المبرد لبعضهم
أنى ومن أين آنك الطرب
فرق بينهما قوله أني لك هذا أي من أي جهة لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب

قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه وذلك أن زكريا لما رأى مريم يأتيها رزقها في غير حينه نحو فاكهة الصيف في الشتاء - طمع أن يرزق الولد في غير حينه - على الكبر - فدعا الله أن يرزقه ولدا وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمان وتسعين سنة
قال رب هب لي من لدنك من عندك ذرية طيبة أي ولدا صالحا تقيا نقيا والذرية تشتمل على الذكر والأنثى وإنما قال طيبة بنعت المؤنث على لفظ

تفسير السمعاني ج:1 ص:314
تفسير السمعاني ج 1/ص 315
فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من
الذرية
إنك سميع الدعاء فنادته الملائكة ويقرأ فناداه الملائكة بالألف واختلفوا في المنادى منهم من قال كان جبريل ومنهم من قال جمع من الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك يقرأ أن بكسر الألف وفتحها فمن قرأ بالكسر فتقديره فنادته الملائكة وقالوا إن الله يبشرك ومن قرأ بالفتح فهو على النسق يبشرك يقرأ مخففا ومشددا وهما في المعنى سواء
والبشارة خبر سار يظهر أثره على بشرة الوجه يبشرك بيحيى سماه يحيى قبل أن يولد مصدقا بكلمة من الله قيل مصدقا بكتاب الله وكلامه وقيل معناه مصدقا بعيسى وهو كلمة الله فإن قال قائل كلمة الله لا يكون مخلوقا وقد أنكرنا على النصارى قولهم المسيح ابن الله وقولهم إن الله ثالث ثلاثة فكيف نعرف أن عيسى كلمة الله قيل فيه ثلاثة أقوال
أحدهما أنه كلمة الله على معنى أنه يكون بكلمة من الله حيث قال له كن فكان من غير سبب ولا علة وصنع بشر وإلقاء نطفة
الثاني أنه كلمة الله على معنى أنه يهتدى به كما يهتدى بكلام الله

والثالث أن الله تعالى كان قد أخبر سائر الأنبياء ووعدهم في كتبه أنه يخلق نبيا بلا أب ووعد مريم أنه يولد لها ولد بلا أب فلما تكون عيسى سماه كلمة لأنه حصل بتلك الكلمة وذلك الوعد وهو كما تقول العرب أنشدني كلمتك أي قصيدتك وقيل لحسان إن الحوديرة أنشأ قصيدة فقال لعن الله كلمته أي

تفسير السمعاني ج:1 ص:315

تفسير السمعاني ج 1/ص 316
الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين 39 قال رب أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء 40 قال رب اجعل لي آية قال
قصيدته فلما حصلت القصيدة بكلمته سمى ذلك كلمة
قوله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين أما السيد قال سعيد بن جبير السيد التقي وقال مجاهد هو الكريم وقيل هو العليم الذي لا يغضبه شيء وقيل هو الذي يفوق قومه في جميع خصال الخير
والحصور قال سعيد بن جبير ومجاهد والضحاك وعطاء وجماعة هو الذي لا يأتي النساء والحصور بمعنى المحصور وكان ممنوعا من النساء وهو مثل قول الشاعر
فيها اثنتان وأربعون حلوبةسودا كخافية الغراب الأسحم
فالحلوبة بمعنى المحلوب وقال سعيد بن المسيب كان له مثل هدبة الثوب وقد تزوج مع ذلك ليكون أغض لبصره وقال الشعبي الحصور العنين وفيه قول آخر الحصور هو الممتنع من الوطء مع القدرة عليه وهذا يوافق قول الشافعي في مسألة التخلي لعبادة الله
واختاروا هذا القول لوجهين أحدهما أنه يكون أقرب إلى استحقاق الثناء لأن الكلام خرج مخرج الثناء
والثاني أنه يكون أبعد من إلحاق الآفة بالأنبياء لبعدهم عن الآفات
قوله تعالى قال ربي أنى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر وإنما قال بلغني الكبر لأن الكبر في طلب الإنسان فإذا أصابه فقد بلغه

وأما العاقر فهي التي عقم رحمها من الكبر فإن قيل كان شاكا في وعد الله تعالى حين قال رب أنى يكون لي غلام قيل إنما قاله على سبيل التواضع يعني مثلي على هذا الكبر من مثل هذه العجوز يكون له الولد وقيل معناه كيف يكون لي هذا الغلام أتردني لحالة الشباب أم يكون الغلام على حال الكبر
قال كذلك يفعل الله ما يشاء

تفسير السمعاني ج:1 ص:316
تفسير السمعاني ج 1/ص 317
آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والإبكار 41 وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء
قوله تعالى قال ربي اجعل لي آية أي علامة قيل إنما سأل العلامة لأن إبليس وسوس إليه أن الذي ناداك هو الشيطان دون الملك وكان يديم عليه وسوسته فسأل العلامة دفعا لتلك الوسوسة وقيل إنما سأل العلامة لمعرفة وقت

الولادة حتى يزداد لله شكرا
قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام وقيل إن الله أمسك لسانه وحبس عنه الكلام ثلاثة أيام وهو سوى صحيح وعليه دل قوله تعالى في سورة مريم ثلاث ليال سويا
إلا رمزا أي إشارة والإشارة تكون باللسان وتكون باليد وتكون بالعين والمراد ها هنا الإشارة بالإصبع المسبحة قال قتادة إنما أمسك لسانه عن الكلام عقوبة له على ما سأل من الآية بعدما أوحى الله تعالى إليه وشافهته الملائكة بالبشارة
واذكر ربك كثيرا قيل إنما أمسك لسانه عن الكلام مع الناس ولم يمسكه عن ذكر الله تعالى فأمره بالذكر
وسبح بالعشى والإبكار المراد بالتسبيح الصلاة وأما العشى ما بين زوال الشمس إلى غروب الشمس ومنه صلاة الظهر والعصر صلاتي العشى وأما الإبكار ما بين طلوع الفجر إلى الضحى الأعلى

قوله تعالى وإذ قالت الملائكة يا مريم أي واذكر إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك اختارك وطهرك من الحيض والنفاس وقيل من الذنوب وطهرك واصطفاك على نساء العالمين منهم من قال على نساء عالمي زمانها ومنهم من قال

تفسير السمعاني ج:1 ص:317
تفسير السمعاني ج 1/ص 318
العالمين 42 يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين 43 ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت
على جميع نساء العالمين في أنها ولدت بلا أب ولم يكن ذلك لأحد من نساء العالم
قوله تعالى يا مريم اقتني لربك أي أطيعي ربك وقومي لطاعته والقنوت طول القيام قال مجاهد معناه أطيلي القيام لربك وقيل إنها قامت حتى انتفخت قدماها وتورمت وسمى القنوت في الصلاة لأنه في حال القيام وعن النبي أنه سئل عن أفضل الصلاة فقال طول القنوت أي طول القيام
واسجدي واركعي مع الراكعين قيل إنما قدم السجود على الركوع لأنه كان كذلك في شريعتهم وقيل لا بل الركوع قبل السجود في جميع الشرائع وليست الواو للترتيب بل للجمع ويجوز أن يقول الرجل رأيت زيدا وعمرا وإن كان قد رأى عمرا قبل زيد ويجوز أن نقول رأيت عمرا وزيدا أي زيدا وعمرا قال

الشاعر
ألا يا نخلة من ذات عرقعليك ورحمة الله والسلام
أي عليك السلام ورحمة الله فكذلك قوله واسجدي واركعي أي واركعي واسجدي وإنما قال مع الراكعين ولم يقل مع الراكعات ليكون أعم وأشمل وقيل معناه مع المصلين في الجماعة
قوله تعالى ـ ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك يقول لمحمد ذلك من أخبار الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون فالأقلام السهام وإنما سمى قلما لأنه يقطع ويبرى وأصل القلم القطع ومنه قلم الظفر

تفسير السمعاني ج:1 ص:318
تفسير السمعاني ج 1/ص 319
لديهم إذ يختصمون 44 إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين 45 ويكلم الناس
والقصة في ذلك أنهم تشاحنوا واختصموا في كفالة مريم فقال زكريا أنا أولى بكفالتها منكم لأن خالتها عندي وقال أحبارهم - وقيل أولياؤهم - نحن أولى بكفالتها لأن أباها كان إمامنا وحبرنا فاقترعوا واستهموا على أن من يثبت قلمه في الماء وصعد فهو أولى بكفالتها فألقوا الأقلام على الماء وعلى كل قلم اسم واحد منهم فانحدرت أقلامهم تجري في الماء وجرى قلم زكريا مصعدا إلى أعلى الماء قيل غرقت أقلامهم وارتد قلم زكريا وبقي فوق الماء وقيل إنما اختصموا في كفالتها لأنه كان قد أصابهم قحط وأزمة وكانت تضيق بهم النفقة فاستهموا على كفالتها تدافعا حتى أن من خرج سهمه هو الذي يعولها وينفق عليها والأول أصح وأشهر
قوله تعالى إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه قيل أن الملائكة قالوا لها ذلك مشافهة وعيانا
أسمه المسيح عيسى ابن مريم قال ابن عباس إنما سمي مسيحا لأنه ما مسح ذا عاهة إلا برئ وقال الحسن وقتادة سمي مسيحا لأنه مسح بالبركة وقيل المسيح الصديق ويكون المسيح بمعنى الكذاب وهو من الأضداد وقيل سمى مسيحا لأنه كان يمسح وجه الأرض ويسيح فيها وقيل إنما سمى مسيحا لأنه ممسوح القدم لأخمص قدميه ومنه قول الشاعر
بات يقاسيها غلام كالزلمخديج الساقين ممسوح القدم
ومن ذلك سمى الدجال مسيحا لأنه مسح أحد شقى وجهه لا عين له

وجيها في الدنيا والآخرة أي رفيعا ذا جاه عند الله ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين أما كلامه في المهد هو قوله في سورة

تفسير السمعاني ج:1 ص:319
تفسير السمعاني ج 1/ص 320
في المهد وكهلا ومن الصالحين 46 قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون 47 ويعلمه الكتاب والحكمة والتوارة والإنجيل 48 ورسولا إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية
مريم إني عبد الله وأنكر النصارى كلامه في المهد سيأتي بيانه وأما كلامه وهو كهل قيل هو إخباره عن الأشياء المعجزة وقيل هو كلامه بعد نزوله من السماء والكهل قيل هو ما فوق الغلام ودون الشيخ وهو ابن أربع وثلاثين سنة وأصله الطول ومنه اكتهل النبات إذا طال
قوله تعالى قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قالت ذلك تعجبا إذ لم تكن جرت العادة بأن يولد ولد بلا أب قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون أي لا يعسر عليه شيء يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد
قوله تعالى ويعلمه الكتاب يقرأ بالياء والنون والكتاب الخط والحكمة العلم والفقه والتوراة والإنجيل علمه الله التوراة والإنجيل ورسولا إلى بني إسرائيل منهم من قال كان رسولا في حالة الصبا ومنهم من قال إنما كان رسولا بعد البلوغ
أني قد جئتكم بآية من ربكم معناه بآيات من ربكم وإنما اكتفى بذكر الآية لأن الكل دال على شيء واحد
أني أخلق لكم من الطين أي أقدر وأصور كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله قيل إن عيسى قال لهم أي شيء أشد خلقا قالوا الخفاش فقدر من الطين خفاشا وصوره ونفخ فيه فقام يطير بإذن الله

تفسير السمعاني ج:1 ص:320
تفسير السمعاني ج 1/ص 321

من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرىء الأكمة والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم
وأبرىء الأكمه قال أبو عبيد الأكمه الذي ولد أعمى وقيل هو الأعمش الذي يبصر بالنهار ولا يبصر بالليل والأبرص الذي به وضح وأحيى الموتى بإذن الله قال ابن عباس قد أحيا أربعة عازر وابن العجوز وبنت العاشر وسام بن نوح عليه السلام
فأما عازر فكان صديقا لعيسى فأخبر بموته فدعا الله تعالى فأحياه الله وأما ابن العجوز كان على السرير يحمل إلى المقبرة فرآه عيسى فأمر بوضع السرير ودعا فأحياه فأخذ كفانه ولبسها ورجع إلى البيت وأما بنت العاشر فقد كان رجل يأخذ العشور ماتت له ابنة فدعا الله فأحياها وأما سام بن نوح فإن عيسى جاء إلى قبره ودعا الله فأحياه فقام إليه وقال أقامت القيامة وقد شاب نصف رأسه خوفا من قيام الساعة
فقال لا أنا عيسى بن مريم فكلمه ومات من ساعته وأما الثلاثة الذين أحياهم عاشوا وولد لهم
وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم كان عيسى يخبر الرجل بما أكل في بيته البارحة وما يأكل اليوم وما أدخره للعشاء وقيل أنه كان في المكتب يخبر الصبي بما أكل وما خبأت له أمه من الطعام حتى كان الصبي يأتي إلى أمه فيبكي حتى تعطيه الطعام فيحمله إلى عيسى فحبسوا الصبيان عن المكتب فجاء عيسى في طلبهم وكانوا في دار فقال من هؤلاء الذين في الدار فقيل خنازير فقال عيسى يكونون كذلك فصاروا خنازير بأمر الله - تعالى - إن في ذلك لآية

تفسير السمعاني ج:1 ص:321
تفسير السمعاني ج 1/ص 322

إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين 499 ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون 50 إن الله ربي وربكم فاعبدواه هذا صراط مستقيم 51 فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من
لكم إن كنتم مؤمنين
قوله تعالى ومصدقا لما بين يدي من التوراة يعني وأكون مصدقا ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم قال أبو عبيدة أراد بالبعض الكل يعني كل الذي حرم عليكم ومثله قول الشاعر

أو يرتبط بعض النفوس حمامها
أي كل النفوس وقيل هو على حقيقته وقد كان أحل لهم بعض ما حرم عليهم في التوراة من لحوم الإبل وثروبها
وجئتكم بآية من ربكم يعني بآيات كما بينا فاتقوا الله وأطيعون إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم أي طريق واضح
قوله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر أي أبصر ووجد منهم الكفر قال قال من أنصارى إلى الله قيل معناه من أنصارى مع الله وقال النحويون إلى في موضعها وليست بمعنى مع وإنما معناه من يضم نصرته إلى نصرة الله لي قال الحواريون نحن أنصار الله قال ابن أبي نجيح الحواريون كانوا قوما قصارين سموا بذلك لأنهم كانوا يقصرون الثياب
وقيل كانوا صيادين يصطادون السمك والصحيح أن الحواري صفوة كل شيء وخالصته ومنه قوله في الزبير هو ابن عمتي وحواريي من أمتي أي

تفسير السمعاني ج:1 ص:322
تفسير السمعاني ج 1/ص 323
أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون 52 ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين 53 ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين 54 إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين
صفوتي وخالصتي
وأصل الحوارى النقاء والنظافة فسموا حواريين لنقاء قلوبهم ومنه يقال لنساء الأمصار حواريات قال الشاعر

فقل للحواريات يبكين غيرناولا تبكينا إلا الكلاب النوابح
ومنه الخبز الحوارى لنقاوته وبياضه
وأما قوله نحن أنصار الله لأنهم إذا نصروا عيسى فكأنهم نصروا الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون
قوله تعالى ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين قيل مع الشاهدين من أمة محمد لأنهم يشهدون للرسل بالبلاغ وقيل من الشاهدين على نبوة عيسى
قوله تعالى ومكروا ومكر الله المكر من العبد الخبث والخداع ومن الله تعالى أن يأخذ العبد بغتة من حيث لا يعلم وإنما سماه مكرا - على المقابلة - لأنه جزاء مكرهم كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها والمراد بمكرهم ها هنا أنهم احتالوا لقتل عيسى فقال رجل ألا أدلكم على البيت الذي فيه عيسى فجاءوا

معه البيت الذي كان فيه عيسى فرفعه الله إلى السماء وألقى شبه عيسى على من دلهم عليه فأخذوه وهو يصيح لست بعيسى فقتلوه وقيل إن الدال كان واحد من الحواريين فذلك مكر الله والله خير الماكرين
قوله تعالى إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك أي واذكر قول الله لعيسى إني متوفيك ورافعك إلي فإن قال قائل ما معنى التوفي وعيسى في الأحياء

تفسير السمعاني ج:1 ص:323
تفسير السمعاني ج 1/ص 324
كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم
على زعمكم قلنا فيه أقوال قال الحسن البصري معناه إني قابضك من الأرض وهو صحيح عند أهل اللغة فيقال توفيت حقي من فلان أي قبضت
قال الازهري كأنه يقول إني متوفى عدد آبائك في الأرض وكل شيء تم فهو متوفى ومستوفى وقال الفراء فيه تقديم وتأخير وتقديره إني رافعك إلى ومتوفيك أي بعد النزول من السماء

وقد ثبت عن رسول الله أنه قال ليهبطن عيسى بن مريم حكما مقسطا يكسر الصليب ويقتل الخنزير وفي رواية أنه يقتل الدجال بباب لد من دمشق وفي الأخبار أنه يعيش بعد ذلك في الأرض سبع سنين ويتزوج ويولد له ثم يموت ويصلوا عليه المؤمنون من هذه الأمة
وهذا التقديم والتأخير الذي ذكرنا في الآية محكى عن ابن عباس وله قول آخر أن الآية على حقيقة الموت وأن عيسى قد مات ثم أحياه الله تعالى ورفعه إلى السماء
قال وهب بن منبه أماته الله ثلاث ساعات من النهار ثم أحياه الله ورفعه إليه
وقال الربيع ابن أنس التوفي هو النوم وكان عيسى قد نام فرفعه الله نائما إلى السماء والمعروف القولان الأولان
وقد روى عن رسول الله أنه قال رأيت ابني الخالة عيسى ويحيى في السماء الثانية ليلة المعراج وروى أيضا أنه رآهما في السماء الدنيا والأول

تفسير السمعاني ج:1 ص:324
تفسير السمعاني ج 1/ص 325
بينكم فيما كنتم فيه تختلفون 55 فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في

الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين 56 وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم
أصح وقال عليه الصلاة والسلام رأيت المسيح بن مريم يطوف بالبيت فدل على أن الصحيح أنه في الأحياء وفي أخبار المعراج أن النبي لقى آدم في السماء الأولى وعيسى في السماء الثانية ويوسف في السماء الثالثة وإدريس في السماء الرابعة وهارون في السماء الخامسة وموسى في السماء السادسة - وفي رواية السماء السابعة - وإبراهيم في السماء السابعة
قوله ومطهرك من الذين كفروا أي مخرجك من أرجاسهم وأنجاسهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة

وقيل أراد به النصارى وهم فوق اليهود إلى يوم القيامة واليهود أذل الفريقين قد ذهب ملكهم فلا يعود أبدا وملك النصارى دائم إلى قريب من قيام الساعة
وقيل أراد بالذين اتبعوه أمة محمد حيث صدقوه ووافقوه على دين التوحيد فهم فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة
وفيه قولان أحدهما أنهم فوقهم بالحجة
والثاني بالعز والغلبة وقد قال أنا أولى بعيسى بن مريم ليس بيني وبينه نبي
ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون
قوله تعالى فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة

تفسير السمعاني ج:1 ص:325
تفسير السمعاني ج 1/ص 326
أجورهم والله لا يحب الظالمين 57 ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم 58 إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون 59 والعذاب في الدنيا القتل والأسر والجزية والعذاب في الآخرة عذاب النار
قوله تعالى وما لهم من ناصرين وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم أي جزاء أعمالهم والله لا يحب الظالمين أي لا يرحم الكافرين ولا يثني عليهم بالجميل
قوله تعالى ذلك نتلوه عليك من الآيات يعني القرآن والذكر الحكيم أي الذكر ذي الحكمة وقيل الذكر المحكم الذي لا يتخلله الفساد
قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم سبب نزول الآية ما روى أن وفد نجران لما قدموا على النبي قال لهم أسلموا فقالوا نحن مسلمون قال كذبتم يمنعكم من ذلك ثلاث قولكم إن الله اتخذ ولدا وسجودكم للصليب وأكلكم الخنزير فقالوا من أبو عيسى فنزلت هذه الآية وفي الآية دليل عليهم ورد لقولهم فقوله إن مثل عيسى أي صفة عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من

تراب ثم قال له كن فيكون يعني إن خلق عيسى بلا أب مثل خلق آدم بلا أب ولا أم وخلق عيسى بلا أب ليس بأبدع من خلق آدم بلا أب ولا أم

فأما قوله ثم قال له كن فيكون راجع إلى آدم فإن قال قائل لما ذكر أنه خلقه من تراب فما معنى قوله بعده ثم قال له كن فيكون بعد الخلق قيل معناه خلقه من تراب ثم أخبركم أني قلت له كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في أولاده وهو مثل قول الرجل أعطيتك اليوم درهما ثم أعطيتك أمس درهما أي ثم أخبرك أني أعطيتك أمس درهما
قوله تعالى الحق من ربك فلا تكن من الممترين فإن قيل أكان شاكا في الحق حتى نهاه عن الشك قيل الخطاب مع النبي والمراد به الأمة وقيل معناه قل للشاك فيه الحق من ربك فلا تكن من الشاكين

تفسير السمعاني ج:1 ص:326
تفسير السمعاني ج 1/ص 327
الحق من ربك فلا تكن من الممترين 60 فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من واعلم أن فيما سبق من التمثيل على جواز القياس دليل على أن القياس هو رد فرع إلى أصل بنوع شبه وقد رد الله تعالى عيسى إلى آدم بنوع فدل على جواز القياس والمثل هو ذكر سائر يستدل به على غيره في معناه
قوله تعالى فمن حاجك فيه أي جادلك في الحق من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكافرين
هذا في دعاء النبي بني نجران إلى المباهلة روى سعد بن أبي وقاص أن النبي أخذ بيد الحسن والحسين وفاطمة وعلى ثم دعاهم إلى المباهلة
فقوله ندع أبناءنا أراد به الحسن والحسين وقوله ونساءنا يعني فاطمة وأنفسنا يعني نفسه وعلى فإن قال قائل كيف قال وأنفسنا وعلي - رضي الله عنه - غيره قيل العرب تسمى ابن عم الرجل نفسه وعلي كان ابن عمه وقيل ذكره على العموم لجماعة أهل الدين والإبتهال الإلتعان ومنه البهلة وهي اللعنة يقال عليك بهلة الله أي لعنة الله والابتهال الاجتهاد في دعاء اللعنة

واللعنة الإبعاد والطرد عن الرحمة بطريق العقوبة قال لبيد
وكهول سادة من عامرنظر الدهر إليهم فابتهل

أي نظر الدهر إليهم بالهلاك فأفناهم باجتهاد فيه
وفي القصة وكهول أن النبي لما دعاهم إلى الإبتهال وجعل اللعنة على

تفسير السمعاني ج:1 ص:327
تفسير السمعاني ج 1/ص 328
العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا نساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين 61 إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم 62 فإن تولوا فإن الله عليم بالمفسدين 63 قل يا أهل
الكاذب من الفريقين فقال الأسقف لهم لا تباهلوا فإنكم لو ابتهلتهم لاضطرم عليكم الوادي نارا فقالوا للنبي وهل غير المباهلة قال الإسلام أو الحرب أو الجزية فقبلوا الجزية وانصرفوا وقال النبي لو تلاعنوا لصاروا قردة وخنازير وفي رواية لو تلاعنوا لم يبق في الدنيا نصراني ولا نصرانية إلى يوم القيامة
قوله تعالى إن هذا لهو القصص الحق أي النبأ الحق وما من إله إلا الله من صلة وتقديره وما إله إلا الله وإن الله لهو العزيز الحكيم
فإن تولوا أي أعرضوا فإن الله عليم بالمفسدين أي بمن يفسد منهم
قوله تعالى قل يا أهل الكتاب الخطاب مع اليهود والنصارى تعالوا إلى كلمة
العرب تسمى كل قصة لها شرح كلمة ومنه سميت القصيد كلمة
سواء بيننا وبينكم أي عدل ومنه قول زهير بن أبي سلمى

تفسير السمعاني ج:1 ص:328
تفسير السمعاني ج 1/ص 329

الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون 64 يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون
أروني خطة لا ضيم فيهايسوى بيننا فيها السواء
فإن ترك السواء فليس بيني
وبينكم بني عمرو لقاء
وأراد بالسواء العدل
ألا نعبد إلا الله سبب هذا أن اليهود قالوا لا يريد محمد منا إلا أن نعبده وكذلك

قالت النصارى فنزلت الآية قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم
معناه تعالوا إلى أمر نستوي فيه وهو أن لا نعبد إلا الله ولنتفق جميعا على عبادته ولا نشرك به شيئا
ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله قال عكرمة أي لا يسجد بعضنا لبعض فإن من سجد لغيره فقد اتخذه ربا
وقيل هو طاعة الخلق في معصية الخالق فإن تولوا أي فإن أعرضوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون أي بهذه الكلمة وهذا الأمر
قوله تعالى قل يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم سبب نزول الآية أن اليهود والنصارى اختصموا إلى النبي في إبراهيم فقالت اليهود هو منا وقالت النصارى لا بل منا فنزل قوله لم تحاجون لم تجادلون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون معناه أن اليهودية محرفة من التوراة والنصرانية محرفة من الإنجيل والتوراة والإنجيل أنزلتا بعد إبراهيم
فكيف تدعون أنه على اليهودية أو على النصرانية وأما التوراة والإنجيل فقد ذكرنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:329
تفسير السمعاني ج 1/ص 330

---

65 ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون 66 ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين 67 إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي
اشتقاقها وقيل ليس لهما اشتقاق وهما اسمان بالسريانية
قوله تعالى ها أنتم هؤلاء ها للتنبيه ومعناه يا هؤلاء أنتم حاججتم جادلتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم أي جادلتم في أمر موسى وعيسى وادعيتم أنا على دين موسى وعيسى وقد أنزلت أمره عليكم فلم تجادلون في أمر إبراهيم ولم أنزله عليكم ولا علم لكم به والله يعلم وأنتم لا تعلمون
قوله تعالى ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا أخبر الله تعالى أنه ليس على ما ادعوا من اليهودية و لا النصرانية ولكن كان حنيفا مسلما
والحنيف هو المائل إلى الدين والمستقيم عليه ومنه الأحنف وهو المائل القدم
وقال مجاهد الحنيف المتبع وقال الضحاك الحنيف الحاج فإن قال قائل لم قال حنيفا مسلما والمسلم هو الذي يكون على جميع ما أتى به محمد رسول الله وإبراهيم لم يكن على جملة شريعته

قيل قد كان على بعض شريعته فيكون بذلك مسلما كمن مات من هذه الأمة في بدء الأمر كان مسلما ببعض شريعته فإنها إنما تمت واستقرت في آخر الأمر ويحتمل أن يكون قوله مسلما بمعنى الانقياد من قوله أسلم قال أسلمت لرب العالمين فلذلك قال حنيفا مسلما وما كان من المشركين
قوله تعالى إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه من اتبعه في زمانه وهذا النبي يعني محمدا والذين آمنوا يعني من هذه الأمة والله ولي المؤمنين
قوله تعالى ودت طائفة من أهل الكتاب أي تمنت طائفة من أهل

تفسير السمعاني ج:1 ص:330
تفسير السمعاني ج 1/ص 331

والذين آمنوا والله ولي المؤمنين 68 ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون 69 يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون 70 يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون
الكتاب لو يضلونكم لو يردونكم إلى الضلالة وما هم عليه من اليهودية والنصرانية وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون
قوله تعالى يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون فيه قولان أحدهما معناه لم تكفرون بنعت محمد وصفته وأنتم تشاهدونه في التوراة والإنجيل
والثاني معناه لم تكفرون بما ياتي به محمد من الدلالات والمعجزات وأنتم تقرون بمثلها مما اتى به موسى وعيسى
قوله تعالى ـ يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون معناه لم تخلطون الإيمان بعيسى - وهو الحق - بالكفر بمحمد - وهو الباطل - وقيل معناه لم تغطون الحق من نعت محمد بالتغيير الباطل
قوله تعالى وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون أما وجه النهار أوله ومنه قول الشاعر من كان مسرورا بمقتل مالكفليأت نسوتنا بوجه نهار
أي أول النهار وهذا في اليهود قالوا نؤمن بمحمد في أول النهار ثم نكفر به آخر النهار حتى يتهمه الناس ويقولوا قد ظهر منه شيء حتى كفروا به وقيل إنهم قالوا نصدقه في البعض ونكذبه في البعض حتى يقول الناس صدقوه فيما كان صادقا وكذبوه فيما كان كاذبا فيستريبون بحاله

تفسير السمعاني ج:1 ص:331
تفسير السمعاني ج 1/ص 332

وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار وأكفروا آخره لعلهم يرجعون 72 ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من
لعلهم يرجعون أي من تبعه في دينه ويكون وجه النهار وآخره بمعنى البعض على القول الثاني
قوله تعالى ـ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أي لا تصدقوا إلا من تبع دينكم واللام فيه زائدة كما قال قال عسى أن يكون ردف لكم أي ردفكم وهذا في اليهود أيضا قالوا لا تصدقوا إلا من وافقكم في ملتكم
ثم ابتدأ الله تعالى فقال قل إن الهدى هدى الله أي إن البيان بيان الله
أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أي ولا يحاجونكم عند ربكم فإن الحجة لكم عليهم وليست لهم عليكم عند الله
وقتا محمد بن يزيد المبرد في الآية تقديم وتأخير قوله ولا تؤمنوا أي لا تصدقوا أن يؤتى أحد مثل مل أوتيتم من الدلالات والآيات من المن والسلوى ونحوه إلا لمن تبع دينكم إلا لمن وافقكم في اليهودية أو يحاجوكم عند ربكم أي إن صدقتموهم يحاجونكم يوم القيامة عند ربكم فيقولون نحن مثلكم أو خير منكم فلا تصدقوهم حتى لا يحاجوكم عند ربكم إلى ها هنا كلام اليهود ثم ابتدأ الله تعالى فقال قل أن الهدى هدى الله وقيل معناه ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أي ولا تصدقوا أن النبوة في غير بني إسحاق وأنها في بني إسماعيل
قوله تعالى قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص

تفسير السمعاني ج:1 ص:332
تفسير السمعاني ج 1/ص 333

يشاء والله واسع عليم 73 يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم 74 ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائما ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون 75
برحمته من يشاء قال ابن عباس هو الدين وقال مجاهد هو النبوة وقال ابن جريج هو القرآن والإسلام والله ذو الفضل العظيم
قوله تعالى ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك قد ذكرنا الأقوال في القنطار وقال عطاء بن أبي رباح هو ست آلاف دينار
وهذا في عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفين ومأتي أوقية من الذهب فأدى الأمانة فيه
ومنهم من إن تأمنه بدينار لا يؤده إليك هذا في فنحاص بن عازوراء اليهودي أودعه رجل دينارا فخان فيه
إلا ما دمت عليه قائما أي لا يؤده إليك إلا ما دمت على رأسه قائما تطالبه وقيل أراد بالقيام الإلحاح والمطالبة
ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل قالت اليهود ليس علينا في أخذ أموال العرب حرج كأنهم استحلوا أموال الأميين وهم العرب محمد وأصحابه
ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى عليهم سبيل ذكره جوابا لقولهم
قالت النحاة وهو وقف تام ثم ابتدأ فقال من أوفى بعهده واتقى قال ابن عباس واتقى الشرك فإن الله يحب المتقين الموحدين
قوله تعالى إن الذين يشترون بعهد الله وإيمانهم ثمنا قليلا روى أبو وأئل - وهو شقيق بن سلمة - عن ابن مسعود عن رسول الله أنه قال من حلف على يمين كاذبة ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان

تفسير السمعاني ج:1 ص:333
تفسير السمعاني ج 1/ص 334

بلى من أوفى بعهده واتقى فإن الله يحب المتقين 76 إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم
وتلا هذه الآية قال وكان الأشعث بن قيس حاضرا فقال في نزلت الآية وذكر قصة وهذا حديث في الصحيحين ورواه مسلم في صحيحه برواية أخرى وزاد فيه أنه قيل يا رسول الله وإن كان في شيء يسير قال وإن كان في قضيب من أراك
وروى مسلم أيضا في كتابه برواية ثالثة عن النبي أنه قال ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم المنان بما أعطى والمسبل إزاره والمنفق سلعته باليمن الكاذبة
فقوله إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أي شيء قليل من حطام

الدنيا أولئك لا خلاق لهم في الآخرة أي لا حظ لهم فيها
ولا يكلمهم الله أي ولا يكلمهم كما يكلم المؤمنين وقد صح أنه جل جلاله - يكلم المؤمنين يوم القيامة من غير ترجمان وقيل هو بمعنى الغضب كما يقال أنا لا أكلم فلانا إذا كان غضبانا عليه ولا ينظر إليهم يوم القيامة يعني لا ينظر إليهم بالرحمة
ولا يزكيهم لا يثني عليهم بالجميل ولا يطهرهم من الذنوب ولهم عذاب أليم

تفسير السمعاني ج:1 ص:334
تفسير السمعاني ج 1/ص 335
القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم 77 وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون 78 ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم

قوله تعالى وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب أي يغيرون ويحرفون الكتاب بألسنتهم وقيل يعدلون بألسنتهم عن الكتاب لتحسبوه لتظنوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون
قوله تعالى ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة سبب نزول الآية أن اليهود والنصارى اجتمعوا عند النبي واختصموا في إبراهيم فقالت كل فرقة هو منا فقال كذبتم فغضبوا وقالوا يا محمد لا تريد منا إلا أن نتخذك ربا فنزلت الآية
ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب يعني القرآن والحكم الأحكام والحكمة السنة والنبوة المنزلة الرفيعة بالأنبياء
ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله أي عبيدا لي من دون الله وقيل أراد بالبشر عيسى - صلوات الله عليه - لأنهم كانوا يدعون أن عيسى أمرهم أن يعبدوه ويتخذوه ربا فقال ما كان لبشر يعني عيسى
أن يؤتيه الله الكتاب يعني الإنجيل والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب
قال سعيد بن جبير الرباني الفقيه العالم الذي يعمل بعلمه وقال الضحاك الرباني العالم الحكيم وفي الخبر كونوا علماء حلماء
والرباني من طريق المعني هو أن يكون على دين الرب وعلى طريق الرب

تفسير السمعاني ج:1 ص:335
تفسير السمعاني ج 1/ص 336
والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون 79 ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا أيأمركم
وقيل هو من التربية فالرباني هو الذي ربي بصغار العلم حتى بلغ كباره وروى أن ابن عباس لما توفي قام محمد بن الحنفية على قبره وقال اليوم مات رباني هذه الأمة

(1/256)

وقال مجاهد الربانيون فوق الأحبار فالأحبار العلماء والربانيون الذين جمعوا مع العلم البصيرة بسياسة الناس
بما كنتم تعلمون - بالتشديد- من تعليم القرآن وبالتخفيف من العلم
وبما كنتم تدرسون تقرءون
قوله تعالى ولا يأمركم يقرأ بالرفع على الابتداء أي ولا يأمركم الله ويقرأ بنصب الراء على النسق أي ولا يأمركم ذلك البشر أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابا فالنصارى هم الذين اتخذوا النبيين أربابا والصائبون هم الذين اتخذوا الملائكة أربابا
أيامركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون أي لا يأمركم بالكفر بعد الإسلام
قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق النبيين قرأ ابن مسعود وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لما آتيتكم من كتاب وحكمة هو أحد القولين في معنى القراءة المعروفة قال ابن عباس معنى الآية وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب مع النبيين قال ابن عباس لما استخرج الله الذرية من صلب آدم كالذر

تفسير السمعاني ج:1 ص:336
تفسير السمعاني ج 1/ص 337
بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون 80 وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين 81 فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون 82 أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها
والأنبياء كانوا فيهم كالمصابيح والسرج أخذ الميثاق على النبيين أن يؤمنوا بمحمد وأن يصدقوه وينصروه إن أدركوه فهذا معنى قوله وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة وقرأ حمزة لما آتيتكم مخففا بكسر اللام

وقرأ غيره لما آتيتكم بفتح اللام مشددا والقراءة المعروفة بفتح اللام مخففا ومعناه للذي آتيتكم بمعنى الخبر

وقيل معناه لئن آتيتكم بمعنى الشرط ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه يعني محمدا
قال أأقررتم أي أقروا وأخذتم على ذلكم إصري أي عهدي والإصر العهد الثقيل قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين
وقال الضحاك إنما أخذ الميثاق على النبيين خاصة كما نطقت به الآية فأخذ الميثاق على كل نبي أن يؤمن بالذي يأتي بعده من الأنبياء وينصره فأخذ الميثاق على موسى - صلوات الله عليه وسلم - أن يؤمن بعيسى وعلى عيسى أن يؤمن بمحمد ونحو ذلك
ثم قال فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون أفغير دين الله يبغون يطلبون يقرأ بالياء والتاء
وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها قال ابن عباس لما خاطبهم بقوله ألست بربكم أسلم الكل وقالوا بلى ولكن بعضهم قالوا بلى

تفسير السمعاني ج:1 ص:337
تفسير السمعاني ج 1/ص 338
وإليه يرجعون 83 قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون 84 ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين 85 كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات طوعا وبعضهم كرها
وقيل أسلم من في السموات طوعا وأسلم من في الأرض كرها وطوعا وبعضهم طوعا وبعضهم كرها لخوف السيف وإليه ترجعون
قوله تعالى قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط لما ذكر الملك والأديان واضطراب الناس فيها أمر رسوله أن يقول آمنا بالله الآية وقد ذكرنا معنى الأسباط وما قيل فيه وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون

قوله تعالى ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين وحق لمن يبتغي غير دين الإسلام أن يصبح غدا من الخاسرين
قوله تعالى كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات يعني لا يهديهم الله وهو مثل قول عبد الله بن قيس الرقيات
كيف نومي على الفراشولما تشتمل السآم غارة شعواء
أي لا نوم لي على الفراش
والآية نزلت في الحارث بن أوس بن الصامت فإنه ارتد عن الإسلام ولحق بمكة وأقام مدة ثم أرسل إلى المسلمين في أن يرجع إلى الإسلام فنزلت الآية كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم
قال الزجاج يعني أنهم يستحقون الضلالة ولا يستحقون الهداية والله لا يهدي القوم الظالمين أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين

تفسير السمعاني ج:1 ص:338
تفسير السمعاني ج 1/ص 339
والله لا يهدي القوم الظالمين 86 أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين 87 خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون 88 إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم 89 إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون 90 إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل
فإن قال قائل لم قال والناس أجمعين فكذلك يتناول نفسه أيضا فكيف يلعن على نفسه قيل أراد في القيامة يلعن بعضهم بعضا ويلعنون أنفسهم وقيل إنهم يلعنون الظالمين والكافرين فذلك لعنهم على أنفسهم لأن من لعن الظالمين والكافرين وهو ظالم وكافر فقد لعن نفسه
خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم يعني بهذا الحارث بن أوس فإنه تاب وأسلم فقبلت توبته

قوله تعالى ـ إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم هذا في قوم كانوا مع الحارث بن أوس وارتدوا فلما رجع هو إلى الإسلام أمسكوا عن الإسلام أولئك القوم وقالوا نتربص الدهر بمحمد فإن ساعده الزمان ونفذ أمره نرجع إلى دينه فنزلت الآية
إن الذين كفروا بعد إيمانهم أي ارتدوا عن الإسلام بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا بقولهم إنا نتربص بمحمد ريب المنون لن تقبل توبتهم قال أبوالعالية لأنهم لم يكونوا محققين للتوبة بل كانوا متربصين وأولئك هم الظالون وقيل أراد به الذين كفروا بعد إيمانهم بعيسى ازدادوا كفرا بمحمد لن تقبل توبتهم عند الناس

وأولئك هم الظالون
قوله تعالى إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به يعني لو افتدى به و الواو زائدة مقحمة وقيل تقدير الآية فلن يقبل من أحدهم أن يتبرع بملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أيضا لا يقبل أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين
قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون قال ابن مسعود وعمرو بن ميمون

تفسير السمعاني ج:1 ص:339
تفسير السمعاني ج 1/ص 340
من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين 91 لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم 92 كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا
ومسروق بن الأجدع أبو عائشة البر الجنة ها هنا وقيل هو العمل الصالح وقيل هو الثواب وفي الخبر عليكم بالصدق فأنه يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنه وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار

حتى تنفقوا مما تحبون قيل أراد بالإنفاق أداء الزكاة وقيل أداء جميع الصدقات وقيل كل إنفاق يبتغي به مرضات الله تعالى ينال به هذا البر
وروى أنه لما نزلت هذه الآية قال أبو طلحة يا رسول الله إني أرى الله يسألنا أموالنا فأشهدك أني جعلت حائط كذا لله تعالى فقال اقسمه بين الفقراء قرابتك فقسمه بين أبي وحسان
وروى أن ابن عمر - رضي الله عنه - اشترى جارية كان قد هويها فلما نظر إليها أعتقها وزوجها رجلا وتلا قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم أي يعلمه أي يجازى عليه
قوله تعالى كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل سبب نزول الآية أن اليهود قالوا لرسول الله إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها وأنت تأكلها فلست على ملة إبراهيم فنزلت الآية كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة يعني ليس الأمر على ما قالوا من حرمة لحوم الإبل وألبانها على إبراهيم بل كان الكل

تفسير السمعاني ج:1 ص:340

تفسير السمعاني ج 1/ص 341
بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين 93 فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون 94 قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين 95 إن أول بيت وضع للناس ببكة مباركا وهدى للعالمين 96 فيه آيات بينات مقام إبراهيم
حلالا له ولبني إسرائيل وإنما حرمها يعقوب على نفسه قبل نزول التوراة يعني أن حرمتها ليست في التوراة ولا في شرع إبراهيم وإنما هو شيء حرمه إسرائيل على نفسه وسبب تحريمه ذلك على نفسه أنه أشتكي عرق النسا وكان له من ذلك زقاء - أي صياح - فقال إن شفاني الله منه لأحرمن أحب الطعام إلي لحوم الإبل وألبانها فشفاه الله فحرمها على نفسه

قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين طالبهم بالإتيان بالتوراة حجة على ما ادعوا فلم يأتوا بها إذ لم يكن تحريمها في التوراة فعجزوا عن الإتيان بالتوراة وكان ذلك كالمعجزة للرسول عليهم
قوله تعالى فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون وقد ذكرنا معنى الافتراء والظلم
قوله تعالى قل صدق الله يعني فيما أخبر وأنزل فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا وإنما دعاهم إلى إتباع ملة إبراهيم لأن في اتباع ملته اتباعه وفي اتباعه اتباع ملته وما كان من المشركين
قوله تعالى إن أول بيت وضع للناس ببكة مباركا روى أبو ذر أنه سأل رسول الله أي المساجد وضع أولا فقال المسجد الحرام قلت ثم أي قال المسجد الأقصى قلت كم بينهما قال أربعون عاما ثم قال أينما أدركتك الصلاة فصل فإنه لك مسجد
وروى خالد بن عرعرة عن علي - رضي الله عنه - أنه قال أراد به أن أول بيت وضع للناس مباركا مع الرحمة والبركة والآيات البينات للذي ببكة
وقيل أول ما خلق الله تعالى من الأرض موضع البيت ثم منه خلق جميع الأرض

تفسير السمعاني ج:1 ص:341
تفسير السمعاني ج 1/ص 342
ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني
وأول ما خلق من الجبال جبل أبي قبيس
وفي القصص أن الله تعالى أمر الملائكة ببناء البيت قبل خلق آدم بألفي عام وكانت الملائكة يحجونه فلما حجه آدم قالت الملائكة بر حجك حججنا هذا البيت

قبلك بألفي عام وأما بكة فالصحيح أن بكة و مكة بمعنى واحد وهو قول ابن عباس ومثله طين لازب ولازم وسمل رأسه وسبل بمعنى واحد
وقيل أنه موضع البيت ومكة جميع القرية وقيل إنما سميت ببكة لأن الناس يتباكون فيها أي يزدحمون ومنه قول الشاعر
إذا الشريب أخذته أكهفخله حتى يبك بكة

وقوله مباركا وهدى للعالمين أي وضع ذلك البيت ذا بركة وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم قرىء فيه آية بينة على الوحدان وهي مقام إبراهيم والمعروف فيه آيات بينات مقام إبراهيم
من تلك الآيات مقام إبراهيم وهو الحجر الذي فيه أثر أصابع قدم إبراهيم وكان قد بقي أثره فيه فاندرس من كثرة المسح بالأيدي وقيل مقام إبراهيم جميع الحرم
ومن الآيات في البيت أيضا أن الطير يطير فلا يعلو فوقه كذا قيل ومنها أن الجارحة إذا قصدت صيدا فإذا دخل الصيد الحرم كفت عنه ومنها أنه ما قصده جبار إلا قصمه الله - تعالى - ومنها أن المطر إذا أصاب الركن اليماني كان الخصب باليمن وإن أصاب جانب الشام كان الخصب بالشام وإن أصاب جميع الجوانب كان الخصب جميع الجوانب
وسبب هذا أن اليهود قالوا قبلتنا أولى من قبلتكم فبين الله تعالى للمسلمين شرف قبلتهم فإنها خصت بأشياء ليست تلك لقبلتهم وأن بيت المقدس قد حرق وهدم وأما الكعبة فما قصدها جبار إلا قصمه الله تعالى ومن دخله كان آمنا قال ابن عباس هو الجاني يدخله فيصير آمنا عن القتل فيه ولكنه لا يؤاكل

تفسير السمعاني ج:1 ص:342
تفسير السمعاني ج 1/ص 343
عن العالمين 97 قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون
ولا يشارب ولا يباع ولا يشاري حتى يخرج فيقتل
وقال الحسن وقتادة وعامة المفسرين - وهو الأصح - إنه أراد الأمن عن تخطف الكفار بالقتل والغارة وقيل أراد به ومن دخله كان آمنا في القيامة من العذاب
قوله تعالى ـ ولله على الناس حج البيت قد ذكرنا معنى الحج

من استطاع إليه سبيلا روى الحسن مرسلا عن النبي أنه سئل عن الاستطاعة فقال الزاد والراحلة وروى ابن عمر أنه سئل أي الحاج أفضل فقال الشعث التفل فقيل أي الحج أفضل العج والثج قيل ما السبيل قال الزاد والراحلة وقال مالك الاستطاعة بقوة البدن فمتى وجد الزاد وقوى على المشي لزمه الحج والأصح أن الاستطاعة هي القدرة على ما يوصله إلى الحج فمنها الزاد والراحلة ومنها أمن الطريق ونفقة الأهل ونحو ذلك
ومن كفر فإن الله غني عن العالمين الأصح أنه أراد بالكفر إنكار وجوب الحج وقيل إنه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله

تفسير السمعاني ج:1 ص:343
تفسير السمعاني ج 1/ص 344
98 قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون 99 يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب
من جمع الأديان وقال إن الله كتب عليكم الحج أيها الناس فحجوا فصدقه المؤمنون وكذبه الكافرون فنزل قوله ومن كفر فإن الله غني عن العالمين
قوله تعالى قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون أي لا يخفي عليه ما تعملون ويجازيكم عليه
قوله تعالى قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن أي لم تمنعون من آمن عن سبيل الله بكتمان نعت محمد تبغونها عوجا أي تطلبون الزيغ عن السبيل والعدول عنها بتغيير صفة محمد وأنتم شهداء يعني أنتم عالمون أنه حق على ما ورد نعته وصفته وما الله بغافل عما تعملون
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين يعني يردونكم إلى اليهودية والنصرانية

قوله تعالى وكيف تكفرون قال الأخفش سعيد بن مسعدة على أي حال تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله
فإن قال قائل منعه إياهم عن الكفر يكون الرسول فيهم يوهم إباحة الكفر في حال لا يكون الرسول فيهم قيل ولا يخلو حال من كون الرسول فيهم فإنه اليوم وإن كان خارجا من بينهم فشرعه قائم بينهم فيكون كأنه فيهم
ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم أي ومن يمتنع بالله قيل ومن يثق بالله فقد أرشد إلى طريق مستقيم
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن مسعود هو أن

تفسير السمعاني ج:1 ص:344
تفسير السمعاني ج 1/ص 345
يردوكم بعد إيمانكم كافرين 100 وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم 101 يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله
يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر وقال قتادة الآية منسوخة بقوله فاتقوا الله ما استطعتم قال أهل المعاني لا يستقيم النسخ فيه وقوله فاتقوا الله ما استطعتم تفسير لهذه الآية لأن من أطاع الله في وقت وجوب الطاعة وذكره في وقت وجوب الذكر وشكره في موضع وجوب الشكر فقد اتقى الله حق تقاته
وهذا لم يصر منسوخا وقوله فاتقوا الله ما استطعتم موافق له لأن التقوى إن كان في موضع الأمر والوجوب والأوامر والواجبات على قدر الاستطاعة فتكون إحدى الآيتين موافقة للأخرى فلا يستقيم فيه النسخ
ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون فإن قال قائل كيف نهاهم عن الموت على الكفر والموت لا يدخل تحت الأمر والنهي قيل معناه دوموا على الإسلام حتى إذا وافاكم الموت ألفاكم على الإسلام هذا كما يقول الرجل لغيره لا أريتك تفعل كذا معناه لا تفعل كذا حتى إذا رأيتك لا أراك على فعله

(1/265)

قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعا قال ابن عباس حبل الله هو العهد وقال قتادة والسدى حبل الله القرآن وفي الخبر القرآن حبل ممدود طرف بيد الله وطرف بأيديكم وقيل الحبل الطريق حبل الله طريق الله وأنشدوا في ذكر الناقة قول الشاعر

تفسير السمعاني ج:1 ص:345
تفسير السمعاني ج 1/ص 346
حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون 102 واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون 103 ولتكن
وإذا أجوزها حبال قبيلةنزلت من الأخرى إليك حبالها
أي طريقها وأصل الحبل كل ما يوصلك إلى الشيء فتفوز به والعهد حبل والقرآن حبل ومنه الحبل المعروف لأنه يوصل إلى المقصود

ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم سبب نزول الآية ما روى أن رجلين أحدهما من الأوس والآخر من الخزرج تسابا فدعا كل واحد منهما قبيلته فثار الحيان وضربوا بأيديهم إلى السيوف وكاد يكون بينهم قتال فبلغ ذلك رسول الله فخرج عليهم وهو على حمار وقام بينهم فنزلت الآية وتلا عليهم فبكوا ومشى كل واحد إلى صاحبه وتعانقوا واصطلحوا وكفوا عن القتال قال جابر ما كان يوما أقبح أولا من ذلك اليوم ولا أحسن آخر من ذلك اليوم فقوله ولا تفرقوا الخطاب معهم واذكروا نعمة الله عليكم يعني بالإسلام وبعث الرسول وإنزال الكتاب
إذ كنتم أعداء لأن الأوس والخزرج كان بينهم قتال دام مائة وعشرين سنة فألف بين قلوبكم يعني بالإسلام فأصبحتم بنعمته إخوانا أي في الدين وكنتم على شفا حفرة أي طرف حفرة من النار فأنقذكم منها

وقيل نزلت الآية في مشركي العرب والأول أصح وهو قول عكرمة كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون أي ترشدون وتسلكون طريق الحق

تفسير السمعاني ج:1 ص:346
تفسير السمعاني ج 1/ص 347
منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون 104 ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم 105 يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد
قوله تعالى ولتكن منكم أمة أي كونوا أمة وكلمة من - فيه - للجنس لا للتبعيض وهو مثل قوله فاجتنبوا الرجس من الأوثان والمراد به الاجتناب من جنس الأوثان كلها لا من بعض الأوثان كذلك قوله ولتكن منكم أمة أي كونوا أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون أي وأنتم المفلحون
قوله تعالى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا يعني اليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه يعني وأولئك لهم عذاب عظيم يوم القيامة ثم وصف ذلك اليوم فقال يوم تبيض وجوه يعني بالتوحيد وتسود وجوه بالشرك وقيل تبيض وجوه بالسنة وتسود وجوه بالبدعة وقيل أراد به في الدنيا تبيض وجوه بالقناعة وتسود وجوه بالطمع والأول أصح ويشهد لذلك قوله تعالى وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة الآية
وفي رواية أبي أمامة عن النبي تسود وجوه الخوارج فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم أي يقال لهم أكفرتم بعد إيمانكم فإن قال قائل

كيف كفروا بعد الإيمان ولم يكونوا مؤمنين قط قيل أراد به إيمان يوم الميثاق وكفروا بعده

تفسير السمعاني ج:1 ص:347
تفسير السمعاني ج 1/ص 348

إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون 106 وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون 107 تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين 108 ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور 109 كنتم خير أمة أخرجت
وقيل أراد به اليهود آمنوا بما كان في التوراة من نعت محمد ثم كفروا وغيروا فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
قوله تعالى وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله أي في ثواب الله هم فيها خالدون
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين لأنه يعاقب من يعاقب عن استحقاق بالعدل ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الأمور
قوله تعالى كنتم خير أمة فإن قال قائل ما معنى قوله كنتم خير أمة ومتى كانوا بتلك الصفة قيل أراد به كنتم خير أمة في اللوح المحفوظ وقيل أراد به صرتم خير أمة إذا آمنتم وقيل يقال لهم يوم القيامة كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فالمعروف ما عرفه الشرع والمنكر ما أنكره الشرع وفي الحديث لتأمرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو يوشك أن يعمكم الله بعقابه وقال أفضل الشهداء بعد شهداء أحد رجل قام إلى إمام جائر فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله عليه
قوله وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم وهذا لاشك فيه منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لأنه آمن بعضهم وكفر أكثرهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:348
تفسير السمعاني ج 1/ص 349

للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون 110 لن يضروكم إلا أذى وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون 111 ضربت عليهم الذلة أين ما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس وباءوا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون 112 ليسوا سواء من أهل الكتاب

لن يضروكم إلا أذى يعني لا يضرونكم بأكثر من أذى وهو إضرار يسير وأذى توقيعه باللسان

وإن يقاتلونكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون أي يهزمون وتكون النصرة لكم عليهم

قوله تعالى ضربت عليهم الذلة يعني ذل الكفر بالقتل والسبي والاغتنام أين ما ثقفوا أي وجدوا

إلا بحبل من الله يعني عهد الذمة وحبل من الناس وهو عهد الأمان يعني أنهم يقتلون ويؤسرون إلا أن تكون لهم ذمة أو أمان

وباءوا بغضب من الله رجعوا واحتملوا غضب الله وقيل لزمهم غضب الله من قولهم تبوأ مكان كذا أي لزمه وضربت عليهم المسكنة أي ذل الكفر بزي الفقر وذلك على اليهود حتى لا يرى يهودي إلا على زي الفقر وإن كان غنيا ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء يعني المؤمنين والكافرين ليسوا سواء وهذا وقف تام ثم ابتداء من أهل الكتاب أمة قائمة أي عادلة وقيل قائمة مستقيمة على الحق وقيل الأمة الطريقة المستقيمة وهي طريقة الحق وتقديره من أهل الكتاب ذو أمة قائمة ومنه قول النابغة

أكفلتني ذنب امرئ وتركتهوهل يأثمن ذو أمة وهو طائع

تفسير السمعاني ج:1 ص:349

تفسير السمعاني ج 1/ص 350

أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون 113 يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين 114 وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين 115 إن الذين كفروا لن تغني عنهم

أي ذو دين وطريقة يتلون آيات الله آناء الليل ساعات الليل وأحدها إنا وأنا وهم يسجدون قال ابن مسعود يعني يصلون صلاة العتمة وقيل أراد به الصلاة ما بين المغرب والعشاء وهو في آناء الليل

يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون

في الخيرات وأولئك من الصالحين وصفهم الله تعالى وشكرهم وما يفعلوا من خير فلن يكفروه أي يجازون عليه والله تعالى إذا جازى العبد على صنيعه فقد شكره والله عليم بالمتقين
قوله تعالى إن الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا أي لا تدفع أموالهم بالفدية ولا أولادهم بالنصرة من عذاب الله وذلك أن الإنسان يدفع عن نفسه بفداء المال وتارة بالاستعانة بالأولاد وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
قوله مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر الصر في الريح البرد وقول الشاعر
أوقد فإن الليل ليل قروالريح يا واقد ريح صر
عسى ما نرى نارا لمن يمر
إن جلبت ضيفا فأنت حر
أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته شبه إنفاقهم بزرع اجتاحته جائحة أو أصابته ريح باردة فأهلكته
واختلفوا في تلك النفقة قال بعضهم أراد به إنفاق أبي سفيان يوم بدر وأحد على المشركين في قتال المسلمين وقيل أراد به إنفاق المرء الذي ينفق ماله رياء

تفسير السمعاني ج:1 ص:350
تفسير السمعاني ج 1/ص 351

أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 116 مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون 117 يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون 118 ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب
وسمعة لا يبتغي وجه الله وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أي خواص من غير أهل ملتكم وبطانة الرجل خاصته والذين يستنبطون أمره ومنه البطانة في الثوب لأنه يلي البطن والباطن وهذا في النهي عن موالاة الكفار لا يألونكم خبالا أي يقصرون في أمركم فيفسدون عليكم أمركم والخبال الفساد ودوا ما عنتم أي يودون ما يشق عليكم والعنت المشقة ومنه الأكمه العنوت وهي الشاقة الصعود قال السدي أراد به أنهم يودون ردكم إلى الكفر والضلالة

قد بدت البغضاء من أفواههم يعني الوقيعة باللسان وما تخفي صدورهم أكبر يعني الذي في صدورهم من الغيظ أعظم من الوقيعة باللسان قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون
قوله تعالى ها أنتم أولاء يعني أنتم يا هؤلاء تحبونهم أي تحبون إيمانهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا يعني باللسان
وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم وهو عبارة عن شدة الغيظ إن الله عليم بذات الصدور
قوله تعالى إن تمسسكم حسنة أبي خصب ونصرة تسؤهم وإن تصبكم سيئة أي قحط وبلاء يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا يعني على

تفسير السمعاني ج:1 ص:351
تفسير السمعاني ج 1/ص 352

كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور 119 إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا أن الله بما يعملون محيط 120 وإذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم 121 إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون 122 ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله الشدة والبلاء لا يضركم كيدهم شيئا ويقرأ لا يضركم بكسر الضاد مخففا والمعنى واحد إن الله بما يعملون محيط
قوله تعالى وإذ غدوت من أهلك يعني واذكر إذ غدوت ومعناه خرجت غدوة من اهلك أي من بيت عائشة تبوئ المؤمنين أي تنزل المؤمنين مقاعد للقتال يعني تنزلهم في مواضع القتال ومراكزه يقال بوأ فلانا مكان كذا إذا أنزله فيه قال ابن عباس كان النبي يسمى لكل واحد من المسلمين مكانا من القتال ويقيمه وهذا كان في حرب أحد وهذه الآية إلى قريب من آخر السورة في حرب أحد والله سميع عليم أي سميع بما قاله المنافقون عليم بما أضمروا فيكون على وجه التهديد وقيل معناه والله سميع بما قال المؤمنون عليهم بما أضمروا فيكون على وجه المدح
قوله تعالى إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا يعني أرادت وقصدت والهم القصد وأما الطائفتان فقد صح عن جابر أنه قال أراد به بني سلمة وبني حارثة والقصة في ذلك ما روى أن رسول الله شاور أصحابه في الخروج إلى حرب أحد فأشار بعضهم بالخروج وبعضهم بالمكث بالمدينة فاختار الخروج وكان جيش المسلمين ألفا فانخذل عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الجيش فهمت

هاتان

تفسير السمعاني ج:1 ص:352
تفسير السمعاني ج 1/ص 353

(1/272)

لعلكم تشكرون 123 إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين 124 بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة
الطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة أن يرجعوا معهم فثبتهما الله تعالى على المضي معه فلم يرجعوا فهذا معنى قوله إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا أي أن تضعفا وتجبنا والله وليهما أي ناصرهما ومثبتهما على الحرب
قال جابر ما وددنا أن تفشلا وقال الله والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون
قوله تعالى ولقد نصركم الله ببدر يذكر عليهم منته بالنصرة يوم بدر وهو موضع بين مكة والمدينة وسمى بدرا باسم الموضع وقيل سمى بدرا بإسم رجل وقيل بإسم بئر وأنتم ذلة أي قليل العدد لأنهم كانوا يوم بدر ثلثمائة وثلاثة عشر نفرا قال علي ولم يكن فينا فارس إلى المقداد وكان منهم سبعة وسبعون من المهاجرين والباقون من الأنصار وكان صاحب راية المهاجرين أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه - وصاحب راية الأنصار قيس بن سعد بن عبادة
وكان لهم يومئذ قليل سلاح فمن الله عليهم بالنصرة لهم مع قلة عددهم وعدتهم فاتقوا الله لعلكم تشكرون
قوله تعالى إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم قيل أراد به في يوم بدر وقيل في يوم أحد قال ابن عباس ما قاتلت الملائكة في المعركة إلا يوم بدر
أي يكفيكم أن يمدكم ربكم الإمداد هو إعانة الجيش بالجيش ومنه المدد بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين
قوله تعالى بلى إن تصبروا يعني بلى وعدكم إن تصبروا على لقاء العدو وتتقوا أي وتحذروا مخالفة الرسول ويأتوكم من فورهم هذا قال ابن عباس والحسن وأكثر المفسرين معناه ويأتوكم من وجوههم هذا وقيل معناه من غضبهم هذا لأنهم إنما رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر

تفسير السمعاني ج:1 ص:353
تفسير السمعاني ج 1/ص 354

آلاف من الملائكة مسومين 125 وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم 126 ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا
يمددكم ربكم بخمسة آلاف لم يرد به خمسة آلاف سوى ما ذكر من ثلاثة آلاف لأنهم أجمعوا على أن عدد الملائكة يومئذ خمسة آلاف وهذا نظير قوله تعالى بالذي خلق الأرض في يومين ثم قال بعده وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ولم يرد به أربعة أيام سوى ذلك اليومين لأنه قال بعده فقضاهن سبع سموات في يومين وأجمعوا على أن خلق الكل كان في ستة أيام لا في ثمانية أيام بل أراد به أربعة أيام مع ذلك اليومين كذا هذا
من الملائكة مسومين يقرأ بفتح الواو والمراد به المعلمين ويقرأ بكسر الواو فيكون فعل التسويم من الملائكة والتسويم الإعلام بالعلامة وهو من السومة والسماء وهو العلامة واختلفوا في علامة الملائكة يومئذ كيف كانت قال عروة بن الزبير كانت الملائكة على خيل يلق عليهم عمائم صفر
وقال الحسن كانت عمائم بيض مرسلة خلف الظهور وقال مجاهد كانوا قد أعلموا من الصوف على أذناب الخيل ونواصيها وذلك سنة في خلق الشجعان وقد قال سوموا فإن الملائكة قد سومت
قوله تعالى وما جعله الله إلا بشرى لكم أي بشارة لكم ولتطمئن قلوبكم به أي بوعده النصرة وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم يعني لا تختلوا بالنصرة عن الملائكة والجند واعرفوا أن النصر من عند الله

تفسير السمعاني ج:1 ص:354
تفسير السمعاني ج 1/ص 355
خائبين 127 ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون 128 ولله

ليقطع طرفا من الذين كفروا أي قطعة منهم ومنه أطراف الإنسان لأنها قطع النفس ثم من حمل الآية على حرب بدر فقد كان ذلك القطع منهم يوم بدر فإنه قتل منهم سبعون وأسر سبعون أكثرهم رؤساؤهم ومن حمل الآية على حرب أحد فقد قتل منهم ستة عشر فيهم أصحاب الرايات فكانت النصرة للمسلمين مالم يخالفوا أمر رسول الله فلما خالفوا أمره ذهبت النصرة عنهم

قوله أو يكبتهم قال أبو عبيدة أي يهلكهم وقيل معناه يخزيهم وهو أصح وقيل معناه أو يصرعنهم والكب والكبت الصرع على الوجه وفيه قول رابع يكبتهم بمعنى يكبدهم وذلك أن يحزنهم حتى وصل الحزن إلى أكبادهم والعرب تسمي الحزين أسود الكبد من تأثير الحزن فيه ومنه قول الشاعر
الأعداء والأكباد سود
فينقلبوا خائبين أي لا يدركون ما أملوا يقال رجع فلان من الغيبة بالخيبة إذا لم يدرك أمله
قوله تعالى ليس لك من الأمر شيء روى الزهري عن سالم عن أبيه عبد الله بن عمر ليس لك من الأمر شيء فترك اللعن في القنوت وروى أنس أنه شج رأسه يوم أحد وكسرت رباعيته وأدمي وجهه وكان يأخذ الدم بكفه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم فنزل قوله ليس لك من الأمر

تفسير السمعاني ج:1 ص:355
تفسير السمعاني ج 1/ص 356
ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم 129 يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون 130 واتقوا النار
شيء وقيل أراد رسول الله أن يدعوا عليهم بدعاء الاستئصال فنزل قوله ليس لك من الأمر شيء وذلك أنه تعالى علم أن فيهم من يسلم أو يتوب أو يتوب عليهم أو يعذبهم إنما نصبه على نصب قوله ليقطع طرفا ومعناه ليس لك من الأمر شيء فإن تبت عليهم أو عذبتهم فأمرك متابع لأمري أي إن تبت عليهم فبرحمتي وإن عذبتهم فبظلمهم

فإن قال قائل أي اتصال لقوله أو يتوب عليهم بقوله ليس لك من الأمر شيء قيل معناه ليس لك من الأمر شيء حتى يتوب عليهم أو إلى أن يتوب عليهم ومثله قول امرئ القيس
فقلت لها لا تبك عينك إنمانحاول ملكا أو نموت فنعذرا
أي حتى نموت فنعذرا ويحتمل أنه على نسق قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون ليس لك من الأمر شيء
والأمر أمري في ذلك كله
قوله تعالى ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم
يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قد ذكر الربا في سورة البقرة

وأعاد ذكره ها هنا تأكيدا والأضعاف المضاعفة هو ما كانوا يفعلونه من تبعيد الأجل بزيادة الدين
واتقوا الله لعلكم تفلحون أي كونوا على رجاء الفلاح يعني من ترك الربا

تفسير السمعاني ج:1 ص:356
تفسير السمعاني ج 1/ص 357
التي أعدت للكافرين 131 وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون 132 وسارعوا إلى
وفيه الفلاح وفي عطاء الربا الهلاك
وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - ما هلك قوم إلا وقد فشا فيهم الربا والزنا و عنه أيضا كثير الربا إلى قلة
قوله تعالى واتقوا النار التي أعدت للكافرين وهي معدة للكافرين فإنها دار الخلود لهم وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون أي كونوا على رجاء الرحمة
قوله تعالى وسارعوا إلى المغفرة أي بادروا إلى مغفرة من ربكم قال ابن عباس معناه بادروا إلى التوبة التي هي سبب المغفرة وقيل أراد به سؤال المغفرة وفيه قول غريب أنه التكبيرة الأولى
وجنة عرضها السموات والأرض أي سعتها كسعة السموات والأرض

وفي الخبر أن النبي سئل إذا كانت الجنة عرضها السموات والأرض فأين النار قال - عليه الصلاة السلام - فإذا جاء الليل فأين يذهب النهار وإذا جاء النهار فأين يذهب الليل ومعناه - والله أعلم - أنه حيث يشاء الله
فإن قيل قد قال الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون وأراد بالذي وعدنا الجنة فإذا كانت في السماء فكيف يكون عرضها السموات والأرض قيل إن باب الجنة في السماء وعرضها السموات والأرض كما أخبر

تفسير السمعاني ج:1 ص:357
تفسير السمعاني ج 1/ص 358
مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين 133 الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين 134 والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله
وقيل أراد به في القيامة فإن الله يزيد فيها فيصير عرضها السموات والأرض

إذا وصلت السموات والأرض بعضها ببعض وأما طولها فلا يعلمه إلا الله
أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء أي في اليسر والعسر
والكاظمين الغيظ كظم الغيظ هو أن يمتلئ غيظا فيمنع نفوذه من قولهم كظم البعير بجرته إذا ردها إلى جوفه وفي الخبر من امتلأ غيظا وكظمه خيره الله في الحور العين
والعافين عن الناس قيل عن المماليك سوء الأدب وقيل على العموم عن كافة الناس والله يحب المحسنين
قوله تعالى والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ما دون الزنا من القبلة والمعانقة واللمس والضم ونحوه ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم سبب نزول الآية ما روى أن رجلا بالمدينة - يقال له نبهان - كان تمارا فجاءته امرأة تشتري منه التمر فأعجبه جمالها فقبلها فذكر الله وندم واستغفر فنزلت الآية

والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله أي ذكروا وعيد الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا الإصرار هو المقام على المعصية من غير توبة فقوله ولم يصروا أي ولم يقيموا ولم يمضوا على ما فعلوا وهم يعلمون أن الله لا يتعاظمه العفو عن الذنب وإن أكثر

تفسير السمعاني ج:1 ص:358
تفسير السمعاني ج 1/ص 359
ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون 135 أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
الذنب وقد روى عن معبد بن صبيحة أنه قال صليت خلف عثمان فلما أنصرف من صلاته قال إن الله تعالى يقول ولم يصروا على ما فعلوا وأنا قد صليت من غير طهارة ناسيا وها أنا أتوضأ فذهب وتوضأ وأعاد الصلاة
أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العالمين ذكر في هذه الآية جزاء الذاكرين والمستغفرين وقد ورد في الاستغفار أخبار منها ما روى مرفوعا ما أصر من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة
وروى أسماء بن الحكم الفزازي عن علي أنه قال إذا سمعت من رسول الله حديثا ينفعني الله به ما شاء وإذا سمعت من غيره حلفته عليه فإذا حلف صدقته وحدثني أبو بكر - وهو صادق - أن رسول الله قال ما من عبد يذنب ذنبا فيتوضأ وصلى ركعتين واستغفر الله إلا غفر الله له
واعلم أن الاستغفار تسهيل للأمر على هذه الأمة فإن الذين قبلنا كان الواحد منهم إذا أذنب ذنبا يطهر على بابه أن اقطع من نفسك عضو كذا وكان لا بد له

منه وقد أخرج الله - تعالى - هذه الأمة عن الذنوب بالاستغفار كرامة لهم وتيسيرا عليهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:359
تفسير السمعاني ج 1/ص 360

تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين 136 قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين 137 هذا بيان للناس وهدى
وسئل ابن المعتز إذا كان الله - تعالى - واسع المغفرة وسعت رحمته كل شيء فما يمنعه أن يرحم الكافر فقال إن رحمته لا تغلب حكمته قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن قرأ ابن مسعود قد مضت وهو بمعنى خلت السنة هي الطريقة المتبعة في الخير والشر
وقد قال في المجوس سنوا بهم سنة أهل الكتاب وكانت شرا لهم وقال الشاعر
وإن الآلى بالطف من آل هاشمتأسوا فسنوا للكرام التأسيا
قال ابن عباس سنن الذين من قبلكم وهي وقائع الله على الكفار وقال غيره هي الأعلام والآثار التي كانت وحقيقة المعنى أنها طرائق الله في الكفار وبقتلهم وسبيهم وتخريب ديارهم ونحوه قال الزجاج قد خلت من قبلكم سنن أي أهل سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين
قوله تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين قال الشعبي بيان من العمى وهدى من الضلالة وموعظة من الجهل فالبيان هو إظهار معنى الكلام والموعظة هي الدعاء إلى الحق بالترغيب والترهيب
قوله تعالى ولا تنهوا ولا تحزنوا أي ولا تضعفوا ولا تجبنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون أي تكون لكم العاقبة والنصرة
وقيل إنما قال وأنتم الأعلون لأن المسلمين كانوا على الجبل والمشركين في

تفسير السمعاني ج:1 ص:360
تفسير السمعاني ج 1/ص 361
وموعظة للمتقين 138 ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين 139 إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله

أسفل الجبل وقوله إن كنتم مؤمنين أي لا تهنوا إن كنتم مؤمنين لأن الإيمان يزيد القوة فلا يورث الوهن

قوله تعالى ـ إن يمسسكم قرح تقرأ بفتح القاف وضمنها وقال الفراء القرح - بالفتح - الجراحة والقرح الألم وقال الكسائي هما عبارتان عن معنى واحد والأكثرون على القول الأول وقوله إن يمسسكم قرح خطاب للمسلمين فيما مسهم يوم أحد فقد مس القوم قرح مثله أي مس الكفار يوم بدر قرح مثل ما مسكم يوم أحد
وتلك الأيام نداولها بين الناس فتارة تكوم الدولة للمسلمين على الكفار وتارة للكفار على المسلمين قال الزجاج الدولة تكون للمسلمين على الكفار وقد كانت الدولة للكفار على المسلمين لما خالفوا أمر الرسول فإن لم يخالفوا أمره كانت الدولة للمسلمين أبدا لقوله تعالى وإن جندنا لهم الغالبون وقوله تعالى فإن حزب الله هم الغالبون
وليعلم الله الذين آمنوا قرأ ابن مسعود وليبلي الله الذين آمنوا والقراءة المعروفة وليعلم فإن قال قائل ما معنى قوله وليعلم الله الذين آمنوا وهو عالم بهم أبدا قيل معناه وليعلم الصابرين على الجهاد في مواطن الجهاد ليعاملهم معاملة من يبتليهم فيعلمهم والعلم بالجهاد في مواطن الجهاد إنما يقع بعد وقوع الجهاد وقيل العلم الأول علم الغيب وقوله وليعلم يعني علم المشاهدة والوقوع والمجازة على علم الوقوع لا على علم الغيب
ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين يعني أنه ما جعل اليد للكفار يوم أحد لحبه إياهم ولكن ليبتليكم ويجعلكم شهداء

تفسير السمعاني ج:1 ص:361
تفسير السمعاني ج 1/ص 362
الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين 140 وليحمص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين 141 أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا

قوله تعالى وليحمص الله الذين آمنوا وكل هذا على نسق قوله ليقطع طرفا وكذلك قوله وليعلم الله الذين آمنوا وأما التمحيص قيل هو التخليص وهو قول الحسن وقال مجاهد هو بمعنى الابتلاء وحقيقة معنى التمحيص التطهير من

الذنوب تقول العرب محص عنا ذنوبنا أي طهرنا من الذنوب
ويمحق الكافرين معنى الآية أنهم إن قتلوكم فذلك تطهير لكم وإن قتلتموهم فذلك محق لهم واستئصال
قوله تعالى أم حسبتم أي أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم أي ولم يعلم الله الذين وقع منهم الجهاد ويعلم الصابرين
قوله تعالى ولقد كنتم تمنون الموت سبب نزول الآية أن الذين تخلفوا من حرب بدر من المسلمين قالوا لما انقضت حرب بدر لو كان لنا يوم مثله فنقاتل ونقتل ونستشهد فلما كان يوم أحد انهزموا وهربوا فنزلت الآية
ولقد كنتم تمنون الموت أي سبب الموت وهو الجهاد إذ لا يجوز أن يتمنى الموت بقتل الكافر إياه من قبل أن تلقوه أي تلقون سببه من الجهاد فقد رأيتموه وأنتم تنظرون فإن قيل ما معنى قوله وأنتم تنظرون وقد قال فقد رأيتموه قيل يحتمل أن تكون الرؤية بمعنى العلم فقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:362
تفسير السمعاني ج 1/ص 363
منكم ويعلم الصابرين 142 ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون 143 وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين 144 وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته
وأنتم تنظرون ليعلم أن المراد بالرؤية ها هنا التفكر قاله الأخفش وقيل إنما قاله تأكيدا وقيل معناه وأنتم تنظرون إلى محمد

قوله تعالى وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل سبب نزول الآية أن المسلمين يوم أحد لما وقعت الهزيمة عليهم ووقع القتل فيهم صاح الشيطان - عليه ما يستحق - ألا إن محمدا قد قتل فقال المسلمون خذوا لنا الأمان من أبي سفيان وقال من كان في قلبه نفاق ارجعوا إلى دينكم الأول فإن محمدا قد قتل فنزل قوله وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يعني هو على رسالته ونبوته مات أو قتل فلم انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا أي إنما ضر نفسه وسيجري الله الشاكرين
وروى أن أنس بن النضر لما سمع قول الشيطان إن محمدا قتل اخترط سيفه وتوجه إلى الكفار وقال إن قاتل محمد وقتل ووصل إلى ما وصل فأنا أقاتل حتى أقتل وأصل إلى ما وصل إليه فقاتل حتى قتل

وقال كعب بن مالك أنا أول من رأى رسول الله يوم أحد بعد صياح الشيطان عرفته بعينيه تحت المغفر فقلت هذا رسول الله حي فأشار إلى أن اسكت 364 منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين 145 و كأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين 146 وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في
قوله تعالى وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله تقديره وما كانت نفس لتموت إلا بإذن الله بقضائه وقدره كتابا مؤجلا تقديره كتب كتابا مؤجلا
ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها فإن قيل نحن نرى من يريد الدنيا فلا يؤتى قيل معناه لا يمنع عنه ما قدر له من ثواب الدنيا بسبب كفره
ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها فإن قيل وهل يؤتى ثواب الآخرة بمجرد الإرادة قيل معناه ومن يرد بالعمل وهذا كما يقال فلان يريد الجنة أي يعمل للجنة
وسنجزي الشاكرين يعني المؤمنين قال علي - رضي الله عنه - أبو بكر إمام الشاكرين أي إمام المؤمنين رضي الله عنه

قوله تعالى وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير أي وكم من نبي قتل قال جرير
وكأين بالأباطح من صديقيراني إن أصبت هو المصابا
قال عكرمة هذا وقف تام ومعناه كم نبي قتل ومعه أصحابه
فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله أي ما جبنوا وما ضعفوا وما استكانوا أي ما ذلوا وما خضعوا وقال الحسن ما قتل نبي في معركة قط وإنما معنى الآية
وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير وأما القراءة الأخرى قاتل معه فمعناه ظاهر وأما الربيون قال ابن مسعود هم ألوف وقيل هم عشرة آلاف قال
الحسن الربيون من العلماء مأخوذ من الرب لأنهم على دين الرب وطريقه
قوله تعالى والله يحب الصابرين وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا أي الصغائر وإسرافنا في أمرنا أي الكبائر وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين

تفسير السمعاني ج:1 ص:363
تفسير السمعاني ج 1/ص 365
أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين 147 فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين 148 يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين 149 بل الله مولاكم وهو خير الناصرين 150 سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا
قوله تعالى فآتاهم الله ثواب الدنيا يعني النصرة والغنيمة

وحسن ثواب الآخرة قال ابن عباس هو أن الله ينزل النبي وأصحابه في قباب من در وياقوت حتى يفصل بين الخلق وقيل حسن ثواب الآخرة أن يجازيهم على عملهم ويزيدهم من فضله والله يحب المحسنين
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يعني اليهود والنصارى يردوكم على أعقابكم يعني إلى اليهودية والنصرانية

وقيل أراد به المنافقين الذين قالوا يوم أحد ارجعوا إلى دينكم الأول فإن محمدا قد قتل فهذا معنى قوله تعالى يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين أي مغبونين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين
قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب يعني الخوف قال نصرت بالرعب مسيرة شهر بما أشركوا بالله أي بشركهم بالله ما لم ينزل به سلطانا أي الذي لم ينزل به حجة والسلطان الحجة قال الله تعالى هلك عني سلطانيه أي حجتي
ومأواهم النار مكانهم النار وبئس مثوى الظالمين سبب نزول الآية أن الهزيمة لما وقعت على المسلمين يوم أحد ووقع القتل فيهم تشاور المشركون فيما بينهم وأجمعوا على أن يعودوا للقتال فيستأصلوا محمدا وأصحابه فألقى الله تعالى الرعب في قلوبهم فمروا على وجوههم لا يلوون على شيء حتى بلغوا مكة فذلك قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب

تفسير السمعاني ج:1 ص:365
تفسير السمعاني ج 1/ص 366
ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين 151 ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد
قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده أي وعده صدقكم بالظفر والنصرة وقد كانت النصرة في الابتداء للمسلمين يوم أحد إذ تحسونهم بإذنه أي تقتلونهم بقضاء الله وقدره وألحس القتل ومنه قول الشاعر
تحسهم السيوف كما تسامليهيب النار في أجم الحصيد
حتى إذا فشلتم أي جبنتم وتنازعتم في الأمر تقديره حتى إذا فشلتم تنازعتم في الأمر و الواو زائدة قاله الفراء وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره حتى إذا تنازعتم في الأمر فشلتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون يعني من الظفر والغنيمة

منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة لأنهم اختلفوا على ما سنذكر ثم صرفكم عنهم ليبتليكم أي كف أيديكم عنهم ليمتحنكم وقيل لينزل البلاء عليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين والقصة في ذلك أن رسول الله رأى في منامه أنه لبس درعا حصينة حين نزل المشركون بأحد فأولها على المدينة وشاور أصحابه في الخروج إلى أحد فقالوا إن هذه بلدة ما دخل علينا فيها أحد ولا تبع حتى قدم وحتى يخرج إليهم فلبس رسول الله درعين ووضع المغفر على رأسه وخرج فندموا وعلموا أنه كان مراده أن يقيم فقالوا يا رسول الله إنا تبع لرأيك وطلبوا منه أن يرجع إن شاء فقال ما كان لنبي إذا لبس لامته أن ينزعها حتى يقاتل أو يحكم الله
ومضى معه ألف نفر فانخذل عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه بثلث الجيش ثلثمائة نفر وبقي سبعمائة فلما وصل إلى أحد بعث قوما من الرماة وأجلسهم على موضع من جبل يخاف منه الكمين وأمر عليهم عبد الله بن جبير الأنصاري

تفسير السمعاني ج:1 ص:366
تفسير السمعاني ج 1/ص 367
الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل
ثم ابتدأ القتال مع المشركين فظفر عليهم وقتل جماعة من رؤسائهم وانهزموا ولاح الظفر للمسلمين وساروا في أثرهم للغنيمة فلما رآه الرماة فقالوا إن المشركين قد انهزموا ولاح الظفر حتى نسير على أثرهم ونغنم فقال عبد الله بن جبير لا تفارقوا هذا المكان فإن رسول الله أمركم أن تلزموا هذا المكان فالزموه فاختلفوا عليه وذهب أكثرهم وبقي عبد الله بن جبير مع نفر قليل من أصحابه

فلما عرى موضع الكمين عن الرماة خرج عليهم خالد بن الوليد من الكمين وحمل عليهم بالقتل فاستشهد عبد الله بن جبير ومن بقي معه وعاد المشركون للقتال ووقع القتل في المسلمين وقتل منهم سبعون نفرا وانهزم الباقون وبقي مع رسول الله نفر قليل فذلك قوله ولقد صدقكم الله وعده أي في الابتداء بالظفر والنصرة إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر يعني أولئك الرماة الذين اختلفوا وعصيتم يعني عصيتم الرسول وخالفتم أمره من بعد ما أراكم يعني من بعد أن أراكم الله تعالى ما تحبون من الظفر منكم من يريد الدنيا هم الذين ذهبوا للغنيمة ومنكم من يريد الآخرة الذين صبروا مع عبد الله بن جبير
قال ابن مسعود ما علمنا أن أحدا منا يريد الدنيا حتى أنزل الله هذه الآية

ثم صرفكم عنهم ليبتليكم يعني في الوقعة الثانية حين عاد المشركون وهذا دليل لأهل السنة على أن أفعال العباد مخلوقة حيث نسب الله تعالى هزيمة المسلمين إلى نفسه مع وقوع الفعل منهم فقال ثم صرفكم عنهم
قوله تعالى إذ تصعدون ويقرأ بفتح التاء والعين فالإصعاد هو المشي في مستو من الأرض والصعود المشى في مرتفع من الأرض

تفسير السمعاني ج:1 ص:367
تفسير السمعاني ج 1/ص 368
على المؤمنين 152 إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون
والخطاب مع المسلمين الذين انهزموا بقوله إذ تصعدون ولا تلوون على أحد أي لا تعرجون ولا تلتفتون إلى أحد ثم منهم من قال أراد بالأحد الرسول ومنهم من قال معناه لا تلوون على أحد من الناس
والرسول يدعوكم في أخراكم يعني في آخر الجيش وكان يدعوهم عباد الله إلي إلي أنا رسول الله فلم يلتفتوا إليه ومضوا

فأثابكم غما بغم أي جازاكم ثم اختلفوا منهم من قال الغم الأول هو القتل والهزيمة التي وقعت على المسلمين والغم الثاني هو الإرجاف من قول الشيطان إن محمدا قد قتل وقيل إن الغم الأول هو القتل والهزيمة والغم الثاني هو فوات الظفر على العدو
وقال الزجاج معناه أنهم غموا الرسول بمخافة أمره فجازاهم الله تعالى بذلك الغم غم القتل والهزيمة وإنما سماه ثوابا لأنه وضعه موضع الثواب كما قال فبشرهم بعذاب أليم سمى العذاب بشارة لأنه وضعه موضع البشارة ليكلا تحزنوا على مل فاتكم ولا ما أصابكم من القتل والهزيمة منعهم الله تعالى من الحزن على شيء ابتلاهم الله به ووعد الثواب عليه والله خبير بما تعملون
قوله تعالى ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة قيل الأمن والأمنة بمعنى

تفسير السمعاني ج:1 ص:368
تفسير السمعاني ج 1/ص 369
153 ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر

من شيء قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي
واحد وقيل يكون مع زوال سبب الخوف فأما ها هنا فقال أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم قيل فيه تقديم وتأخير وتقديره نعاسا أمنة وقيل هو على نظمه مستقيم ومعنى الآية أن الله تعالى أراد تميز المؤمنين من المنافقين فأوقع النعاس على المؤمنين أمنة لهم حتى أمنوا ولم يوقع على المنافقين فبقوا على الخوف
قال أبو طلحة أوقع الله تعالى علينا النعاس ونحن تحت الحجر
وقيل أوقع النعاس عليهم حتى كان يسقط السيوف من أيديهم وكذلك عبد الرحمن بن عوف والزبير أخبرا عن ذلك النعاس كما أخبر أبو طلحة

وعن الزبير أنه قال لما أوقع الله النعاس علينا سمعنا معتب بن قشير يقول لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا وكنت كأني في النوم أسمع فذلك قوله يغشى طائفة منكم يعني المؤمنين وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يعني المنافقين يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء قال قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك
ثم فسر ذلك فقال يقولون لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم
أي خرج الذين كتب عليهم القتال إلى مصارعهم للموت وفي هذا دليل على أن الأجل في القتل والموت واحد كما قال أهل السنة
قوله تعالى وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور

تفسير السمعاني ج:1 ص:369
تفسير السمعاني ج 1/ص 370
الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور 154 إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما لستزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا
قوله تعالى إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان يعني الذين انهزموا من المسلمين يوم أحد فإنه لما وقعت الهزيمة على المسلمين انهزم أكثرهم ولم يبقى مع رسول الله إلا أربعة عشر نفرا سبعة من المهاجرين وسبعة من الأنصار وقيل ثلاثة عشر ستة من المهاجرين وهم أبو بكر وعمر وعلي وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص
وفي الرواية الأولى كان السابع الزبير وكان طلحة أشد نكاية في الكفار يومئذ

وقيل إن يوم أحد لطلحة وقيل إنه كان وقاية رسول الله وكان قد ضرب على يده فشلت وبقيت كذلك
وأما سعد وهو رامية وكان يرمي بين يديه ويقول له رسول الله ارم فداك أبي وأمي

وأما الذين انهزموا فقد لحق بعضهم بالمدينة منهم عثمان ورجع بعضهم على الطريق منهم عمر فذلك قوله إنما استزلهم الشيطان أي طلب زلتهم يقال استعجل فلانا أي طلب عجلته ومعناه أن الشيطان استزلهم حتى انهزموا وقوله ببعض ما كسبوا يعني من مخالفة الرسول ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم قال الزجاج كان سبب انهزامهم أن الشيطان وسوس إليهم إن عليكم ذنوبا فكرهوا القتل قبل أن يتوبوا من الذنوب فذلك قوله إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم

تفسير السمعاني ج:1 ص:370
تفسير السمعاني ج 1/ص 371
الله عنهم إن الله غفور حليم 155 يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل
روى أن رجلا جاء إلى ابن عمر - وقيل إلى ابن عباس و الأصح إلى ابن عباس وقال أليس عثمان لم يشهد بدرا قال نعم فقال أليس لم يشهد بيعة الرضوان قال نعم قال أليس انهزم يوم أحد قال نعم
فقال الرجل الله أكبر
فعرف ابن عباس أنه أراد النقص فدعاه قال أما يوم بدر فإن النبي كان قد خلفه على ابنته وكانت مريضة وقال له لك أجر واحد ممن شهد وسهم واحد مما شهد وهو بدري بقول الرسول
وأما بيعة الرضوان فقد كان الرسول بعث عثمان إلى مكة رسولا ولو كان بينهم في الوادي أعز منه لبعثه ولما بايعهم ضرب رسول الله بشماله على يمينه وقال هذه يد عثمان وهذه يدي أما انهزامه يوم أحد فقد عفا الله عنه ولا عيب في شيء عفا الله عنه
فصل

وأما ما أصاب رسول الله يوم أحد فإنه كان قد هشمت البيضة التي كانت على رأسه وأدمي وجهه وكسر ثنيته فجاء إلى المدينة فكانت فاطمة تغسل وجهه وعلي - رضي الله عنه - يأتي بالماء في المجن وكان يغلب الدم حتى أحرقت حصيرا فلما صار رمادا جعلوه في الجراحة فاستمسك الدم
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا يعني المنافقين

تفسير السمعاني ج:1 ص:371
تفسير السمعاني ج 1/ص 372
الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير 156 ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون 157 ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون 158 فبما رحمة من الله لنت لهم ولوا كنت فظا غليظ القلب لنفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل
وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أراد إخوانهم في النسب لا في الدين ضربوا في الأرض أي سافروا أو كانوا غزى جمع غاز لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وهذا قول المعتب بن قشير وعبد الله بن أبي بن سلول وجد بن قيس ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير
قوله تعالى ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم أي لئن خرجتم فقتلتم أو لم تخرجوا فمتم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون من الدنيا ويطلبون الحياة لأجله
قوله تعالى ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون يعني كيفما خرجتم من الدنيا فحشركم إلى الله تعالى
قوله تعالى فبما رحمة من الله أي فبرحمة و ما للصلة لنت لهم وهذه صفة المؤمنين وقد قال المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف إن قيد انقاد وإن أنخ على صخرة استناخ
ولو كنت فظا وهو الجافي غليظ القلب أي قاسي القلب لا نفضوا لتفرقوا من حولك

تفسير السمعاني ج:1 ص:372
تفسير السمعاني ج 1/ص 373
على الله إن الله يحب المتوكلين 159 إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون 160 وما

كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون
فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر المشاورة هي استخراج الرأي وكانت المشاورة جائزة للنبي في أمور الدنيا فأما في أمور الدين فعلى التفصيل إن كان في شيئين يجوز كلاهما جازت المشاورة كما شاورهم في أسارى بدر حيث كان يجوز القتل والفداء
والثاني في أمور ثبتت نصا كالصوم والصلاة لا تجوز فيها المشاورة
والثالث في شيء لا نص فيه فهو بناء على أن اجتهاده هل كان سائغا أم لا فإن ساغ اجتهاده جازت مشاورته وإلا فلا
ولأي كان يشاور قال الضحاك ليقتدى به وليستن بسنته وهو قول سفيان الثوري وقال قتادة تطييبا لقلوبهم
فإذا عزمت فتوكل على الله أي لا تتوكل على المشاورة وإنما توكل على الله إن الله يحب المتوكلين
إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده الخذلان الامتناع عن النصرة عند الحاجة وعلى الله فليتوكل المؤمنين
قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل يقرأ بقراءتين فمن قرأه بفتح الياء وضم الغين فمعناه أن يخون
قال ابن عباس سبب نزول الآية أنه يوم بدر فقدت قطيفة حمراء فقال بعض أصحاب رسول الله الرسول أخذها فنزل قوله وما كان لنبي أن يغل
وقال محمد بن كعب القرظي معناه وما كان لنبي أن يكتم شيئا من الوحي ويخون فيه
وفيه قول ثالث أن النبي كان قد بعث طلائع فهم ألايعطيهم من الغنائم

تفسير السمعاني ج:1 ص:373
تفسير السمعاني ج 1/ص 374

---

161 أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير
شيئا فنزل قوله وما كان لنبي أن يغل قال قتادة أن يخان منه أي لا تخونوه
وقيل معناه أن ينسب إلى الغلول وقيل معناه أن يلقى غلا وهذا غريب من معنى القراءة الأولى والغلول الخيانة والغل الحقد والغلل الماء الذي يجري بين الشجر ومنه قول الشاعر
لعب السيول به فأصبح ماؤهغللا يخلل في أصول الخروع
وفي الخبر أن النبي قال ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم إخلاص العمل

لله ونصيحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ومن يغلل أي ومن يخن يأت بما غل يوم القيامة قيل يأتي ما غل بعينه يوم القيامة وذلك معنى قوله فيما روى عنه لألقين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة قد غله فيقول يا محمد يا محمد فأقول لا أغني عنك من الله شيئا ألا قد بلغت ولألقين أحدكم يأتي يوم القيامة وعلى رقبته شاة لها ثغاء قد غلها فيقول يا محمد يا محمد فأقول لا أغني عنك من الله شيئا ألا قد بلغت ولألقين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته بعير له رغاء قد غله فيقول يا محمد يا محمد فأقول لا أغني عنك من الله شيئا ألا قد بلغت

تفسير السمعاني ج:1 ص:374
تفسير السمعاني ج 1/ص 375
162 هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون 163 لقد من الله على المؤمنين إذ
والقول الثاني أنه أراد به يأتي بإثم ما غل يوم القيامة وفي الخبر أن رجلا كان على ثقل رسول الله فاستشهد فقال الناس هو في الجنة فقال النبي هو في النار فطلب فإذا هو قد غل عباءة عن المغنم
ثم توفى كل نفس ما كسبت أي جزاء ما كسبت فالجزاء مضمر فيه وهم لا يظلمون

قوله تعالى أفمن اتبع رضوان الله يعني ترك الغلول كمن باء بسخط من الله يعني بالغلول وقيل معناه أفمن اتبع رضوان الله بموافقة الرسول كمن باء بسخط من الله بمخالفة الرسول ومأواه جهنم وبئس المصير
قوله تعالى هم درجات عند الله قال مجاهد لهم درجات عند الله يعني المؤمنين وقال غيره تقديره هم ذووا درجات عند الله يعني المؤمنين والمنافقين فالمؤمنون ذووا الدرجات الرفيعة والمنافقون ذووا الدرجات الخسيسة ومثله قول الشاعر
أنصب للمنية تعتريهمرجالي أم همو درج السيول
أي ذووا درج السيول والله بصير بما يعملون
قوله تعالى ـ لقد من الله على المؤمنين أي أنعم والمنه النعمة والمن القطع ومنه قوله تعالى ـ لهم أجر غير ممنون أي غير مقطوع وسميت النعمة منة لأنها مقطوعة عن المحن والشدائد
وقوله تعالى إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم قيل هذا في العرب خاصة

تفسير السمعاني ج:1 ص:375
تفسير السمعاني ج 1/ص 376
بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين 164 أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير 165 وما أصابكم يوم التقى
لأن الرسول بعث من بني إسماعيل إلى العرب وقيل هو على العموم في حق الكافة فإنه بعث بشر مثلهم

وموضع المنة في بعثه من أنفسهم للعرب أنه كان شرفا لهم حيث بعث الرسول منهم وأيضا فإن القرآن نزل بلسان العرب إذ كان الرسول عربيا وكان التعلم أسهل عليهم لكونه أقرب إلى أفهامهم فالمنة في السهولة عليهم ولأنه لما نشأ فيهم وعرفوا صدقة وأمانته وكان أميا مثلهم ما كان يحسن الخط ولا يعلم شيئا ولا سافر ثم أتى بكتاب يخبر عن القرون الماضية وقصص الأولين ووافق الكتب المنزلة قبله كان أقرب إلى قلوبهم فكان يسهل طريق الإيمان عليهم
وقوله يتلو عليهم آياته ويزكيهم أي يشهد بتزكية سائر الأمم ويجعلهم أزكياء وقيل يطهرهم من الذنوب ويعلمهم الكتاب يعني القرآن والحكمة قال ابن عباس الفقه والشرائع وقال غيره الحكمة السنة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين أي ما كانوا من قبل إلا في ضلال مبين
قوله تعالى أو لما أصابتكم مصيبة يعني يوم أحد قد أصبتم مثليها يعني يوم بدر نزلت الآية في تسلية المؤمنين وذلك أن يوم أحد قتل من المسلمون سبعون وقد أصاب المسلمون منهم يوم بدر سبعين بالقتل وسبعين بالأسر فذلك مثليهم فجعل الأسر مثل القتل حيث جعل القتلى والأسرى يوم بدر مثلي قتلى أحد
قلتم أنى هذا من أين هذا قل هو من عند أنفسكم أي بمخالفة الرسول منكم وعن عمر - رضي الله عنه - أنه قال في تفسير قوله تعالى قل هو من عند أنفسكم أي باختياركم الفداء وذلك أن النبي خير المسلمين يوم بدر في الأسارى بين القتل والفداء وقال لهم إن اخترتم الفداء أصيب

تفسير السمعاني ج:1 ص:376
تفسير السمعاني ج 1/ص 377
الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمنين 166 وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا

قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لأتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان

منكم بعدتهم في العام القابل فاختاروا الفداء وقالوا نتقوى به على العدو ويستشهد منا فذلك قوله قل هو من عند أنفسكم أي باختياركم وهو قول علي - رضي الله عنه - إن الله على كل شيء قدير
قوله تعالى وما أصابكم يوم التقى الجمعان يعني يوم أحد فبإذن الله أي بعلم الله وروى أنه - لما نزل المشركون بأحد رأى في منامه أن بقرا ينحر فأوله على أن يستشهد بعض أصحابه ورأى أن سيفه ذا الفقار انقصم فأوله على قتل حمزة ورأى كأن كبشا أغبر قتل فأوله على قتل مبارز الكفار فقتل يوم أحد مبارزهم عثمان بن طلحة العبدري من بني عبد الدار
وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا يعني علم المشاهدة وإن كان علمهم علم الغيب
وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قائل ذلك القول عبد الله بن حرام أبو جابر قال للمنافقين قاتلوا في سبيل الله وإن لم تقاتلوا لأجل الدين فادفعوا عن الأهل والحريم
قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم فرجعوا وهم يقولون لا قتال لا قتال حتى يفشل المسلمون هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يعني بعد رجوعهم ومقالتهم تلك لأنهم كانوا من قبل من المؤمنين في الظاهر وإن كانوا منافقين في الباطن فلما فارقوا المؤمنين صاروا أقرب إلى الكفر منهم للإيمان

تفسير السمعاني ج:1 ص:377
تفسير السمعاني ج 1/ص 378
يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون 167 الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين 168 ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون 169
يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون

قوله تعالى الذين قالوا لإخوانهم يعني في النسب لا في الدين وهم المنافقون قالوا للمسلمين لو قعدوا قتلوا كما لم نقتل فذلك قوله الذين قالوا لإخوانهم

وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرءوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين يعني إن قدرتم على دفع القتل وتقدرون على دفع الموت فادفعوا الموت عن أنفسكم والدرء الدفع ومنه قول الشاعر
أقول وقد درأت لها وضينيأهذا دينكم أبدا وديني
قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا سبب نزول الآية أن أصحاب رسول الله لما استشهدوا يوم أحد كان الناس يقولون مات فلان ومات فلان فنزل قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم قيل معناه يؤولون أحياء يوم القيامة إلا أن هذا ضعيف لأنه لا يبقى لهم فيه تخصيص والأصح أنه على معنى ما روى عن رسول الله أنه قال إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلف من ثمار الجنة - وفي رواية تأكل وفي رواية تسرح في الجنة فترد مياهها - ثم تأوى إلى قناديل من ذهب معلقة من العرش ورواه مسلم في صحيحه وزاد إن الله تعالى اطلع عليهم اطلاعة فيقول تمنوا علي فيقولون ماذا نتمنى وقد أعطيتنا هذا فيقول تمنوا على فيقولون وماذا نتمنى وقد أعطيتنا هذا فيقول تمنوا على فيقولون نتمنى أن نرد إلى الدنيا ونقتل في سبيلك ثانيا الحديث

تفسير السمعاني ج:1 ص:378
تفسير السمعاني ج 1/ص 379
فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون 170 يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر
وفي رواية ثالثة أن النبي رأى جابرا حزينا وقتل أبوه عبد الله بن حرام يوم أحد فقال ما لي أراك حزينا إن الله تعالى لم يكلم أحدا إلا من وراء حجاب وقد كلم أباك كفاحا فقال تمن علي الحديث

وروى أن شهداء أحد قالوا من يبلغ نبينا وإخواننا ما وصلنا إليه فقال الله تعالى أنا أبلغهم - وفي رواية أنا رسولكم - وأنزل هذه الآية
بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم قيل معناه أنه يدفع إليهم كتاب فيه أسماء إخوانهم الذين يستشهدون من بعدهم فيستبشرون بهم
وقوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وقدر عليهم أن يلحقوا بهم فيه قول آخر أن الشهداء يقولون ياليت إخواننا أصيبوا مثل ما أصابنا فيصلون إلى ما وصلنا فذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أي بأن لا خوف عليهم ولاهم يحزنون

يستبشرون بنعمة من الله وفضل وقيل أراد بالنعمة قدر الكفاية وبالفضل ما زاد على الكفاية ومعناه لا يضيق عليهم بل يوسع في العطاء وقيل ذكر الفضل تأكيدا للنعمة وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين قرأ ابن مسعود
والله لا يضيع أجر المؤمنين
قوله تعالى الذين استجابوا لله والرسول قيل سبب نزول الآية أن أبا سفيان

تفسير السمعاني ج:1 ص:379
تفسير السمعاني ج 1/ص 380
المؤمنين 171 الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم 172 الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم
لما رجع إلى مكة يوم أحد قال الكفار بعضهم لبعض في الطريق نرجع فنستأصل محمدا وأصحابه فبلغ ذلك رسول الله فقال من ينتدب إلى الخروج فانتدب سبعون نفرا فيهم أبو بكر والزبير
وقد قالت عائشة لعروة إن أبويك من الذين استجابوا لله والرسول وأرادت أن أبا بكر والزبير كانا في السبعين فخرجوا إلى حمراء الأسد وهم على ثمانية أميال من المدينة فلما وصلوا فإذا الله كان قد ألقى الرعب في قلوب المشركين وكانوا مضوا إلى مكة

وقال ابن عباس قولا آخر أن أبا سفيان لما أراد أن يرجع يوم أحد قال موعدنا وموعدكم العام القابل ببدر ثم لم يتفق له الخروج في العام القابل وخرج رسول الله لموعده إلى بدر مع أصحابه فأولئك الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح يعني الألم يوم أحد للذين أحسنوا منهم باستجابة الرسول واتقوا يعني مخالفة الرسول أجر عظيم
قوله تعالى الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم هذا قول نعيم بن مسعود الأشجعي والقصة في ذلك أن أبا سفيان لما لم يتفق له الخروج لموعده ببدر بعث بنعيم بن مسعود الأشجعي إلى المدينة وقال له ثبط

تفسير السمعاني ج:1 ص:380
تفسير السمعاني ج 1/ص 381
فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل 173 فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم 174 إنما

ذلكم الشيطان
أصحاب محمد عن الخروج كيلا يظنوا أن بنا فشلا ولك عشر من الإبل فجاء إليهم وكان النبي وصاحبته يتهيئون للخروج فقال لهم تخرجون إليهم قد خرجوا إليكم في العام الماضي وفعلوا بكم ما فعلوا في بيوتكم والله لو خرجتم إليهم لا يعود أحد منكم فقال وأصحابه حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يمتنعوا من الخروج
فقوله الذين قال لهم الناس هو نعيم بن مسعود وحده هذا قول عكرمة ومجاهد ومقاتل والكلبي وقال ابن عباس هو قول نفر قليل من عبد القيس وقوله فزادهم إيمانا منهم من قال معناه زادهم إيمانا بتفويضهم وقولهم حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل معناه زادهم يقينا بما وعدهم الله من النصر وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال ابن عباس وهذا قول إبراهيم حين ألقى في النار فإنه قال حسبنا الله ونعم الوكيل

قوله تعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل معنى الآية أن النبي وأصحابه خرجوا لموعد أبي سفيان إلى بدر وهو مجمع سوق العرب فلم يلقوا هنالك أحدا إذ لم يتفق خروجهم فاتجروا هنالك وربحوا وانصرفوا فذلك قوله فانقلبوا بنعمة من الله وفضل فالنعمة العافية والفضل ربح التجارة لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم قوله تعالى إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فالشيطان كل عات متمرد من الجن والإنس والمراد بالشيطان ها هنا نعيم بن مسعود وقيل هو الشيطان

تفسير السمعاني ج:1 ص:381
تفسير السمعاني ج 1/ص 382
يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين 175 ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضروا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة ولهم عذاب عظيم 176 إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب أليم 177 ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفسهم إنما نملي لهم
المعروف فإنه وسوس إليهم أن لا تخرجوا لذلك الوعد
وقوله يخوف أولياءه قال إبراهيم النخعي تقديره يخوفكم أولياءه أي من أولياءه وهم الكفار وقال أهل المعاني هو قول حسن
وقال الفراء معناه يخوفكم بأوليائه وكذا قرأ أبي بن كعب ومثله قوله تعالى لينذر بأسا شديدا أي ببأس شديد وقال الشاعر
أمرتك الخير فافعل ما أمرت بهفقد تركتك ذا مال وذا نسب

أي أمرتك بالخير فنزع الباء فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين قوله تعالى ولا يحزنك ويقرأ ولا يحزنك بضم الياء ومعناهما واحد
الذين يسارعون في الكفر يعني قول الذين يسارعون في الكفر
إنهم لن يضروا الله شيئا أي لن ينقصوا الله شيئا يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة أي نصيبا في الآخرة ولهم عذاب عظيم

قوله تعالى إن الذين اشتروا الكفر بالإيمان أي استبدلوا وكل شراء استبدال وليس كل استبدال شراء لن يضروا الله شيئا أي لن ينقصوا الله شيئا ولهم عذاب أليم
قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا أي لا يظنن من الحسبان الظن أنما نملي لهم خير لأنفسهم الإملاء إطالة العمر والإمهال التأخير ويقال لليل والنهار ملوان

تفسير السمعاني ج:1 ص:382
تفسير السمعاني ج 1/ص 383
ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين 178 ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم 197 ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا
إنما نملي لهم ليزدادوا إثما أي إنما نطيل عمرهم ليزدادوا إثما روى الأسود عن أبن مسعود ما من أحد إلا والموت خير له برا كان أو فاجرا أما البر لقوله تعالى - وما عند الله خير للأبرار وأما الفاجر لقوله تعالى إنما نملي لهم ليزدادوا إثما وذلك أنه إذا ازداد إثما اشتدت عقوبته ولهم عذاب مهين

قوله تعالى ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يعني على اختلاط المنافقين بكم فإنهم كانوا مختلطين بالمؤمنين حتى يميز الخبيث من الطيب قال مجاهد حتى يميز الكافر من المؤمن وقال قتادة حتى يميز المنافق من المؤمن ويقرأ حتى يميز مشددا يقال ماز يميز وميز يميز بمعنى واحد وفي الحديث من ماز أذى من الطريق فهو له صدقة وما كان الله ليطلعكم على الغيب سبب نزوله أن أصحاب رسول الله قالوا يا رسول الله أخبرنا بمن يموت

على الإيمان ومن يموت على الكفر فنزل قوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء يعني فيطلعه على الغيب بما شاء وهذا كما قال في آخر سورة الجن فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فآمنوا بالله ورسوله وإن تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم
قوله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم يعني هو يكون خيرا لهم بل هو شرا لهم في معنى الآية قولان أحدهما أنه في اليهود حيث كتموا نعت محمد وبخلوا به فعلى هذا معنى قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أي إثم ما بخلوا به يوم القيامة والقول الثاني أن الآية في

تفسير السمعاني ج:1 ص:383
تفسير السمعاني ج 1/ص 384
به يوم القيامة ولله ميراث السموات والأرض والله بما تعملون خبير 180 لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الأنبياء بغير حق

ما نعى الزكاة وقوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة على حقيقته وهو معنى ما روى عن رسول الله أنه قال من منع الزكاة جاء يوم القيامة فيمثل له ماله شجاعا أقرع فيطوق في رقبته فينهسه من قرنه إلى قدميه ثم قرأ هذه الآية ولله ميراث السموات والأرض فإن قال قائل كيف يكون له ميراث السموات والأرض قيل العرب تسمى كل ما انتقل من أحد إلى غيره ميراثا بأي سبب كان فلما خلصت السموات والأرض لله تعالى بعد هلاك العباد سماه ميراثا كأنه انتقل منهم إليه والله بما تعملون خبير
قوله تعالى لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء قيل سبب نزول الآية أنه لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود إن الله يستقرض منا أموالنا فإذن هو فقير ونحن أغنياء وما قالوا ذلك عن اعتقاد ولكن تمويها على المسلمين وتشكيكا لهم فيما جاء به محمد رسول الله فنزل قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء وفيه قول آخر أنه عليه الصلاة و السلام لما استعان بيهود بني قينقاع في الحرب قالوا إن الله فقير إذن حيث يستعين بنا في نصرة دينه ونحن أغنياء فنزلت الآية سنكتب ما قالوا هو الكتابة في صحائف الأعمال وقيل معناه نحصي ما قالوا نجازى عليه ويقرأ سيكتب ما قالوا بضم الياء وقتلهم الأنبياء بالرفع أي ويكتب قتلهم الأنبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق أي

تفسير السمعاني ج:1 ص:384
تفسير السمعاني ج 1/ص 385

(1/302)

ونقول ذوقوا عذاب الحريق 181 ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد 182 الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين 183 فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير 184 كل
بعذاب النار لأن عذاب النار محرق
ذلك بما قدمت أيديكم يعني بما قدمتم وذكر أيديكم تأكيدا
وأن الله ليس بظلام للعبيد يعني أنه يفعل ما يفعل بهم مجازاة لهم على أعمالهم
قوله تعالى الذين قالوا إن الله عهد إلينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية في اليهود قال السدي كان الله تعالى عهد إلى اليهود أن لا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار سوى عيسى ومحمد فأنه أمرهم أن يؤمنوا بهما من غير هذه الشريطة
وقال غيره كانوا يتقربون بالقربان ثم يأخذون أطايب لحمه فيضعونها في بيت ثم يقوم نبيهم في ذلك البيت يناجي ربه فتأتي نار بيضاء لها حفيف من السماء فتأكله ويكون ذلك علامة قبول القربان
قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات أي بالدلالات والمعجزات وبالذي قلتم يعني من الإتيان بقربان تأكله النار
فلم قتلتموهم أي فلم كذبتموهم وقتلتموهم إن كنتم صادقين في دعوتكم ذلك العهد
قوله تعالى فإن كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاءوا بالبينات أي بالدلالات والمعجزات والزبر جمع الزبور وهو كتاب فيه الحكمة وبه سمى كتاب داود زبورا وفي مصحف أهل الشام وبالزبر
فإن قال قائل أي فرق بين الزبر والكتاب وقد قال والزبر والكتاب المنير

تفسير السمعاني ج:1 ص:385
تفسير السمعاني ج 1/ص 386

(1/303)

نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور 185 لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا
قيل الكتاب اسم لما كتب وضم بعض الكلمات فيه إلى بعض من الكتب وهو الضم وأما الزبر مأخوذ من الزبر وهو الزجر فالزبور كتاب فيه مزاجر
قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت والذوق في الموت مجاز وحقيقة الذوق هو الإحساس بالشيء فلما كان يحس بالموت سماه ذوقا مجازا قال الشاعر
من لم يمت عبطة يمت هرماالموت كأس وكل الناس ذائقها
فإن قال قائل لا يخفي أن كل نفس تموت فأيش الفائدة في قوله كل نفس ذائقة الموت قيل أراد به التزهيد بالدنيا يعني أن النفوس إلى الفناء فتزهدوا بالدنيا وإنما توفون أجوركم يوم القيامة
فمن زحزح عن النار أي نجى وبعد عن النار وأدخل الجنة فقد فاز أي نجا وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور لأنها تغر الإنسان وهي الإنقطاع
قوله تعالى لتبلون أي لتختبرن وقيل لتصابن في أموالكم وأنفسكم في أموالكم بالإنفاق وأنفسكم بالجهاد وقيل في أموالكم وأنفسكم بالمصائب والأمراض وقال بعض أصحاب الخواطر في أموالكم بالمنع عن الحق وأنفسكم باتباع الهوى
ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال الزهري هذا في كعب بن الأشرف كان يهجو النبي ويسمع المسلمين هجاه وقيل هو قول اليهود عزيز ابن الله وقول النصارى المسيح ابن الله وقيل هو قول أولئك الذين قالوا إن الله فقير

تفسير السمعاني ج:1 ص:386
تفسير السمعاني ج 1/ص 387

فإن ذلك من عزم الأمور 186 وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبينه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون 187 لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم 188 ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء
وإن تصبروا يعني على الأذى وتتقوا يعني من مخالفة الرسول فإن ذلك من عزم الأمور أي من حقائق الأمور وشدائدها
قوله تعالى وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه

وقيل هو في جميع العلماء أخذ الله ميثاق العلماء أن يبينوا العلم للناس ولا يكتمونه وفي الحديث من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار
فنبذوه وراء ظهورهم أي تركوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا يعني الرشاء فبئس ما يشترون
قوله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أوتوا يعني اليهود بما أوتوا أي العلم والكتاب ولم يقوموا بموجبه وما يقتضيه وقيل هو في المنافقين يفرحون بما أتوا من التخلف عن رسول الله
ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا يعني بالأعذار الكاذبة فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أي بمنجاة من العذاب ولهم عذاب أليم
وروى أن مروان بعث إلى عائشة هلكنا إذن فإنا نفرح بما نأتي ونحب أن نحمد بما لم نفعل والله تعالى يقول فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فذكرت عائشة أن الآية في اليهود

تفسير السمعاني ج:1 ص:387
تفسير السمعاني ج 1/ص 388
قدير 189 إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب 190 الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار 191 ربنا إنك

قوله تعالى ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير ذكر هذا رد لقولهم إن الله فقير ونحن أغنياء
قوله تعالى إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب يعني أن فيها دلالات على وحدانيته لذوي العقول
قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم روى ابن مسعود وعمران بن الحصين أن النبي قال صل قائما فإن لم تستطع فقاعدا فإن لم تستطع فعلى جنبك تومىء إيماء فهذا معنى الآية
وقيل معناه الذين يوحدون الله على كل حال
ويتفكرون في خلق السموات والأرض فيستدلون به على وحدانيته وفي الحديث تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق
ربنا ما خلقت هذا باطلا أي عبثا وقيل باطلا أي بباطل
سبحانك هو للتنزيه عن كل سوء فقنا عذاب النار روى عن ابن عباس أنه قال بيت عند خالتي ميمونة فنام رسول الله وأهله على عرض الوسادة وأنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:388
تفسير السمعاني ج 1/ص 389
من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار 192 ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار 193 ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد
على طولها ثم قام من الليل وقرأ هذه الآيات العشر وفي رواية قال سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح وقرأ هذه الآيات العشر إلى آخر السورة

قوله تعالى ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته أي أهلكته فإن قال قائل ألستم تقولون إن المؤمنين يخلدون النار ولا يدخلون فيها فكيف يكون ذلك إهلاكا قيل قال قتادة معنى الآية إنك من تدخل النار للخلود فقد أخزيته أي أهلكته وقال الضحاك معنى الآية إنك من تدخل النار فقد أخزيته أي فضحته وهتكت ستره فعلى هذا يستوي فيه كل من دخل النار وإن لم يخلد فيها وما للظالمين من أنصار
ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا أكثر المفسرين على أن المنادي هو الرسول وقيل هو القرآن قاله محمد بن كعب القرظي لأن كثيرا من الناس لم ير الرسول ولم يسمعه
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا أي كبائرنا وكفر عنا سيئاتنا أي صغائرنا وقيل الذنوب المعاصي والسيئات التقصير في الطاعات
وتوفنا مع الأبرار البر المطيع وفي الآثار إن البر لا يؤذي الذر يعني النمل الصغار الحمر
ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي على ألسنة رسلك ولا تخزنا يوم القيامة أي لا تفضحنا ولا تهلكنا
إنك لا تخلف الميعاد وهو على سبيل المدح له لأنا على القطع نعلم أنك لا تخلف الميعاد

تفسير السمعاني ج:1 ص:389
تفسير السمعاني ج 1/ص 390
194 فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من

عند الله والله عنده حسن الثواب 195 لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد 196 متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد 197 لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار 198 وإن من أهل

قوله تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى روى أن أم سلمة قالت لرسول الله إني أرى الله لا يذكر النساء في القرآن فنزل قوله من ذكر أو أنثى
بعضكم من بعض أي كلكم كنفس واحدة فلا أضيع عمل واحد منكم
فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا وقرأ حمزة والكسائي وقتلوا وقاتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله أي جزاء من عند الله والله عنده حسن الثواب
قوله تعالى لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد يعني على مرادهم فإن مصيرهم إلى النار متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد وفيه دليل على أن أقل القليل من الجنة خير من الدنيا وفي الحديث لموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها
قوله تعالى لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل هو ما يعد للضيف من النعمة فسمى الله تعالى ما

تفسير السمعاني ج:1 ص:390
تفسير السمعاني ج 1/ص 391
الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب 199 يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون 200 أعده للمؤمنين من نعيم الجنة نزلا من عند الله وما عند الله خير للأبرار
قوله تعالى وإن من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله قيل أراد النجاشي وروى أنه لما مات قال النبي لأصحابه صلوا على أخ لكم مات وهو أصحمة النجاشي فقال المنافقون انظروا يصلي على علج من النصارى ويدعوا له فنزلت الآية

وقيل هو في عبد الله بن سلام ومن أسلم معه فذلك قوله لمن يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم خاشعين لله أي متواضعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم إن الله سريع الحساب
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اصبروا يعني على الجهاد وصابروا أي مع الأعداء ورابطوا أي في الثغور بالملازمة وقيل اصبروا على دينكم وصابروا مع الأعداء ورابطوا بالمحافظة على الصلوات وفي الحديث قال رسول الله ألا أدلكم على ما يمحو الله به السيئات ويرفع الله به الدرجات قيل بلى يا رسول الله قال إسباغ الوضوء في السبرات ونقل الأقدام إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط
واتقوا الله لعلكم تفلحون أي كونوا على رجاء الفلاح

تفسير السمعاني ج:1 ص:391

تفسير السمعاني ج 1/ص 392
تفسير سورة النساء بسم الله الرحمن الرحيم
قال اعلم أن هذه السورة تسمى سورة النساء وتسمى سورة الأحكام وهي مدنية على قول أكثر المفسرين إلا قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فإن هذه الآية نزلت بمكة في مفاتيح الكعبة وأورد النحاس أن السورة مكية
وفي الحديث من قرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء في ليلة كتب من القانتين وعن عمر- رضي الله عنه- قال تعلموا سورة البقرة والنساء والمائدة وسورة النور والأحزاب فإن فيهن الفرائض

تفسير السمعاني ج:1 ص:392
تفسير السمعاني ج 1/ص 393
يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحده وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا

قوله - تعالى- يا أيها الناس قال علقمة كل ما نزل في القرآن يا أيها الناس فإنما نزل بمكة وكل ما ورد في القرآن يا أيها الذين آمنوا فإنما نزل بالمدينة
وقوله يا أيها يا للنداء و أي للإشارة و ها للتنبيه اتقوا ربكم وقرأ ابن مسعود اتقوا الله ربكم

بدأ من السورة بالوعظ والتحذير فقال اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وأراد بالنفس الواحدة آدم - صلوات الله عليه - وإنما قال واحدة على التأنيث لأجل اللفظ لأن النفس مؤنثة وهذا مثل قول الشاعر
أبوك خليفة ولدته أخربوأنت خليفة ذاك الكمال
وإنما قال ولدته للفظ الخليفة وإن كان معناه الذكر وخلق منها زوجها يعني حواء وسميت حواء لأنها خلقت من حي وفي القصص أن الله تعالى خلق حواء من ضلع لآدم في جنبه الأيسر يسمى القصيراء وفي الخبر المعروف أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فإن أردت أن تقيمها كسرتها وإن تركتها استمتعت بها على اعوجاج وقيل إن حواء خلقت من التراب
وقوله وخلق منها زوجها معناه وخلق من جنسها زوجها يعني التراب والأصح الأول وفي الخبر أن الله تعالى لما خلق آدم ألقى عليه النوم ثم أخذ ضلعا من أضلاعه وخلق منه حواء فجلست بجنبه فلما انتبه رآها جالسه بجنبه وقيل إنه لم يؤذه أخذ الضلع شيئا ولو آذاه لما عطف رجل على امرأة أبدا
وعن ابن عباس أن الله تعالى خلق الرجل من التراب فهمه في التراب وخلق

تفسير السمعاني ج:1 ص:393
تفسير السمعاني ج 1/ص 394
ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا 1 وآتوا اليتامى أموالهم المرأة من الرجل فهمها في الرجل فاحبسوا نساءكم

وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ذكر هذا كله لبيان القدرة وإظهار المنة واتقوا الله الذي تساءلون به أي تسألون به وذلك مثل قول الرجل أسألك بالله ونشدتك بالله وقيل معناه واتقوا الله الذي تعاهدون به وذلك أن تقول عليك عهد الله وعلي عهد الله ونحو ذلك
وأما قوله والأرحام قرأ حمزة الأرحام بكسر الميم وتقديره تساءلون به وبالأرحام قال إبراهيم النخعي تقول العرب نشدتك بالله وبالرحم وضعفوا هذه القراءة والقراءة المعروفة بنصب الميم وتقديره واتقوا الأرحام أن تقطعوها وفي الخبر يقول الله ـ تعالى ـ أنا الرحمن وخلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته
وروى عن رسول الله أنه قال إن الله تعالى يعمر الكفار ويكثر أموالهم ولم ينظر إليهم منذ خلقهم بغضا لهم فقيل مم ذاك يا رسول الله قال بصلة الأرحام
إن الله كان عليكم رقيبا أي حفيظا
قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم أراد به دفع المال إليهم بعد البلوغ

تفسير السمعاني ج:1 ص:394
تفسير السمعاني ج 1/ص 395
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا 2 وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا وسماهم بعد البلوغ يتامى لقرب عهدهم باليتيم وكانت قريش تسمي رسول الله يتيم أبي طالب لذلك
ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب وفي قراءة شاذة ولا تشتروا الخبيث بالطيب فالخبيث الحرام والطيب الحلال ومعنى الكلام ولا تأكلوا أموال اليتامى حراما وتدعوا أموالكم الحلال وقال مجاهد معناه لا تستعجلوا أكل الحرام فإن الحلال يأتيكم
ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم قال الفراء معناه مع أموالكم وقال غيره إلى لا تكون بمعنى مع وهي على حقيقتها ومعناه ولا تأكلوا أموالهم مضافة إلى أموالكم

إنه كان حوبا كبيرا فالحوب الإثم وفي الخبر أن أبا أيوب الأنصاري أراد أن يطلق امرأته أم أيوب فقال النبي إن طلاق أم أيوب لحوب
قوله تعالى وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى أي ألا تعدلوا يقال أقسط إذا عدل وقسط إذا جار وفي معنى الآية قولان أحدهما أورده البخاري في الصحيح وهو ما روى الزهري عن عروة أنه سأل عائشة عن شأن هذه الآية فقالت يا ابن أختي نزلت الآية في يتيمة تكون في حجر وليها ويرغب في مالها وجمالها ولا يقسط في صداقها فنهوا عن نكاحهن وأمروا أن ينكحوا غيرهن
فعلى هذا تقدير الآية وإن خفتم ألا تقسطوا في نكاح اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
وقال ابن عباس قصر نكاح النساء على الأربع من أجل أموال اليتامى فإن قيل

تفسير السمعاني ج:1 ص:395
تفسير السمعاني ج 1/ص 396
فواحده أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا 3 وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا 4 ولا تؤتوا كيف يعرف هذا وكيف يلتئم بذاك هذا قيل معناه أن الله تعالى لما شدد في أموال اليتامى تحرج المسلمون عنها غاية التحرج وشرعوا في نكاح النساء واستهانوا به فنزلت الآية وأراد إنكم كما تحرجتم عن أموال اليتامى خوفا من الجور

فتحرجوا عن الزيادة على الأربع أيضا خوفا من الجور والميل فهذا معنى قوله فانكحوا ما طاب لكم أي ما حل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع أي لا تجاوزوا الأربع

وذهب بعض الناس إلى أن نكاح التسع جائز بظاهر هذه الآية لأن الاثنين والثلاث والأربع يكون تسعا ليس بصحيح بل فيه قولان أحدهما قال الزجاج مثنى مثنى ثلاث ثلاث رباع رباع يعني لكل الناس وقيل الواو بمعنى أو يعني مثنى أو ثلاث أو رباع ولأن ـ على التقدير الذي ذكروا ـ عي في الكلام لأن من أراد أن يذكر التسع فيقول مثنى وثلاث ورباع عد ذلك عيبا في الكلام وقد قال فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة لأنه أخف مؤنه أو ما ملكت أيمانكم لأن حقوق ملك اليمين أدنى من حقوق ملك النكاح وهو معنى قوله ذلك أدنى ألا تعولوا أي ذلك أقرب أن لا تجوروا يقال عال يعول إذا جار وأعال يعيل إذا كثر عياله قال الشاعر

إنا اتبعنا الرسول واطرحواأمر الرسول وعالوا في الموازين

أي جاروا وروى أن أهل الكوفة عتبوا على عثمان في شيء فقال لست بقسطاء فلا أعول أي لست بقسطاس فلا أجور

وقال الشافعي معناه ذلك أدنى ألا تكثر عيالكم وحكى الأزهري عن الكسائي

تفسير السمعاني ج:1 ص:396

تفسير السمعاني ج 1/ص 397

السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها وأكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا 5 وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إنه حكى عن العرب عال يعول إذا كثر عياله وهذا يؤيد قول الشافعي

وآتوا النساء صدقاتهن نحلة الصدقة والصداق واحد نحلة أي تدينا وقال ابن عباس معناه فريضة والخطاب مع الأزواج ـ على الأصح ـ وقيل هو خطاب مع الأولياء وكان أهل الجاهلية لا يعطون المرأة صداقها وإنما يأخذ الأولياء فخطاب الأولياء بإعطاء المرأة صداقها نحلة أي هو عطية لها من الله

فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا أي فإن أعطين عن طيب نفس من الصداق شيئا و من للتخيير هاهنا لا للتبعيض حتى يجوز للمرأة هبة كل الصداق فكلوه

هنيئا مريئا الهنيء ما أكلت من غير تنغيص والمريء هو المحمود العاقبة وذلك ألا يورث تخمة وعن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه قال إذا مرض أحدكم فليستقرض من امرأته ثلاثة دراهم من صداقها وليشتري بها عسلا وليخلطه بماء السماء ثم ليأكل فإنه الشفاء المبارك والهنيء المريء
قوله تعالى ـ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أكثر المفسرين على أن المراد بالسفهاء الصبيان والنساء هاهنا وقال الشعبي المرأة أسفه من كل سفيه قال سعيد بن جبير معنى الآية أن لا تجعلوا المرأة قيمة البيت في المعاش بل كونوا أنتم قوامين على النساء في المعاش وقوله التي جعل الله لكم قياما فالقيام والقوام واحد يعني أموالكم التي جعلها الله قواما لمعاشكم وقال الزجاج تقديره الأموال التي تقيمكم فتقومون به قياما وارزقوهم فيها وأكسوهم قيل معناه وارزقوهم منها وقيل كلمة في حقيقتهما ومعناه اجعلوا وظائفهم من الرزق والكسوة فيها
وقولوا لهم قولا معروفا قيل معناه تعليم الدين والشرائع وقيل أراد به وعد الجميل وذلك أن تقول لهم إن سافرت وربحت أعطيكم كذا وإن غزوت

تفسير السمعاني ج:1 ص:397
تفسير السمعاني ج 1/ص 398
إسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيب 6 للرجال نصيب مما ترك الوالدان فغنمت أعطيكم كذا فهذا هو القول المعروف

قوله تعالى ـ وابتلوا اليتامى يعني واختبروا اليتامى ثم منهم من قال إنما نختبرهم بعد البلوغ وسماهم يتامى لقرب عهدهم باليتيم والصحيح أنه أراد به الاختبار قبل البلوغ ثم اختلفوا فأما الفقهاء قالوا يدفع إليه شيئا يسيرا ويبعثه إلى السوق حتى يستام السلعة ثم إذا آل الأمر إلى العقد يعقد الولي ومنهم من قال يعقد الصبي ويجوز ذلك في الشيء اليسير لأجل الاختبار
وأما الذي قاله المفسرون أنه يدفع إليه مالا ويجعل إليه نفقة البيت ويختبره فيها حتى إذا بلغوا النكاح أي أوان الحلم فإن آنستم أي أحسستم ووجدتم منهم رشدا قال مجاهد عقلا وقال سفيان الثوري عقلا وإصلاحا في المال ومذهب الشافعي أن الرشد هو الصلاح في الدين والإصلاح في المال
فادفعوا إليهم أموالهم أمر الأولياء بدفع المال إليهم عند البلوغ والرشد ولا تأكلوها إسرافا أي لا تأكلوها مسرفين وبدارا أن يكبروا أي لا تبادروا إلى أكل أموال اليتامى خوفا من أن يكبروا فيأخذوا أموالهم
ومن كان غنيا فليستعفف أي فليستعفف بماله عن مال اليتيم ومن كان فقيرا

فليأكل بالمعروف قال عمر ـ رضي الله عنه ـ إذا كان الولي فقيرا يأكل من مال اليتيم بقدر الحاجة وقال أيضا أنا في هذا المال كولي اليتيم إن استغنيت استعففت وإن احتجت أكلت وإلى هذا ذهب قوم من العلماء أن له أن يأكل بقدر ما يسد به الخلة وقال بعضهم عباءا غليظا وخبز الشعير وقال الشعبي وجماعة يأكل من مال اليتيم على سبيل القرض وقال مجاهد لا يأكل أصلا لا قرضا ولا غير قرض قال والآية منسوخة بقوله تعالى لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل

تفسير السمعاني ج:1 ص:398
تفسير السمعاني ج 1/ص 399

(1/315)

والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا 7 وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا 8 إلا أن تكون تجارة عن تراضي وإلى هذا ذهب أكثر العلماء وعليه الفتوى أنه لا يأكل أصلا ومن قال إنه يأكل يقول يأخذ بقدر أجرته على القيام وقد روى أن رجلا جاء إلى ابن عباس وقال إن لي يتيما وله إبل فماذا أصيب منها فقال أتلوط حوضها وتهنأ جرباها قال نعم فقال ابن عباس أصب من رسلها غير مضر بنسل ولا ناهك في حلب
وفيه قول رابع أن معنى قوله فليأكل بالمعروف يعني يأكل الفقير من قوت نفسه بالمعروف ولا يستكثر منه حتى ينفذ ماله فيحتاج إلى مال اليتيم فإذا دفعتم إليهم أموالهم فأشهدوا عليهم ندب إلى الإشهاد كيلا يجحدوا وكفى بالله حسيبا أي شهيدا قوله-تعالى- للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون سبب نزول الآية أن أوس بن ثابت الأنصاري مات وخلف ثلاث بنات وامرأة ـ يقال لها أم كجة ـ وابني عم عرفجة وسويد فجاء ابنا عمه وأخذا جميع المال وكان أهل الجاهلية لا يورثون النساء من الميت ويقولون لا يرث أموالنا إلا من طاعن بالرماح وضارب بالسيوف فنزلت الآية وهذه أول آية نزلت في توريث النساء المال مما قل منه أو كثر نصيب مفروضا وقد بين الأنصبة المفروضة في آيات المواريث
قوله تعالى وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يعني قسمة التركة في مواريث إذا حضرها من لا يرث الميت من أقاربه أو اليتامى والمساكين فارزقوهم منه فأعطوهم شيئا وقولوا لهم قولا معروفا أي قولوا لهم بورك فيكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:399
تفسير السمعاني ج 1/ص 400

وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا 9 إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا 10 يوصيكم
ثم اختلفوا فقال بعضهم الآية منسوخة فيجوز أن يعطوا ويجوز أن لا يعطوا وقيل هو على الندب ويستحب أن يعطيهم شيئا ومنهم من قال إن قسموا العين والورق ونحوه يوضح لهم وإن قسموا الدور والعقار والعبيد والثياب ونحوها يقول لهم بورك فيكم
قوله تعالى ـ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله سبب نزول الآية أن أصحاب رسول الله كان الرجل منهم إذا حضره الموت يأتون إليه ويقولون له انظر لنفسك أيها الرجل وأوصي بمالك وإن ورثتك لا يغنون عنك من الله شيئا وربما يحملونه على أن يوصي بجميع المال فنزلت الآية وليخش الذين لو تركوا من خلفهم أي إن تركوا من خلفهم ذرية ضعافا أي أولاد صغارا خافوا عليهم أو على أولادهم فليخافوا على أولاد الناس كما يخافون على أولادهم فإن أولاد الميت أحق بماله من الأجانب فهذا معنى قوله فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا أي عدلا
قوله تعالى ـ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما نزلت الآية في حنظلة ابن الشمردل كان قد ولى يتيما فأكل جميع ماله وقيل الآية نزلت ابتداء في حق الكافر إنما يأكلون في بطونهم نارا لأنه لما كان أكلهم ذلك يؤدي إلى النار سماهم آكلين للنار وهذا كقول النبي الذي يشرب في آنية الذهب والفضة إنما يجرجر في بطنه نار جهنم وفي الحديث يخرج لهيب النار من جوفهم يوم القيامة وفى رواية أن الملك يأتيهم فيفتح أفواههم ويلقمهم الجمر

تفسير السمعاني ج:1 ص:400
تفسير السمعاني ج 1/ص 401

الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك

إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد ويقول هذا بأكلكم مال اليتيم
وقال من أبكى يتيما فحق على الله أن يبكى عينيه يوم القيامة
وسيصلون سعيرا أي سيدخلون جهنم وقيل يعاينون سعيرا والسعير النار المستعرة وهو اسم من أسماء جهنم
قوله تعالى ـ يوصيكم الله في أولادكم معناه يفرض الله عليكم في أولادكم وذلك مثل قوله -تعالى- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به أي فرض عليكم للذكر مثل حظ الأنثيين
سبب نزول الآية أن سعد بن الربيع لما استشهد يوم أحد خلف ابنتين وامرأة وأخا فجاء الأخ وأخذ جميع المال فجاءت المرأة تشكوا إلى رسول الله فنزلت الآية فدعا رسول الله الأخ وقال اعط الابنتين الثلثين والمرأة الثمن وخذ الباقي
وقوله للذكر مثل حظ الأنثيين يعني إذا خلف ابنا وابنه فالمال من ثلاثة أسهم سهمان للإبن وسهم للبنت فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك أكثر الصحابة والعلماء على أن للابنتين والثلاث الثلثين
وقال ابن عباس للابنتين النصف وإنما الثلثان للثلاث وما زاد تمسكا بظاهر الآية والأول أصح

تفسير السمعاني ج:1 ص:401
تفسير السمعاني ج 1/ص 402
وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما 11 ولكم

(1/318)

ومعنى قوله فإن كن نساء فوق اثنتين يعني كن نساء اثنتين فما فوقهما وهذا كقوله فاضربوا فوق الأعناق أي فاضربوا الأعناق فما فوقها وقيل فوق فيه صلة وتقديره فإن كن نساء اثنتين واسم الجمع ينطلق على الاثنين لأن الجمع عبارة عن جمع الشيء ويستوي فيه الاثنان والثلاث ولأنا أجمعنا على أن الأختين ترثان الثلثين وهما ابنتا أب الميت فالابنتان لأن يرثا الثلثين أولى وهما ابنتاه للصلب
وإن كانت واحدة فلها النصف وفيه إجماع ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك وإن كان له ولد يعني للميت فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث وهذا لا خلاف فيه
فإن كان له إخوه فلأمه السدس أكثر الصحابة والعلماء على أن الأخوين والثلاثة يردون الأم من الثلث إلى السدس
وقال ابن عباس الثلاثة يردون فأما الأخوان فلا يردان لأنه ذكر بلفظ الجمع

وأقله ثلاثة
وقد بينا أن اسم الجمع ينطلق على اثنين والثلاثة
وقرأ حمزة والكسائي فلأمه السدس بكسر الهمزة وهو لغة في الأم
والمعروف بالضم من بعد وصية يوصى بها أو دين يقرأ بقرآتين يوصى بكسر الصاد على معنى يوصيها الموصى ويقرأ يوصى بفتح الصاد على ما لم يسم فاعله

تفسير السمعاني ج:1 ص:402
تفسير السمعاني ج 1/ص 403
نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لها ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما

وعن علي ـ رضى الله عنه ـ أنه قال إنكم تقرءون الوصية قبل الدين والدين قبل الوصية يعني في القضاء ثم اختلفوا منهم من قال أو بمعنى الواو والمراد الجمع بينهما وبيان أن الإرث مؤخرا عنهما جميعا ومنهم من قال أو على حقيقته ومعناه من بعد وصية إن كانت وصية أو دين إن كان دين فالإرث مؤخر عن كل واحد منهما من ذلك عرف تأخيره عنهما إذا اجتمعنا بطريق الأولى
وقوله آباؤكم وأبناؤكم يعني الذين يرثونكم آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي لا تعلمون أيهم أنفع لكم في الدين والدنيا
فمنهم من يظن أن الآباء تنفع فتكون الأبناء أنفع ومنهم من يظن أن الأبناء أنفع فتكون الأباء أنفع وأنتم لا تعلمون وأنا أعلم بمن هو أنفع لكم وقد دبرت أمركم على ما فيه الحكمة والمصلحة فخذوه واتبعوه وفي الأخبار أن في الجنة يكون الأب على الدرجة العالية والابن في الدرجة السافلة فيسأل الابن الله تعالى فيرفعه إلى درجة أبيه ويكون الابن على الدرجة العالية والأب في الدرجة السافلة فيسأل الأب الله ـ تعالى ـ فيرفعه إلى درجة الابن فهذا معنى الآية لا تدرون أيهم أنفع لكم في الآخرة وأرفع درجة فتصلون إلى درجته
فريضة من الله يعني ما قدر من المواريث إن الله كان عليما بأمر العباد حكيما بنصب الأحكام

تفسير السمعاني ج:1 ص:403
تفسير السمعاني ج 1/ص 404

تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين

(1/320)

قوله تعالى ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين هذا في ميراث الأزواج وفيه إجماع ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وهذا في ميراث الزوجات ولا خلاف فيه

قوله تعالى وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة يعنى أو امرأة تورث كلالة قال بعض العلماء الكلالة لا يعلم معناها وعن عمر -رضي الله عنه- قال خرج رسول الله من الدنيا ولم يبين لنا ثلاثة الكلالة والخلافة والربا

والصحيح أنها معلومة المعنى ثم اختلفوا قال ابن عباس في رواية ـ وهي إحدى الروايتين عن عمر ـ إن الكلالة اسم لميت لا ولد له وورث الاخوة مع الأب

وقال الحكم بن عتيبة والكلالة اسم لميت لا ولد له وورث الاخوة مع الوالد

وهما قولان في شواذ الخلاف والصحيح فيه قولان

أحدهما ـ قول لأهل المدينة والكوفة ـ أن الكلالة اسم لورثة ليس فيهم ولد ولا والد مأخوذ من الإكليل وهو الذي على جانبي الوجه فالكلالة اسم لمن يحيط بجانبي الميت من الاخوة والأخوات والأعمام ونحوهم ولم يكن أعلى ولا أسفل

واستدلوا عليه بحديث جابر كان مريضا فدخل عليه رسول الله يعوده فقال إنما يرثني كلالة ولم يكن في ورثته ولد ولا والد وجعل الكلالة اسما للوارث ويشهد لهذا ما قرئ في الشواذ وإن كان رجل يورث كلالة مشددا بكسر الراء

تفسير السمعاني ج:1 ص:404

تفسير السمعاني ج 1/ص 405

غير مضار وصية من الله والله عليم حليم 12 تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم 13 ومن يعص الله ورسوله ويتعد

(1/321)

وقال البصريون وهو قول أبى بكر وعلي وابن مسعود وزيد وفى أصح الروايتين عن ابن عباس أن الكلالة اسم للميت الذي ليس له ولد ولا والد وهو ظاهر الآية

وتشهد له القراءة الأخرى في الشواذ وإن كان رجل يورث كلالة مشددا بفتح الراء قال الشاعر
وإن أبا المرء أحمى لهومولى الكلالة لا يغضب
فيجعل الكلالة اسما للميت
وفيه قول آخر أن الكلالة اسم للتركة قاله عطاء وقوله وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس أجمعوا على أن المراد بالأخ والأخت هاهنا أولاد الأم
وفرض لكل واحد منهم السدس ذكرا كان أو أنثى
فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث وفيه إجماع أن فرضهم الثلث إذا تعددوا وإن كثروا من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار يعني الموصي لا يضر بالورثة بمجاوزة الثلث ونحوه وصية من الله أي فريضة من الله والله عليم حليم تلك حدود الله يعني ما ذكر من الفروض المحدودة ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ذكر ثواب من أطاعه ولم يجاوز حدوده ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ذكر عقاب من عصاه وجاوز حدوده
قوله- تعالى- واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم اللاتي والتي

تفسير السمعاني ج:1 ص:405
تفسير السمعاني ج 1/ص 406
حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين 14 واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله واللواتي اسم لجماعة النساء قال الشاعر
هن اللواتي والتي واللاتيزعمن أنى قد كبرت لداتي
ومثله اللائي أيضا قال الشاعر
من اللائي لم يحججن تبغين حسبة
ولكن ليقتلن البريء المغفلا

وقوله يأتين الفاحشة أراد بالفاحشة هاهنا الزنا فاستشهدوا عليهن أربعة منكم هو خطاب للحكام يعني فاطلبوا عليهن أربعة من الشهود وهذه الآية هي الحجة على أن شهود الزنا أربعة فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا وكان هذا هو الحكم في ابتداء الإسلام وأن المرأة إذا زنت حبست في البيت إلى أن تموت ثم نسخ ذلك في حق البكر بالجلد والتغريب وفي حق الثيب بالجلد والرجم وهو بيان السبيل المذكور في الآية والحجة عليه حديث عبادة خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة

ثم نسخ الجلد في حق الثيب واستقر أمرها على الرجم
وقال بعض العلماء الجلد مع الرجم باق على الحكم والأول أصح
وقال أبو حنيفة وأصحابه التغريب أيضا منسوخ في حق البكر والخلوف مذكور في الفقه
واختلفوا في أن ذلك الإمساك في البيت كان على سبيل الحد أم كان حبسا ليظهر الحد على قولين أحدهما أنه كان حدا والثاني أنه كان حبسا ليظهر الحد

تفسير السمعاني ج:1 ص:406
تفسير السمعاني ج 1/ص 407
لهن سبيلا 15 واللذان يأتيانها منكم فأذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان توابا رحيما 16 إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب
قوله تعالى واللذان يأتيانها منكم فآذوهما اختلفوا في المراد من الآيتين قال مجاهد الآية الأولى في النساء وهذه الآية في الرجال إذا زنوا
وقال غيره الأولى في الثيب وهذه الآية في الأبكار
وفيه قول ثالث أن الآية الأولى في المرأة إذا أتت المرأة سحقا والآية الثانية في الرجل إذا أتى الرجل
وقد قال إذا أتى الرجل الرجل فهما زانيان وإذا أتت المرأة المرأة فهما زانيتان

والمراد بالإيذاء في هذه الآية هو السب باللسان وإسماع المكروه والتعبير والضرب بالنعال
فإن قيل ذكر الحبس في الآية الأولى والإيذاء في الآية الثانية فكيف وجه الجمع
قيل أما على قول من قال إن الآية الأولى في صنف والآية الثانية في صنف آخر يستقيم الكلام
وقال بعضهم أراد به الجمع بين الإيذاء والحبس في حق الزاني فيؤذى أولا ثم

تفسير السمعاني ج:1 ص:407
تفسير السمعاني ج 1/ص 408
يحبس والآية الثانية وإن كانت في التلاوة متأخرة فهي في المعنى متقدمة كأنه قال واللذان يأتيان الفاحشة منكم فآذوهما وأمسكوهما في البيت فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما أي أعرضوا عن الإيذاء إن الله كان توابا رحيما
قوله- تعالى- إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال قتادة أجمع

أصحاب رسول الله على أن من عصى الله فهو جاهل وقيل أراد به الجهال بكنه عقوبة الله وقيل الجهالة في المعصية أنه اختار اللذة الفانية على اللذة الباقية ثم يتوبون من قريب يعني قبل الموت قال الضحاك كل ما بينك وبين الموت فهو قريب وقيل أراد به التوبة قبل أن يعاين ملك الموت وقيل أراد به ثم يتوبون قبل أن يغرغروا
وفي الخبر أن النبي قال من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ثم قال إن السنة لكثيرة ثم قال من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ثم قال إن الشهر لكثير ثم قال من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ثم قال إن الجمعة لكثيرة ثم قال من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ثم قال إن اليوم لكثير من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه ثم قال إن نصف اليوم لكثير من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ثم قال إن الساعة لكثيرة من تاب قبل أن يغرغر تاب الله عليه رواه عبادة بن الصامت فهذا معنى قوله ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما

قوله- تعالى- وليست التوبة للذين يعملون السيئات قيل أراد

تفسير السمعاني ج:1 ص:408
تفسير السمعاني ج 1/ص 409
الله عليهم وكان الله عليما حكيما 17 وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر بالسيئات الشرك وقال ابن عباس هو النفاق وقيل كل المعاصي حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن يعني حالة الموت يتوب حين يساق ووجه ذلك مثل توبة فرعون حين أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل يقول الله ـ تعالى ـ ليس لهؤلاء توبة
ولا الذين يموتون وهم كفار يعني ولا الذين يموتون كفارا لهم توبة أولئك اعتدنا لهم أي أعددنا لهم عذابا أليما
يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها نزلت الآية في الأنصار كان الرجل منهم إذا مات أبوه ورث امرأة أبيه ثم إن شاء أمسكها لنفسه زوجة وإن شاء زوجها من غيره وأخذ صداقها وإن شاء عضلها عن الأزواج حتى تضجر فتفدي نفسها بمال حتى مات أبو قيس بن الأسلت الأنصاري عن امرأته كبيشة بنت معن الأنصاري فجاء ابنه حصن وورث المرأة فجاءت المرأة تشكو إلى النبي فنزل قوله- تعالى- لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ويقرأ كرها بضم الكاف فالكره بالفتح الإكراه والكره بالضم المشقة ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أي تمنعوهن من الأزواج حتى يضجرن فيفتدين ببعض مالهن فيكون خطابا لأولياء الميت

والصحيح أنه خطاب للأزواج يعني إذا لم تكن الزوجة بموافقة فلا تمسكها

تفسير السمعاني ج:1 ص:409
تفسير السمعاني ج 1/ص 410

أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك اعتدنا لهم عذابا أليما 18 ضرارا لتفتدى ببعض مالها إلا أن يأتين بفاحشة مبينة قال ابن عباس هو النشوز وقيل هو الزنا يعني إذا نشزت أو زنت فحينئذ يحل أن يفاديها ويأخذ مالها وكان في ابتداء الإسلام إذا زنت المرأة أخذ الزوج جميع صداقها منها ثم نسخ وعاشروهن بالمعروف أي الإجمال في المبيت والقول والنفقة فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا
قوله تعالى ـ وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج أراد بالزوج هاهنا الزوجة وهو اسم للرجل والمرأة وآتيتم إحداهن قنطارا يعني من الصداق فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا أي ظلما وإثما مبينا
وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض أي وصل بعضكم إلى بعض بالدخول وحكى عن الزجاج أنه الخلوة والأول أصح
وأخذن منكم ميثاقا غليظا هو قول الولي زوجتكها على أن تمسكها بمعروف أو تسرحها بإحسان وقيل هو معنى ما روى اتقوا الله في النساء فإنهن عندكم عوان أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فهذا هو الميثاق الغليظ
قوله- تعالى- ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كان أهل الجاهلية ينكحون أزواج آبائهم فورد الشرع بالنهى عنه إلا ما قد سلف يعنى بعدما سلف وقال المبرد ومعناه لكن ما سلف في الجاهلية فهو مغفور
إنه كان فاحشة ومقتا قيل كان فيه صلة وتقديره إنه فاحشة وهذا كما

تفسير السمعاني ج:1 ص:410
تفسير السمعاني ج 1/ص 411
يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا يقول الشاعر
فكيف إذا رأيت ديار قوميوجيران لنا كانوا كرام

وقيل كان في موضعه ومعناه أنه كان في الجاهلية يعدونه فاحشة ومقتا وكانوا يسمون ولد امرأة الأب مقيتا والفاحشة أقبح معصية وأما المقت قال أبو عبيدة هو المبغضة من الله وقال ابن عباس أراد به المقت من الملائكة وساء سبيلا أي بئس المسلك
قوله تعالى ـ حرمت عليكم أمهاتكم قال ابن عباس حرم الله ـ تعالى ـ سبعا بالنسب وسبعا بالمهر وقال الفقهاء سبعا بالنسب وسبعا بالسبب
أما السبع بالنسب منهن الأمهات وهي كل امرأة تنسب إليها بالولادة سواء قربت أو بعدت سواء كان بينك وبينها ذكر أو أنثى أو لم يكن أحد فالكل حرام
قال وبناتكم ومنها البنات وهى كل امرأة تنسب إليكم بالولادة سواء قربت أو سلفت سواء كان بينك وبينها ذكر أو أنثى أو لم يكن أحد فالكل حرام
قال وأخواتكم ومنها الأخوات وهي كل امرأة تنسب إلى من تنسب إليه بالولادة فالكل حرام قال وعماتكم ومنها العمات والعمة أخت كل ذكر تنسب إليه بالولادة فالكل حرام قرب أم بعد قال وخالاتكم ومنها الخالات والخالة أخت كل امرأة تنسب إليها بالولادة قربت أم بعدت

تفسير السمعاني ج:1 ص:411
تفسير السمعاني ج 1/ص 412
أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا 19 وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا
قال وبنات الأخ وبنات الأخت ومنها بنات الأخ وبنات الأخت وهي بنت كل من تنسب إلى من تنسب إليه فهذه السبعة بالنسب

وأما السبع بالسبب فإحداهن مذكورة قبل هذه الآية في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء والثانية في قوله وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم والثالثة وأخواتكم من الرضاعة ولا خلاف أن الأم والأخت من الرضاعة حرام على الرجل نكاحها فأما ما عدا الأمهات والأخوات من الرضاعة حرام أيضا عند أكثر العلماء لقوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب
قال داود وأهل الظاهر لا يحرم ما عدا الأمهات والأخوات بالرضاع تمسكا بظاهر القرآن
قال وأمهات نسائكم الرابعة أم الزوجة تحرم على الإطلاق بنفس العقد على قول الأكثرين وحكى خلاس عن علي ـ رضى الله عنه ـ أنه قال لا تحرم أم الزوجة إلا بعد الدخول بالزوجة ل قوله تعالى ـ وربائبكم اللاتى في حجوركم

من نسائكم اللاتي دخلتم بهن قال فقوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن ينصرف إليهما جميعا والأول أصح
قال ابن عباس أبهموا ما أبهمه الله أي أطلقوا ما أطلقه الله ولأن قوله وأمهات نسائكم مستقل بنفسه معتد بحكمه فيستغني عن الإظهار ولأن قوله وأمهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن على هذا التقدير يكون عيا في الكلام فلا يليق بكلام الله ـ تعالى ـ الذي هو أفصح أنواع الكلام
قال وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن

تفسير السمعاني ج:1 ص:412
تفسير السمعاني ج 1/ص 413
أتأخذونه بهتانا وأثما مبينا 20 وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا 21 ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتا
الخامسة الربيبة وهي ابنة الزوجة وسميت ربيبة لأن الزوج يربها في حجره على الأغلب فهي حرام بعد الدخول بالزوجة وسواء كانت في حجره أو في حجر غيره

وقال داود يختص التحريم بالتي في حجره لقوله وربائبكم اللاتي في حجوركم وهذا لا يصح لأن الكلام خرج على لأغلب
فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم يعني في نكاحهن
وقال وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم السادسة حليلة الابن وهي حرام وسميت حليلة لأنها مع الابن يحلان فراشا واحدا وقيل لأنها تحل إزار الابن والابن يحل إزارها وقيل سميت حليلة لأنها تحل له
وقوله الذين من أصلابكم إنما قيد بالصلب وإن كان حليلة ولد الولد حراما ليبين أن حليلة ولد التبني حلال وقد تزوج رسول الله زينب بنت جحش امرأة زيد بن حارثة وكان قد تبنى زيدا حتى قال عبد الله بن أبى بن سلول انظروا إلى هذا الرجل كيف وثب على امرأة ابنه وتزوجها فقال الله تعالى وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم بذلك السبب
وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف السابعة الجمع بين الأختين حرام بالنكاح وكذلك بالوطء في ملك اليمين وقال أهل الظاهر لا يحرم الجمع بينهما إلا في النكاح لأن الآية في التحريم بالنكاح قال عثمان حرمتها آية وأحلتها آية فآية التحريم هذه وآية التحليل قوله إلا ما ملكت أيمانكم إلا ما قد سلف أي بعدما سلف وقد بينا لك إن الله كان غفورا رحيما
قوله تعالى والمحصنات من النساء أراد به ذوات الأزواج إلا ما ملكت أيمانكم اختلفوا فيه فقال علي وابن عباس أراد به إلا ما ملكت أيمانكم من

تفسير السمعاني ج:1 ص:413
تفسير السمعاني ج 1/ص 414

(1/329)

وساء سبيلا 22 حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل سبايا أو طاس وفيه نزلت الآية قال أبو سعيد الخدري لما سبا رسول الله سبايا أو طاس هرب الرجال فتحرج المسلمون من وطء النساء بمكان الأزواج فنزلت الآية وأذن رسول الله في وطئهن
وقال ابن مسعود وأبى بن كعب إن قوله إلا ما ملكت أيمانكم هو أن يبيع الجارية المزوجة فتقع الفرقة بينها وبين زوجها ويحل للمشترى وطأها ويكون بيعها طلاقا لها
وقيل معنى الآية والمحصنات من النساء يعني ذوات الأزواج يحرم الاستمتاع بهن إلا ما ملكت أيمانكم من مهرهن فيحل الاستمتاع به فكأنه حرم الاستمتاع ببعضهن وأباح الاستمتاع بمهرهن
كتاب الله عليكم أي فرض الله عليكم ويقرأ كتب الله عليكم أي فرض الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم يعني أحل لله لكم ويقرأ أحل لكم -بضم الألف- على نظم قوله حرمت عليكم أمهاتكم
أن تبتغوا بأموالكم قيل الإحلال بالابتغاء بالأموال وفيه دليل على أن استحلال البضع لا يخلو عن عوض محصنين أي متزوجين متعففين غير مسافحين غير زانين مأخوذ من سفح الماء وهو الصب ومنه قول امرئ القيس
وإن شفائي عبرة إن سفحتهافهل عند رسم دارس من معول

تفسير السمعاني ج:1 ص:414
تفسير السمعاني ج 1/ص 415
أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفورا رحيما 23 والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم كتاب الله عليكم وأحل لكم ما وراء ذلكم أن تبتغوا بأموالكم محصنين غير مسافحين

(1/330)

أي صببتها فما استمتعتم به منهن قيل أراد به فما استمتعتم به بالنكاح منهن فأتوهن أجورهن فريضة أي مهورهن وقال ابن عباس هو المتعة المعروفة وكانت المتعة حلالا في ابتداء الإسلام وصورتها أن يقول الرجل للمرأة أجرتك ـ أو عقدت عليك ـ لأستمتع بك عشرة أيام بكذا وكان هذا حلالا ثم نسخ وكان ابن عباس يفتى بإباحتها والصحيح أنه منسوخ
وروى علي والربيع عن سبرة عن النبي أنه نهى عن نكاح المتعة
وقال علي لابن عباس إنك رجل تائه نهى رسول الله عن نكاح المتعة وقيل إن ابن عباس رجع عن إباحة المتعة وتاب وقال بعض السلف لولا أن عمر نهى عن المتعة مازنى أحد في العالم
ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فمن حمل ما قبله على المتعة قال المراد بهذا أن يزيد الرجل في المهر وتزيد المرأة في الأجل ومن حمل ذلك على الاستمتاع بالنكاح فالمراد بقوله ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به يعنى من الإبراء والاعتياض عن المهر إن الله كان عليما حكيما
قوله تعالى ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات قال مجاهد الطول السعة والغنى وأصل الطول الفضل ومنه الطول لفضل القامة ويقال لا طائل تحته أي لا معنى تحته

تفسير السمعاني ج:1 ص:415
تفسير السمعاني ج 1/ص 416
فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة إن الله كان عليما حكيما 24 ومن لم يستطيع منكم طولا أن ينكح المحصنات
ومعنى الآية ومن لم يقدر على مهر الحرة المؤمنة فليتزوج بالأمة المؤمنة وفيه دليل على أن نكاح الأمة الكتابية باطل

قال الشعبي نكاح الأمة مع القدرة على مهر الحرة حرام كالميتة والدم وقال عطاء الطول الهوى ومعنى الآية ومن لم يستطيع من هواه أن ينكح الحرة بأن كان يهوى الأمة دون الحرة فليتزوج بالأمة فعلى هذا يجوز نكاح الأمة وإن كان قادرا على مهر الحرة والفتى العبد والفتاة الجارية فمعنى قوله تعالى ـ من فتياتكم المؤمنات أي من جواريكم
والله أعلم بإيمانكم أي لا تتعرضوا للباطن في الإيمان وخذوا بالإيمان الظاهر فإن الله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض أي كلكم من نفس واحدة فلا تستنكفوا من نكاح الإماء وقيل معناه بعضكم أخوة لبعض

فانكحوهن أي الإماء بإذن أهلهن أي إذن مواليهن وآتوهن أجورهن أي مهورهن بالمعروف محصنات يعني عفائف بالتزويج غير مسافحات أي غير زانيات ولا متخذات أخدان فالمسافحة هي أن تمكن منها كل أحد قال الحسن المسافحة هي امرأة كل من أوى إليها تبعته و ذات الخدن هي أن تختص بصديق والعرب كانت تحرم الأولى وتستبيح الثانية
قوله تعالى فإذا أحصن قال ابن مسعود فإذا أسلمن وقال ابن عباس فإذا تزوجن ويقرأ فإذا أحصن بضم الآلف ومعناه زوجن
فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ومعنى الآية ـ على قول ابن عباس وهو الأصح ـ أن الإماء إذا تزوجن وصرن ثيبا فعليهن نصف

تفسير السمعاني ج:1 ص:416
تفسير السمعاني ج 1/ص 417
المؤمنات فمن ما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات والله أعلم بإيمانكم بعضكم من بعض فأنكحوهن بإذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات ما على المحصنات يعني الحرائر من العذاب أي من عذاب الحد وحد الحرائر يكون بالجلد ويكون بالرجم والرجم لا ينتصف فكان المراد تنصيف الجلد وذهب بعض العلماء إلى أن الأمة البكر إذا زنت لا حد عليها لظاهر هذه الآية وهذا لا يصح

قال الزهري حد الأمة الثيب ثابت بهذه الآية وحد الأمة البكر ثابت بالسنة والسنة المعروفة فيه قوله إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ذلك لمن خشي العنت منكم العنت الزنا وقد يكون بمعنى المشقة كما بينا وأن تصبروا يعني عن نكاح الإماء خير لكم كيلا يخلق الولد رقيقا والله غفور رحيم
قوله تعالى ـ يريد الله ليبين لكم يعني أن يبين لكم ومثله قول الشاعر
أريد لأنسى ذكرها فكأنماتمثل لي ليلى بكل سبيل
يعني أريد أن أنسى ذكرها
قوله ليبين لكم أي يوضح لكم الأحكام ويهديكم أي يرشدكم سنن الذين من قبلكم أي طرائق الذين من قبلكم من النبين والصالحين وقيل من قوم موسى وعيسى الذين هدوا بالحق وذلك أنه حرم عليهم ما حرم على المسلمين من المحارم المذكورات وقيل معناه ويهديكم إلى الملة الحنيفية ملة إبراهيم ويتوب عليكم قال ابن عباس بداء من الله ومعناه يوفقكم للتوبة وقيل يرشدكم إلى السبيل الذي يدعوكم إلى التوبة والله عليم بمصالح أمركم

تفسير السمعاني ج:1 ص:417
تفسير السمعاني ج 1/ص 418
أخدان فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم 25 يريد الله ليبين لكم حكيم فيما دبر
قوله تعالى والله يريد أن يتوب عليكم هو ما ذكرنا ويريد الذين يتبعون الشهوات قال مجاهد هم الزناة وقيل أراد به اليهود والنصارى قال مقاتل بن حيان اليهود خاصة لأنهم استحلوا نكاح الأخت من الأب أن تميلوا ميلا عظيما الميل العظيم هو أن يفعل فعلا لا يخاف الله فيه ولا يرقب الناس وقيل الميل العظيم باتباع الشهوات

(1/333)

قوله تعالى ـ يريد الله أن يخفف عنكم أي يسهل عليكم وقد سهل هذا الدين قال بعثت بالسمحة السهلة الحنيفية وروى بالحنيفية السمحة السهلة وقال الله ـ تعالى ـ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم
وخلق الإنسان ضعيفا قال طاوس ومجاهد وخلق ضعيفا في أمر النساء لا يصبر عنهن وقال وكيع يذهب عقله عندهن فهو ضعيف وقال الزجاج يستميله هواه وشهوته
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل قال السدى هو القمار والربا ونحوه وقال غيره كل العقود الباطلة إلا أن تكون تجارة يقرأ بالضم والفتح قد ذكرنا وجه القرائتين في سورة البقرة
عن تراض منكم أي بطيبة نفس منكم ولا تقتلوا أنفسكم أي لا يقتل بعضكم بعضا وقرأ الحسن ولا تقتلوا أنفسكم ـ مشددا ـ على التكثير

تفسير السمعاني ج:1 ص:418
تفسير السمعاني ج 1/ص 419
ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم 26 والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما 27 يريد الله أن يخفف عنكم
وقيل معناه ولا تقتلوا أنفسكم بأكل المال الباطل وقيل أراد به قتل الرجل نفسه على الحقيقة إن الله كان بكم رحيما
قوله تعالى ـ ومن يفعل ذلك يعني ما سبق من الحرام عدوانا وظلما فالعدوان مجاوزة الحد والظلم وضع الشيء في غير موضعه
فسوف نصليه نارا ندخله نارا يصلى بها وكان ذلك على الله يسيرا أي هينا

وروى عن ابن عمر أنه قال كنا نشهد لمن ارتكب الكبائر بالنار بهذه الآيات حتى نزل قوله تعالى ـ ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فتوقفنا

قوله تعالى ـ إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه سئل رسول الله فقيل له أي الكبائر أكبر فقال أن تدعو لله ندا وهو خلقك قيل ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يأكل معك قيل ثم أي قال أن تزني بحليلة جارك ثم قرأ والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون وروى عن رسول الله أنه قال أكبر الكبائر الإشراك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف وكان متكئا فاستوى جالسا وقال وشهادة الزور وشهادة الزور فما زال يردده حتى قلنا ليته سكت
وقال ابن مسعود الكبائر ما ذكر الله ـ تعالى ـ في هذه السورة إلى هذه الآية إن تجتنبوا كبائر

تفسير السمعاني ج:1 ص:419
تفسير السمعاني ج 1/ص 420
وخلق الإنسان ضعيفا 28 يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما 29 ومن يفعل ذلك
وعن ابن مسعود أيضا أنه قال الكبائر أربعة الإشراك بالله والقنوط من رحمة الله واليأس من روح الله والأمن من مكر الله
وقال ابن عباس الكبائر سبع الإشراك بالله وقتل النفس بغير نفس وقذف المحصنة وأكل الربا وأكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة يعني إلى دار الحرب
وقال ابن عمر الكبائر تسع فذكر هذه السبع وزاد شيئين أحدهما السحر والثاني الإلحاد في الحرم بالميل والظلم
وسئل ابن عباس فقيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع وقال المغيرة بن مقسم الضبي شتم أبي بكر وعمر من الكبائر
والجملة أن الكبائر كل جريمة أوعد الله ـ تعالى ـ عليها النار وقال أبو صالح الكبيرة كل ما أوجب الحد غير أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الإصرار

وقوله نكفر عنكم سيئاتكم قال السدى أراد بالسيئات الصغائر نكفر عنكم سيئاتكم إن شئت فالمشيئة مضمرة فيه وروى عن رسول الله أنه قال الجمعة

إلى الجمعة والصلوات الخمس كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر
وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله قال ما من مسلم يصيبه وصب أو نصب إلا كفر عنه خطاياه حتى الشوكة يشاكها

تفسير السمعاني ج:1 ص:420
تفسير السمعاني ج 1/ص 421
عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا 30 إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما 31 ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
وقيل باجتناب الكبائر تقع الصغائر مكفرة ومذهب أهل السنة أن تكفير الصغائر معلقة بالمشيئة فيجوز أن يعفو الله عن الكبائر ويأخذ بالصغائر ويجوز أن يجتنب الرجل الكبائر فيؤخذ بالصغائر
وندخلكم مدخلا كريما وتقرأ مدخلا - بفتح الميم ـ فالمدخل الجنة والمدخل ـ بضم الميم ـ الإدخال يعني إدخالا كريما
قوله تعالى ـ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض سبب نزول الآية ما روى عن أم سلمة قالت يا رسول الله إن الرجال يغزون ولا نغزوا ولهم ضعف مالنا من الميراث فلو كنا رجالا غزونا كما غزوا وأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا فنزل قوله ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل سبب نزول الآية أن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء فلما نزلت الآية بتوريث النساء وجعل للذكر مثل حظ الأنثيين قالت النساء لو كنا رجالا لأخذنا من الميراث مثل ما أخذوا وقال الرجال كما فضلنا عليكن في الدنيا نفضل عليكن في الآخرة فنزلت الآية

قال الفراء هذا نهي تأديب وتهذيب وقال غيره إنه نهي تحريم للرجال نصيب مما اكتسبوا يعني من الأجر وللنساء نصيب مما اكتسبن يعني من الأجر ومعنى الآية أن الرجال والنساء في الأجر في الآخرة سواء وإن فضل الرجال على النساء في الدنيا فالحسنة بعشر أمثالها يستوي فيها الرجل والمرأة وقيل معناه للرجال نصيب مما اكتسبوا من أمر الجهاد وللنساء نصيب مما اكتسبن من طاعة الأزواج وحفظ الفروج يعني إن كان للرجل فضل الجهاد فللنساء فضل طاعة الأزواج وحفظ الفروج

تفسير السمعاني ج:1 ص:421

تفسير السمعاني ج 1/ص 422
على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شئ عليما 32 ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون والذين
واسألوا الله من فضله وفي هذا دليل على أن الحسد حرام والحسد هو أن يتمنى زوال النعمة عن صاحبه ويتمناها لنفسه والغبطة هو أن يتمنى لنفسه مثل ما لصاحبه فالحسد حرام والغبطة لا بأس بها ثم اختلفوا في معنى الفضل هاهنا قال ابن عباس واسألوا الله من فضله أي من رزقه
وقال سعيد بن جبير معناه واسألوا الله من فضله أي من عبادته وقيل هو سؤال التوفيق على الطاعة إن الله كان بكل شئ عليما
قوله تعالى ـ ولكل جعلنا موالى ولكل من الرجال والنساء جعلنا ورثة قال مجاهد الموالى هاهنا بنو الأعمام وقال الشاعر
مهلا بني عمنا مهلا موالينالا تنشبوا بيننا ما كان مدفونا

وقيل هم جميع الأقارب ومعنى الآية ولكل جعلنا موالي يعطون مما ترك الوالدان والأقربون والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم عاقدت وعقدت وحالفت بمعنى واحد وهو من الحلف والعهد وهو أن يقول الرجل لصاحبه دمي دمك ومالي مالك وترثني وأرثك وكان في الجاهلية يورث بالحلف وأقر عليه في الإسلام وكان للحليف السدس ثم نسخ ذلك بقوله ـ تعالي ـ وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض وقيل هذا في التوريث بالتبني وكان ثابتا ثم نسخ إن الله كان على كل شئ شهيدا
قوله تعالى ـ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض
سبب نزول الآية أن امرأة سعد بن الربيع جاءت إلى النبي وقالت إن زوجي

تفسير السمعاني ج:1 ص:422
تفسير السمعاني ج 1/ص 423
عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم إن الله كان على كل شئ شهيدا 33 الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم فالصالحات قانتات حافظات لطمني على وجهي وهذا أثره فقال اذهبي فاقتصي منه فنزل قوله تعالى ـ الرجال قوامون على النساء بما فضل الله يعني بالتأديب
قال الحسن لما قال لها اذهبي فاقتصي منه نزل قوله ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه أي لا تحكم قبل أن ينزل حكم الله
والقوام والقيم بمعنى واحد والقوام أبلغ وهو القائم بالمصالح والتدبير قال

الشاعر
الله بيني وبين قيمهايفر مني وأتبع
بما فضل الله بعضهم على بعض يعني الرجال على النساء بالعقل والعلم والحلم وبما أنفقوا من أموالهم يعني بإعطاء المهر والنفقة

(1/338)

فالصالحات قانتات يعني مطيعات وقيل مصليات حافظات للغيب أي حافظات للفروج في غيبة الأزواج بما حفظ الله يعني بما حفظهن الله من إيصاء الأزواج بأداء حقهن من المهر والنفقة وقيل معناه حافظات للغيب بحفظ الله وقرأ أبو جعفر المدني بما حفظ الله بفتح الهاء يعني بما حفظ الله من طاعتهن وعبادتهن
واللاتي تخافون نشوزهن النشوز هو الشقاق فعظوهن أي بالتخويف من الله والوعظ بالقول واهجروهن في المضاجع قال ابن عباس ومعناه ولوهن ظهوركم في المضاجع وذلك بأن يوليها ظهره في الفراش ولا يكلمها وقيل معناه أن يعتزل عنها في فراش آخر

تفسير السمعاني ج:1 ص:423
تفسير السمعاني ج 1/ص 424
للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا 34 وإن خفتم شقاق بينهما
واضربوهن يعنى ضربا غير مبرح وذلك ضرب ليس فيه جرح ولا كسر قال عطاء ضرب بالسواك ونحوه فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا يعني بالتعلل والتجني وقيل فلا تكلفوهن محبتكم فإن القلب ليس بأيديهن إن الله كان عليا كبيرا أي متعاليا عن أن يكلف العباد ما لا يطيقونه وفي الخبر لو جاز أن يسجد أحد لأحد لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها لما له عليها من الحقوق
وروى مرفوعا خير النساء من إذا دخلت عليها سرتك وإن أمرتها أطاعتك وإن غبت عنها حفظتك
وإن خفتم شقاق بينهما هو النشوز قال أبو عبيدة أراد به إن تيقنتم شقاق بينهما فالخوف بمعنى اليقين ومنه قول الشاعر
إذا مت فارميني إلى جنب كرمةأخاف إذا ما مت أن لا أذوقها أي أتيقن

تفسير السمعاني ج:1 ص:424
تفسير السمعاني ج 1/ص 425

(1/339)

فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا 35 واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت وأنكر الزجاج ذلك عليه وقال إذا تيقن الشقاق فلا معنى لبعث الحكمين بل الخوف بمعنى الظن يعني إن ظننتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله يعني من أهل الزوج وحكما من أهلها يعني من أهل الزوجة إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما إن الله كان عليما خبيرا وهل يجوز للحكمين التفريق فللسلف فيه قولان أحدهما أنه يجوز التفريق كما يجوز الجمع من غير رضا الزوج وروى عن علي أنه بعث الحكمين فقال الزوج أما الفرقة فلا فقال علي لا حتى ترضى بكتاب الله تعالى فعلى هذا معنى قوله يوفق الله بينهما يعني يوفق الله بين الحكمين بما فيه الصلاح من الفرقة أو الجمع والصحيح ـ وعليه الفتوى ـ أنه لا يجوز التفريق وهو ظاهر الآية
قوله-تعالى- واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا روى عن معاذ أنه قال كنت رديف رسول الله فقال لي يا معاذ فقلت لبيك وسعديك فقال أتدري ما حق الله على العباد قلت الله ورسوله أعلم فقال حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا ثم قال يا معاذ قلت لبيك وسعديك قال أتدري ما حق العباد على الله قلت الله ورسوله أعلم فقال حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك أن يدخلهم الجنة ولا يعذبهم
وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا ومن الإحسان بالوالدين لين الجانب وألا يرفع صوته فوق صوتهما ولا يجبه بالرد ويكون لهما كالعبد الذليل لسيده وبذي القربى أي أحسنوا بذي القربى واليتامى والمساكين

تفسير السمعاني ج:1 ص:425
تفسير السمعاني ج 1/ص 426

(1/340)

أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا 36 الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا 37 والذين ينفقون أموالهم والجار ذي القربى فيه قولان أحدهما انه الجار

الذي له قرابة والثاني أنه الجار الذي يقرب داره وهو الملاصق والجار الجنب فيه قولان أحدهما أنه الجار الغريب الأجنبي والثاني أنه الجار الذي يبعد داره وقد ورد في حق الجار أخبار منها ما روى عن النبي أنه قال ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره وقال لمناديه حتى نادى ألا إن الجيران أربعون دارا ولم يؤمن بالله من آذى جاره

وقالت عائشة لرسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدي فقال إلى أقربهما بابا فحق الجار القريب المسلم ثلاثة حقوق حق القرابة وحق الإسلام وحق الجوار وللجار الغريب المسلم حقان حق الإسلام وحق الجوار وللجار الذمي حق واحد وهو حق الجوار

قوله تعالى ـ والصاحب بالجنب قال علي وابن مسعود هي المرأة وقال الحسن ومجاهد وقتادة وجماعة هو الرفيق في السفر وابن السبيل فيه

تفسير السمعاني ج:1 ص:426
تفسير السمعاني ج 1/ص 427

رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا 38 قولان أحدهما أنه الملازم للطريق قاله ابن عباس وقال غيره هو الضيف وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه وقال الضيافة ثلاثة أيام فما زاد فهو صدقة

وما ملكت أيمانكم يعني أحسنوا إلى المماليك وآخر ما حفظ عن رسول الله أنه قال الصلاة وما ملكت أيمانكم أي الزموا الصلاة وحق ما ملكت أيمانكم

إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا المختال المتكبر والفخور الذي يفخر بنفسه تكبرا قال الشاعر

وإن كنت سيدنا سدتناوإن كنت للخال فاذهب فخل

يعنى إن كنت للخيلاء فاذهب فخل فإن قيل أي معنى لهذا بعد هذه الأحكام قيل لأن الآدمي قد يقصر في أداء الحقوق تكبرا فنهى عنه وفي الخبر أن رجلا كان يتبختر في حلة له فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة

قوله تعالى ـ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل قيل هو عام في كل

تفسير السمعاني ج:1 ص:427
تفسير السمعاني ج 1/ص 428

وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما 39 إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما 40 فكيف بخيل في العالم وقيل أراد به اليهود والنصارى بخلوا بنعت محمد وأمروا سفلتهم بذلك ويكتمون ما آتاهم الله من فضله اعتدنا أي أعددنا للكافرين عذابا مهينا
قوله تعالى ـ والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر قال إبراهيم النخعي هم اليهود والنصارى وقال غيره هم المنافقون ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا أي فبئس القرين قال الشاعر
عن المرء لا تسأل وبصر قرينهفكل قرين بالمقارن يقتدي
قوله تعالى ـ وماذا عليهم أي وأي شئ عليهم لو آمنوا بالله وهو مثل ما يحاسب الرجل نفسه فينظر فيما له وفيما عليه يقول الله ـ تعالى ـ أي شئ عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما
قوله-تعالى- إن الله لا يظلم مثقال ذرة قرأ ابن مسعود مثقال نملة والذرة هي النملة الحمراء وإن تك حسنة يضاعفها وقرئ يضعفها وهما في المعنى سواء ويؤت من لدنه أجرا عظيما

قوله تعالى ـ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا معناه فكيف الحال إذا جئنا من كل أمة بشهيد وأراد بالشهيد من كل أمة نبيها وشهيد هذه الأمة نبينا
وأختلفوا على أن شهادتهم على ماذا منهم من قال يشهدون على تبليغ الرسالة ومنهم من قال يشهدون على الأمة بالأعمال

تفسير السمعاني ج:1 ص:428
تفسير السمعاني ج 1/ص 429
إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا 41 يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثا 42 يا أيها الذين آمنوا لا
واختلفوا في أن النبي هل يشهد على من لم يره منهم من قال إنما يشهد على من رآه والصحيح أنه يشهد على الكل على من رأى وعلى من لم ير
وروي عن ابن مسعود أن النبي قال لي اقرأ علي القرآن فقلت كيف أقرأ عليك القرآن وعليك أنزل فقال أريد أن أسمعه من غيري قال ابن مسعود فافتتحت سورة النساء فلما بلغت قوله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا غمزني رسول الله بيده وقال حسبك فنظرت إليه فإذا عيناه تذرفان وفي رواية لما قرأت هذه الآية قرأ رسول الله وكنت عليهم شهيدا ما

دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وفي رواية ثالثة هذا يا رب فيمن رأيته فكيف بمن لم أره وأصل الحديث صحيح
قوله تعالى يومئذ يعني يوم القيامة يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض ويقرأ لو تسوى بهم الأرض أي تستوي يعني يودون أن يصيروا ترابا وهذا مثل قوله تعالى ـ ويقول الكافر يا ليتني كنت ترابا وذلك حين تحشر البهائم ثم يقول الله ـ تعالى ـ لهم كونوا ترابا فيكونون ترابا فيود الكفار هنالك أن يصيروا مثل البهائم ترابا وقيل يودون أن

تفسير السمعاني ج:1 ص:429
تفسير السمعاني ج 1/ص 430
تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء تنخرق الأرض فساخوا فيها وهلكوا وتسوى بهم الأرض أي عليهم الأرض
ولا يكتمون الله حديثا فإن قيل قد أخبر هاهنا أنهم لا يكتمون الله حديثا وذكر في موضع آخر قولهم والله ربنا ما كنا مشركين فقد كتموا فكيف وجه الجمع قيل قال الحسن البصري وهذا في موطن وذاك في موطن آخر وفي القيامة مواطن وهذا جواب معروف أورده القتيبي في مشكل القرآن وقيل معناه يودون أن لا يكتمون الله حديثا وذلك أنهم يقولون والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك فيختم الله على أفواههم وينطق جوارحهم فيودون أنهم لم يكتموا الله حديثا فهو راجع إلى قوله يود الذين كفروا وقيل معناه لا يقدرون أن يكتموا الله حديثا
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى يعني لا تقربوا موضع الصلاة وأنتم سكارى فالأصح ـ وعليه أكثر المفسرين ـ أنه أراد به السكر من الشراب وهو قول ابن عباس وقال الضحاك أراد به السكر من النوم والسكر من السكر فهو أشد فالسكر يسد العقل والمعرفة والصحيح أنه في السكر من الشراب
وسبب نزول الآية ما روى أن عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما واتخذ شرابا ودعا رهطا من أصحاب رسول الله فأكلوا وشربوا حتى ثملوا فدخل وقت المغرب فقاموا إلى الصلاة وقدموا واحدا منهم فقرأ سورة قل يا أيها الكافرون وقرأ أعبد ما تعبدون وأنتم عابدون ما أعبد قرأ هكذا إلى آخر السورة بطرح لا

فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا 43 ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل 44 والله أعلم فنزل قوله لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون أي حتى تميزوا وتعرفوا ما تقولون
فإن قيل كيف خاطب السكارى والسكران لا يخاطب قيل أراد به لا تتعرضوا للسكر في أوقات الصلاة فكانوا يشربون بعد ذلك بعد صلاة الصبح ويصحون عند الظهر ويشربون بعد العشاء الآخرة ويصحون عند الصبح
ولا جنبا إلا عابري سبيل يعني ولا تقربوا المسجد موضع الصلاة جنبا إلا عابري سبيل اختلفوا فيه قال جماعة من التابعين ـ وهو قول الشافعي ـ إنه أراد به عبور الجنب في المسجد من غير أن يجلس فرخص فيه وقال بعضهم إنه يتيمم للعبور ثم يعبر إذا لم يكن له بد من العبور والآية في قوم من الأنصار كانت أبواب بيوتهم في المسجد فرخص لهم في العبور بالتيمم فهذا معنى قوله ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا
وإن كنتم مرضى أراد به المرضى من القروح والجروح وفيه تفاصيل تذكر في الفقه أو على سفر وحد السفر مسيرة يوم وليلة وقال أصحاب الرأي مسيرة ثلاثة أيام أو جاء أحد منكم من الغائط قال الفراء معناه وجاء أحد منكم من الغائط حتى يستقيم الكلام والغائط اسم للمطمئن من الأرض فلما جرت عادة العرب بإتيان الغائط للحدث سمى الحدث غائطا باسم المكان
أو لمستم النساء ويقرأ أو لامستم النساء قال علي وابن عباس أراد به الجماع قال ابن عباس إن الله حيى كريم يكنى بالحسن عن القبيح فكنى باللمس عن الجماع وقال ابن مسعود وابن عمر هو اللمس باليد وهو قول الشافعي فمن قال بالأول قال إن التيمم للجنب ثابت بنص الكتاب ومن قال

بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا 45 من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم

وطعنا في الدين ولو بالثاني قال إن التيمم للمحدث ثابت بالكتاب وللجنب ثابت بالسنة
وقال عمر وابن مسعود ليس للجنب أن يتيمم أصلا وحملوا الآية على اللمس باليد وتمسكوا بظاهر الآية
والأصح أن اللمس والملامسة واحد وقال بعضهم ومن قرأ أو لامستم ففيه دليل على انتقاض طهارة اللامس والملموس جميعا ومن قرأ أو لمستم ففيه دلالة على انتقاض طهارة اللامس فحسب
فلم تجدوا ماء فتيمموا أي اقصدوا وتعمدوا والتيمم القصد قال الشاعر
تيممت قيسا وكم دونهمن الأرض من مهمة ذي شزن
صعيدا قال أبو عبيدة الصعيد التراب وهو قول الشافعي وقال ابن الأعرابي الصعيد ما يصعد من وجه الأرض وهو اختيار الزجاج وقال الزجاج لو ضرب يده على صخرة صماء حصل التيمم وإن لم يعلق به شئ واستدلوا بقوله صعيدا زلقا وأراد به وجه الأرض والأول أصح لأنه قال في آية أخرى فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه يعني من الصعيد فدل أنه التراب حتى يكون التيمم منه وقوله طيبا أي طاهرا وقال بعضهم حلالا فامسحوا بوجهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا فالعفو المسهل والغفور الساتر قوله تعالى ـ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب فإن قال قائل كيف يسمي اليهود والنصارى أهل الكتاب وهو اسم مدح وهم يستحقون الذم
قيل قال ذلك لإلزام الحجة وقيل سماهم بذلك على زعمهم أنهم أهل الكتاب

تفسير السمعاني ج:1 ص:432
تفسير السمعاني ج 1/ص 433
أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا 46 يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن

يشترون الضلالة لأنهم لما استبدلوا الضلالة بالهدى فكأنهم اشتروا الضلالة بالهدى وكل مشتر مستبدل
ويريدون أن تضلوا السبيل والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا قال الزجاج معناه اكتفوا بالله وليا واكتفوا به نصيرا لتكون الباء في موضعها وقال غيره الباء صلة وتقديره وكفى الله وليا وكفى الله نصيرا
قوله تعالى ـ من الذين هادوا يحرفون قيل تقديره ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب من الذين هادوا يحرفون وقيل معناه من الذين هادوا فريق يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا لأنهم لما سمعوا ولم يطيعوا

فكأنهم قالوا سمعنا وعصينا
واسمع غير مسمع قال ابن عباس كانوا يقولون لرسول الله اسمع ثم يقولون في أنفسهم لا سمعت فهذا معناه وقال الحسن اسمع غير مسمع منك يعني اسمع منا ولا نسمع منك وراعنا كانوا يقولون ذلك ويريدون به النسبة إلى الرعونة فذلك معنى قوله ليا بألسنتهم وطعنا في الدين لأن قولهم راعنا من المراعاة فلما حرفوه إلى الرعونة فذلك معنى قوله ليا بألسنتهم
ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا أي انظر إلينا لكان خيرا لهم وأقوم أي أعدل ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا فيه قولان أحدهما فلا يؤمنون إلا إيمانا قليلا لا يستحقون به اسم الإيمان وذلك أنهم يؤمنون بالله والآخرة وموسى وقيل معناه فلا يؤمنون إلا نفر قليل منهم وأراد به عبد الله بن سلام وقوما منهم أسلموا
يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا يعني من القرآن مصدقا لما

تفسير السمعاني ج:1 ص:433
تفسير السمعاني ج 1/ص 434

نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا 47 إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى معكم من التوراة والإنجيل من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها الطمس المحو ومعناه من قبل أن نطمس الوجه ونرده إلى القفا وقيل معناه نبات الشعر عليه حتى يصير كالقردة وقيل يجعل عينيه على القفا ليمشي بقهقرى وروى أن عبد الله بن سلام لما سمع هذه الآية جاء إلى النبي ويده على وجهه فأسلم وقال خفت أن يطمس وجهي قبل أن أصل إليك وكذلك كعب الأحبار لما سمع هذه الآية أسلم في زمن عمر رضي الله عنه فإن قال قائل قد أوعد اليهود بالطمس إن لم يسلموا ولم يطمس وجوههم فكيف ذلك قيل هذا كان في قوم معدودين أسلموا وذلك عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعيد وأوس بن سعيد والمحيريق وجماعة ولو لم يسلموا لطمسوا وقيل أراد به الطمس في القيامة قال مجاهد أراد بقوله نطمس وجوها أي نتركهم في الضلالة فيكون المراد طمس القلب أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت أي نجعلهم قردة كما جعلنا أصحاب السبت قردة وكان أمر الله مفعولا قوله تعالى ـ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قيل هذه أرجى آية في القرآن قال ابن عمر كنا نطلق القول فيمن ارتكب الكبائر بالخلود في النار حتى نزلت هذه الآية فتوقفنا ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما أي اختلق إثما عظيما فإن قال قائل قد قال الله ـ تعالى ـ إن الله لا

يغفر أن يشرك به وقال في موضع آخر إن الله يغفر الذنوب جميعا فكيف وجه الجمع
قيل أراد به يغفر الذنوب جميعا سوى الشرك

تفسير السمعاني ج:1 ص:434
تفسير السمعاني ج 1/ص 435

إثما عظيما 48 ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا 49 انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثما مبينا 50 ألم تر إلى الذين أوتوا
وفي الخبر أنه لما قرأ قوله تعالى ـ إن الله يغفر الذنوب جميعا فقال رجل والشرك يا رسول الله فنزل قوله تعالى ـ إن الله لا يغفر أن يشرك به
قوله تعالى ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم نزلت الآية في رحبي بن عمرو ومرحب بن زيد جاءا إلى النبي بأطفالهما وقالا هل على هؤلاء ذنب فقال لا فقالا نحن مثلهم ما فعلنا بالليل يكفر عنا بالنهار وما فعلنا بالنهار يكفر عنا بالليل فنزل قوله ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم
بل الله يزكي من يشاء يطهر من يشاء
ولا يظلمون فتيلا أي لا ينقص من أجورهم شئ إن أسلموا ولا من أوزارهم إن لم يسلموا والفتيل والقطمير والنقير ثلاثة أسامي مذكورة في القرآن فالفتيل اسم لما يكون في شق النواة والقطمير اسم للقشرة التي تكون على النواة والنقير اسم للنقطة التي تكون على ظهر النواة هذا قول ابن عباس وقال غيره الفتيل من الفتل وهو اسم لما يحصل من الوسخ بين الإصبعين عند الفتل قال الشاعر
تجمع الجيش ذا الألوف وتغزوثم لا ترزأ العدو فتيلا
قاله النابغة وأنشده الأزهري قوله تعالى ـ أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به أي بالكذب إثما مبينا
ألم تر إلي الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت قال عمر ـ رضي الله عنه ـ الجبت السحر والطاغوت الشيطان وبه قال الشعبي وقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:435
تفسير السمعاني ج 1/ص 436

نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا 51 أولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا 52 أم لهم قتادة الجبت الشيطان والطاغوت الكاهن وعن ابن عباس ـ في رواية الكلبي عنه أنه قال هما اسما رجلين من اليهود فالجبت حيى بن أخطب والطاغوت كعب بن الأشرف وفي رواية أخرى عن ابن عباس أن الجبت الساحر بلغة الحبشة فعرب وذكر عبد الله بن وهب عن مالك بن أنس ـ رحمة الله ـ أنه قال الطاغوت كل ما يعبد من دون الله وقرأ قوله تعالى ـ واجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فقيل له ما الجبت فقال سمعت أنه الكاهن ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا هذا قول جماعة من اليهود وحضروا موسم الحج فقال لهم المشركون نحن أحسن طريقة أم محمد وأصحابه فقالوا أنتم وهذا دليل على شدة معاندة اليهود حيث فضلوا المشركين على المسلمين مع علمهم أنهم لم يؤمنوا بشيء من الكتب وأن المسلمين آمنوا بالكتب المتقدمة
أولئك الذين لعنهم الله هم اليهود ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا قوله تعالى أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا فالنقير اسم تلك النقطة على ظهر النواة ومنها تنبت النخلة وفي الآية قولان أحدهما أنه استفهام بمعنى الإنكار والنفي يعنى ليس لهم نصيب من الملك إذ لو كان الملك لهم فإذا لا يؤتون الناس نقيرا وقد ذكرنا نزع الملك من اليهود والقول الثاني إنه بمعنى الإثبات يعني لهم نصيب من الملك وأراد بالملك المال ثم هم إذا لا يؤتون الناس نقيرا وصفهم بشدة البخل وهذا على طريق ضرب المثل إذ من اليهود من يؤتي المال
قوله تعالى ـ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله أي بل يحسدون واختلفوا في الناس هاهنا من المراد به قال ابن عباس والحسن

تفسير السمعاني ج:1 ص:436

تفسير السمعاني ج 1/ص 437
نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا 53 أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما 54 فمنهم من آمن به ومجاهد وجماعة أراد به محمدا وحده وقال قتادة أراد به العرب حسدهم اليهود ببعث النبي منهم وفيه قول ثالث أراد به محمدا وأصحابه وقال أبو جعفر محمد بن علي الباقر نحن الناس وذلك أنهم حسدوا فإذا قلنا بالقول الأول أنه محمد وحده فاختلفوا في الفضل المذكور في الآية ما

هو قال بعضهم هو النبوة حسد الرسول بها وقال بعضهم هو تحليل الزوجات فيما زاد على الأربع حسده اليهود عليه فقالوا ما بال هذا الرجل همه في النكاح ينكح وينكح فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة أراد بآل إبراهيم داود وسليمان والكتاب هو الكتاب الذي أنزل عليهم وأما الحكمة قيل هي النبوة وقيل هي السنة
ومعنى الآية أنهم إن حسدوا الرسول بما أوتى من الفضل فليحسدوا آل إبراهيم فإنهم قد أوتوا الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما اختلفوا في الملك العظيم فمن فسر الفضل بتحليل الزوجات فسر الملك العظيم به أيضا وقد كان لداود تسع وتسعون امرأة ولسليمان مائة امرأة وقيل كان لسليمان سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية وقيل أعطى ـ نبينا صلوات الله عليه ـ قوة سبعين شابا في المباضعة
وقيل الملك العظيم ملك سليمان وقيل المراد به تأييدهم بالجنود من الملائكة
قوله تعالى ـ فمنهم من آمن به يعنى بالكتاب ومنهم من صد عنه أي أعرض عنه وقيل معناه فمنهم من آمن بمحمد ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا والسعير هي النار المسعرة

تفسير السمعاني ج:1 ص:437
تفسير السمعاني ج 1/ص 438

ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا 55 إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب إن الله كان عزيزا حكيما
قوله تعالى ـ إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا أي نلقيهم في النار ويقال صلى النار إذا قرب منها قال الشاعر يصف امرأة
تجعل المسك واليلنجوج والندصلاء لها على الكانون
كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب قيل قرئت هذه الآية عند عمر ـ رضي الله عنه ـ وكان عنده معاذ بن جبل فقال تبدل جلودهم في كل ساعة سبعين مرة قال عمر كذا سمعت رسول الله
وقال الحسن في كل يوم سبعين ألف مرة
فإن قيل إذا بدلت جلودهم فكيف يعذب غير الجلد الذي كان في الدنيا قيل إنما يعذب الشخص في الجلد دون الجلد وقيل يعاد الجلد الأول في كل مرة إلا أنه سماه جلدا غيره ومثله جائز تقول العرب صغت من خاتمي خاتما غيره وإن كان الثاني إعادة للأول وفي الخبر أن بصر جلد الكافر في النار أربعون ذراعا ـ يعني غلظه ـ وضرسه مثل جبل أحد وما بين منكبيه مسيرة ثلاثة أيام

تفسير السمعاني ج:1 ص:438
تفسير السمعاني ج 1/ص 439
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا 57 إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى
وفي الأخبار يكون عليه مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب إن الله كان عزيزا حكيما عزيزا غالبا حكيما فيما دبر قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وقد ذكرنا معنى الجميع وندخلهم ظلا ظليلا وهو الكن الذي يقي من الحر والبرد

قوله تعالى ـ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فيه ثلاثة أقاويل أحدها أن المراد منه جميع الأمانات وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال يجاء بالذي خان في الأمانة يوم القيامة فيقال له رد الأمانة فيقول ذهبت الدنيا أنى لي الأمانة فتمثل له الأمانة في النار ويقال له خذ الأمانة وردها فيأتي ليأخذ الأمانة فيهوي في النار ثم يعود ليأخذ فيهوي فيها أبدا
وفي الخبر أنه قال أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك وروى عن ابن عباس عن النبي أن قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له

تفسير السمعاني ج:1 ص:439
تفسير السمعاني ج 1/ص 439
والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا 57 إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى
وفي الأخبار يكون عليه مائة جلد بين كل جلدين لون من العذاب إن الله كان عزيزا حكيما عزيزا غالبا حكيما فيما دبر قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا لهم فيها أزواج مطهرة وقد ذكرنا معنى الجميع وندخلهم ظلا ظليلا وهو الكن الذي يقي من الحر والبرد
قوله تعالى ـ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فيه ثلاثة أقاويل أحدها أن المراد منه جميع الأمانات وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال يجاء

بالذي خان في الأمانة يوم القيامة فيقال له رد الأمانة فيقول ذهبت الدنيا أنى لي الأمانة فتمثل له الأمانة في النار ويقال له خذ الأمانة وردها فيأتي ليأخذ الأمانة فيهوي في النار ثم يعود ليأخذ فيهوي فيها أبدا
وفي الخبر أنه قال أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك وروى عن ابن عباس عن النبي أن قال لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له

تفسير السمعاني ج:1 ص:439
تفسير السمعاني ج 1/ص 440
أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا 58 يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم والقول الثاني أنه أراد به تفويض الأمر إلى الولاة بالطاعة لهم والقول الثالث-وهو قول عامة المفسرين- أن المراد منه رد مفاتيح الكعبة
وسبب نزول الآية ما روى أن رسول الله لما فتح مكة أخذ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة وفتح الباب ودخل الكعبة فلما خرج قال العباس بأبي أنت وأمي يا رسول الله اجمع لي بين السدانة والسقاية فهم رسول الله أن يدفع المفتاح إليه فنزل قوله تعالى إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها فدعا رسول الله عثمان بن طلحة ودفع إليه المفتاح وقال خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها عنكم إلا ظالم وكان مع عثمان حياته فلما توفي دفعه إلى أخيه شيبة فهو في بني شيبة إلى قيام الساعة
وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل أي بالقسط إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا
قوله-تعالى- يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم اختلفوا في أولي الأمر قال ابن عباس وجابر-وهو قول جماعة- هم العلماء والفقهاء وقال أبو هريرة هم الولاة والسلاطين وقيل هم أمراء السرايا الذين بعثهم رسول الله في الحروب وقد صح أنه عليه الصلاة والسلام قال من عصى أميري فقد عصاني ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أميري فقد أطاعني ومن أطاعني فقد أطاع الله

تفسير السمعاني ج:1 ص:440
تفسير السمعاني ج 1/ص 441

في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا 59 ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون
وقال عكرمة أراد به أبا بكر وعمر
فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول التنازع هو التشاجر سمى تنازعا لأن كل واحد من الخصمين ينزع بحجة وآية
وقوله فردوه إلى الله يعنى إلى الكتاب وإلى الرسول إن كان حيا وإلى سنته إن كان ميتا
والرد إلى الكتاب والسنة واجب ما دام في الحادثة شئ من الكتاب والسنة
فإن لم يكن فالسبيل فيه الاجتهاد وروى أن مسلمة بن عبد الملك قال لرجل إنكم أمرتم أن تطيعونا فقال الرجل قد نزعها الله منكم حيث قال فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول وقد تنازعتم فقال مسلمة أين الله فقال الكتاب وقال أين الرسول فقال السنة
وقيل الرد إلى الله والرسول أن يقول الرجل فيما لا يدرى الله ورسوله أعلم
وهذا قول حسن إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا أي أحسن مآل وعاقبة
قوله-تعالى- ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا
في الآية قولان أحدهما أنه في جماعة من المنافقين منهم خلاس بن الصامت كانت لهم خصومة مع جماعة من المسلمين فقال المسلمون نتحاكم إلى الرسول وقال المنافقون نتحاكم إلى الكهنة
والقول الثاني-وهو الأصح أن رجلا من اليهود خاصم رجلا من المنافقين

تفسير السمعاني ج:1 ص:441
تفسير السمعاني ج 1/ص 442

أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيدا 60 وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا 61 فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن فقال اليهودي نتحاكم إلى أبي القاسم ـ إذ عرف أنه لا يأخذ الرشوة على الحكم ـ فيحكم بالحق وقال المنافق نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فتحاكما إلى النبي فحكم لليهودي وكان الحكم له فقال المنافق لا

أرضى بحكمه نتحاكم إلى أبي بكر فتحاكما إلى أبي بكر فحكم لليهودي بمثل ما حكم رسول الله فقال المنافق لا أرضى بحكمه نتحاكم إلى عمر فتحاكما إلى عمر فقال عمر هل تحاكمتما إلى أحد فقال اليهودي نعم إلى أبي القاسم وإلى أبي بكر وقد حكما لي وهو لا يرضى فقال عمر مكانكما حتى أخرج إليكما فدخل البيت واشتمل على السيف ثم خرج وضرب عنق المنافق فبلغ ذلك رسول الله فقال أنت الفاروق

قوله تعالى ـ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا هو ما ذكرنا أن المنافقين دعوا إلى التحاكم إلى الرسول فأعرضوا عنه وتحاكموا إلى الطاغوت

قوله تعالى ـ فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم قيل هذا في المنافقين الذين تحاكموا إلى الطاغوت وقوله أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم قيل هو قتل عمر ـ رضي الله عنه ـ ذلك المنافق فإنهم جاءوا يطلبون دمه وقيل هو في جميع المنافقين والمصيبة كل مصيبة تصيبهم في الدنيا والعقبى

يقول الله ـ تعالى ـ فكيف الحال إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحسانا وتوفيقا قيل هو إحسان بعضهم إلى بعض وقيل أرادوا بالإحسان تقريب الأمر من الحق لا القضاء على مر الحكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:442
تفسير السمعاني ج 1/ص 443

أردنا إلا إحسانا وتوفيقا 62 أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا 63 وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما

وأما التوفيق موافقة الحق وقيل هو التأليف والجمع بين الخصمين ومعنى الآية أن المنافقين يحلفون ما أردنا بالتحاكم إلى غيرك إلا إحسانا وتوفيقا

وقي الآية قول آخر أنها في المنافقين حلفوا في المسجد الذي بنوا ضرارا ـ على ما هو مذكور قي سورة التوبة ـ وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى

قوله تعالى ـ أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم خلاف ما على ألسنتهم فأعرض عنهم وعظهم فإن قال قائل كيف يتصور الجمع بين الإعراض والوعظ وقد أمر الله تعالى بهما

قيل معناه فأعرض عن عقوبتهم وعظهم

وقيل معناه فأعرض عن قبول عذرهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولا بليغا

القول البليغ هو ما يبلغ الإنسان بلسانه كنه ما في قلبه وقيل هو التخويف بالله ـ تعالى ـ وقيل هو أن يقول إن رجعتم إلى هذا فأمركم القتل
قوله تعالى ـ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله قال أهل المعاني قوله إلا ليطاع كلام كاف مفيد بنفسه وقوله بإذن الله كلام آخر ومعناه بعلم الله وقضاء الله يعنى أن طاعته تقع بإذن الله
ولو أنهم يعني المنافقين إذا ظلموا أنفسهم يعنى بالتحاكم إلى الطاغوت جاءوك فاستغفروا الله لأنهم ما جاءوا مستغفرين وإنما جاءوا معتذرين بالأعذار الكاذبة
قوله فاستغفروا الله أي سألوا مغفرة الله واستغفر لهم الرسول أي دعا لهم الرسول بالاستغفار لوجدوا الله توابا رحيما

تفسير السمعاني ج:1 ص:443
تفسير السمعاني ج 1/ص 444

فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا قي أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما 65 ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم
قوله تعالى ـ فلا ربك لا يؤمنون قوله فلا رد لقول المنافقين وعذرهم ثم ابتداء بقوله وربك لا يؤمنون والمراد به الإيمان الكامل أي لا يكمل إيمانهم حتى يحكموك فيما شجر بينهم أي اختلف والاشتجار الاختلاف ومنه الشجر لالتفاف أغصانه بعضها على بعض قال الشاعر
هم الحكام أرباب النديوسراة الناس إذ الأمر شجر أي اختلف ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت أي ضيقا ومنه الحرجة روى أن عمر-رضي الله عنه- قال لبعض العرب ما الحرجة عندكم قال هي شجرة ملتفة لا يصل الماء إليها ومن ذلك قوله-تعالى- يجعل صدره ضيقا حرجا أي يضيق مسلكه بحيث لا تصل إليه الهداية ويسلموا تسليما ومعنى الآية لا يكمل إيمانهم حتى يرضوا بحكمك وينقادوا لك قيل هذه أبلغ آية في كتاب الله-تعالى-في الوعيد
واختلفوا في سبب نزول الآية قال عطاء ومجاهد الآية في المنافقين الذين تحاكموا إلى الطاغوت وقال عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير وجماعة الآية نزلت في رجل من الأنصار يقال له حاطب بن أبي بلتعة-وكان من أهل بدر- خاصم الزبير بن العوام في ماء أرض عند النبي فقال-عليه الصلاة والسلام- للزبير اسق أرضك الماء ثم أرسله إلى جارك وكانت أرض الأنصاري دون أرضه فقال الأنصاري أن كان ابن عمتك فتلون وجه النبي وقال للزبير اسق أرضك واحبس الماء حتى يبلغ الجدر -وفي رواية-حتى يبلغ الكعبين ثم سرحه يمر

تفسير السمعاني ج:1 ص:444
تفسير السمعاني ج 1/ص 445

ما فعلوه إلا قليل منهم ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا 66 وإذا لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما 67 ولهديناهم صراطا مستقيما 68 ومن يطع الله
كان النبي ساهل في حق الزبير في ابتداء الأمر فلما أغضبه الأنصاري استوعب جميع حقه وكلا الحكمين كان حقا وفي الخبر قال الزبير احسب أن قوله فلا وربك لا يؤمنون نزل في هذا
وروى أن اليهود لما بلغهم ذلك قالوا انظروا إلى أصحاب محمد كيف يخالفونه وإن موسى عتب علينا فأمرنا بقتل أنفسنا فقتلنا أنفسنا حتى بلغ القتلى سبعين ألفا
قوله-تعالى- ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم معناه لو كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم بدل ما أمرناهم به من طاعة الرسول والانقياد لحكمه ما فعلوه إلا قليل منهم قال ثابت بن قيس بن شماس لو أمرني رسول الله بقتل نفسي لقتلت وفي الخبر أن ابن مسعود وعمار بن ياسر وثابت بن قيس بن شماس من ذلك القليل وروى أن النبي أشار إلى عبد الله بن رواحه فقال له أنت من ذلك القليل
ويقرأ إلا قليلا منهم فمن قرأ بالرفع فلأنه معطوف على قوله ما فعلوه وذلك في محل الرفع وتقديره ما فعلوه إلا نفر قليل منهم فعلوه ومن قرأ بالنصب فعلى الاستثناء
ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به يعنى من طاعة الرسول والرضا لحكمه لكان خيرا لهم وأشد تثبيتا أي تصديقا وإذ لآتيناهم من لدنا أجرا عظيما هو الجنة ولهديناهم صراطا مستقيما قيل هو القرآن وقيل الإسلام

تفسير السمعاني ج:1 ص:445
تفسير السمعاني ج 1/ص 446
والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا 69 ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما 70 يا أيها الذين آمنوا

قوله-تعالى- ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم سبب نزول الآية ما روى أن بعض أصحاب رسول الله قالوا يا رسول الله كيف يكون الحال في الجنة وأنت في الدرجات العلي ونحن أسفل منك وكيف نراك فنزلت الآية وذكر النقاش في تفسيره أن ذلك القائل كان عبد الله بن زيد بن عبد ربه الأنصاري
وروى أن رجلا قال لرسول الله أنت أحب إلى من أهلي ومالي وولدي وإذا غبت عنى يصيبني شبه الجنون حبا لك فكيف حالي معك في الجنة فنزلت الآية فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين قيل ذلك بأن ينزل إليهم النبيون حتى يروهم لا أن يرفعوا إلى درجاتهم وقيل معناه أنهم لا يفوتهم رؤية النبيين ومجالستهم وقوله والصديقين يعنى أصحاب رسول الله والصديق المبالغ في الصدق والشهداء الذين استشهدوا يوم أحد
واختلفوا في أنهم لم سموا شهداء قال بعضهم لأنهم قاموا بشهادة الحق حتى قتلوا وقيل لأن أرواحهم تشهد الجنة عقيب القتل والصالحين الصالح من استوت سريرتيه علانيته وحسن أولئك رفيقا الرفيق الواحد وهو بمعنى الجمع هاهنا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما
قوله-تعالى- يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم أي عدتكم والحذر ما يتقى به من العدو نحو العدة والسلاح فانفروا ثبات جمع ثبة قال ابن عباس الثبة ما فوق العشرة وقال أبو عمرو بن العلاء الثبة النفر ومعناه انفروا جماعات نفرا نفرا أو انفروا جميعا
وهذا دليل على أن الجهاد فرض على الكفاية وقيل إن الآية صارت منسوخة

تفسير السمعاني ج:1 ص:446
تفسير السمعاني ج 1/ص 447
خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا 71 وإن منكم لمن ليبطئن فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله علي إذ لم أكن معهم شهيدا 72 ولئن أصابكم فضل من الله لقوله-تعالى- وما كان المؤمنين لينفروا كافة

قوله-تعالى- وإن منكم لمن ليبطئن أي ليتأخرن والبطء التأخير
وقيل هذا في عبد الله بن أبي بن سلول فإن أصابتكم مصيبة يعني بالقتل والجرح في الجهاد قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم شهيدا أي حاضرا ولئن أصابكم فضل من الله أي الغنيمة ليقولن -بنصب اللام- ويقرأ في الشواذ برفع اللام والمعنى واحد كأن لم تكن بينكم وبينه مودة قيل في الآية تقديم وتأخير وتقديره فإن أصابتكم مصيبة قال قد أنعم الله على إذ لم أكن معهم

شهيدا كأن لم تكن بينكم وبينه مودة أي معاقدة ومعاهدة على الجهاد وقيل أراد به مودة الصحبة ثم ابتدأ ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما
قوله-تعالى- فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا أي يبيعون بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما وهو معنى قوله في سورة التوبة فيقتلون ويقتلون
قوله-تعالى- وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله عتب على أصحاب رسول الله بترك القتال والمستضعفين وهم الذين أسلموا بمكة وسكنوا بأعذار وبعضهم منعوا من الهجرة قال ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين
قال الأزهري معنى الآية لا تقاتلون في سبيل الله وفي سبيل المستضعفين بتخليصهم من أيدي المشركين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية وهي مكة باتفاق المفسرين الظالم أهلها أي المشرك أهلها واجعل لنا من لدنك وليا أي من يلي أمرنا واجعل لنا من لدنك

تفسير السمعاني ج:1 ص:447
تفسير السمعاني ج 1/ص 448

ليقولن كأن لم تكن بينكم وبينه مودة يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما 73 فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب نصيرا أي من يمنع العدو عنا فاستجاب الله دعوتهم حتى فتح رسول الله مكة وولى عليها عتاب بن أسيد فكان ينصف المظلوم وينتصف من الظالم
قوله-تعالى- الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت قد بينا معنى الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان أي الكفار إن كيد الشيطان كان ضعيفا قيل كان ضعيفا بمعنى أنه لا يرد أحدا عن الإسلام والهداية وقيل أراد به أن كيده كان ضعيفا يوم بدر حين رأى الملائكة وخاف أن يأخذوه فهرب فكيده ضعيف بأحد هذين المعنيين
قوله-تعالى- ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم قيل هذا في قوم أسلموا بمكة فآذاهم المشركون فقالوا يا رسول الله ائذن لنا نقاتلهم فقال لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فإني لم أؤمر بالقتال ثم لما هاجر إلى المدينة فأمر بالقتال فكرهوا القتال قيل أولئك الذين أسلموا وقالوا ذلك منهم عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وقدامة بن مظعون والمقداد بن الأسود الكندي وجماعة
فلما كتب عليهم القتال يعنى بعد الهجرة إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية

الله أو أشد خشية أي يخشون الناس كخشيتهم من الله أو أشد خشية قال الحسن البصري ما كانوا يخشون أمر الله بالقتال وإنما ذلك خشية طبع البشرية
وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب أي هلا أخرتنا إلى أجل قريب فنموت بآجالنا قيل هذا قول المنافقين وقيل كان ذلك قول بعض

تفسير السمعاني ج:1 ص:448
تفسير السمعاني ج 1/ص 449

فسوف نؤتيه أجرا عظيما 74 وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك أصحاب رسول الله قالوا ذلك خوفا و جبنا لا اعتقادا وقال بعضهم هو قول طلحة بن عبيد الله قال ذلك خوفا ثم تاب عنه
قل متاع الدنيا قليل يعنى أن ما تستمتعون به من الدنيا فهو قليل وفي الخبر المعروف ما الدنيا في الآخرة إلا كما يغمس أحدكم المخيط في البحر فلينظر بم يرجع والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أي لا ينقص من أجرهم شئ ولا مقدار الفتيل
قوله-تعالى- أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة معناه أينما كنتم يأتيكم الموت وإن كنتم في بروج مشيدة والبروج الحصون قال السدي وهي قصور بيض في السماء قوله مشيدة قال ابن عباس-في القول المعروف- هي المعروفة المطولة وقال عكرمة المشيدة المجصصة والشيد الجص وقال بعضهم المشيد المجصص والمشيدة المرفوعة وفيه قول آخر عن ابن عباس أنه أراد في بروج من حديد
وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فالحسنة الخصب والسيئة الجدب وقيل الحسنة النصر والظفر يوم بدر والسيئة الهزيمة والقتل يوم أحد ومعنى الآية أن المسلمين إذا أصابتهم حسنة فقال الكفار هذا من عند الله وإن تصبهم سيئة قالوا هذا من عندك أي بشؤمك وذلك أن النبي لما قدم المدينة أصاب أهلها نوع سوء فقالت اليهود ما رأينا أشأم

تفسير السمعاني ج:1 ص:449
تفسير السمعاني ج 1/ص 450

وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا 75 الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا 76 ألم تر من هذا الرجل منذ دخل ديارنا قد غلت أسعارنا ونقصت ثمارنا وذلك بلية للمسلمين وهذا نحو ما قالوا لصالح ـ عليه السلام ـ اطيرنا بك وبمن معك وفي قصة موسى يطيروا بموسى ومن معه وفي سورة يس إنا تطيرنا بكم
قل كل من عند الله أي الخصب والجدب والنصر والهزيمة كل من عند الله فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أي ما لهم لا يعلمون حديثا والحديث القرآن هاهنا أي لا يعلمون معاني القرآن
قوله-تعالى- ما أصابك من حسنة فمن الله يعني ما أصابك من خصب فمن فضل الله وما أصابك من سيئة أي من جدب فمن نفسك أي بذنبك
والخطاب وإن كان مع الرسول فالمراد به الأمة وذلك معنى قوله-تعالى- وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم قيل معناه وما أصابك من حسنة أيها الإنسان فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فيكون الخطاب مع كل أحد من الناس وقيل معناه ما أصابك من حسنة أي من النصر والظفر فمن فضل الله وما أصابك من سيئة أي من هزيمة وقتل يوم أحد فمن نفسك أي بذنب نفسك من مخالفة النبي كما سبق
فإن قيل كيف وجه الجمع بين الآيتين فإنه قد قال-في الآية الأولى- قل كل من عند الله قيل معنى الآية الأولى أن الخصب والجدب والنصر والهزيمة

تفسير السمعاني ج:1 ص:450
تفسير السمعاني ج 1/ص 451

إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا كلها تقع من عند الله ومعنى الآية الثانية وما أصابك من سيئة فمن نفسك أي ما أصابك من سيئة من الله فبذنب نفسك عقوبة لك
واعلم أنه ليس في الآية متعلق لأهل القدر أصلا فإن الآية فيما يصيب الناس من النعم والمحن لا في الطاعات والمعاصي إذ لو كان المراد ما توهموا لقال ما أصبت من حسنة فمن الله وما أصبت من سيئة فلما قال ما أصابك من حسنة وما أصابك من سيئة دل أنه أراد ما يصيب العباد من النعم والمحن لا في

الطاعات والمعاصي وحكى عبد الوهاب بن مجاهد عن مجاهد أن ابن عباس قرأ وما أصابك من سيئة فمن نفسك وأنا كتبتها عليك وكذا حكى عن ابن مسعود أنه قرأ كذلك وهو معروف عن ابن عباس وهو يؤيد قولنا إن المراد بذنب نفسك
وفي الآية قول آخر مضمر فيه وتقديره فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فيكون حكاية لقول الكفار وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا
قوله تعالى ـ من يطع الرسول فقد أطاع الله روى أن النبي قال من أطاعني فقد أطاع الله ـ تعالى ـ ومن أحبني فقد أحب الله فقالت اليهود إن هذا الرجل يريد أن نتخذه ربا وحنانا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية على وفاق قول الرسول ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا أي كل أمره إلى
قوله تعالى ـ ويقولون طاعة يعني المنافقين يقولون باللسان مرنا فإن أمرك طاعة فإذا برزوا أي خرجوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي

تفسير السمعاني ج:1 ص:451
تفسير السمعاني ج 1/ص 452

أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا 77 أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من تقول قال أبو رزين بيت أي ألف وقال غيره بيت أي بدل والأصح أنه من التبييت وهو فعل الشيء ليلا يقال هذا أمر بيت ليلا قيل أي فعل بالليل ويجوز أن يقال لما فعل بالنهار تبييتا لأن الفعل بالليل إنما سمى تبييتا لأن الإنسان بالليل يكون أفرغ لتدبير أمره فعلى هذا المعنى يجوز أن يقال لما فعل بالنهار تبييتا قال الشاعر
بيتوا أمرهم بليل فلماأصبحوا أصبحوا على ضوضاء
ومعنى بيت طائفة منهم غير الذي تقول أي خالفوا بالليل ما قالوا بالنهار والله يكتب ما يبيتون أي يحصى ويحفظ ليجازى عليه وقيل يأمر الكتبة حتى يكتبوا فأعرض عنهم قال الضحاك معناه لا تخبر بأسمائهم وكان-عليه الصلاة والسلام- يعرف المنافقين وما كان يخبر بأسمائهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا أي اتخذه وكيلا
قوله-تعالى- أفلا يتدبرون القرآن التدبر النظر في الأمر إلى آخره وهو من دبر الشيء آخره وفي الخبر من أشراط الساعة ولا يأتون الصلاة إلا دبرا أي آخرا ومنه قوله لا تدابروا أي لا يول بعضكم ظهره إلى بعض عداوة

تفسير السمعاني ج:1 ص:452
تفسير السمعاني ج 1/ص 453
عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا 78 ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك فقوله أفلا يتدبرون القرآن أي أفلا يتفكرون في القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا قال ابن عباس ليس في القرآن تناقض ولا تفاوت فهذا معنى الآية

وقال الزجاج ما أخبر عن الغيب فكله صدق ليس بعضه صدقا وبعضه كذبا وقيل معناه أن كله بليغ صحيح ليس فيه مرذول ولا فاسد
قوله تعالى ـ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به يعني المنافقين إذا جاءهم أمر وخبر من أمر السرايا الذين بعثهم رسول الله فإن كان بالأمن والنصر كتموا وقصروا في الأخبار وإن كان بالخوف والهزيمة أذاعوا به وزادوا وفي الآية إضمار وتقديرها وإذا جاءهم أمر من الأمن قصروا في الإخبار به وكتموا وإذا جاءهم أمر من الخوف أذاعوا به ولو رودوه إلى الرسول قيل أراد بقوله ولو ردوه يعني ضعفة المسلمين الذين سمعوا تلك الأخبار من المنافقين قالوا مثل قولهم فقال الله ـ تعالى ـ ولو ردوه إلى الرسول ويحتمل أن يكون المراد به في الكلام المؤمنين والمنافقين لو ردوه إلى الرسول
وإلى أولي الأمر منهم يعني إلى أمراء السرايا لعلمه الذين يستنبطونه منهم يعني لو طلبوا تلك الأخبار من عند أمراء السرايا ووكلوا الإخبار بها إليهم لعلمه الذين يحبون أن يعلموه على حقيقته كما هو والاستنباط هو استخراج العلم ومنه النبط وهم قوم يستخرجون الماء وقيل أراد به العلماء يعني ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلم الذين يستنبطونه منهم ما ينبغي أن

تفسير السمعاني ج:1 ص:453
تفسير السمعاني ج 1/ص 454
وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا 79 من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا 80 ويقولون طاعة فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير يكتم ويعلمون ما ينبغي أن يفشي يعني العلماء

ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا فإن قال قائل كيف استثنى القليل ولولا فضله لاتبع الكل الشيطان قيل اختلفوا فيه قال الفراء هذا الاستثناء راجع إلى قوله أذاعوا به إلا قليلا وقوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان كلام تام وقيل هو راجع إلى قوله لعلمه الذين يستنبطونه منهم ثم قال ولولا فضل الله عليكم ورحمته لا تبعتم الشيطان وقيل هو على نظمه ومعناه ولولا ما تفضل الله عليكم به من البيان لما ينبغي أن يفعل وما ينبغي أن يجتنب لاتبعتم الشيطان إلا قليلا
وفيه قول رابع أنه أراد بالقليل قوما اهتدوا بالحق قبل بعث الرسول وإنزال القرآن وأقروا بالتوحيد وذلك مثل زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وجماعة وقد قال في زيد بن عمرو بن نفيل إنه يبعث أمة على حدة
قوله تعالى ـ فقاتل في سبيل الله كذا يتصل بما سبق من قوله وما لكم لا تقاتلون لما عاتبهم على ترك القتال قال للرسول إن لم يقاتل هؤلاء فقاتل أنت وحدك لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا يعني عذاب الذين كفروا وعسى من الله واجب والمراد به تطميع المؤمنين والله أشد بأسا أي أشد عذابا وأشد تنكيلا التنكيل من النكل وهو المنع ومنه النكال وهو ما يفعل بالإنسان فيمنع غيره عن فعله
قوله تعالى ـ من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع

تفسير السمعاني ج:1 ص:454
تفسير السمعاني ج 1/ص 455

الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فأعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا 81 أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا 82 وإذا جاءهم شفاعة سيئة يكن له كفل منها قال ابن عباس الشفاعة الحسنة هي الإصلاح بين الناس والشفاعة السيئة هي المشي بالنميمة بين الناس وقيل هو في كل الشفاعات فالشفاعة الحسنة هي أن يقول قولا حسنا ينال به الخير والشفاعة السيئة هي أن يقول قولا قبيحا يلحق به سوء
قوله يكن له نصيب منها أي من أجرها وقوله يكن له كفل منها أي من وزرها والكفل النصيب قال الله ـ تعالى ـ يؤتكم كفلين من رحمته أي نصيبين
واعلم أن الإنسان يؤجر على الشفاعة وإن لم يشفع لأن الله ـ تعالى ـ يقول من يشفع ولم يقل من يشفع وقد روى أبو موسى الأشعري عن رسول الله أنه قال اشفعوا تؤجروا ويقضي الله على لسان نبيه ما شاء
واعلم أن الشفاعة مستحبة في كل الحقوق إلا في حدود الله ـ تعالى ـ فإنه لا يجوز فيها الشفاعة ليترك الحد وقد قال من شفع في حد من حدود من الله ـ

تعالى ـ فقد ضاد الله في ملكه أي نازعه في ملكه
وكان الله على كل شيء مقيتا قال ابن عباس المقيت المقتدر قال الشاعر
وذي ضغن كففت النفس عنهوكنت على مساءته مقيتا
والقول الثاني عن ابن عباس المقيت الحافظ وفي الخبر كفى بالمرء إثما أن

تفسير السمعاني ج:1 ص:455
تفسير السمعاني ج 1/ص 456

أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا 83 فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفرا والله يضيع من يقوته أي من قوته وفي رواية من يقيت أي من في حفظه وفيه قول ثالث أن الله ـ تعالى ـ على كل حيوان مقيت أي يوصل القوت إليه فهذا معنى قوله وكان الله على كل شيء أي حيوان مقيتا
قوله-تعالى- وإذا حييتم بتحية أكثر المفسرين على أن المراد بالتحية هاهنا السلام وأصل التحية هو دعاء بالحياة وهو في الشريعة عبارة عن السلام والسلام دعاء السلامة وقد تكون التحية بمعنى الملك والبقاء ومنه التحيات لله وقال الشاعر
ولكل ما نال الفتىقد نلته إلا التحية
يعني إلا الملك وعلى معنى السلام أنشدوا قول الشاعر
إنا محيوك يا سلمى فحيينا
وإن سقيت كرام الناس فاسقينا
فحيوا بأحسن منها أو ردوها أراد به رد السلام بأحسن مما سلم أو ترد كما سلم فإذا قال السلام عليك فالمستحب أن تقول وعليك السلام ورحمة الله وإذا قال السلام عليك ورحمة الله تقول وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وهو الأحسن
وفي الخبر أن رجلا جاء فسلم على النبي فقال وعليكم السلام ورحمة الله فدخل آخر وقال السلام عليك ورحمة الله فقال وعليكم السلام ورحمة الله

تفسير السمعاني ج:1 ص:456
تفسير السمعاني ج 1/ص 457
أشد بأسا وأشد تنكيلا 84 من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن

يشفع شفاعة وبركاته فدخل ثالث وقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليكم فقيل له في ذلك فقال-عليه السلام- إن الأول والثاني تركا من التحية شيئا فأجبت بأحسن وإن الثالث لم يترك من التحية شيئا فرددت عليه

واعلم أن السلام سنة ورد السلام فريضة لكنه فرض على الكفاية حتى إذا سلم على جماعة فرد أحدهم سقط الفرض عن الباقين وكذلك السلام سنة على الكفاية حتى إذا كانت جماعة فسلم أحدهم كفى في السنة وروى الحسن مرسلا عن النبي أنه قال السلام سنة ورده فريضة
وقال بعض المفسرين أراد بالتحية الهبات والهدايا وقوله فحيوا بأحسن منها أراد به الثواب على الهدية وهو سنة وكان ـ عليه السلام ـ يقبل الهدية ويثيب عليها والأصح هو القول الأول
إن الله كان على شئ حسيبا أي محاسبا وقيل كافيا ومنه قوله تعالى ـ جزاء من ربك عطاء حسابا أي كافيا

تفسير السمعاني ج:1 ص:457
تفسير السمعاني ج 1/ص 458
سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقيتا 85 وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شئ حسيبا 86 الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم
قوله تعالى ـ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه اللام لام القسم وتقديره والله ليجمعنكم الله إلى يوم القيامة واختلفوا أنه فيم يجمعهم قال بعضهم يجمعهم في الإهلاك والموت إلى القيامة وقال بعضهم يجمعهم في القبور إلى القيامة
واختلفوا لم سميت القيامة قيامة قال بعضهم لأن الناس يقومون فيها إلى رب العالمين كما قال الله ـ تعالي ـ يوم يقوم الناس لرب العالمين وقيل إن الناس يقومون فيها إلى الحساب ومن أصدق من الله حديثا أي قولا وخبرا

قوله-تعالى- فما لكم في المنافقين فئتين اختلفوا في سبب نزول الآية على ثلاثة أقوال قال زيد بن ثابت هذا في الذين تخلفوا عن رسول الله يوم أحد فقال بعض الصحابة لرسول الله اعف عنهم فإنهم تكلموا بالإسلام وقال بعضهم اقتلهم فإنهم منافقون فنزلت الآية فما لكم في المنافقين فئتين أي ما

لكم افترقتم فيهم فرقتين عتب عليهم بالاختلاف بينهم وحكم بنفاقهم
وقال مجاهد الآية في جماعة من أهل مكة هاجروا إلى المدينة وأسلموا ثم استأذنوا رسول الله في الرجوع إلى مكة بعلة أن لهم بها بضائع فرجعوا وارتدوا فقال بعض أصحابه هم مسلمون لأنهم تكلموا بالإسلام وقال بعضهم هم قد نافقوا فنزل قوله تعالى فما لكم في المنافقين فئتين وحكى مجاهد هذا عن ابن عباس
والقول الثالث ـ وهو الرواية الثانية عن ابن عباس ـ أن الآية في قوم من المشركين أسلموا بمكة وكانوا يعاونون المشركين ويظاهرونهم فاختلف الصحابة فيهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:458
تفسير السمعاني ج 1/ص 459
القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا 87 فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا 88 فرقتين فنزل قوله-تعالى- فما لكم في المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أركسهم وركسهم بمعنى واحد
وقرأ ابن مسعود والله ركسهم قال الزجاج معناه نكسهم وقال النضر بن شميل معناه أعادهم يعنى إلى الكفر بما كسبوا ومنه الركس لأنه كان طعاما فصار رجيعا
أتريدون أن تهدوا من أضل الله يعنى أتريدون أن ترشدوا من أضله الله ومن يضلل الله يعنى ومن يضلله فلن تجد له سبيلا أي طريقا إلى الحق قوله-تعالى- ودوا لو تكفرون كما كفروا يعنى الذين عادوا إلى الكفر ودوا أن تعودوا إلى الكفر فتكونون سواء يعنى في الكفر

فلا تتخذوا منهم أولياء منعهم من الموالاة معهم حتى يهاجروا في سبيل الله أي حتى يسلموا فإن تولوا يعنى في الكفر فخذوهم أي فأسروهم والأخذ هاهنا الأسر ويقال للأسير أخيذ واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا
قوله-تعالى- إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق قال أبو عبيده معناه إلا الذين ينتسبون إلى قوم وأنشد فيه قول الشاعر
إذا اتصلت قالت لبكر بن وائلوبكر سباها والأنوف رواغم
يعنى إذا انتسبت تلك القبيلة
وأنكر أهل المعاني هذا على أبى عبيده وقالوا هذا لا يستقيم في معنى هذا الاستثناء المنع من القتل وما كان المنع لأجل النسبة فإن النبي كان يقاتل

المشركين من قريش وإن كانوا من نسبه بل معنى قوله إلا الذين يصلون أي

تفسير السمعاني ج:1 ص:459
تفسير السمعاني ج 1/ص 460
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا 89 يخالطون ويتصلون بقوم كان بينهم وبين النبي موادعة وعهد وذلك هلال بن عويمر الأسلمي وقومه وكان الله-تعالى- منع من قتل أولئك ممن اتصل بهم وفي ذمامهم أو جاءوكم أو يصلون بقوم جاءوكم للمعاهدة والموادعة حصرت صدورهم ضاقت فضاقت صدورهم من القتال معكم ومن معاونتكم على القتال مع قومهم لأجل الرعب الذي ألقى الله-تعالى- في قلوبهم وقرأ الحسن- وهو قراءة يعقوب وسهل- حصرة صدورهم على الحال أي ضيقة صدورهم قال المبرد حصرت صدورهم على سبيل الدعاء كقوله قاتلهم الله كأن الله-تعالى-يقول حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم على سبيل الدعاء

ولو شاء الله لسلطهم عليكم معنى هذا أن الله-تعالى- هو الذي ألقى الرعب في قلوبهم وكفهم عن قتالكم حتى جاءوا معاهدين ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإذا لا تقاتلوهم ومن اتصل بهم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السلم يعنى الصلح فانقادوا واستسلموا فما جعل الله لكم عليهم سبيلا أي طريقا عليهم بالقتل والقتال
قوله-تعالى- ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم قال ابن عباس أراد به أسد وغطفان جاءوا إلى النبي وأسلموا فلما رجعوا إلى قومهم قالوا إنا آمنا بالعقرب والخنفساء ورجعوا إلى الكفر
وقال قتادة أراد به سراقة بن مالك بن جعشم لما جاء إلى النبي وقال أنا منكم ثم رجع إلى قومه فقال أنا منكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:460
تفسير السمعاني ج 1/ص 461
إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاءوكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا

يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم أي يريدون أن يأمنوا منكم ومن قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها أي كلما دعوا إلى الشرك دخلوا فيه
فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم يعني القيادة والاستسلام ويكفوا أيديهم فخذوهم أي فأسروهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وجدتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة بينة بالقتل والقتال

قوله تعالى ـ وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ سبب نزول الآية ما روى أن عياش بن أبي ربيعة قتل الحارث بن يزيد وكان الحارث يؤذي عياشا في الجاهلية حتى أسلم عياش فنذر أن يقتله متى ظفر به فظفر بالحارث وقد أسلم الحارث ولم يعلم هو بإسلامه فنزلت الآية وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا وهذا نهى عن قتل المؤمن على الإطلاق وقوله إلا خطأ استثناء منقطع ومعناه لكن إن وقع خطأ وقال بعضهم إلا بمعنى ولا يعنى ولا خطأ ولا يعرف في كلام العرب إلا بمعنى ولا ولأنه يقتضي النهي عن قتل الخطأ والخطأ لا يدخل تحت النهي والأمر والأول أصح ثم ذكر حكم القتل الخطأ فقال ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة أي فاعتقوا رقبة مؤمنة ثم اختلف العلماء فقال الحسن والشعبي والنخعي أراد به رقبة بالغة ولا تجزئ الرقبة الصغيرة وإن كانت مؤمنة وقال عطاء ـ وهو الذي أخذ به الفقهاء ـ إنه تجزئ الصغيرة
ودية مسلمة إلى أهله يعني سلموا الدية إلى أهله وظاهر الآية يقتضي أن تكون الدية قي قتل الخطأ في مال القاتل كالكفارة لكن عرفنا بالسنة أن الكفارة في مال القاتل والدية على العاقلة
وقوله إلا أن يصدقوا يعني أن يتصدقوا وقرأ أبي بن كعب كذلك ومعنى التصدق العفو عن الدية فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة

تفسير السمعاني ج:1 ص:461
تفسير السمعاني ج 1/ص 462

إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا 90 ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم مؤمنة أكثر المفسرين ـ وهو قول الحسن وقتادة ومجاهد وجماعة ـ أن المراد به وإن كان من نسب قوم عدو لكم وهو مؤمن ومعناه المؤمن يكون في دار الإسلام وقرابته في دار الحرب فيقتل خطأ قالواجب بقتله الكفارة ولا دية لأنها إذا سلمت إلى قرابته يقووا بها على المسلمين

والأصح والذي عرفه الفقهاء أن المراد به المؤمن الذي أسلم في دار الحرب فيقتله من لم يعلم إسلامه فالواجب فيه الكفارة دون الدية
وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق هذا في أهل الذمة والمعاهدين فدية مسلمة إلى أهله يعني على القدر الذي اختلف فيه وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله يعني ليتوبوا إلى الله وكان الله عليما حكيما
قوله تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم نزلت الآية في مقيس بن ضبابة الليثي أسلم وأخوه هشام ثم وجد أخاه مقتولا في بني النجار فجاء إلى النبي في ذلك فبعث معه رجلا فهربا إلى بني النجار وأمرهم أن يدفعوا إليه قاتل أخيه أو يسلموا الدية فجاءا إليهم وبلغا الرسالة فقالوا سمعا وطاعة لرسول الله والله ما نعرف القاتل وساقوا الدية إليه مائة من الإبل فلما رجعا أقبل مقيس وقتل الفهري واستاق الإبل ولحق بمكة وارتد وقال الشعر
قتلت به فهرا وحملت عقله سراة بني النجار أرباب فارع
فأدركت ثأري واضطجعت موسرا
وكنت إلى الأوثان أول راجع
فنزلت الآية فيه وهو الذي أمر النبي بقتله فجاء الجماعة الذين عينهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:462
تفسير السمعاني ج 1/ص 463

ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولائكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا 91 وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية للقتل يوم فتح مكة فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة فقوله ومن يقتل مؤمنا متعمدا فالقتل المتعمد عند أكثر العلماء هو الذي يحصل بكل ما يقصد به القتل وقال سعيد بن المسيب وطاوس القتل العمد لا يكون إلا بالحديد فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه أي طرده عن الرحمة وأعد له عذابا عظيما وقال ابن عباس الآية مدنية لم ينسخها شئ فكان يقول ليس لقاتل المؤمن توبة وسئل عن توبته فقال أنى تكون له التوبة فقيل له أليس قد قال الله ـ تعالى ـ ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب فقال ابن عباس تلك آية مكية وهذه آية مدنية لم تنسخ بشيء حتى قبض رسول الله
وقال زيد بن ثابت الشديدة بعد الهينة بستة أشهر يعني بالهينة آية الفرقان وبالشديدة هذه الآية

وروى حميد عن أنس عن النبي أنه قال أبى الله ـ تعالى ـ أن يكون لقاتل المؤمن توبة وفي الخبر عن النبي لقتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا والأصح والذي عليه الأكثرون ـ وهو مذهب أهل السنة ـ أن لقاتل المؤمن عمدا توبة والدليل عليه قوله تعالى وإني لغفار لمن تاب وآمن وقوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ولأن القتل العمد ليس بأشد من الكفر ومن

تفسير السمعاني ج:1 ص:463
تفسير السمعاني ج 1/ص 464

مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد الكفر توبة فمن القتل أولى وأما الذي روى عن ابن عباس فعلى سبيل التشديد والمبالغة في الزجر عن القتل وهو مثل ما روى عن سفيان بن عيينة أنه قال إن لم يقتل يقال له لا توبة لك منعا له عن القتل وإن قتل يقال له لك توبة حتى يتوب وروى أن رجلا جاء إلى ابن عباس وسأله هل لقاتل المؤمن توبة قال لا فجاءه آخر وسأله عن ذلك فقال نعم له توبة فقيل له في ذلك فقال إن الأول لم يكن قتل فمنعته عن القتل وإن الثاني قتل فأرشدته إلى التوبة
واعلم أن لا متعلق في هذه الآية لمن يقول بالتخليد في النار لأهل الكبائر من المسلمين لأنا إن نظرنا إلى سبب نزول الآية فالآية نزلت في قاتل كافر كما بينا وقيل إنه فيمن يقتل مستحلا والأولى أن تقول فيه ما قاله أبو صالح إن معنى قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها إن جازى وبه نقول إن الله تعالى إن جازاه ذلك خالدا فهو جزاؤه ولكنه ربما لا يجازي وقد وعد أن لا يجازى ويغفر لمن يشاء وهو لا يخلف الميعاد وحكى عن قريش بن أنس ـ رحمه الله ـ أنه قال كنت في مجلس فيه عمرو بن عبيد فقال لو قال الله لي يوم القيامة لم قلت بتخليد القاتل المتعمد في النار فأقول له أنت الذي قلت فجزاؤه جهنم خالدا فيها قال قريش وكنت أصغر القوم فقلت له أرأيت لو قال الله ـ تعالى ـ لك ألست قلت ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فمن أين علمت أنى لم أشأ مغفرة القاتل فسكت ولم يستطع الجواب

وحكى أن عمرو بن عبيد جاء إلى أبي عمرو بن العلاء ـ رحمه الله ـ وقال له هل يخلف الله وعده فقال لا فقال أليس قد قال الله ـ تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها فأنا على هذا لأنه لا يخلف وعده فقال أبو عمرو ومن العجمة أتيت يا أبا عثمان إن العرب لا تعد الإخلاف في الوعيد خلفا

تفسير السمعاني ج:1 ص:464
تفسير السمعاني ج 1/ص 465
فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما 92 ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما 93 يا أيها الذين وذما وإنما ذلك في الخلف في الوعد وأنشد له قول القائل فيه
إني إذا أوعدته وعدته لمخلف إيعادي ومنجز موعدي
فقد تمدح بالخلف في الوعيد وقال آخر
وإذا وعد السراء أنجز وعده
وإن وعد الضراء فالعفو مانعه
فالله ـ تعالى ـ يجوز أن يخلف في الوعيد وإنما لا يخلف الميعاد
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله أي سافرتم في سبيل الله يعني الغزو فتبينوا ويقرأ فتثبتوا ومعناهما ترك العجلة
وفي الخبر التأني من الله والعجلة من الشيطان فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا يقرأ إليكم السلام ويقرأ إليكم السلم فالسلام هو التسليم المعهود والسلم المقادة والاستسلام والسلم الصلح وقرأ أبو جعفر المدني يزيد بن القعقاع لست مؤمنا من الأمان تبتغون عرض الحياة الدنيا يعني تبتغون الدنيا وفي الآثار الدنيا عرض حاضر يأكل منها البر والفاجر والآخرة وعد صادق يقضي فيها ملك قادر

تفسير السمعاني ج:1 ص:465
تفسير السمعاني ج 1/ص 466

آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا إن الله
فعند الله مغانم كثيرة أي غنائم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم أي

تفضل الله عليكم وفيه قولان قال سعيد بن جبير معناه كذلك كنتم من قبل تكتمون الإيمان فمن الله عليكم وفيه قولان بالإظهار وقال قتادة معناه كذلك كنتم من قبل ضلالا فمن الله عليكم بالهداية فتبينوا إعادة تأكيد إن الله كان بما تعملون خبيرا وسبب نزول الآية ما روى أن النبي بعث سرية فلقوا رجلا يقال له مرداس بن عمرو من فدك له غنيمات فانحاز بها إلى الجبل لما أحس بالسرية ثم تقدم إليهم فقال السلام عليكم أنا مؤمن فبادر إليه أسامة بن زيد وهو يقول لا إله إلا الله وقتله وأخذ سلبه والغنيمات التي له فلما رجعوا إلى النبي قال لأسامة أقتلت رجلا يقول لا إله إلا الله فقال إنه إنما أسلم متعوذا وقال إنما أسلم ليحرز نفسه وماله فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ هلا شققت عن قلبه فقال أسامة استغفر لي يا رسول الله فقال كيف لك بلا إله إلا الله يوم القيامة فقال استغفر لي يا رسول الله فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ كيف بلا إله إلا الله يوم القيامة هكذا حتى أعاده ثلاثا-فنزلت الآية فيه ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام ولأن ذلك الرجل كان قد سلم عليهم وأسلم لهم لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا يعنى تبتغون بقتله غنيمات كانت له

وفي رواية أن النبي استغفر لأسامة وأمره بإعتاق رقبة وكان أسامة من علية الصحابة وعاش إلى زمان علي-رضى الله عنه- فدعاه على إلى المقاتلة معه في الحروب فقال لعلى أنت أعز على من كل أحد ولو قاتلت المسلمين مع أحد لقاتلت معك ولكني منذ سمعت رسول الله قال لي كيف بلا إله إلا الله يوم القيامة امتنعت من القتال فإن أعطيتني سيفا يميز المسلم من الكافر حتى أقاتل فتركه على

تفسير السمعاني ج:1 ص:466
تفسير السمعاني ج 1/ص 467
كان بما تعملون خبيرا 94 لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على
وكان ممن اعتزل الفريقين هو وسعد بن أبي وقاص وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم أجمعين
وقيل إن قاتل صاحب الغنيمات كان المقداد بن عمرو الكندي-هو ابن الأسود-
هذا هو القول المعروف في سبب نزول الآية وفي الآية قول آخر أنها نزلت في محلم بن جثامة الليثي قتل رجلا وهو يقول لا إله إلا الله ثم جاء إلى النبي وقال يا رسول الله استغفر لي فقال لا غفر الله لك فقام يبكي وانصرف فلما مات دفن في الأرض فلفظته الأرض ثم دفن فلفظته الأرض ثم دفن فلفظته الأرض-

هكذا ثلاثا- فأمر النبي حتى ألقي عليه الحجارة قال إن الأرض لتنطبق على من هو شر منه-يعنى من محلم- ولكن الله-تعالى-أراد أن يريكم الآية

قوله-تعالى- لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر اعلم أن الذي نزل في الابتداء من هذه الآية قوله لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدين في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم قال زيد بن ثابت كان النبي يملى على هذه الآية وفخذه على فخذي فدخل عبد الله بن أم مكتوم وقال يا رسول الله أنا رجل ضرير ولو استطعت أن أقاتل لقاتلت معك فتغشى رسول الله الوحي فثقل فخذه على فخذي حتى كاد يرضه فلما سرى عنه قال لي اكتب غير أولى الضرر فنزل هذا القدر في ابن أم مكتوم وكان ضريرا من أولى الضرر وقوله

تفسير السمعاني ج:1 ص:467
تفسير السمعاني ج 1/ص 468
القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما 95 درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما 96 إن الذين توفاهم الملائكة

غير أولي الضرر يقرأ على وجوه غير -برفع الراء- وتقديره لا يستوي القاعدون الذين هم غير أولي الضرر ويقرأ بفتح الراء على الاستثناء يعنى إلا أولي الضرر وقيل هو نصب على الحال يعنى في حال الصحة وانتفاء الضرر كأنه قال لا يستوي القاعدون من المؤمنين أصحاء وهذا أشهر القراءتين وكذلك قرأ النبي غير أولي الضرر -بكسر الراء يعنى- من المؤمنين غير أولي الضرر فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة أراد بالقاعدين هاهنا أولى الضرر فضل المجاهدين عليهم بدرجة لأن المجاهدين باشروا الجهاد مع النية وأولوا الضرر كانت لهم نية الجهاد ولكن لم يباشروا فنزلوا عنهم بدرجة وكلا وعد الله الحسنى يعنى الجنة وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما وأراد بالقاعدين هنا غير أولي الضرر فضل الله المجاهدين عليهم أجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة قال ابن محيريز هي سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة وفي الخبر في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين ما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله

وقيل أراد بالدرجات الإسلام والهجرة والجهاد والشهادة في الجهاد وفاز بتلك الدرجات المجاهدون وكان الله غفورا رحيما
قوله-تعالى- إن الذين توفاهم الملائكة قرأ عيسى بن عمر النحوي تتوفاهم -بالتائين-والمعروف توفاهم وأصله تتوفاهم فأدغمت إحدى التائين تخفيفا على القراءة المشهورة فإن قال قائل لم قال تتوفاهم الملائكة والمتوفى ملك واحد كما قال قل يتوفاكم ملك الموت قيل ذكره بلفظ

تفسير السمعاني ج:1 ص:468
تفسير السمعاني ج 1/ص 469
ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا 97 إلا المستضعفين من الرجال

الجمع والمراد به الواحد ومثله شائع في كلام العرب وقيل إن لملك الموت أعوانا فلعله أراده مع أعوانه فلذلك ذكر بلفظ الجمع
قال عكرمة والضحاك الآية في قوم أسلموا بمكة قبل الهجرة فلما هاجر النبي إلى المدينة تخلفوا عن الهجرة فلما كان يوم بدر حملهم الكفار مع أنفسهم إلى بدر كرها فقتلوا بين الكفار
وقوله ظالمي أنفسهم يعنى بالشرك فإنهم قتلوا مشركين إذ ما كان يقبل الإسلام بعد هجرة النبي إلا بالهجرة ثم أبيح ذلك بقوله -عليه الصلاة والسلام- لا هجرة بعد الفتح
قالوا فيم كنتم يعنى الملائكة قالوا لأولئك الذين أسلموا ولم يهاجروا فيم كنتم يعنى في أي الفريقين كنتم في المسلمين أم المشركين وهذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام قالوا كنا مستضعفين في الأرض يعنى كنا بمكة مستضعفين بين المشركين قالوا يعنى الملائكة ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى إلى المدينة فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا حكم لهم بالنار لأنهم ماتوا مشركين إلا المستضعفين وهم أصحاب الأعذار من الرجال والنساء والولدان منهم الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة
قال ابن عباس كنت أنا وأمي من المستضعفين بمكة وهم الذين دعا لهم النبي في القنوت فقال اللهم انج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين بمكة وأشدد وطأتك على مضر هكذا كان يدعوا لهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:469
تفسير السمعاني ج 1/ص 470

والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا 98 فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا 99 ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا شهرا حتى نجوا وقدموا فترك ذلك الدعاء فقيل له في ذلك فقال ألا ترونهم قد قدموا لا يستطيعون حيلة يعنى للخروج ولا يهتدون سبيلا أي طريقا إلى المدينة فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وعسى من الله واجب لأنه للإطماع والله-تعالى-إذا أطمع عبدا أوجب له وأوصله إليه
وكان الله عفوا غفورا روى أنه لما نزلت هذه الآية كتب بها أصحاب رسول الله إلى المستضعفين بمكة وكان فيهم شيخ كبير يقال له جندع بن ضمرة ـ ويقال له حبيب بن ضمرة ـ فقال لست من المستضعفين وأنا أعرف طريق المدينة وقال لبنيه احملوني إلى المدينة فحملوه يأتون به فلما بلغ التنعيم أدركه الموت فبلغ ذلك أصحاب رسول الله فقالوا لو وصل إلى المدينة لأتمم الله أجره فنزل قوله تعالى ـ ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله يعنى تم أجره
وقوله ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعه والمراغمة المهاجرة المهاجر قال أبو عمر بن العلاء وإنما سميت المهاجرة مراغمة لأنه من هاجر مراغم قومه وقرابته وقال الشاعر
كطود يلوذ بأركانهعزيز المراغم والمهرب
وقال ابن عباس مراغما أي متحولا يتحول إليه وقال مجاهد مراغما أي متزحزحا وقوله وسعة قال ابن عباس معناه وسعة في الرزق قال قتادة

تفسير السمعاني ج:1 ص:470
تفسير السمعاني ج 1/ص 471
وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما 100 وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من ومعناه وسعة من الضلالة إلى الهدي

ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله قد ذكرنا أنه فيم نزل وكان الله غفورا رحيما

قوله تعالى ـ وإذا ضربتم في الأرض أي سافرتم فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا
قصر الصلاة في السفر لا خلاف في جوازه في حال الخوف وأما في حال الأمن قال سعد بن أبي وقاص إنه لا يجوز وبه قال داود وأهل الظاهر تمسكا بظاهر القرآن وقال جمهور العلماء وهو قول أكثر الأمة- إنه يجوز القصر في حال الأمن لما روى عن يعلي بن أمية أنه قال لعمر-رضي الله عنه- ما بالنا نقصر وقد أمنا والله-تعالى- يقول في كتابه أن تقصروا من الصلاة إن خفتم قال عمر عجبت مما تعجبت أنت فسألت النبي فقال صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته وروى أن رسول الله سافر من مكة إلى المدينة-لا يخاف إلا الله- وقصر الصلاة وكان -عليه السلام- يقصر الصلاة في جميع أسفاره ولم ينقل أنه أتم في سفر ما ولذلك قال الشافعي القصر أولى وإن جاز الإتمام وروى عن جابر والحسن-وهو قول ابن عباس- أن صلاة الحضر أربع ركعات وصلاة السفر ركعتان وصلاة الخوف ركعة وروى عن ابن عباس أنه قال فرض الله -تعالى- الصلاة على لسان نبيه في الحضر أربع ركعات وفي السفر ركعتين وفي

تفسير السمعاني ج:1 ص:471
تفسير السمعاني ج 1/ص 472
الصلاة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبنيا 101 وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا الخوف ركعة وأكثر الأمة على أن القصر في الخوف ركعتان مثل قصر السفر ثم اختلفوا في القصر على قولين أنه إباحة أم واجب قال بعضهم هو إباحة وهو اختيار الشافعي وهو أصح لقوله عز ذكره فليس عليكم جناح وهو مثل قوله فلا جناح عليهما أن يتراجعا

وقال بعضهم هو واجب والخلاف بين السلف مشهور فيه
وقوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا أي يقتلكم والفتنة بمعنى القتل هاهنا وقرأ أبى بن كعب أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا -من غير قوله إن خفتم - ويروى عن أبى أيوب الأنصاري أنه قال نزل قوله فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة هذا القدر فحسب ثم مضى حول ولم ينزل شئ فسئل رسول الله عن صلاة الخوف ثم نزل قوله إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا
وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فأشار إلى أنه راجع إلى صلاة الخوف لا إلى صلاة السفر

قوله-تعالى- وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة بين في هذه الآية كيفية صلاة الخوف وأعلم أن صلاة الخوف جائزة بعد رسول الله على قول أكثر العلماء وقال بعضهم صلاة الخوف لا تجوز لأحد بعده وهو قول أبى يوسف تمسكا بظاهر الآية قوله وإذا كنت فيهم فشرط كونه فيهم والأصح هو الأول وقوله وإذا كنتم فيهم ليس على سبيل الشرط وإنما خرج الكلام على وفق الحال وقد ورد أن أصحاب رسول الله صلوا بعده صلاة الخوف

تفسير السمعاني ج:1 ص:472
تفسير السمعاني ج 1/ص 473
من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم
فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم وسبب نزول الآية ما روى أبو عياش الزرقي أن رسول الله نزل بعسفان وكان على خيل المشركين خالد بن الوليد فصلى النبي مع أصحابه صلاة الظهر فقال المشركون قد وجدنا منهم غرة إن قصدناهم وحملنا عليهم فقال بعضهم ستأتيهم صلاة هي أحب إليهم من أولادهم وأهاليهم -يعنون صلاة العصر- فنزل جبريل وأخبره بمقالتهم وأمر بصلاة الخوف

وقد روى عن رسول الله صلاة الخوف بروايات شتى وأخذ الشافعي برواية صالح بن خوات بن جبير عن أبيه عن النبي أنه صلى صلاة الخوف فجعل أصحابه فرقتين وصلى بإحدى الطائفتين ركعة فقاموا وأتموا ركعتين وذهبوا إلى وجه العدو وجاءت الطائفة الثانية والنبي ينتظرهم فصلى بهم الركعة الثانية وانتظرهم جالسا حتى قاموا وأتموا ركعتين ثم سلم بهم فهذا معنى قوله فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم
واختلفوا في أنهم متى يأخذون أسلحتهم قال بعضهم يأخذونه في الصلاة ليكونوا أهيب في عين العدو فعلى هذا يأخذون من السلاح ما لا يمنعهم من الإتيان بأركان الصلاة وقال آخرون يأخذون السلاح إذا ذهبوا إلى وجه العدو فإذا سجدوا يعنى فإذا صلوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم

تفسير السمعاني ج:1 ص:473
تفسير السمعاني ج 1/ص 474

إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا 102 فإذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فإذا يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم والحذر ما يتقى به للحذر من العدو ود الذين كفروا لو تغفلون لو وجدوكم غافلين عن أسلحتكم وأمتعتكم يعني بالصلاة فيميلون عليكم ميلة واحدة أي فيحملون عليكم حملة واحدة
ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم رخص لهم في وضع السلاح في حال المطر والمرض لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين وخذوا حذركم إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا

(1/388)

قوله تعالى ـ فإذا قضيتم الصلاة يعني صلاة الخوف فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم يعني الذكر بالتسبيح والتهليل والتحميد والتمجيد فإذا إطمأننتم يعني فإذا سكنتم وأقمتم وأمنتم فأقيموا الصلاة يعني على أركانها وهيئتها كما عرفتم إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا قال مجاهد أي فرضا مؤقتا يؤدى في أوقاته وقال زيد بن أسلم أراد به فرضا منجما يأتي نجم بعد نجم قوله تعالى ـ ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون سبب نزول الآية أن الكفار يوم أحد لما انهزموا بعث النبي طائفة من أصحابه على إثرهم فشكوا ألم الجراحات فنزلت الآية ولا تهنوا في ابتغاء القوم أي لا تضعفوا في طلب القوم إن تكونوا تألمون أي توجعون وتشكون الألم فإنهم يألمون أي يوجعون ويشكون الألم كما تألمون قال الشاعر في معناه
قاتل القوم يا خزاع ولا يدخلنكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:474
تفسير السمعاني ج 1/ص 475
اطمأننتم فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا 103 ولا تهنوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان
من قتالهم فشد القوم أمثالكم لهمشعر في الرأس لا ينشرون إن قتلوا وترجون من الله ما لا يبرجون أي وتأملون من الله مالا يأملون من الظفر في الدنيا والثواب في الآخرة وقال الفراء والكسائي الرجاء بمعنى الخوف وكل راج خائف لأنه يخاف ألا يدرك المأمول ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وأجمعوا على أن معناه لا تخافون لله عظمة قال الشاعر
لا ترتجي إذا تلاقي الزائدا
أسبعة تلقى معا أم واحدا
وكان الله عليما حكيما

(1/389)

قوله تعالى ـ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق سبب نزول الآية ما روى أن طعمة بن أبيرق ـ من بني ظفر بن الحارث ـ سرق درعا فلما أتاهم به ألقاه في دار يهودي وقال إنه سرق ـ وفي رواية أودعه عند يهودي ـ فلما ظهر قال إن اليهودي سرقه فجاء قومه إلى النبي وهم بنو ظفر بن الحارث ليدافعوا عنه وهم النبي بدفع السرقة عنه وقطع يد اليهودي وكان عند قومه أنه السارق فنزل قوله إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق أي لتحكم بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله أي بما علمك وحكى عن ابن عباس أنه قال إياك والرأي فإن

تفسير السمعاني ج:1 ص:475
تفسير السمعاني ج 1/ص 476
الله عليما حكيما 104 إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما 105 واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما 106 ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خوانا أثيما 107 يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا الله ـ تعالى ـ يقول بما أراك الله ولم يقل بما رأيت ولا تكن للخائنين خصيما يعني طعمة من الخائنين فلا تكن مدافعا عنه واستغفر الله أمره بالاستغفار لأنه كان قد هم أن يدافع عنه إن الله كان غفورا رحيما
قوله تعالى ـ ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم أي يخونون أنفسهم والاختيان افتعال من الخيانة إن الله لا يحب قال أهل التفسير معناه إن الله لا يقرب من كان خوانا أثيما الخوان الخائن والأثيم ذو الإثم

(1/390)

قوله تعالى ـ يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم بشكوى بني ظفر بن الحارث معناه يستترون من الناس ولا يستترون من الله وهو معهم إذ يبيتون مالا يرضى من القول قد بينا أن التبييت تدبير الفعل ليلا وذلك التبييت منهم أن قوم طعمة قالوا ندفع أمره إلى النبي فإنه يسمع يمينه وقوله لأنه مسلم ولا يسمع من اليهودي لأنه كافر فلم يرض الله ـ تعالى ـ قولهم وكان الله بما تعملون محيطا
قوله تعالى ـ ها أنتم هؤلاء يعني أنتم يا هؤلاء قال الزجاج معناه ها أنتم الذين جادلتهم عنهم في الحياة الدنيا أي خاصمتم وأصل الجدال الجدل وهو الفتل ويقال شخص أجدل إذا كان وثيق الخلق ويقال للصقر أجدل لأنه أقوى الطيور

على الصيد
فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا يعني من الذي يتولى أمرهم ويذب عنهم يوم القيامة
قوله تعالى ـ ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما عرض التوبة على طعمة وقومه في هذه الآية وأمرهم بالاستغفار

تفسير السمعاني ج:1 ص:476
تفسير السمعاني ج 1/ص 477
108 ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا 109 ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما 110 ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما 111 ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا 112 ولولا فضل الله
قوله تعالى ـ ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه سبب هذا أن قومه قالوا له تب إلى الله فحلف أنى ما سرقته وإنما سرقه اليهودي فذلك الذي يقول الله-تعالى-ومن كسبه الإثم وكان الله عليما حكيما

قوله-تعالى- ومن يكسب خطيئة أو إثما هو سرقته التي ذكرنا ثم يرم به بريئا هو نسبته السرقة إلى اليهودي الذي كان بريئا عنها فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا فالبهتان الكذب الذي يتحير منه الإنسان وهو البهت وأراد بالإثم المبين اليمين الفاجرة
قوله-تعالى- ولولا فضل الله عليك ورحمته هذا خطاب للرسول لهمت طائفة منهم أن يضلوك يعنى قوم طعمه هموا أن يلبسوا عليك لتدافع عنه وما يضلون إلا أنفسهم أي يرجع وباله عليهم وما يضرونك من شئ يعنى ضرره عائد عليهم ولا يضرك لأنك معصوم وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة قيل أراد به وأنزل الله عليك الكتاب بالحكمة وقيل أراد بالكتاب القرآن وبالحكمة السنة وعلمك ما لم تكن تعلم يعنى من أحكام القرآن وقيل من علم الغيب وقيل علمك قدرك ولم تكن تعلمه وكان فضل الله عليك عظيما
قوله-تعالى- لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة النجوى السرائر في التدبير قال الزجاج كل ما انفرد بتدبيره قوم يخوضون فيه فهو نجوى سرا كان أو علانية وأراد هاهنا نجوى قوم طعمه وتدبيرهم وقيل هو في جميع الحوادث إلا من أمر بصدقة قيل أراد به إلا نجوى من أمر بصدقة وقيل هو استثناء منقطع يعنى لكن من أمر بصدقة أو معروف وهو كل ما عرفه الشرع أو

تفسير السمعاني ج:1 ص:477
تفسير السمعاني ج 1/ص 478

عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شئ وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما 113 لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما 114 ومن يشاقق الرسول من بعد إصلاح بين الناس وفي الخبر كل كلام ابن آدم عليه إلا ثلاثة أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو ذكر الله وقيل لسفيان بن عيينة-حين روى هذا الحديث فقالوا- ما أشد هذا الحديث فقال اقرءوا قوله-تعالى- لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقه الآية وروى أن رسول الله قال لأبى أيوب الأنصاري ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم -أي من الصدقة بحمر النعم -قال بلى يا رسول الله فقال أن تصلح بين الناس إذا تفاسدوا وأن تقرب بينهم إذا تباعدوا
ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما
قوله-تعالى- ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين أراد به طعمه جادل النبي ثم لحق بمكة وارتد حين ظهر عليه الحكم بالقطع
قال سعيد بن جبير إنه لما لحق بمكة سرق هنالك فوجد في نقب يسرق فقتل

تفسير السمعاني ج:1 ص:478
تفسير السمعاني ج 1/ص 479
ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا 115 إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا 116 إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا 117 لعنه الله وقال

وفي بعض القصص أنه حين لحق بمكة نزل على الحجاج بن غلاط الأسلمي فقام في بعض الليل يسرق فأحسوا به فأخذوه واجتمعوا عليه وقالوا إنه ضيف

وتركوه فلحق بحرة بني سليم وكان يعبد الأصنام ومات عليه ففيه نزلت الآية ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين لأنه لما ارتد فقد اتبع غير سبيل المؤمنين
واستدل أهل العلم بهذه الآية على أن الإجماع حجة
قوله نوله ما تولى أي نوله ما اختاره وقيل نكله إلى من تولاه ونصله جهنم وساءت مصيرا
قوله تعالى ـ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقد ذكرنا معنى الآية فيما سبق ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا روى أبو عيسى الترمذي بإسناده عن علي ـ رضي الله عنه ـ انه قال هذه أحب آية إلي في القرآن
قوله تعالى ـ إن يدعون من دونه أي ما يدعون من دونه إلا إناثا قيل معناه الأوثان وإنما سميت الأوثان إناثا لأنهم كانوا يسمونها باسم الإناث فيقولون اللات والعزى ومناة وكانوا يقولون لصنم كل قبيلة أنثى بني فلان قال أبي بن كعب كان مع كل صنم جنية من الشياطين وقيل معناه الموات وإنما سمي الموات إناثا لأن الإناث أرذل الجنسين وأدونهما فكذلك الموات أرذل من الحيوان وكانت أصنامهم من الموات والجماد
قال الضحاك أراد به الملائكة وكانوا يقولون الملائكة إناث وكان بعضهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:479
تفسير السمعاني ج 1/ص 480

لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا 118 ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا يعبدون الملائكة ويصورون الأصنام على صور الملائكة وقرأ ابن عباس إلا أنثا جمع الأوثان وقرأ في الشواذ أيضا إلا أنثا جمع الإناث فيكون على جمع الجمع كالمثل وإن يدعون إلا شيطانا مريدا لأنهم إذا عبدوا الأصنام فقد أطاعوا الشيطان وأراد به إبليس والمريد العاتي المتمرد وحقيقته العاري من كل خير ومنه الأمرد ويقال شجرة مرداء إذا تساقطت أغصانها
لعنه الله أي أبعده الله من الرحمة معاقبة ولذلك لا يجوز لعن البهائم لأنها لا تستوجب العقوبة والطرد عن الرحمة وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا أي مقدارا معلوما قيل في التفسير من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون للشيطان وواحد لله وأصل الفرض الحز والقطع ومنه فرض القوس وهو الشق الذي يجعل فيه الوتر ومنه فرض السواك وهو الموضع الذي يجعل فيه الخيط ومنه فرضة البحر وهو المشرع الذي توقف إليه السفينة والفرض نوع من

التمر يكون بعمان قال الشاعر
إذا أكلت سمكا وفرضاذهبت طولا وذهبت عرضا
قوله تعالى ـ ولأضلنهم أي لأغوينهم فإن قال قائل كيف نسب إليه الإضلال وليس إليه الضلالة قلنا معناه التزيين والدعوة إلى الضلالة وقد قال بعثت داعيا وليس إلى من الهداية شئ وبعث الشيطان مزينا وليس إليه من الضلالة شئ ولأمنينهم قيل معناه أمنينهم ركوب الأهواء وقيل

تفسير السمعاني ج:1 ص:480
تفسير السمعاني ج 1/ص 481

مبينا 119 يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا 120 أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا 121 والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من معناه أمنينهم طول العمر في النعيم ليؤثروا الدنيا على الآخرة وقال الزجاج معناه أمنيهم إدراك الآخرة مع ركوب المعاصي
ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام أراد به البحيرة التي تأتي في سورة المائدة والبتك القطع والمراد به شق الآذان ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال ابن عباس ـ في إحدى الروايتين وهو قول مجاهد ـ معناه فليغيرن دين الله أي وضع الله في الدين بتحليل الحرام وتحريم الحلال ونحو ذلك والرواية الثانية عن ابن عباس ـ وهو قول أنس وعكرمة ـ أراد به إخصاء الأنعام وكان أنس يكره إخصاء البهائم من أجل هذا وكان يجيزه الحسن وقال ابن مسعود أراد به الوشم ويحتمل أن يكون المراد به تغير الأنساب وذلك أن ينتقل من نسب إلى نسب ويحتمل أن يكون المراد به الخضاب بالسواد وهو منهي عنه وإنما الخضاب المباح بالحمرة والصفرة ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله أي يواليه باتباعه فقد خسر خسرانا مبينا
قوله تعالى ـ يعدهم وعده قد يكون بالتخويف كما قال الله ـ تعالى ـ الشيطان يعدكم الفقر وقيل أنه يتمثل في صورة الآدمي فيعد ويمنى وكان قد ظهر يوم بدر في صورة سراقة بن مالك بن جعشم وظهر في اليوم الذي اجتمعت فيه قريش وتشاوروا في إخراج النبي في صورة شيخ من نجد
وقوله ويمنيهم قد ذكرنا ومن ذلك تمنى الإنسان قضاء الشهوات
واعلم أن الإنسان لا يؤاخذ بغلبة الشهوة واشتهاء الشهوات لأن ذلك شئ جبل عليه ويؤاخذ بالتمني وذلك أن يتمنى خمرا ليشربه أو امرأة ليزني بها فذلك من المعصية ويؤاخذ به وما يعدهم الشيطان إلا غرورا الغرور إيهام الوصول إلى النفع من موضع الضر أولئك مأواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا أي معدلا

تفسير السمعاني ج:1 ص:481
تفسير السمعاني ج 1/ص 482
تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا 122 ليس بأمانيكم
قوله تعالى ـ والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا فإن قيل ما الفائدة في تكرار الوعد والوعيد في القرآن قيل فائدته التوكيد قطعا من سواء التأويل وقيل إنما كرر الوعد على تفاصيل الإيمان وكرر الوعيد على تفاصيل الكفر ومن أصدق من الله قيلا أي قولا
قوله تعالى ـ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب قال مسروق ـ هو أبو عائشة مسروق بن الأجدع الهمداني ـ أراد به ليس بأمانيكم أيها المسلمون ولا أماني أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى
وقال مجاهد أراد بقوله ليس بأمانيكم مشركي العرب ولا أماني أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى فعلى القول الأول معنى الآية أن اليهود قالوا نحن أولى لأن ديننا أقدم وكتابنا أقدم
وقالت النصارى نحن أولى لأنا على دين عيسى وهو روح الله وكلمته وكان يحيي الموتى
وقال المسلمون نحن أولى لأن نبينا خاتم النبيين وكتابنا ناسخ للكتب وقد آمنا بكتابكم ولم تؤمنوا بكتابنا قال الله ـ تعالى ـ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب يعني ليس الأمر بالأماني وإنما الأمر بالعمل الصالح وقد قال ليس الدين بالتمني ولا بالتحلي الخبر
وأما على القول الثاني معنى الآية أن اليهود والنصارى قالوا نحن أهل الجنة

تفسير السمعاني ج:1 ص:482
تفسير السمعاني ج 1/ص 483

ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا 123 ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون وذلك قول الله ـ تعالى ـ وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى وقال المشركون لا جنة ولا نار ولا بعث قال الله ـ تعالى ـ ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب أي ليس كما قال المشركون ولا

كما قال اليهود والنصارى
من يعمل سوءا يجز به قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتاده وجماعة المفسرين إن الآية على العموم في حق كل عامل وقال الحسن أراد به أهل الشرك
وفي حديث أبي هريرة أن هذه الآية لما نزلت قالت الصحابة أينا لم يعمل سوءا وشقت عليهم الآية فرجعوا إلى رسول الله في ذلك فقال ما منكم من أحد تصيبه مصيبة إلا كفر عنه حتى الشوكة يشاكها والنكبة ينكبها
وروى أن أبا بكر دخل على رسول الله فقال له رسول الله ألا أقرئك آية أنزلت علي قال بلى فقرأ من يعمل سوءا يجز به قال أبو بكر فوجدت انقصاما في ظهري فقال -عليه السلام- مالك يا أبا بكر فقلت كيف النجاة بعد هذه الآية هلكنا وأينا لم يعمل سوءا فقال أما أنت يا أبا بكر والمؤمنون تجزون به في الدنيا فتلقون الله ـ تعالى ـ وما عليكم ذنب وأما الكافرون يجمع عليهم ثم يجزون به في الآخرة وفي رواية قال له ـ عليه السلام ـ

تفسير السمعاني ج:1 ص:483
تفسير السمعاني ج 1/ص 484
نقيرا 124 ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا 125 ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شيء ألست تنصب ألست تحزن ألست تمرض أليس تصيبك اللأواء فذلك الذي تجزون به فهذا معنى قوله تعالى ـ من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا

قوله تعالى ـ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا أي مقدار النقير وذلك أن الله ـ تعالى ـ لما أحال الخلق على العمل بين العمل في هذه الآيات وجزاء العمل
قوله تعالى ـ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله أي أخلص عبادته لله وقيل توجه عبادته إلى الله والوجه يذكر بمعنى الدين والعبادة ومنه قول المصلى وجهت وجهي أي ديني وهو الصلاة
وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا وإنما خص إبراهيم لأنه كان مقبول الأمم أجمع وقيل لأنه بعث على ملة إبراهيم وزيد له أشياء
واتخذ الله إبراهيم خليلا يعني حبيبا لا خلل في حبه والخلة صفاوة المودة فمعناه أنه اتخذه حبيبا وجعله صفيه وخاص نفسه كما يكون الحبيب مع الحبيب قال الشاعر
قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمى الخليل خليلا

وقيل المحتاج من الخلة وهي الحاجة يعني جعل حاجته إلى نفسه دون غيره
وقال الشاعر
وإن أتاه خليل يوم مسألة
فقال لا غائب مالي ولا حرم

تفسير السمعاني ج:1 ص:484
تفسير السمعاني ج 1/ص 485
محيطا 126 ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فإن الله كان به عليما 127 وإن يعني وإن أتاه محتاج والأول أصح لأن قوله واتخذ الله إبراهيم خليلا يقتضي الخلة من الجانبين ولا يتصور الحاجة من الجانبين وفي الخبر قال إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر ولكن ود وإخاء إيمان وإن صاحبكم خليل الله قوله تعالى ـ ولله ما في السموات وما في الأرض وكان الله بكل شئ محيطا المحيط هو العالم بالشيء بجميع ما يتصور العلم به

قوله تعالى ـ ويستفتونك في النساء أي يطلبون فتواك في النساء قيل هذا في أم كجة وقد بينا قصتها وأن أهل الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصبيان
قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب قال الزجاج يعنى ويفتيكم كما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء هذا إضافة الشيء إلى نفسه لأنه أراد باليتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن قال الحسن وجماعة أراد به لا تؤتونهن حقهن من الميراث وترغبون أن تنكحوهن به بمعنى عن أن تنكحوهن لدمامتهن وحملوا الآية على الميراث
وقالت عائشة أراد به لا تؤتونهن ما كتب لهن من الصداق وقوله وترغبون أن تنكحوهن يعني في أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان يعني

تفسير السمعاني ج:1 ص:485
تفسير السمعاني ج 1/ص 486
امرأة خافت من بعلها نشوزا أو إعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا 128 ولن ويفتيكم في المستضعفين من الوالدان وهم الصغار وأن تقوموا لليتامى بالقسط أي بالعدل وما تفعلوا من خير فإن الله كان به

عليما
قوله تعالى ـ وإن امرأة خافت من بعلها نشوزا النشوز هو الارتفاع والمراد به ارتفاع الزوج والتكبر بنفسه على الزوجة ومنه النشز أو إعراضا يعنى أو خافت إعراضا من الزوج فلا جناح عليهما أن يصلحا وقرئ أن يصالحا بينهما صلحا يعني بين الزوجين واختلفوا فيمن نزلت الآية قال بعضهم نزلت في امرأة رافع بن خديج فإنها كبرت وتزوج رافع عليها شابة وخافت أن يعرض عنها فنزلت الآية

وقوله أن يصلحا بينهما صلحا يعني أن يترك شيئا من القسم وترضى بأن يكون القسم للشابة أكثر وقيل هو الصلح عن المهر بالإبراء ونحوه والقول الثاني أن الآية نزلت في سودة بنت زمعة أراد النبي أن يطلقها فقالت لا تطلقني قد وهبت ليلتي لعائشة فلا تطلقني حتى أحشر يوم القيامة في زمرة نسائك والصلح خير قيل أراد به الصلح خير من الفرقة وقيل أراد به الصلح خير من النشوز والإعراض وأحضرت الأنفس الشح والشح البخل وقيل هو أقبح البخل وحقيقته الحرص على منع الخير وأراد به شح الزوجين على حقيهما وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا

تفسير السمعاني ج:1 ص:486
تفسير السمعاني ج 1/ص 487
تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما 129 وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما 130 ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب
قوله تعالى ـ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم قال عمر وعلي وابن عباس أراد بالعدل المحبة في القلب فلا تميلوا كل الميل يعنى إن ملتم في المحبة فلا تميلوا في القسم وقد قال اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذاني فيما لا أملك فتذروها كالمعلقة يعني لا أيما ولا ذات بعل وقيل كالمحبوسة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفورا رحيما قوله-تعالى- وإن يتفرقا يغن الله كلا من سعته يعني الزوجين إذا تفرقا فالزوج يجد الزوجة والزوجة تجد الزوج وكان الله واسعا حكيما أي واسع الفضل والرحمة والقدرة

قوله تعالى ـ ولله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله هذه وصية الله العباد بالتقوى وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا
ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا فإن قيل أي فائدة في تكرار قوله ولله ما في السموات وما في الأرض قيل لكل واحد منها وجه أما الأول فمعناه ولله ما في السموات وما في الأرض وهو يوصيكم بالتقوى فاتقوه واقبلوا وصيته

تفسير السمعاني ج:1 ص:487
تفسير السمعاني ج 1/ص 488
من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا 131 ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا 132 إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا 133 من كان يريد ثواب
وأما الثاني يقول فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنيا حميدا فاطلبوا منه ما تطلبون
وأما الثالث يقول ولله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا أي اتخذوه وكيلا ولا تتكلوا على غيره
قوله تعالى ـ إن يشاء يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين روى أن النبي كان يضرب بيده كتف سلمان ويقرأ ويأت بآخرين ويقول سلمان وأصحابه وكان الله على ذلك قديرا
قوله تعالى ـ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة أراد به الكفار فإنهم يعملون ابتغاء ثواب الدنيا وطلبا لنعيمها ولا يطلبون ثواب الآخرة ولا يؤمنون بها فقال الله ـ تعالى ـ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا

قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط القوام مبالغة من القائم والقسط العدل ومعناه كونوا قائلين بالعدل شهداء لله لأنهم إذا شهدوا بالحق وقاموا بالعدل كانوا شهداء لله ولو على أنفسكم فإن قيل كيف يشهد على نفسه قيل شهادته على نفسه هو الإقرار وهو معنى ما روى عن ابن عباس قولوا الحق ولو على أنفسكم
أو الوالدين والأقربين أي قولوا الحق ولو على الوالدين والأقربين قيل نزلت الآية في رجل كانت عنده شهادة على أبيه فهم أن يمتنع عنها فنزل قوله

تفسير السمعاني ج:1 ص:488
تفسير السمعاني ج 1/ص 489
الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعا بصيرا 134 يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا
أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا قال السدي نزل ذلك في رجلين اختصما إلى النبي أحدهما غني والآخر فقير وكان ضلع النبي ـ عليه السلام ـ إلى الفقير وكان عنده أن الفقير لا يخاصم بالباطل وكان الحق للغني في الباطن فنزلت الآية إن يكن غنيا أو فقير
قال ابن عباس معناه لا تجادلوا الغني لغناه ولا ترحموا الفقير لفقره وقال عطاء لا تحيفوا على الفقير ولا تعظموا الغني فهذا معنى الآية وحقيقة المعنى قوموا بالشهادة سواء كان المشهود عليه غنيا أو فقيرا وسواء كان المشهود له غنيا أو فقيرا ولا تمتنعوا عن الشهادة للغني لغناه ولا عن الشهادة على الفقير لفقره

وقوله إن يكن غنيا أو فقيرا يعني إن يكن المشهود عليه غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أي كلوا أمرهما إلى الله قال الحسن معناه فالله أعلم بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا قيل معناه فلا تتبعوا الهوى بأن تعدلوا أي لتكونوا عادلين كما يقال لا تعص فترضى ربك وقيل معناه لا تتبعوا الهوى لتميلوا من الحق إلى الباطل وإن تلووا وهي من اللي قال الشاعر
وكنت داينت به حساناامخافة الإفلاس والليانا
وفي معناه قولان أحدهما أنه خطاب للحكام ومعنى وإن تلووا أي تميلوا إلى أحد الخصمين أو تعرضوا عنه
والثاني ـ وهو قول أكثر المفسرين ـ أنه خطاب للشهود واللي منهم تحريف الشهادة والإعراض كتمان الشهادة والأول قول ابن عباس وأما القراءة الثانية وإن تلوا فيه قولان أحدهما أن أصله وإن تلووا فإدخلت إحدى الواوين

تفسير السمعاني ج:1 ص:489
تفسير السمعاني ج 1/ص 490
135 يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر

فقد ضل ضلالا بعيدا 136 إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم في الأخرى تخفيفا والمعنى ما بينا والثاني أنه من الولاية يعني وإن تلوا القيام بأداء الشهادة أو تعرضوا فتتركوا أداء الشهادة فإن الله كان بما تعملون خبيرا
قول ـ تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله أكثر المفسرين علي أنه في المؤمنين ومعناه يا أيها الذين آمنوا آمنوا أي اثبتوا على الإيمان كما يقال قف حتى أرجع إليك ـ للرجل الواقف ـ أي أثبت واقفا

وقال مجاهد هو خطاب للمنافقين ومعناه يا أيها الذين آمنوا باللسان آمنوا بالقلب وقال الضحاك ـ وهو رواية الكلبي عن ابن عباس ـ هو خطاب لأهل الكتاب ومعناه يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد والكتاب الذي نزل على رسوله يعني القرآن والكتاب الذي أنزل من قبل يعني الكتب المنزلة من قبل القرآن
ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا أي بعيدا عن الحق
قوله تعالى ـ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا قال قتادة هذا في اليهود آمنوا بموسى ثم كفروا به بعبادة العجل ثم آمنوا بموسى بالتوبة ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفروا بمحمد وقيل هو في جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بنبيهم ثم كفروا به وآمنوا بكتابهم ثم كفروا به ثم ازدادوا كفرا بمحمد وقال مجاهد هو في قوم مرتدين آمنوا ثم ارتدوا ثم آمنوا ثم ارتدوا
ومثل هذا هل تقبل توبته
قال علي لا تقبل توبته فإنه إذا آمن ثم كفر ثم آمن ثم كفر فلو أراد أن يؤمن

تفسير السمعاني ج:1 ص:490
تفسير السمعاني ج 1/ص 492
ولا ليهديهم سبيلا 137 بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما 138 الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا 139 وقد نزل عليكم في لا يقبل منه ويقتل لقوله-تعالى- لم يكن الله ليغفر لهم
وأكثر أهل العلم على أنه تقبل توبته ويحتمل أن تكون الآية في المنافقين وقوم من أهل الكتاب كانوا يؤمنون باللسان ثم يرجعون إلى الكفر ثم يأتون فيؤمنون ثم يرجعون إلى الكفر

لم يكن الله ليغفر لهم فإن قيل أيش معنى قوله-تعالى- لم يكن الله ليغفر لهم ومعلوم أن الله لا يغفر الكفر قيل أجاب النقاش في تفسيره أن معناه أن الكافر إذا أسلم يغفر له كفره السابق فهذا الذي أسلم ثم كفر ثم أسلم ثم كفر لا يغفر كفره السابق الذي كان يغفر لو ثبت على الإسلام ولا يهديهم سبيلا أي طريقا إلى الحق
قوله-تعالى- بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما فإن قيل ما معنى البشارة بالعذاب الأليم قيل أصل البشارة كل خبر تتغير به بشرة الوجه سارا كان أم مكروها لكنه في الغالب إنما يستعمل في الخبر السار فإذا استعمل في الخبر السيء كان على الأصل وقيل أراد به ضع هذا موضع البشارة كما تقول العرب تحيتك السوط وعقابك السيف
يعنى وضعت السوط مع التحية قال الشاعر
وخيل قد دلفت بها لخيلتحية بينهم ضرب وجيع
قوله-تعالى- الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين هذا في المنافقين كانوا يوالون الكفار ويظنون أن النصرة والغلبة لهم أيبتغون عندهم العزة يعنى أيطلبون عندهم القوة والغلبة فإن العزة لله جميعا أي القوة والغلبة كلها لله-تعالى-

---

تفسير السمعاني ج:1 ص:492
تفسير السمعاني ج 1/ص 492
الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا 140 الذين يتربصون بكم فإن كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وإن كان للكافرين نصيب قالوا فإن قال قائل قد نرى في بعض الأحوال الغلبة للكفار فما معنى قوله فإن العزة لله جميعا قيل معناه أن المقوى هو الله-تعالى- في الأحوال كلها
وقيل معناه الغلبة بالحجة لله جميعا

(1/406)

قوله-تعالى- وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم هذا إشارة إلى ما أنزل في سورة الأنعام وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم الآية نهى عن القعود معهم وما حكم القعود معهم أما إذا قعد معهم ورضى بما يخوضون فيه فهو كافر مثلهم وهو معنى قوله إنكم إذا مثلهم وإن قعد ولم يرض بما يخوضون فيه فالأولى أن لا يقعد ولكن لو قعد كارها فلا

يكفر وهذا هو الحكم في كل بدعة يخاض فيها فلو تركوا الخوض فيه وخاضوا في حديث غيره فلا بأس بالقعود معهم وإن كره لقوله حتى يخوضوا في حديث غيره قال الحسن وإن خاضوا في حديث غيره لا يجوز القعود معهم لقوله في سورة الأنعام وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين والأكثرون على أنه يجوز وآية الأنعام مكية وهذه الآية مدنية والمتأخر أولى إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم يعنى المنافقين ينتظرون أمركم فإن كان لكم فتح من الله يعنى ظفر قالوا ألم نكن معكم يعنى كنا معكم فاجعلوا لنا نصيبا من الغنيمة وإن كان للكافرين نصيب يعنى وإن كانت القوة للكافرين قالوا ألم نستحوذ عليكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:492
تفسير السمعاني ج 1/ص 493

ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا 141 إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا 142 مذبذبين بين ذلك لا إلى ونمنعكم من المؤمنين الاستحواذ الاستيلاء والغلبة ومنه قوله-تعالى- استحوذ عليهم الشيطان قال المبرد معنى هذا قالوا ألم نغلبكم على رأيكم ونمنعكم من المؤمنين والدخول في جملتهم وتخذيل المؤمنين عنكم
وقال غيره معناه ألم نستول عليكم بالنصرة لكم من جهة مراسلتنا إياكم بأخبار المؤمنين وأمورهم وتخذيلنا إياهم عنكم فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا قال على وابن عباس أراد به في القيامة وقيل هو سبيل الحجة أي لا تكون الحجة للكافرين على المؤمنين أبدا قوله-تعالى- إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم يخادعون الله أي يعاملون الله معاملة المخادعين حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر وهو خادعهم أي يعاملهم معاملة المخادعين وذلك على وجهين أحدهما أنه حكم بإيمانهم في الظاهر وكفرهم في الباطن كما فعلوا هم والثاني أنه في القيامة يعطيهم نورا كما يعطى المؤمنين ثم إذا كانوا على الصراط طفئ نورهم وذهب المؤمنون بنورهم وهذا معنى قوله وهو خادعهم وقيل معناه يخادعون رسول الله وهو خادعهم أي يجازيهم على مخادعتهم الرسول وسمى الثاني خداعا على الازدواج كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها وفي حديث عدى بن حاتم أن النبي قال يؤتى بناس من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ورأوا فيها من النعيم يأمر الله-تعالى- بصرفهم عنها

فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها فيقولون يا رب لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا كان أهون علينا فيقول الله-تعالى- ذاك أردت لكم

تفسير السمعاني ج:1 ص:493
تفسير السمعاني ج 1/ص 494
هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا 143 يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا 144 إن وكنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين هبتم الناس ولم تهابوني أجللتم الناس ولم تجلوني تركتم للناس ولم تتركوا لي فاليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتم من الثواب
وقوله وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يعنى متثاقلين وهذا دأب المنافقين لقلة الدواعي لهم وأما المؤمنين ينشطون إلى القيام إلى الصلاة لكثرة الدواعي لهم يراءون الناس أي يعملون ما يعملون مراءه للناس لا اتباعا لأمر الله
واعلم أن الرياء لا يوجب الكفر وهو عيب عظيم وأما النفاق كفر محض
ولا يذكرون الله إلا قليلا قال الحسن لأنه لما لم يتقبل عملهم كان قليلا
مذبذبين بين ذلك أي متذبذبين وكذلك قرأ أبى بن كعب ومعناه مضطربين متحيرين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء يعنى لا إلى الكفار بالتصريح بالشرك ولا إلى المؤمنين باعتقاد الإيمان
وروى ابن عمر عن النبي أنه قال مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين ربيضين إن جاءت إلى هذه نطحتها وإن جاءت إلى هذه نطحتها ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا أي ومن يضلله الله فلن تجد له طريقا إلى الحق
قوله-تعالى- يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون

تفسير السمعاني ج:1 ص:494
تفسير السمعاني ج 1/ص 495

المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا 145 إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت

الله المؤمنين أجرا المؤمنين في الآية نهى عن موالاة المؤمنين مع الكفار أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا السلطان الحجة ومنه يقال للأمير سلطان لأنه ذو الحجة ومعناه أتريدون أن تجعلوا لله عليكم حجة بينة في عذابكم بحيث لا يبقى لكم عذر عنده
قوله-تعالى- إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ويقرأ في الدرك بجزم الراء- قال أبو عبيده والأخفش النار دركات والجنة درجات قال أهل العلم يجوز أن يكون فرعون وهامان أشد عذابا من المنافقين وإن كان المنافقون في الدرك الأسفل قال ابن مسعود الدرك الأسفل تابوت من حديد مقفل عليهم وقيل تابوت من النار قال أبو هريرة والدرك الأسفل بيت مطبق عليهم تتوقد النار فيه من فوقهم ومن تحتهم ولن تجد لهم نصيرا مانعا من العذاب
قوله-تعالى- إلا الذين تابوا أي أسلموا وأصلحوا أي داموا على التوبة واعتصموا بالله الاعتصام هو الامتناع بالشيء مما يخاف فالاعتصام بالله هو الامتناع بطاعته من كل ما يخاف عاجلا وآجلا وأخلصوا دينهم لله شرط الإخلاص بالقلب لأن الآية في المنافقين والنفاق كفر القلب فزواله بالإخلاص فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين أجرا عظيما وإنما لم يقل فأولئك هم المؤمنون وسوف يؤتيهم الله أجرا عظيما غيظا على المنافقين
قوله-تعالى- ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم هذا استفهام بمعنى التقرير ومعناه لا يعذب الله المؤمن الشاكر وتقدير قوله إن شكرتم وآمنتم أي إن آمنتم وشكرتم والشكر ضد الكفر والكفر ستر النعمة والشكر إظهار النعمة وكان الله شاكرا عليما الشكر من الله قبول العمل ومعناه وكان

تفسير السمعاني ج:1 ص:495
تفسير السمعاني ج 1/ص 496
عظيما 146 ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما
147 لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما
148 إن تبدوا خيرا أو الله قابلا للطاعات عليما بالنيات
قوله-تعالى- لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم قال ابن عباس معناه إلا من ظلم فيجوز له أن يجهر بالسوء بالإخبار عن ظلم الظالم والدعاء عليه قال الحسن دعاؤه عليه أن يقول اللهم اعني عليه اللهم استخرج حقي منه
وقيل يجوز له أن يشتم ولكن بمثل ما شتم لا يزيد عليه بما لم يكن قذفا وقد ورد في الحديث السبتان بالسبة ربا قال مجاهد هو في الضيف يأتي قوما فلم يقروه ولم يحسنوا ضيافته يجوز له أن يجهر بالسوء لهم
ويقرأ إلا من ظلم بفتح الظاء واللام

قال الزجاج معناه إلا من ظلم فأجهر قوله بالسوء وقيل هو راجع إلى الآية المتقدمة وتقديره ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم إلا من ظلم وقيل هو استثناء منقطع يعنى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول لكن يجهر بالسوء من ظلم وكان الله سميعا عليما سميعا لأقوالكم عليما بنياتكم
قوله-تعالى- إن تبدوا خيرا أو تخفوه معناه إن تبدوا شيئا من الصدقات ليقتدي بكم أو تخفوه مخافة الرياء أو تعفوا عن سوء تصابون به فإن الله كان عفوا قديرا
قوله-تعالى- إن الذين يكفرون بالله ورسله أراد به اليهود لما كفروا بمحمد فكأنهم كفروا بالله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله يريدون أن يؤمنوا بالله ويكفروا بالرسول ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض يؤمنون بموسى ويكفرون بعيسى ومحمد ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أي مذهبا يذهبون إليه

تفسير السمعاني ج:1 ص:496
تفسير السمعاني ج 1/ص 497

تخفوه أو تعفوا عن سوء فإن الله كان عفوا قديرا 149 إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا 150 أولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا 151 والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما 153 يسئلك عن أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من
أولئك هم الكافرون حقا إنما حقق كفرهم ليعلم أنهم كفار مطلقا لئلا يظن ظان أنهم لما آمنوا بالله وبعض الرسل لا يكون كفرهم مطلقا اعتدنا للكافرين عذابا مهينا
قوله-تعالى- والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم إنما سماه أجرا مجازا لأنه ذكره بإزاء العمل لأن العمل يوجبه وهذا نحو قوله-تعالى-في قصة موسى إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا سماه أجرا على مقابلة العمل لأن موسى عمل ليؤجر عليه وكان الله غفورا رحيما
قوله-تعالى- يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء هم اليهود قالوا للنبي لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء جملة كما أنزلت التوراة على موسى جملة
قال الحسن ولم يكن ذلك سؤال انقياد وإنما ذلك سؤال تحكم واقتراح فإنهم

لو أنزل عليهم الكتاب جملة كما سألوا لم يؤمنوا والله-تعالى-لا ينزل الآيات على اقتراح العباد وإنما ينزلها على مشيئته فقد سألوا موسى أكبر من ذلك أي أعظم من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة أي عيانا وذلك أن العرب كانت تعد العلم بالقلب رؤية فقال جهرة ليعلم أنه أراد العيان وقال أبو عبيده معناه

تفسير السمعاني ج:1 ص:497
تفسير السمعاني ج 1/ص 498

السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا 153 ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا 154 فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا
فقالوا جهرة أرنا الله فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل يعنى إلها من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك فيه استدعاء للتوبة ومعناه أن أولئك الذين اجترموا ذلك الإجرام عفونا عنهم فتوبوا أنتم حتى نعفو عنكم وآتينا موسى سلطانا مبينا حجة بينة من المعجزات
قوله-تعالى- ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم الطور جبل الطور وقيل كل جبل ينبت شيئا فهو طور فإن لم ينبت لا يسمى طورا والميثاق العهد المؤكد باليمين وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا قيل إنهم سجدوا على أنصاف وجوههم حتى دخلوا الباب وفي القصة أنهم قالوا بهذا السجود رفع العذاب عنا فلا نترك هذا السجود وكانوا يسجدون بعد ذلك على أنصاف وجوههم
وقلنا لهم لا تعدوا في السبت وقرأ نافع-برواية قالوا- لا تعدوا -بجزم العين مشددة الدال وفي رواية ورش عنه لا تعدوا -بفتح العين مشددة الدال ومعنى الكل لا يتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا
قوله-تعالى- فبما نقضهم ميثاقهم وما للصلة وإنما تدخل في الكلام لتفخيمه وتجزيله وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف قد ذكرنا كل هذا بل طبع الله عليها بكفرهم الطبع الختم وقال

تفسير السمعاني ج:1 ص:498
تفسير السمعاني ج 1/ص 499

اقليلا 155 وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما 156 وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا 157 بل رفعه الله إليه لزجاج جعل قلوبهم كالمطبوع لا يفلح ولا يصلح أبدا ولا يدخلها خير فلا يؤمنون إلا قليلا وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما أراد به نسبتهم مريم إلى الزنا
قوله-تعالى- وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم
قيل إن الله-تعالى- ألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه فقتلوه وقيل إنهم كانوا حبسوا عيسى في بيت وجعلوا عليه رقيبا فألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فقتلوه وقيل إنهم ما كانوا يعرفون عيسى بعينه وكانوا يعرفونه باسمه وكانوا يطلبونه فقال لهم يهوذا-وهو واحد من أصحاب عيسى- أعطوني شيئا أدلكم على عيسى فأعطوه ثلاثين درهما فدلهم على غيره فقتلوا ذلك الغير فهذا قوله ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه وذلك أن الرجل الذي قتلوه على ظن أنه عيسى كان يشبهه بوجهه ولا يشبهه بجسده فوقع فيهم الاختلاف فقال بعضهم الذي قتلناه كان عيسى وقال بعضهم لم يكن عيسى وقيل هو الاختلاف بين علمائهم وأغتامهم فإن علماءهم كانوا يعلمون أنهم لم يصلبوا عيسى وكان عند جهالهم وأغتامهم أنهم قتلوا عيسى وما لهم به من علم يعنى من حقيقة علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا قال ابن الأنباري قوله وما قتلوه كلام تام وقوله يقينا راجع إلى ما بعد وتقديره بل رفعه الله إليه يقينا قال الفراء معناه وما قتلوا

تفسير السمعاني ج:1 ص:499
تفسير السمعاني ج 1/ص 500

وكان الله عزيزا حكيما 158 وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا 159 فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا 160 وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس الذي ظنوا أنه عيسى يقينا أنه عيسى وقيل الهاء كناية عن عيسى أي وما قتلوا عيسى يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما
قوله-تعالى- وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته معناه وأن من أهل

الكتاب أحدا إلا ليؤمن به وهو مثل قوله وإن منكم إلا واردها أي وأن منكم أحد واختلفوا في قوله قبل موته قال الحسن-وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس- إنه كناية عن الكتابي وقال ما من كتابي من اليهود إلا وهو يؤمن بعيسى قبل موته في وقت اليأس حين لا ينفعه حتى قيل لابن عباس وإن مات حرقا أو غرقا أو هدما قال نعم
وقال قتادة -وهو رواية أخرى عن ابن عباس- إن الهاء كناية عن عيسى يعنى ما من كتابي إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى وذلك حين ينزل من السماء وقال عكرمة هذا في محمد ما من كتابي إلا ويؤمن به قبل الموت وهذا قول ضعيف لأنه لم يجر ذكر محمد في الآية ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا يعنى عيسى قوله-تعالى- فبظلم من الذين هادوا يعنى ما ذكر من إجرامهم حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم هو ما ذكرنا في سورة الأنعام وعلى الذين هادوا حرمنا

تفسير السمعاني ج:1 ص:500
تفسير السمعاني ج 1/ص 501

بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما 161 لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما 163 إنا أوحينا كل ذي ظفر الآية على ما سيأتي وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل يعنى الرشا اعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما
قوله-تعالى- ولكن الراسخون في العلم منهم لكن للإضراب عن كلام والدخول في كلام آخر والراسخون المبالغون في العلم أولوا البصائر فيه وأراد به الذين أسلموا من علماء اليهود مثل عبد الله بن سلام ويمين بن يمين وأسد وأسيد ابني كعب وجماعة والمؤمنون أراد به المهاجرين والأنصار يؤمنون بما أنزل إليك يعنى القرآن وما أنزل من قبلك يعنى سائر الكتب المنزلة والمقيمين الصلاة في هذا إشكال من حيث النحو قيل إن هذا ذكر لعائشة وأبان بن عثمان فادعيا الغلط على الكاتب وقالا ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة وليس هكذا بل هو صحيح في النحو وهو نصب على المدح وتقديره واذكروا المقيمين الصلاة أو أعنى المقيمين الصلاة وهم المؤتون الزكاة ومثله قول الشاعر
النازلين بكل معتركوالطيبون معاقد الأزر
أي أعنى النازلين بكل معترك وهم الطيبون معاقد الأزر فيكون نصبا على المدح وقيل تقديره وما أنزل على المقيمين الصلاة قوله والمؤتون الزكاة رجوع إلى نسق الأول والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجرا

عظيما

تفسير السمعاني ج:1 ص:501
تفسير السمعاني ج 1/ص 502

إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داوود زبورا 163 ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى
قوله-تعالى- إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده هذا بناء على ما سبق من قوله يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتابا من السماء يقول الله-تعالى- قد جعلناك رسولا بالطريق الذي قد جعلنا سائر الأنبياء رسلا وهو الوحي وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان ذكر عدة من الرسل الذين أوحى إليهم فإن قال قائل لم قدم ذكر عيسى وهو متأخر قيل الواو لا توجب الترتيب وإنما هي للجمع وقيل ذكره اهتماما بأمره وكان أمر عيسى أهم وآتينا داود زبورا قرأ حمزة زبورا -بضم الزاي- فالزبور فعول بمعنى المفعول وهو الكتاب الذي أنزل الله-تعالى- على داود فيه التحميد والتمجيد وثناء الله-تعالى- والزبور الكتابة والزبرة قطعة الحديد ويقال ما له زبر أي ما له عقل وأما الزبور جمع الزبر
قوله-تعالى- ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل وأرسلنا رسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما إنما كلمه بنفسه من غير واسطة ولا وحي وفيه دليل على من قال إن الله خلق كلاما في الشجرة فسمعه موسى وذلك لأنه قال وكلم الله موسى تكليما

تفسير السمعاني ج:1 ص:502
تفسير السمعاني ج 1/ص 503
تكليما 164 رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما 165 لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون

قال الفراء وثعلب إن العرب تسمى ما توصل إلى الإنسان كلاما بأي طريق وصل إليه ولكن لا تحققه بالمصدر فإذا حقق الكلام بالمصدر لم تكن إلا حقيقة الكلام وهذا كالإرادة يقال أراد فلان إرادة فيكون حقيقة الإرادة ولا يقال أراد الجدار أن يسقط إرادة وإنما يقال أراد الجدار من غير ذكر المصدر لأنه مجاز فلما حقق الله كلامه موسى بالتكليم عرف أنه حقيقة الكلام من غير واسطة قال ثعلب وهذا دليل من قول الفراء أنه ما كان يقول بخلق القرآن
فإن قال قائل بأي شئ عرف موسى أنه كلام الله قيل بتعريف الله-تعالى- إياه وإنزال آية عرف موسى بتلك الآية أنه كلام الله-تعالى- وهذا مذهب أهل السنة أنه سمع كلام الله حقيقة بلا كيف وقال وائل بن داود معنى قوله وكلم الله موسى تكليما أي مرارا كلاما بعد كلام
قوله-تعالى- رسلا مبشرين ومنذرين أي أرسلنا رسلا لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وهذا دليل على أن الله-تعالى-لا يعذب الخلق قبل بعثه الرسل وهذا معنى قوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وقال-تعالى- ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى
وكان الله عزيزا أي مقتدرا على معاونة الخلق حكيما ببعث الرسل وفي حديث أبي الدرداء أنه قال سألت رسول الله عن عدد الأنبياء فقال مائة وأربعة وعشرون ألفا فقلت كم الرسل منهم قال ثلثمائة وخمسة عشر جما غفيرا

تفسير السمعاني ج:1 ص:503
تفسير السمعاني ج 1/ص 504
وكفى بالله شهيدا 166 إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا 167 إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا 168 إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا 169 يا أيها الناس قد جاءكم

قوله-تعالى- لكن الله يشهد بما أنزل إليك سبب نزول الآية أن قوما من علماء اليهود حضروا عند النبي فقال لهم أنتم تعلمون أنى رسول الله فقالوا لا نعلم ذلك فنزل قوله لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه أي مع علمه كما يقال جاءني فلان بسيفه أي مع سيفه وفيه دليل على أن لله علما هو صفته خلاف قول المعتزلة خذلهم الله
والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا فإن قيل إذا شهد الله له بالرسالة فأي حاجة إلى شهادة الملائكة قيل لأن الذين حضروا عند النبي كان عندهم أنهم علماء الأرض فقالوا نحن علماء الأرض ونحن ننكر رسالتك فقال الله تعالى إن

أنكره علماء الأرض يشهد به علماء السماء وهم الملائكة على مقابلة زعمهم وظنهم لا للحاجة إلى شهادتهم فإنه قال وكفى بالله شهيدا
قوله-تعالى- إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله صدهم عن سبيل الله كان بكتمان نعت محمد قد ضلوا ضلالا بعيدا أي هلكوا والضلال الهلاك قوله-تعالى- إن الذين كفروا وظلموا فإن قال قائل أي معنى لقوله وظلموا وقد قال كفروا وظلمهم كفرهم قيل معناه كفروا بالله وظلموا محمدا بكتمان نعته
وقيل ذكره تأكيدا لم يكن الله ليغفر لهم في هذا إشارة إلى أن الله-تعالى- لو غفر للكافرين أجمع كان يسع ذلك رحمته لكنه قطع القول بأن لا يغفر لهم

تفسير السمعاني ج:1 ص:504
تفسير السمعاني ج 1/ص 505
الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما 170 يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا
ولا ليهديهم طريقا يعنى الإسلام إلا طريق جهنم يعنى اليهودية خالدين فيها أبدا وكان ذلك على الله يسيرا

(1/419)

قوله-تعالى- يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم تقديره يكن الإيمان خيرا لكم وإن تكفروا فإن لله ما في السموات والأرض وكان الله عليما حكيما
قوله-تعالى- يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم الغلو مجاوزة الحد والآية في النصارى قال الحسن يجوز أن تكون في اليهود والنصارى فإنهم غلوا في أمر عيسى أما اليهود بالتقصير في حقه وأما النصارى بمجاوزة الحد فيه
الغلو غير محمود في الدين روى ابن عباس عن النبي أنه قال إياكم والغلو في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو
ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته وقد بينا أقوال العلماء في كونه كلمة وجملته ثلاثة أقاويل أحدها أنه بكلمته وهي قوله كن فكان والثاني أنه يهتدي به كما يهتدي بكلمة الله الثالث كلمته بشارته التي بشر بها في الكتب يكون عيسى فهذا معنى قوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وفي تسميته روحا ثلاثة أقاويل

تفسير السمعاني ج:1 ص:505
تفسير السمعاني ج 1/ص 506
بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا 171 لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر أحدها أنه كان له روح كسائر الأرواح إلا أن الله-تعالى- أضافه إلى نفسه تشريفا
والثاني أنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالروح
الثالث أن الروح هو النفخ الذي نفخ في مريم جبريل بإذن الله فسمى ذلك النفخ روحا

فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة وكانت النصارى يقولون بالثلاثة كانوا يقولون ابن وآب وروح القدس وهذا معنى قوله-تعالى- لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وقوله انتهوا خيرا لكم تقديره يكن الانتهاء خيرا لكم
إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد واعلم أن الله-تعالى-كما لا يجوز له أن يتخذ ولدا لا يجوز عليه التبني فإن التبني إنما يكون حيث يكون به الولد فإذا لم يتصور لله ولد ولم يجز عليه التبني له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا
قوله-تعالى- لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله الاستنكاف التكبر مع الأنفة ومعناه لن يأنف المسيح أن يكون عبدا ولا الملائكة المقربون واستدل بهذه الآية من ذهب إلى تفضيل الملائكة على البشر لأن الله تعالى ارتقى من عيسى إلى الملائكة وليس في الآية مستدل وإنما قال ولا الملائكة المقربون لا لامتناع مكانهم ومقامهم على مقام البشر وإنما قال ذلك على ما عند النصارى

تفسير السمعاني ج:1 ص:506
تفسير السمعاني ج 1/ص 507
فسيحشرهم إليه جميعا 172 فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا 173 يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نورا مبينا 174 فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما 175
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد ولعله كان عندهم أن الملائكة أفضل من البشر فقال ذلك على ما في زعمهم

وقوله ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا الفرق بين الاستنكاف والاستكبار أن الاستنكاف هو التكبر مع الأنفة والاستكبار هو الغلو والتكبر من غير أنفة
فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله قيل زيادة فضله ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وقيل هو الشفاعة وفي الحديث يشفع الصالحون يوم القيامة لمن يعرفون
وأما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا أليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا
قوله-تعالى- يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم قيل هو محمد على هذا أكثر المفسرين وقيل هو القرآن
والبرهان في اللغة هو الحجة وأنزلنا إليكم نورا مبينا هو القرآن
قوله تعالى فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل يعنى الجنة ويهديهم إليه صراطا مستقيما
قوله-تعالى- يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة روى عن البراء بن عازب أنه قال آخر سورة أنزلت كاملة سورة براءة وآخر آية أنزلت هذه الآية

تفسير السمعاني ج:1 ص:507
تفسير السمعاني ج 1/ص 508
فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وأن كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ
وسبب نزول الآية ما روى أن النبي دخل على جابر وهو مريض وكان قد أغمى عليه فدعا بماء وتوضأ ثم رشه عليه فأفاق فقال جابر يا رسول الله ماذا أصنع في مالي وإنما ترثني كلالة فنزلت الآية وقد سبق الكلام في الكلالة
وتلك الآية في توريث الاخوة والأخوات من الأم وهذه الآية في توريث الاخوة والأخوات من الأب والأم ومن الأب إن امرؤ هلك ليس له ولد تقديره ليس له ولد ولا والد وعلى هذا أكثر العلماء أن الكلالة هذا وأن الأخوة والأخوات لا يرثون مع الأب إلا ما يحكى عن عمر-رضى الله عنه- أنه ورثهم مع الأب وقد سبق

قوله-تعالى- ليس له ولد أراد به الذكر وعلى هذا أكثر العلماء أن الاخوة والأخوات إنما لا يرثون مع الابن ويرثون مع البنت وحكى عن ابن عباس وبه

قال داود وأهل الظاهر- أن الإخوة والأخوات لا يرثون مع البنت تمسكا بظاهر الآية وقد بينا أن المراد به الابن والآية في نفي الفرض مع الولد وعندنا إنما يرثون بالتعصيب فإن الأخوات مع البنات عصبة
قوله-تعالى- وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وإن كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا
قال الفراء معناه يبين الله لكم أن لا تضلوا وهو قول أبي عبيده قال أبو عبيده وذكر الكسائي حديثا في معناه فأعجبه ذلك وذلك ما روى عن النبي أنه قال لا يدعون أحدكم على ابنه أن يوافق قدرا أي أن لا يوافق قدرا

تفسير السمعاني ج:1 ص:508
تفسير السمعاني ج 1/ص 509
الأنثيين يبين الله لكم أن تضلوا والله بكل شيئا عليم 176
وقال البصريون معناه يبين الله لكم كراهية أن تضلوا والله بكل شئ عليم والله أعلم صدق الله وصدق رسول الله وعلى آله أجمعين

تفسير السمعاني ج:1 ص:509

تفسير السمعاني ج 2/ص 5
بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير تفسير سورة المائدة
القول في تفسير سورة المائدة قال الشيخ الإمام - رضي الله عنه - سورة المائدة مدنية كلها إلا قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فإنه نزل بعرفات على ما سنبين وقال الحسن البصري كلها محكمة لم ينسخ منها شيء وقال الشعبي لم ننسخ منها شيء إلا قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله على ما سنبين
وروى عن أبي ميسرة أنه قال أنزل الله - تعالى - في هذه السورة ثمانية عشر حكما لم ينزلها في سائر القرآن
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود قد ذكرنا أن كل ما في القرآن من قوله يا أيها الذين آمنوا فإنما نزل بالمدينة وكل ما نزل من قوله يا أيها الناس فإنما أنزل بمكة وعن ابن مسعود أنه قال إذا سمعت الله - تعالى - يقول يا أيها الذين آمنوا فارعه سمعك فإنه خير تؤمر به أو سوء تنهى عنه

وقوله أوفوا بالعقود يقال أوفى و وفى بمعنى واحد وأما العقود قال علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أنه قال أراد بالعقود ما أحل الله وحرم وفرض وحد
وقال مجاهد أراد بالعقود العهود وقيل الفرق بين العقد والعهد أن العهد هو الأمر بالشيء ويقال عهدت إلى فلان كذا أي أمرته به والعقد هو الأمر مع الإستيثاق ويدخل في العقود النذور وسائر العقود اللازمة يجب الوفاء بكل إلا

تفسير السمعاني ج:2 ص:5
تفسير السمعاني ج 2/ص 6

(2/1)

محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد 1 يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا اليمين على شيء مباح لا يجب الوفاء به للسنة وهي ما روى عن رسوله الله أنه قال من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليكفر عن يمينه وليأت الذي هو خير
قوله تعالى ـ أحلت لكم بهيمة الأنعام قال الحسن أراد به الإبل والبقر والغنم وحكى قطرب عن يونس هي الإبل والبقر والغنم والخيل والبراذين وروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال بهيمة الأنعام وهي بقر الوحش وحمر الوحش وظباء الوحش - وسميت البهيمة بهيمة لاستبهام فيها حيث لا نطق لها يفهم وبذلك سميت عجماء أيضا
والمراد ببهيمة الأنعام هي الأنعام لكن أضافه إلى نفسه كما يقال نفس الإنسان وحق اليقين ونحو ذلك وروى قابوس بن أبي ظبيان عن ابن عباس أنه قال بهيمة الأنعام هي الأجنة إلا ما يتلى عليكم يعني ما ذكر في قوله حرمت عليكم الميتة غير محلى الصيد قيل هو نصب على الاستثناء وقيل على الحال ويعنى لا محلي الصيد كما قال - تعالى - غير ناظرين إناه أي لا ناظرين إناه وأنتم حرم فيه تحريم الصيد في حال الإحرام إن الله يحكم ما يريد
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله قال أبو عبيدة الشعائر الهدايا المشعرة وهي المعلمة بالإشعار وكانوا ينخسون شيئا في سنام البعير حتى يتطلخ بالدم فذلك إشعار الهدى وهو سنة وقال مجاهد أراد بالشعائر

تفسير السمعاني ج:2 ص:6
تفسير السمعاني ج 2/ص 7
شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام يبتغون

مشاعر الحرم من الصفا والمروة وغيرهما والمراد به النهي عن القتل في الحرم

ولا الشهر الحرام قال عكرمة أراد به ذا القعدة وقال غيره رجب وقيل هو عبارة عن جميع الأشهر الحرم وقوله ولا الهدي ولا القلائد فالهدي جمع الهدية والمراد به إبل الهدي وأما القلائد هي الإبل المقلدة وكانوا يقلدون إبل الهدي وقال عطاء أراد به أصحاب القلائد وكانت عادة أهل الحرم أن يقلدوا أنفسهم وإبلهم بشيء من لحاء شجر الحرم إذا أرادوا الخروج لكيلا يتعرض لهم فنهى الشرع عن التعرض لهذه الأشياء
ولا آمين البيت الحرام أي ولا تتعرضوا للقاصدين إلى البيت الحرام وسبب نزول هذا ما روي أن الحطم بن ضبيعة جاء في نفر إلى رسول الله بالمدينة فعرض عليهم الإسلام فلم يقبلوا وتعللوا وانصرفوا حتى قال - عليه السلام - فيه لقد أقبل بوجه كافر وأدبر بقفا غادر
فذهب واستاق سرح المدينة فتبعوه فلم يدركوه وهو يستاق الإبل ويرتجز ويقول
قد لفها الليل بسواق حطمليس براعي إبل ولا غنم
ولا بجزار على ظهر وضم
فلما كان بعد فتح مكة لقيه المسلمون في الموسم حاجا ومعه إبل معشره وقلائد فقصدوه ولقيه النبي فأشار إلى أصحابه وقال دونكم الرجل ليأخذوه فنزلت الآية منعا للتعرض له ولشعائره وقلائده قال الشعبي كان هذا

تفسير السمعاني ج:2 ص:7
تفسير السمعاني ج 2/ص 8
فضلا من ربهم ورضوانا وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا كذلك ثم نسخ بقوله اقتلوا المشركين
وقوله يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا قال ابن عمر أراد به فضل التجارة وقيل هو الأجر وإذا حللتم فاصطادوا وهذا أمر إباحة أباح للحال الاصطياد
ولا يجرمنكم شنآن قوم قال أبو عبيدة جرم أي كسب ويقال فلان جارم أهله أي كاسب أهله و أنشد
ولقد طعنت أبا عيينة طعنةجرمت فزارة بعدها أن يغضبوا

أي كسبت وقرأ الأعمش ولا يجرمنكم بضم الياء وهو صحيح في العربية يقال جرم وأجرم بمعنى واحد وقيل معناه ولا يحملنكم شنآن قوم أي عداوة قوم أن صدوكم أي لأن صدوكم وقرأ أبو عمرو إن صدوكم على الشرط ومعنى الآية لا يحملنكم عداوة قوم صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا عليهم
وتعاونوا على البر والتقوى البر الصدق وقيل البر الاجتناب عن كل منهي وفيه قول آخر أن البر الإسلام والتقوى السنة
ولا تعاونوا على الإثم والعدوان الإثم الكفر والعدوان البدعة وقيل الإثم الكفر والعدوان الظلم واتقوا الله إن الله شديد العقاب
قوله تعالى ـ حرمت عليكم الميتة والدم فالميتة هي الحيوان الميت والدم دم الحيوان يراق ويسفح فهو حرام وكان أهل الجاهلية يجعلون الدم في

تفسير السمعاني ج:2 ص:8
تفسير السمعاني ج 2/ص 9
على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب 2 حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا المباعر ويسوونها ثم يأكلون فجاء الشرع بتحريمه وسئل ابن عباس عن الطحال فقال كلوه فقيل أليس بدم قال إن الله - تعالى - إنما حرم الدم المسفوح
ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به يعني سمى على ذبحه غير الله وقيل هو ما يذبح على الأصنام فهذه الأربعة حرام وقيل إنها ما أبيحت في شرع ما حتى قيل إن آدم - صلوات الله عليه - نزل إلى الأرض ومعه تحريم هذه الأربعة
والمنخنقة هي الشاة التي تخنق بحبل فتموت والموقوذة هي التي كانت يضربونها عند الصنم حتى إذا ماتت أكلوها والمتردية التي تتردى من موضع عال فتموت

والنطيحة هي التي تنطحها أخرى فتموت وما أكل السبع ويقرأ بجزم الباء على التخفيف ومعناه وما بقى مما أكل السبع إلا ما ذكيتم حرم هذه الأنواع واستثنى المذكاة وأصل التذكية الإتمام يقال ذكيت النار إذا أتممت إيقادها ويقال فلان ذكى إذا كان تام الفهم والزكاة في الشرع معروفة
وما ذبح على النصب يعني على الأصنام والنصب نوع من الأصنام والفرق بينها وبين الأصنام أن الأصنام هي المصورة المنقوشة والنصب لا تكون منقوشة ولا مصورة وقيل كانت لهم أحجار منصوبة حول الكعبة كانوا يعبدونها ويتقربون إليها بالذبائح ويلطخونها بالدماء فحرمه الشرع

وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق الاستقسام طلب النصيب والأزلام الأقداح واحدها زلم وقيل زلم أيضا وهي سهام كانت عند سدنة الكعبة وكان مكتوبا على واحد اخرج وعلى آخر لا تخرج وعلى واحد أمرني ربي وعلى آخر نهاني ربي وكان فيها واحد غفل ويسمى منتحا ليس عليه شيء مكتوب

تفسير السمعاني ج:2 ص:9
تفسير السمعاني ج 2/ص 10
بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن وكان الرجل منهم إذا أراد سفرا يأتي سادن البيت حتى يجيل الأقداح فإن خرج الغفل يجيله ثانيا حتى يخرج آخر فإن خرج الذي عليه اخرج خرج إلى السفر وإن خرج لا تخرج لم يخرج فنهى الشرع عنه ومن ذلك الحكم بالنجوم وضرب الحصا والطيرة والكهانة وكل ذلك منهي عنه قال من تطير أو تكهن أو تعرف لم ينظر إلى الجنة يوم القيامة وقال الشعبي وغيره الأزلام للعرب والكعاب للعجم

وقوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون وذلك أن الكفار كانوا يطمعون في عود المسلمين إلى دينهم حتى فتحت مكة وأظهر الله الإسلام أيسوا من ذلك فهذا معنى قوله اليوم يئس الذين كفروا من دينكم أن يذهب وتراجعوا إلى دينهم
قوله تعالى ـ اليوم أكملت لكم دينكم نزل هذا بعرفات ورسول الله على ناقته العضباء فبركت من ثقل الوحي وروى أن رجلا من اليهود قال لعمر رضي الله عنه إنكم تقرءون آية لو علينا أنزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا يعني اليوم الذي أنزلت فيه فقال عمر أنا أعلم أنها أي يوم أنزلت أنزلت يوم الجمعة عشية عرفة وأشار إلى أن ذلك اليوم لنا عيد

تفسير السمعاني ج:2 ص:10
تفسير السمعاني ج 2/ص 11
ومعنى قوله اليوم أكملت لكم دينكم أي في الشرائع والأحكام لأنها نزلت بعد استقرار الشرائع والأحكام وقيل لم ينزل بعد هذه الآية شيء من الأحكام حتى قيل إن قوله يستفتونك في آية الكلالة إنما نزل قبل هذه الآية وقيل بعدها واعلم أن الشرائع لم تنزل جملة وإنما نزلت شيئا فشيئا فإن في الابتداء حين

كان بمكة كان الواجب الإتيان بالشهادتين والإيمان بالبعث والجنة والنار وركعتين غدوة وركعتين عشية وأن يكفوا أيديهم عن القتال ويصبروا على أذى المشركين فلما كان ليلة المعراج - وهي قبل الهجرة بثمانية عشر شهرا - فرض الله عليه وعلى أمته خمسين صلاة ثم ردت إلى خمس صلوات كما عرف في القصة ثم لما هاجر إلى المدينة فرض الله عليه الجهاد والزكاة ثم الصوم سنة الثالث من الهجرة وفرض الحج سنة السابع من الهجرة ثم فتح مكة فلما حجة الوداع أنزلت هذه الآية سنة عشر من الهجرة ولم ينزل بعدها شيء من الأحكام كما بينا وعاش بعد ذلك رسول الله إحدى وثمانين ليلة وتوفي في اليوم الثاني من ربيع الأول وقيل توفي في الثاني عشر من ربيع الأول وهذا أصح

وكانت هجرته في الثاني عشر من ربيع الأول أيضا واستكمل عشر سنين وخرج من الدنيا
وفيه قول آخر أن معنى قوله اليوم أكملت لكم دينكم أي أمنتكم من العدو وأظهرت دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا روت عائشة عن النبي أنه قال يقول الله - تعالى - إني نظرت في الأديان فارتضيت لكم الإسلام دينا فأكرموه بالسخاء وحسن الخلق ما صحبتموه فإن

تفسير السمعاني ج:2 ص:11
تفسير السمعاني ج 2/ص 12
اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم 3 يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما
البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار
فمن اضطر في مخمصة المخمصة خلاء الجوف عن الغذاء وفي المثل البطنة بعدها الخمصة غير متجانف لإثم أي غير مائل إلى إثم وهو مجاوزة الشبع في أكل الميتة أو يأكلها تلذذا فإن الله غفور رحيم
قوله تعالى ـ يسألونك ماذا أحل لهم سبب نزول الآية أن زيد بن الخيل الطائي وعدي بن حاتم الطائي سألا رسول الله وقالا إنا نصطاد بالكلاب فماذا يحل منه وما يحرم منه فنزلت الآية وقيل سبب نزول الآية أن النبي

تفسير السمعاني ج:2 ص:12
تفسير السمعاني ج 2/ص 13

علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله
لما أمر بقتل الكلاب وقالوا يا رسول الله ماذا يحل لنا من هذه الأمة التي
أمرت بقتلها فنزلت الآية والأول أصح
قل أحل لكم الطيبات فالطيبات كل ما تستطيبه العرب وتستلذه من غير أن
يرد بتحريمه كتاب أو سنة وما علمتم من الجوارح أي الكواسب يقال جرح
واجترح إذا كسب ومنه سميت اليد جارحة لأنها كاسبة قال الشاعر

ذات حل حسن ميسمهايذكر الجارح وما كان جرح
أي ما كان كسب مكلبين وقرئ في الشواذ مكلبين يقال كلبه فهو مكلب
وأكلب فهو مكلب إذا كثر كلابه وهو مثل قولهم أمشى إذا كثرت ماشيته قال
الشاعر
وكل فتى وإن أمشى وأثرى
سيخلجه عن الدنيا المنون قال الأزهري ومعنى الكلام وأحل لكم ما علتم من
الجوارح في حال تكليبكم وتضريتكم إياها على الصيد واعلم أن حل الصيد لا
يختص بصيد الكلب على قول جمهور العلماء
وقال طاووس يختص به تمسكا بقوله مكلبين وهذا خلاف شاذ ومعنى قوله
مكلبين أي محرشين ومغرين على الصيد ويستوي في ذلك كل الجوارح
تعلمونهن مما علمكم الله تؤدبونهن مما أدبكم الله

تفسير السمعاني ج:2 ص:13
تفسير السمعاني ج 2/ص 14
سريع الحساب 4 اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم
وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا
فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه أباح صيد الجوارح إذا أمسكن
على المالك ولا خلاف فيه فأما إذا أكل من الصيد هل يكون ممسكا على
المالك وهو يحل فيه اختلاف بين الصحابة قال سعد بن أبي وقاص وسلمان
الفارسي إنه يحل حتى قال سعد كل ما أخذ كلبك وإن بقيت منه جدية أي
قطعة وهذا أحد قولي الشافعي - رضي الله عنه - وقال ابن عباس وعدي بن
حاتم إنه لا يحل وهو القول الثاني للشافعي وبه قال أكثر المفسرين وأما
الكلام في التسمية سيأتي في الأنعام واتقوا الله إن الله سريع الحساب
قوله تعالى ـ اليوم أحل لكم الطيبات ذكر اليوم هاهنا صلة وقد بينا معنى
الطيبات وفيه قول آخر أن الطيبات عن طاهرات وكل طاهر حلال

وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم قال مجاهد وإبراهيم النخعي أراد به ذبائح أهل الكتاب وطعامكم حل لهم فإن قال قائل كيف أحل لهم طعامنا وشرع لهم ذلك وهم كفار وليسوا من أهل الشرع أجاب الزجاج فقال معناه حلال لكم أن تطعموهم فيكون خطاب الحل مع المسلمين قال غيره وإنما قال ذلك لأنه ذكر عقيبه حكم النساء ولم يذكر حل المسلمات لهم فكأنه قال حلال لكم أن تطعموهم حرام لكم أن تزوجوهم
والمحصنات من المؤمنات هذا راجع إلى النسق الأول ومنقطع عن قوله وطعامكم حل لهم والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم قال الحسن أراد به العفائف وقال مجاهد أراد به الحرائر ومنه إباحة الحرة الكتابية للمسلم وقضية تحريم الأمة الكتابية وعليه أكثر العلماء وهو قول علماء الكوفة مثل الشعبي والنخعي وسعيد بن جبير وجماعة وهذا في الكتابية الذمية فأما الحرة الكتابية

تفسير السمعاني ج:2 ص:14
تفسير السمعاني ج 2/ص 15
الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخذان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين 5 يا الحربية فعلى قول أكثر العلماء تحل للمسلم وقال ابن عباس لا تحل وقرئ المحصنات بكسر الصاد وإحصان الكتابية أن تستعفف عن الزنا وتغتسل من الجنابة إذا آتيتموهن أجورهن أي مهورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخذان

ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله قال مجاهد أراد به من يكفر بالله الذي يؤمن به وقال الكلبي أراد به ومن يكفر بكلمة الشهادة وقال الربيع بن أنس أراد به ومن يكفر بالقرآن قال الزجاج معنى قوله ومن يكفر بالإيمان يعني بتحليل الحرام وتحريم الحلال أي ومن يستحل الحرام أو يحرم الحلال فقد حبط عمله وهذا أقرب إلى نظم الآية في الإباحات وتحليل المحرمات وقوله فقد حبط عمله أي بطل عمله وهو في الآخرة من الخاسرين
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة يعني إذا أردتم القيام إلى الصلاة وذلك مثل قوله فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله أي فإذا أردت القراءة تقول إذا اتجرت فاتجر إلى البر وإذا جالست فجالس فلانا أي إذا أردت المجالسة
وظاهر الآية يقتضي أنه يجب الوضوء عند كل قيام إلى الصلاة ولكن بالسنة

عرفنا جواز الجمع بين الصلوات بوضوء واحد فإن رسول الله جمع بين أربع صلوات يوم الخندق بوضوء واحد وجمع بين خمس صلوات يوم فتح مكة

تفسير السمعاني ج:2 ص:15
تفسير السمعاني ج 2/ص 16
أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق بوضوء واحد وحكى عن علي - رضي الله عنه - أنه قال الوضوء لكل صلاة مكتوبة وقيل هو على الاستحباب وقال زيد بن أسلم تقدير الآية إذا قمتم إلى الصلاة من المضاجع - يعني من النوم - فيكون إيجاب الوضوء بالحدث لأن النوم حدث
فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق يعني مع المرافق قال المبرد إذا مد الشيء إلى جنسه تدخل فيه الغاية وإذا مد إلى خلاف جنسه لا تدخل فيه الغاية فقوله إلى المرافق مد إلى جنسه فتدخل فيه الغاية
وأما قوله ثم أتموا الصيام إلى الليل مد إلى خلاف جنسه فلا تدخل فيه الغاية والمرفق سمى بذلك لارتفاق الإنسان به بالاتكاء عليه

وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين قرأ نافع وابن عامر والكسائي وحفص بالنصب فيكون تقديره فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم وقرأ الباقون وأرجلكم بالكسر
واختلف العلماء في وجوب غسل الرجل فأكثر العلماء - وعليه الإجماع اليوم - أن غسل الرجل واجب ويحكى عن علي أنه قال يجوز المسح على الرجل وهو الواجب وحكى خلاف عنه قال الشعبي نزل القرآن بغسلين ومسحين وقال محمد بن جرير الطبري يتخير بين المسح والغسل لاختلاف القراءة
والأصح أنه يجب الغسل وقد دلت السنة عليه فروى عن النبي أنه قال

تفسير السمعاني ج:2 ص:16
تفسير السمعاني ج 2/ص 17
وامسحوا برءوسكم وأرجلكم إلى الكعبين وإن كنتم جنبا فاطهروا وإن كنتم ويل للأعقاب من النار وروي مرفوعا لا يقبل الله - تعالى - صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ثم يديه ثم يمسح برأسه ثم يغسل رجليه وقال ما من رجل يتوضأ فيغسل وجهه إلا خرجت خطاياه التي نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر من الماء - إلى أن قال - وإذا غسل رجليه خرجت

خطاياه التي مشت بها قدمه مع الماء أو مع آخر قطرة من الماء وروى أنه رأى رجلا توضأ وبقي من رجله قدر ظفره لم يصبه الماء فقال ارجع فأحسن الوضوء وأمره بالرجوع دليل وجوب
فأما قوله وأرجلكم إلى الكعبين من قرأ بالنصب فهو ظاهر في وجوب الغسل وأما من قرأ بالخفض فتقديره فامسحوا برءوسكم واغسلوا أرجلكم ويجوز أن يعطف الشيء على الشيء وإن كان يخالفه في الفعل قال الشاعر
ورأيت زوجك في الوغىمتقلدا سيفا ورمحا
أي متقلدا سيفا ومتنكبا رمحا وقال آخر
علفتها تبنا وماء باردا

تفسير السمعاني ج:2 ص:17
تفسير السمعاني ج 2/ص 18

مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون 6
أي وسقيتها ماءا باردا فكذلك قوله تعالى ـ وامسحوا برءوسكم وأرجلكم أي واغسلوا أرجلكم إلا أنه خفض على الاتباع والمجاورة كما قالت العرب جحر ضب خرب ونحو ذلك
وقال أبو زيد الأنصاري - وهو إمام اللغة - العرب قد تسمي الغسل الخفيف مسحا تقول العرب تمسح يا هذا يريدون به اغتسل فعطفه على المسح لا ينفي الغسل فيجوز أن يكون المراد بهذا المسح في الرأس حقيقة المسح وفي الرجل الغسل ولأن غسل الرجل على الأغلب لا يخلو عن مسح ولذلك فساغ أن يسمى غسلها مسحا وقوله إلى الكعبين يعني مع الكعبين كما بينا في المرافق والكعبان هما العظمان الناتئان على جانبي القدم
وإن كنتم جنبا فاطهروا أي فاغتسلوا وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا وقد بينا الكلام فيه فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه وقوله منه دليل على أن الصعيد هو التراب لتحقق المسح منه ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج أي ضيق ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون قال محمد ابن كعب القرظي أراد بإتمام النعمة تكفير الخطايا بالوضوء على ما روينا وهذا مثل قوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك يعني بغفران الذنب وفي الوضوء تكفير الخطايا التي ارتكبها في الدنيا ونور يوم القيامة قال أمتي غر محجلون من آثار الوضوء يوم القيامة فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل

تفسير السمعاني ج:2 ص:18
تفسير السمعاني ج 2/ص 19

واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور 7 يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا قوله تعالى ـ واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به قال مجاهد أراد به الميثاق الذي أخذه الله - تعالى ـ على ذرية آدم قبل كون الخلق وقال ابن عباس أراد به الميثاق الذي أخذه رسول الله على كل من أسلم بالسمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره إذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله إن الله عليم بذات الصدور أي بما في الصدور
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط أي كونوا قوامين بالعدل قوالين للصدق ولا يجرمنكم أي ولا يحملنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون
قوله تعالى ـ وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة قيل هذا في موضع النصب وفعل الوعد واقع عليه ومثله قول الشاعر
رأيت الصالحين لهم جزاءوجنات وعينا سلسبيلا
ومنهم من قال لهم مغفرة ابتداء كلام أي لهم مغفرة موعودة وموضع الرفع لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم الهم حديث النفس بالفعل ويقال أهم بالشيء واهتم به إذا عنى به وفي سبب نزول الآية قولان قال جابر سببه أن رسول الله كان في بعض الأسفار فتفرق أصحابه في العضاة في منزل فنزل رسول الله تحت شجرة

تفسير السمعاني ج:2 ص:19
تفسير السمعاني ج 2/ص 20

الله إن الله خبير بما تعملون 8 وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم 9 والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم 10 يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمت الله عليكم إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون 11 ولقد منها وعلق سيفه بها فجاء أعرابي وسل سيفه وقام على رأسه وقال من يمنعك مني فقال الله تعالى فسقط سيفه وذهب فنزلت الآية
وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة وجماعة نزلت الآية على سبب آخر وذلك أن النبي كان بينه وبين بني قريظة عهد على أن يستعينوا به وهو يستعين بهم على المشركين فجاء يوما إليهم ليستعين بهم في دية العامريين ونزل تحت حائط فهموا أن يفتكوا به فقال واحد منهم - يقال له عمرو بن حجاش - أنا ألقي عليه حجرا لتستريحوا منه فنزل جبريل وأخبره بذلك فهذا معنى قوله إذ هم قوم أن يبسطوا إليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون
قوله تعالى ـ ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا النقيب للقوم مثل الرئيس وقال أبو عبيدة النقيب الكفيل وقال غيره هو الأمين والنقيب فوق العريف والمنكب عون العريف وسمى نقيبا للبحث والاستخراج الذي يكون منه

تفسير السمعاني ج:2 ص:20
تفسير السمعاني ج 2/ص 21
أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد

والقصة في ذلك أن موسى - صلوات الله عليه - جعل على قومه اثنى عشر نقيبا على كل سبط نقيبا فروى أنه بعثهم إلى مدينة الجبارين ليتعرفوا ويستخبروا عن حالهم فلما رجعوا خوفوا بني إسرائيل من قتالهم وقالوا أنتم لا تقاومونهم وخالفوا أمر موسى إلا رجلان منهم أحدهما يوشع بن نون والآخر كالب بن يوقنا وستأتي قصتهم مشروحة
وقال الله تعالى إني معكم يعني بالنصر لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم قال أبو عبيدة معناه عظمتموهم وقال غيره نصرتموهم والتعزير التأديب في اللغة وأصل التعزير المنع ولذلك سمى التأديب تعزيرا لأنه يمنع المؤدب عن فعل ما أدب عليه وعن سعد بن أبي وقاص أصبحت بنو أسد

تعزرني على الإسلام أي تؤدبني
وأقرضتم الله قرضا حسنا وهو إخراج الزكاة وقال زيد بن أسلم معناه النفقة على الأهل وعن بعض السلف أنه سمع رجلا يقول من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فقال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر
لأكفرن عنكم سيئاتكم ولأدخلنكم جنات تجري من تحتها الأنهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل أي أخطأ طريق الحق
قوله تعالى ـ فبما نقضهم ما صلة أي فبنقضهم ميثاقهم لعناهم أبعدناهم عن الرحمة وجعلنا قلوبهم قاسية أي جافة غير لينة لا تدخلها الرحمة وتقرأ قسية قيل معناه قاسية فعيل بمعنى فاعل وقيل معناه أن قلوبهم ليست بخالصة الإيمان عاشوا بها بين الكفر والنفاق ومنه الدراهم القسية وهي المغشوشة قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:2 ص:21
تفسير السمعاني ج 2/ص 22
ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل 12 فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين

لها صواهل في صم الخيلكما صاح القسية في كف الصارف
شبه صواهل الخيل في صم الحجارة بصوت الدراهم في كف الصيرفي
يحرفون الكلم عن مواضعه تحريفهم الكلم هو تبديلهم نعت الرسول وقيل المراد به تحريفهم بسوء التأويل ونسوا حظا ما ذكروا به أي ونسوا نصيبا مما ذكروا به والحظ النصيب
ولا تزال تطلع على خائنة منهم قيل الخائنة الخيانة فاعل بمعنى المصدر مثل القائلة بمعنى القيلولة هذا قول قتادة وقال مجاهد معناه فرقة خائنة لأن الآية في اليهود فيستقيم هذا التقدير ولا تزال تطلع على قوله خائنة منهم إلا قليلا منهم يعني الذين أسلموا مثل عبد الله بن سلام وجماعة
فاعف عنهم واصفح أي أعرض عنهم ولا تتعرض لهم وقيل صار هذا منسوخا أيضا بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله في سورة التوبة إن الله يحب المحسنين
قوله تعالى ـ ومن الذين قالوا إنا نصارى ومن اليهود والصحيح أن الآية في النصارى خاصة لأنه قد تقدم ذكر اليهود وقال الحسن البصري - رحمه الله - في هذا دليل على أنهم نصارى بتسميتهم لا بتسمية الله - تعالى - أخذنا

ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به هو كما بينا في اليهود فأغرينا أي أوقعنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة والإغراء أصله الإلصاق ومنه الغراء

تفسير السمعاني ج:2 ص:22
تفسير السمعاني ج 2/ص 23

---

13 ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأغيرنا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
14 يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين 15 يهدي به ومعناه ألصقنا بهم العداوة حتى صاروا فرقا وأحزابا منهم اليعقوبية والملكائية والنسطورية وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون
قوله تعالى ـ يا أهل الكتاب والمراد به أهل الكتابين التوراة والإنجيل لكن ذكر الكتاب وهو اسم الجنس فينصرف إلى الفريقين قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب يعني اللذين أخفوا من نعت محمد وآية الرجم ونحو ذلك ويعفو عن كثير يعني يعرض عن كثير مما أخفوا فلا يتعرض له قد جاءكم من الله نور قيل هو الإسلام وسمي نور لأنه يهتدى به كما يهتدي بالنور وقيل محمد وسمي نورا لأنه يتبين به الأشياء كما يتبين بالنور وكتاب مبين هو القرآن
قوله تعالى ـ يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام أي يهدي به الله سبل السلام من اتبع رضوانه قال السدي السلام هو الله - تعالى - وسبل السلام طريق الله - تعالى - وقال السلام هو السلامة كاللذاذ واللذاذة بمعنى واحد والمراد به طرق السلامة
ويخرجهم من الظلمات إلى النور يعني من الكفر إلى الإسلام وسمي الكفر ظلمة لأنه يتحير في الظلمة وسمي الإسلام نورا لما بينا ويهديهم إلى صراط مستقيم قيل هو الإسلام وقيل هو القرآن
و قوله تعالى ـ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قيل هذا قول اليعقوبية من النصارى قالوا إن المسيح إله وقيل إنهم لما قالوا المسيح ابن

تفسير السمعاني ج:2 ص:23
تفسير السمعاني ج 2/ص 24

الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم 16 لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء الله ابن كل أحد يكون من جنسه فكأنهم قالوا المسيح هو الله

قل فمن يملك من الله شيئا أي فمن يقدر أن يدفع أمر الله إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعا ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير فيه إشارة إلى أن المستحق للألوهية من له ملك السموات ومن له هذه القدرة فإياه فاعبدوا

قوله تعالى ـ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه يعني أن الله كالأب لنا في الحنو والعطف ونحن كالأبناء في القرب والمنزلة وقال إبراهيم النخعي - في اليهود - إنهم وجدوا في التوراة يا أبناء أحبارى فبدلوا وقرءوا يا أبناء أبكارى فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله وأحباؤه وأما في النصارى فإنهم حكوا عن عيسى انه قال أذهب إلى أبي وأبيكم فمن ذلك قالوا نحن أبناء الله

قل فلم يعذبكم بذنوبكم يعني أن الأب لا يعذب ابنه والحبيب لا يعذب حبيبه أي فلم يعذبكم الله بذنوبكم وهو على زعمكم أبوكم وحبيبكم ثم قال بل أنتم بشر ممن خلق أي آدميون من جملة الخلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير

قوله تعالى ـ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أي على انقطاع من الرسل واختلفوا في زمان الفترة قال أبو عثمان النهدي زمان الفترة بين عيسى ومحمد وكان ستمائة سنة وقيل خمسمائة سنة وإنما سماه زمان الفترة لأن الرسل كانوا بعد موسى تترى من غير انقطاع ولم يكن بعد عيسى رسول سوى محمد أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير قال الكوفيون معناه أن لا تقولوا وقال البصريون معناه كراهة أن تقولوا وهو

تفسير السمعاني ج:2 ص:24
تفسير السمعاني ج 2/ص 25
قدير 17 وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير 18 يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد

جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير 19 وإذ قال موسى لقومه يا قوم كالقولين في قوله يبين الله لكم أن تضلوا فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير
قوله تعالى ـ وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء أي منكم أنبياء وجعلكم ملوكا قال ابن عباس يعني أصحاب خدم وحشم قال قتادة لم يكن لمن قبلهم خدم وحشم فلما كان لهم خدم كانوا ملوكا قال مجاهد معناه لا يدخل عليكم إلا بإذنكم ومن لا يدخل عليه إلا بإذنه فهو ملك وروى أبو سعيد الخدري عن النبي أنه قال من كان له في بني إسرائيل خادم وامرأة ودابة كان ملكا وروى أن رجلا جاء إلى عبد الله بن عمرو بن العاص قال أنا من فقراء المهاجرين فقال ألك مسكن تأوي إليه قال نعم فقال ألك امرأة تسكن إليها قال نعم فقال أنت من الأغنياء قال الرجل ولي خادم يخدمني فقال أنت من الملوك

وقال السدي - في المتقدمين - معناه وجعلكم ملوكا تملكون أمر أنفسكم وخلصكم من استعباد فرعون وقال المؤرج أراد به وجعلكم أخيارا والملوك الأخيار بلغة هذيل وكنانة
وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين يعني من المن والسلوى وانفجار الحجر وتظليل الغمام ونحو ذلك

تفسير السمعاني ج:2 ص:25
تفسير السمعاني ج 2/ص 26
اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين 20 يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين 21 قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين
قوله تعالى ـ يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم قيل هي دمشق وفلسطين وبعض الأردن وقال قتادة هي جميع الشام وقيل هي بيت المقدس وأرض الطور
وقوله كتب الله لكم أي وهب الله لكم وقيل فرض الله لكم أن تدخلوها ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قوله تعالى ـ قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين الجبار هو كل عات يجبر الناس على مراده والله - تعالى - جبار يجبر الخلق على مراده وذلك منه حق وله مدح وأما الجبروت للخلق ذم وأصل الجبار المتعظم الممتنع عن الذل والقهر ومنه يقال نخلة جبارة إذا كانت طويلة ممتنعة على وصول الأيدي إليها وسمى أولئك القوم جبارين لطولهم وامتناعهم بقوة أجسادهم والقصة في ذلك أن هؤلاء كانوا في مدينة أريحا بالشام وكان

فيها ألف قرية في كل قرية ألف بستان وكان فيها العمالقة وبقية من قوم عاد وهي مدينة الجبارين

روى عكرمة عن ابن عباس أن موسى صلوات الله عليه كان قد بعث أولئك النقباء وهم اثنا عشر نقيبا إلى تلك المدينة ليتعرفوا أحوالهم فلما وصلوا إليها لقيهم رجل منهم فأخذهم جملة في كمه وأتى بهم إلى الملك ونثرهم بين يديه وقال هؤلاء الذين جاءوا ليقاتلونا فقال الملك ارجعوا وأخبروهم بما لقيتم فرجعوا

وفي بعض التفاسير أنهم أخذوا عنقودا من العنب وجعلوه على عمود بين رجلين حتى قدروا على حمله وأخذوا رمانتين وحملوهما على دابة كادت تعجز عن حملهما فلما رجعوا إلى بني إسرائيل خوفوهم وقالوا إنكم لا تقاومونهم إلا رجلين منهم يوشع بن نون وكالب بن يوقنا وذكرهما في الآية الأخرى وأما الباقون من بني إسرائيل خالفوا وامتنعوا من قتالهم وقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون

تفسير السمعاني ج:2 ص:26

تفسير السمعاني ج 2/ص 27

وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإنا داخلون 22 قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون

قوله تعالى ـ قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما هما يوشع وكالب قالا ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون وذلك باب كانوا عرفوا أنهم إذا دخلوا من ذلك الباب غلبوا ويقرأ في الشواذ قال رجلان من الذين يخافون - ضم الياء - فيكون معناه رجلان من أولئك العمالقة قيل أسلم رجلان منهم وقالا هذه المقالة وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين

قوله تعالى ـ قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها وهذا معلوم فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون قال الحسن كفروا بهذه المقالة وقال غيره بل فسقوا بمخالفة أمره وتقدير قوله فاذهب أنت وربك فقاتلا أي فاذهب أنت وليعنك ربك على القتال وفيه قول آخر أن معنى قوله فاذهب أنت وربك أي وكبيرك وأرادوا أخاه الأكبر هارون والعرب تسمي الكبير ربا قال الله - تعالى - في قصة يوسف إنه ربي أحسن مثواي أي كبيري وأراد به عزيز مصر ويحتمل

أنهم قالوا ذلك لموسى جهلا وغباوة ففسقوا به وروى ابن مسعود عن النبي أنه لما خرج يوم بدر قال له المقداد بن عمرو لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ولكن نقول سر أنت حيث شئت فإنا معك سائرون وروى أن الأنصار قالوا يا رسول الله لو ضربت بأكبادها إلى برك الغماد سرنا معك يعني بأكباد الإبل إلى برك الغماد وهو موضع قوله تعالى ـ قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي معناه لا أملك إلا

تفسير السمعاني ج:2 ص:27
تفسير السمعاني ج 2/ص 28
وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين 23 قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبدا ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون 24 قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين 25 نفسي وأخي لا يملك إلا نفسه وقيل معناه لا تطيعني إلا نفسي ولا يطيعني إلا أخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين أي فافصل بيننا و قيل معناه فاقض بيننا وبين القوم الفاسقين قوله تعالى ـ قال فإنها محرمة عليهم قيل ها هنا تم الكلام ومعناه أن الأرض المقدسة محرمة عليهم أبدا ولم يرد به تحريم تعبد وإنما أراد به تحريم منع فإنهم منعوا عنها فلم يدخلوها أبدا وإنما دخلها أولادهم وقيل الآية متصلة بعضها بالبعض

وإنما حرمت عليهم أربعين سنة كما قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض وقد أوقفهم الله - تعالى - في التيه عقوبة لهم على ما خالفوا وقيل إن أرض التيه التي تاه فيها بنو إسرائيل كانت ستة فراسخ في طول اثنى عشر فرسخا وكان عدد التائهين فيها ستمائة ألف قاموا فيها وكانوا كلما أمسوا من موضع للمسير فإذا أصبحوا أصبحوا على ذلك الموضع وكلما أصبحوا من موضع للمسير فإذا أمسوا أمسوا على ذلك الموضع وهكذا كل يوم إلى أن ماتوا فيها وقيل كان موسى وهارون فيهم وإنما توفيا في التيه وقيل لم يكونا فيهم وإنما كان ذلك عقوبة عليهم فلما ماتوا في التيه ونشأ أولادهم أقبل يوشع بن نون بأولادهم إلى الأرض المقدسة وحارب العمالقة ونصره الله تعالى عليهم حتى فتح تلك المدينة وكان يوم الجمعة وضاق النهار بهم فحبس الله - تعالى - الشمس ساعة حتى فتح المدينة ثم غربت الشمس من ليلة السبت إذ ما كان يجوز لهم عمل في السبت ففزع الله قلوبهم يوم الجمعة فهذا جملة الكلام في قوله أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس أي فلا تحزن على القوم الفاسقين

تفسير السمعاني ج:2 ص:28
تفسير السمعاني ج 2/ص 29
قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين 26 واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من
قوله تعالى ـ واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا قال ابن عباس وابن عمر ومجاهد أراد به ابنى آدم من صلبه هابيل وقابيل وقال الحسن أراد به رجلين من بني إسرائيل والأصح هو الأول

والقصة في ذلك قيل إن حواء كانت تلد كل بطن غلاما وجارية فولدت بطنا هابيل وأخته وولدت بطنا قابيل وأخته فأمر الله - تعالى - آدم أن يزوج أخت هابيل من قابيل وأخت قابيل من هابيل ولم يرض قابيل وقال أنا أحق بأختي وكانت أحسن من أخت هابيل وفي بعض التفاسير أن قابيل قال أنا أحق بأختي لأني من نسل الجنة وهابيل من نسل الأرض وقيل إن حواء علقت به في الجنة فمن ذلك قال إني من نسل الجنة فأمرهما آدم أن يقربا قربانا فكل من يقبل قربانه فهو أولى بتلك الأخت
وكان هابيل صاحب غنم وقابيل صاحب زرع فعمد هابيل إلى كبش من أحسن غنمه وعمد قابيل إلى أخبث زرعه ووضعاه موضعا فجاءت النار وأكلت قربان هابيل وكان ذلك علامة القبول يومئذ ولم تأكل قربان قابيل فهذا معنى قوله إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما يعني هابيل ولم يتقبل من الآخر يعني قابيل قال لأقتلنك حسده قابيل وقصده ليقتله فأجاب هابيل وقال إنما يتقبل الله من المتقين عن المعاصي وعن أبي الدرداء أنه قال لأن أعلم أن الله - تعالى - قبل صلاة من صلاتي أحب إلي من الدنيا وما فيها لأن الله - تعالى - يقول إنما يتقبل الله من المتقين قال قتادة المتقون أهل لا إله إلا الله

تفسير السمعاني ج:2 ص:29
تفسير السمعاني ج 2/ص 30
الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين 27 لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين 28 إني أريد أن تبوء بإثمي

قوله تعالى ـ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين قال الحسن ومجاهد كان من شرع آدم أن من قصد بالقتل فواجب عليه الكف عن الدفع والصبر على الأذى وكذا كان في شرع نبينا في الابتداء فأما قوله ما أنا بباسط يدي إليك يعني بالدفع وقيل لم يكن ذلك شرعا وإنما قال ذلك استسلاما للقتل وطلبا للأجر وهذا جائز لكل من يقصد قتله أن يستسلم وينقاد وكذا فعل عثمان ـ رضي الله عنه - وهو أحد قولي الشافعي وفيه قول ثالث أن المراد به لئن ابتدأت بقتلي ما أنا بمبتدئ بقتلك والصحيح آخر القولين
قوله تعالى ـ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين قال ابن عباس وابن مسعود معناه أن ترجع بإثم قتلي وإثم معاصيك التي سبقت فإن قابيل كان رجل سوء وقيل كان كافرا وقيل هو أحد اللذين ذكرهما الله - تعالى - في حم السجدة وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس فالذي من الجن إبليس والذي من الإنس قابيل وقال مجاهد معنى قوله أن تبوء بإثمي وإثمك أن ترجع بإثم قتلي وإثم معصيتك التي لم يتقبل لأجلها قربانك أو إثم حسدك إياي وهذا اختيار الزجاج وقال ابن كيسان إنما قال ذلك على طريق التمثيل يعني لو قتلت أنا كان علي الإثم ولو قتلت أنت كان عليك الإثم فأنا لا أقتل حتى تقتل أنت فتبوء بالإثمين فيكون كلا الإثمين عليك فإن قال قائل كيف قال أريد أن تبوء بإثمي وإثمك وإرادة القتل والمعصية لا تجوز أجابوا عنه من وجوه أحدها قالوا ليس ذلك بحقيقة إرادة ولكنه لما علم أنه يقتله لا محالة ووطن نفسه على الاستسلام طلبا للثواب

تفسير السمعاني ج:2 ص:30
تفسير السمعاني ج 2/ص 31

وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين 29 فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين 30 فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف فكأنه مريد لقتله مجازا وإن لم يكن مريدا حقيقة وقيل معناه إني أريد أن تبوء بعقاب قتلي وعقاب قتلك فتكون إرادة على موافقة حكم الله - تعالى - فيه ولا تكون إرادة للقتل بل لموجب القتل من الإثم والعقاب وفيه قول ثالث أن معناه إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فكأنه كان يمنعه عن القتل وأراد ترك القتل كيلا يبوء بالإثم
قوله تعالى ـ فطوعت له نفسه قتل أخيه قال مجاهد فشجعت له نفسه وقال قتادة زينت له نفسه وقيل سهلت وانقادت له نفسه ومنه يقال ظبية أطاعت لها أصول الشجرة أي انقادت لأكلها

فقتله فأصبح من الخاسرين أي خسر بقتله الدنيا والآخرة أما الدنيا لأنه أسخط والديه وبقي بلا أخ وأما الآخرة لأنه أسخط ربه واستوجب النار
والقصة في قتله إياه أنه لما أراد قتله لم يعرف كيف يقتله فجاء إبليس بحجر وقال اشدخ به رأسه ففي رواية أنه رماه بذلك الحجر وهو مستسلم له فشدخ رأسه وفي رواية أخرى اغتاله في النوم وشدخ رأسه فقتله وشربت الأرض دمه فلما جاء إلى آدم قال له أين هابيل فقال أجعلتني رقيبا عليه ما أدري قال له آدم إن الأرض تصرخ بدمه إلي ثم لعن الأرض التي شربت دمه فلا تشرب الأرض بعد ذلك دما إلى يوم القيامة وبكى آدم عليه كثيرا وأنشأ يقول
تغيرت البلاد ومن عليهاووجه الأرض مغبر قبيح
تغير كل ذي لون وطعم
وقل بشاشة الوجه المليح
وهذا أول قتل جرى في بني آدم وفي الخبر ما من رجل يقتل إلى يوم القيامة إلا وعلى ابن آدم كفل منه فإنه أول من سن القتل

تفسير السمعاني ج:2 ص:31
تفسير السمعاني ج 2/ص 32

يواري سوءة أخيه قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين 31 من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير
قوله تعالى ـ فبعث الله غرابا يبحث في الأرض في القصص أن قابيل لما قتله رجع إليه وأخذه وجعله في جراب وحمله على عاتقه أربعين يوما وقال ابن عباس سنة كاملة قال مجاهد مائة سنة حتى أنتن على عاتقه وما كان يعرف مواراته فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم إن القاتل منهما بحث في الأرض ليواري الثاني وقيل كان ملكا على صورة غراب يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه أي جيفة أخيه وقيل عورة أخيه لأنه كان قد سلبه ثيابه
قال يا ويلتي وهذه كلمة دعاء الهلاك أعجزت أن أكون أضعفت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين فإن قال قائل هل كان ندمه على القتل توبة منه
قيل لم يكن ندم على القتل وإنما معناه أنه أصبح من النادمين على حمله على عاتقه والتطواف به لما لحقه من التعب فيه وقيل إنما ندم لقلة النفع بقتله فإنه أسخط والديه وما نفع بقتله شيئا فندم على ذلك لا أنه ندم على القتل وفي القصة أنه لما قتله استوحش من الناس وكان كلما لقي إنسانا ظن أنه يأتي

ليقتله فهرب منه وكان هكذا أبدا حتى قتله بعض أولاده
قوله تعالى ـ من أجل ذلك أي من خيانة ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض قرأ الحسن أو فساد في الأرض تقديره بغير نفس وبغير أن عمل فسادا في الأرض والمعروف أو فساد في الأرض وتقديره بغير نفس وبغير فساد في الأرض من كفر أو زنا ونحوه

تفسير السمعاني ج:2 ص:32
تفسير السمعاني ج 2/ص 33

نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون 32 إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو يوجب إباحة قتله على ما قاله لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس فكأنما قتل الناس جميعا قال ابن عباس معناه من قتل نفسا بغير نفس فقد أوبق نفسه كما إذا قتل الناس جميعا فقد أوبق نفسه ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا أي ومن امتنع عن قتل واحد من الناس فيكون كأنه أحيا الناس جميعا وقال قتادة معناه من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا من الإثم ومن أحياها أي تعفف وامتنع عن قتلها فكأنما أحيا الناس جميعا في الثواب وقيل معناه من قتل نفسا فكأنما قتل الناس جميعا على معنى أن جميع الناس خصماؤه فيه ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا على معنى أنهم يشكرونه ويحمدونه على العفو أو ترك القتل
ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون
قوله تعالى ـ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض
قال ابن عباس الآية في قوم من المشركين كان بينهم وبين النبي عهد فنقضوا العهد وسعوا في الأرض بالفساد وقال أنس الآية في رهط من عرينة أتوا النبي ووجوههم مصفرة وبطونهم منتفخة فبعثهم رسول الله إلى إبل الصدقة ليشربوا من أبوالها وألبانها ففعلوا فلما صحوا قتلوا الراعي واستاقوا الذود فبعث سول الله في طلبهم فأدركوهم فأتي بهم إلى النبي فقتل بعضهم وقطع بعضهم من خلاف وسمل أعين بعضهم وتركهم في الحرة حتى

تفسير السمعاني ج:2 ص:33

تفسير السمعاني ج 2/ص 34
تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم 33 إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله ماتوا وفيهم نزلت الآية إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله قيل معناه يحاربون أولياء الله وقيل هو صحيح في العربية فإن من عصى غيره فقد حاربه فهؤلاء إذا عصوا الله ورسوله فكأنهم حاربوا الله ورسوله ويدخل في جملتهم كل العاصين وقطاع الطريق وغيرهم
وقوله أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم اختلفوا فيه أنه على الترتيب أم على التخيير قال ابن عباس - في رواية وهو قول الحسن وقتادة وإبراهيم النخعي ومجاهد - إنها على التخيير فيخير الإمام في فعل هذه الأشياء
القول الثاني - وهو الرواية الثانية عن ابن عباس وبه قال أبو مجلز لاحق بن حميد - إنه على الترتيب فإن قتلوا قتلوا وصلبوا وإن أخذوا المال قطعوا من خلاف وإن جمعوا بين الأخذ والقتل قطعوا وقتلوا إن أخافوا السبيل ولم يأخذوا المال ولم يقتلوا ينفوا من الأرض
ثم اختلفوا في النفي قال الزهري إن الإمام يطلبه في كل بلد يؤخذ وينفى عنه وهكذا في كل بلد يذكر به يطلب فينفى عنه وهذا قول الشافعي
وقال عمر بن عبد العزيز إنه ينفى من جميع بلاد الإسلام وقال أهل الكوفة النفي من الأرض هو الحبس والحبس نفي من الأرض قال الشاعر يصف قوما محبوسين
خرجنا من الدنيا ونحن من أهلهافلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى
إذا جاءنا السجان يوما لحاجة
عجبنا وقلنا جاء هذا من الدنيا
ذلك لهم خزي في الدنيا أي فضيحة ونكال ولهم في الآخرة عذاب عظيم إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم قال ابن عباس معناه إلا

تفسير السمعاني ج:2 ص:34
تفسير السمعاني ج 2/ص 35

غفور رحيم 34 يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون 35 إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا الذين أسلموا لأنه حمل الآية الأولى على المشركين وقيل هو على حقيقة التوبة فإذا تاب قطاع الطريق قبل الظفر بهم أمنهم الإمام وهذا محكي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - فإنه أمن حارثة بن بدر لما قطع الطريق ثم تاب قبل قدرته عليه وقيل إنما تنفعه التوبة من حقوق الله - تعالى - فأما حق الآدمي من القود والمال فلا يسقط بالتوبة وهذا قول الشافعي وقوله من قبل أن تقدروا عليهم خطاب للأئمة أي من قبل الظفر بهم فاعلموا أن الله غفور رحيم

قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة الوسيلة القربة وقيل هو معنى ما ورد في الخبر الوسيلة درجة في الجنة ليس فوقها درجة وقال زيد بن أسلم أراد به تحببوا إلى الله - تعالى - فالوسيلة بمعنى المحبة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون

قوله تعالى ـ إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعا ومثله معه ليفتدوا به أي لو كانوا مفتدين به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم وفي الخبر يقول الله - تعالى - للكافر يوم القيامة لو كان لك ملء الأرض ذهبا أكنت مفتديا به اليوم فيقول بلى يا رب فيقول الله - تعالى - سئلت أهون من هذا

تفسير السمعاني ج:2 ص:35

تفسير السمعاني ج 2/ص 36

به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب أليم 36 يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم 37 والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم 38 فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح

قوله تعالى ـ يريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم فإن قيل إذا لم يكونوا خارجين منها كيف يريدون الخروج قيل يريدون ذلك جهلا ظنا أنهم يخرجون

وقيل يتمنون ذلك فهي إرادة بمعنى التمني وليس بحقيقة الإرادة

قوله تعالى ـ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما وفي مصحف ابن مسعود فاقطعوا أيمانهما وهو معنى القراءة المعروفة فإن قال قائل كيف قال أيديهما والمذكور اثنان ولم يقل يديهما قيل لم يرد به سارقا واحدا أو سارقة واحدة وإنما ذكر الجنس فلذلك ذكر الأيدي قال الفراء والزجاج كل ما يوحد في

الإنسان فإذا ذكر منه اثنان يجمع يقول الله - تعالى - فقد صغت قلوبكما وتقول العرب ملأت ظهورهما وبطونهما ضربا ولكل واحد ظهر وبطن واحد فكذلك اليمين للإنسان واحدة فيجمع عند التثنية فإن قيل قد أمر هنا بقطع آلة السرقة ولم يأمر في الزنا بقطع آلة الزنا فما الحكمة فيه قيل كلاهما ثبت شرعا غير معقول المعنى وقيل الحكمة فيه أن من قطع الذكر قطع النسل وليس ذلك في قطع اليد أو لأن اليد إذا قطعت وانزجر عن السرقة تبقى له اليسار عوضا عن اليمين وأما الذكر إذا قطع وحصل الانزجار لا يبقى له عوض عن الذكر فلذلك افترقا جزاء بما كسبا نكالا من الله النكال كل عقوبة تمنع الإنسان عن فعل ما عوقب عليه والله عزيز حكيم ومعناه مقتدر على معاقبة الخلق حكيم فيما أوجب من العقوبة وحكى عن الأصمعي أنه قال قد كنت أقرأ هذه الآية وبجنبي أعرابي فقرأت نكالا من الله والله غفور رحيم فقال الأعرابي هذا كلام من فقلت كلام الله فقال الأعرابي ليس هذا من كلام الله

تفسير السمعاني ج:2 ص:36
تفسير السمعاني ج 2/ص 37

فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم 39 ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير 40 يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن فتنبهت وقرأت نكالا من الله والله عزيز حكيم فقال الأعرابي هذا كلام الله ثم سألته عن ذلك فقال إن الله لا يذكر العقوبة على العبد ثم يقول والله غفور رحيم وإنما يليق بذكر العقوبة العزيز الحكيم
قوله تعالى ـ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم قال مجاهد قطع السارق توبته فإذا قطع فقد حصلت التوبة والصحيح أن القطع للجزاء على الجناية كما قال جزاء بما كسبا فلا بد من التوبة بعده وتوبته الندم على ما مضى والعزم على تركه في المستقبل
قوله تعالى ـ ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض الخطاب مع الرسول والمراد به الجميع وقيل معناه ألم تعلم أيها الإنسان فيكون خطابا لكل واحد من الناس يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء قال ابن عباس يعذب من يشاء على الصغيرة ويغفر لمن يشاء الكبيرة وقال غيره يعذب من يشاء من مات مصرا ويغفر لمن يشاء من مات تائبا والله على كل شيء قدير
قوله تعالى ـ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر أي لا يحزنك مسارعتهم في الكفر فإن قيل كيف لا يحزنه كفرهم والإنسان يحزن على كفر الغير ومعصيته شفقة على الدين قيل معناه لا يحزنك فعل الذين يسارعون في

الكفر على معنى أن فعلهم لا يضرك
من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم يعني المنافقين
ومن الذين هادوا سماعون للكذب يعني اليهود سماعون للكذب أي وهم سماعون للكذب أي قائلون للكذب كقول المصلي سمع الله لمن حمده أي قبل الله لمن حمده وقال الزجاج معناه سماعون لأجل الكذب فإنهم كانوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:37
تفسير السمعاني ج 2/ص 38
قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد يسمعون من الرسول ويخرجون ويكذبون سماعون لقوم آخرين لم يأتوك أي جواسيس لقوم آخرين لم يأتوك وهم أهل خيبر يصف المنافقين واليهود وأما المنافقون كانوا جواسيس اليهود وأما اليهود كانوا جواسيس لأهل خيبر وسئل سفيان هل في القرآن للجاسوس ذكر
فقال بلى وقرأ هذه الآية
يحرفون الكلم من بعد مواضعه أي من بعد ما وضعه الله مواضعه وتحريفهم الكلم هو كتمان آية الرجم
ويقولون إن أويتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا
سبب نزول الآية هذه أن يهوديين زنيا من أشراف اليهود فكرهوا رجمهما فقالوا نبعث إلى محمد نسأله فإن أفتى بالجلد وتحميم الوجه نأخذ به وإن أفتى بغيره لا نأخذ به فهذا معنى قوله إن أوتيتم هذا يعني ما توافقوا عليه من الجلد والتحميم فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا أي إن أفتى بالرجم فلا تأخذوا به وقيل إن هذا كان في يهود خيبر فبعثوا إلى يهود المدينة حتى يسألوه فسألوا رسول الله فأفتى بالرجم وتمام القصة أنه - عليه السلام - دعا ابن صوريا الأعور وقال أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ما حد الزنا في كتابكم فقال أما إنك إذا أنشدتني بالله فحد الزنا في كتابنا الرجم لكن كثر الزنا في أشرافنا فكنا إذا زنى الشريف منا تركناه وإذا زنا الوضيع رجمناه ثم اتفقنا على أمر يستوي فيه الشريف والوضيع وهو الجلد والتحميم فقال أنا أحق بإحياء سنة أماتوها ودعا باليهوديين اللذين زنيا وأمر برجمهما والحديث في

تفسير السمعاني ج:2 ص:38
تفسير السمعاني ج 2/ص 39

الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم 41 سماعون للكذب أكالون للسحت صحيح مسلم
وفي الآية قول آخر أنها في القتل والقصة في ذلك أن بني النضير كان لهم قتل على بني قريظة وكان القرظي إذا قتل يسأل محمدا فإن أفتى بالدية يأخذ به وإن أفتى بغيرها يحذره فسألوه فأفتي بالقود فهذا معنى قوله إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا والأول أصح ومن يرد الله فتنته قال السدي ضلالته وقال الحسن عذابه وقال الزجاج فضيحته فلن تملك له من الله شيئا أي فلن تقدر على دفع أمر الله فيه
أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم وفيه دليل على من ينكر القدر لهم في الدنيا خزي ويرجع هذا إلى المنافقين واليهود أما خزي المنافقين أنه أظهر نفاقهم في الدنيا وأما خزي اليهود أنه بين تحريفهم ولهم في الآخرة عذاب عظيم
قوله تعالى ـ سماعون للكذب ذكره ثانيا مبالغة وتأكيدا أكالون للسحت قال ابن مسعود هو الرشوة والسحت الحرام قال كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به وأصل السحت الاستئصال فالحرام سحت لأنه يستأصل البركة قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:2 ص:39
تفسير السمعاني ج 2/ص 40
فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط إن الله يحب المقسطين 42 وكيف يحكمونك وعندهم التوارة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين 43 إنا
وعض زمان يا بن مروان لم يدعمن المال إلا مسحت أو مجلف

يعني إلا مال لا بركة فيه وأشياء قلائل فإن جاءوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم قال ابن عباس هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما أنزل الله وبه قال مجاهد وعكرمة وقال الشعبي والنخعي - وهو قول الحسن - إنها ليست بمنسوخة قال الحسن ليس في المائدة آية منسوخة وقالوا معنى قوله وأن احكم بينهم بما أنزل الله يعني إن حكمت واخترت الحكم وليس بأمر حتم هذا التخيير بين الحكم والإعراض فيما إذا تحاكم ذميان فأما إذا تحاكم مسلم وذمي يجب

الحكم
وقيل هذا التخيير في الحكم بحقوق الله - تعالى - وأما في حقوق الآدميين فلا بد من الحكم
وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا وإن حكمت فاحكم بينهم بالقسط أي بالعدل إن الله يحب المقسطين
قوله تعالى ـ وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله هذا تعجيب للرسول يعني كيف يتحاكمون إليك وفي زعمهم أن عندهم التوراة وهي الحق وأنك كاذب
ثم يتولون من بعد ذلك أي لا يرضون بحكمك وما أولئك بالمؤمنين أي بمصدقين لك
قوله تعالى ـ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا أي أسلموا لأمر الله كما قال لإبراهيم أسلم قال أسلمت لرب

تفسير السمعاني ج:2 ص:40
تفسير السمعاني ج 2/ص 41

أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون العالمين أي سلمت لأمر رب العالمين وأراد به النبيين الذين بعثوا بعد موسى ليحكموا على حكم التوراة وقوله للذين هادوا فيه تقديم وتأخير وتقديره فيها هدى ونور للذين هادوا ثم قال يحكم بها النبيون الذين أسلموا والربانيون وقيل هو على موضعه ومعناه يحكم بها النبيون الذين أسلموا على الذين هادوا وهو مثل قوله أولئك لهم اللعنة أي عليهم اللعنة وقال لعائشة اشترطي لهم الولاء أي عليهم الولاء كذا قال النحاس وقيل فيه حذف كأنه قال للذين هادوا على الذين هادوا فحذف أحدهما اختصارا والربانيون قال أبو رزين هم العلماء الحكماء وأصل الرباني رب العلم فزيد فيه الألف والنون للمبالغة وقيل الربانيون من النصارى والأحبار من اليهود وقيل كلاهما من اليهود والربانيون فوق الأبار قال المبرد والأحبار مأخوذ من التحبير وهو التحسين ومنه الحديث يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره أي حسنه وجماله وقيل هو من التحبير بمعنى التأثير ومنه الحبر فسمى العالم حبرا لتأثير علمه فيه وفي غيره كأنه العالم العامل والحبر والحبر واحد وجمعه الأحبار قال الفراء وأكثر ما سمعت الحبر - بكسر الحاء - وجمعه أحبار
ما استحفظوا أي بما استودعوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا

تفسير السمعاني ج:2 ص:41
تفسير السمعاني ج 2/ص 42

ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون 44 وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون 45
ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال البراء بن عازب - وهو قول الحسن - الآية في المشركين قال ابن عباس الآية في المسلمين وأراد به كفر دون كفر واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية ويقولون من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر وأهل السنة قالوا لا يكفر بترك الحكم وللآية تأويلان أحدهما معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا وجحدا فأولئك هم الكافرون والثاني معناه ومن لم يحكم بكل ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون والكافر هو الذي يترك الحكم بكل ما أنزل الله دون المسلم
قوله تعالى وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص ويقرأ بقراءتين من قوله والعين بالعين فيقرأ بالنصب إلى آخره ويقرأ بالرفع
شرع القصاص في النفس والأطراف في هذه الآية وأشار إلى أنه كان حكم التوراة فمن تصدق به يعني بالعفو عن القصاص فهو كفارة له اختلفوا في أن كناية الهاء راجعة إلى من قال ابن مسعود وعبد الله بن عمرو بن العاص هو راجع إلى المجروح يعني العفو وقال ابن عباس هو راجع إلى الجارح كأنه جعل العفو كالاستيفاء منه فيكون كفارة له كما لو اقتص منه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون
قوله تعالى ـ وقفينا على آثارهم يعني أتبعنا على آثارهم وأراد به النبيين الذين أسلموا بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوارة يعني عيسى مصدقا بالتوراة

تفسير السمعاني ج:2 ص:42
تفسير السمعاني ج 2/ص 43

وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين 46 وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون 47 وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم

وآتينا الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا يعني الإنجيل لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين

قوله تعالى ـ وليحكم أهل الإنجيل يعني وقلنا وليحكم أهل الإنجيل ما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون

قوله تعالى ـ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق يعني القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتاب يعني سائر الكتب المنزلة قبله ومهيمنا عليه قال ابن عباس أي أمينا عليه قال المبرد أصله مؤيمنا فقلبت الهمزة هاء كما يقال أرقت الماء وهرقته ومعناه الأمين وقيل معناه شاهدا عليه وقال أبو عبيدة أي رقيبا حافظا والمعاني متقاربة ومعنى الكل أن كل كتاب يصدقه القرآن ويشهد بصدقه فهو كتاب الله وما لا فلا وقرأ مجاهد ومهيمنا بفتح الميم يعني محمد مؤيمنا عليه وفي الأثر أن عمر - رضي الله عنه - قال إذا دعوت الله فهيمنوا أي أمنوا قال الشاعر

ألا إن خير الناس بعد محمدمهيمنه تاليه في العرف والنكر

أراد أبا بكر أمينة وحافظه يتلوه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق أي لا تعرض عما جاءك وتتبع أهواءهم

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فالشرعة الطريق الواضح وكذلك المنهاج قال المبرد الشرعة ابتداء الطريق والمنهاج الطريق المستمر واعلم أن الشرائع مختلفة ولكل قوم شريعة فلأهل التوراة شريعة ولأهل الإنجيل شريعة ولأهل الإسلام شريعة وأما الدين في الكل واحد وهو التوحيد

تفسير السمعاني ج:2 ص:43

تفسير السمعاني ج 2/ص 44

بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون 48 وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما

ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم أي ليختبركم فيما آتاكم

فاستبقوا الخيرات فبادروا إلى الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم في تختلفون
قوله تعالى ـ وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك قيل سبب نزول الآية أن قوما من رؤساء اليهود جاءوا إلى النبي وقالوا يا محمد لو آمنا بك آمن بك غيرنا ولنا خصومات بين الناس فاقض لنا عليهم نؤمن بك ويتبعنا غيرنا ولم يكن قصدهم الإيمان به وإنما قصدوا التلبيس ودعوته إلى الحكم بالميل فنزلت الآية
واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فإن أعرضوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وقيل معناه بكل ذنوبهم فعبر بالبعض عن الكل وقيل معناه يصيبهم ببعض ذنوبهم في الدنيا وإن كثيرا من الناس لفاسقون
وقوله أفحكم الجاهلية يبغون يقرأ بالياء والتاء ومعناهما واحد يعني أنهم إذا لم يرضوا بحكم الله وأرادوا خلاف حكم الله فقد طلبوا حكم الجاهلية وقرأ الحسن وقتادة والأعمش والأعرج أفحكم الجاهلية بمعنى الحاكم يبغون يطلبون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض قيل نزلت في عبادة بن الصامت وعبد الله بن أبي سلول

تفسير السمعاني ج:2 ص:44
تفسير السمعاني ج 2/ص 45
يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيرا من الناس لفاسقون 49 أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون 50 يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن اختصما فقال عبادة أنا أتبرأ من اليهود ولا أتولاهم وقال عبد الله بن أبي أنا أتولاهم ولا أتبرأ منهم فإني أخشى الدوائر فنزلت الآية وقيل نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر بعثه النبي إلى بني قريظة حين حاصرهم فاستشاروا في النزول وقالوا ماذا يصنع بنا إذا نزلنا فأشار إليهم بالقتل وجعل أصبعه على حلقه يعني يقتلكم متنصحا لهم وقيل نزلت في يوم أحد فإنه لما انقضى حرب أحد وأصاب المسلمين ما أصابهم قال بعض أهل المدينة نحن نتولى اليهود وقال بعضهم نتولى النصارى فإنا نخشى أن لا يتم أمر محمد وأن يدور الأمر علينا فنزلت الآية لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين
قوله تعالى ـ فترى الذين في قلوبهم مرض أي نفاق يسارعون فيهم يعني في معونتهم وموالاتهم وفيه حذف كما قال الله - تعالى - واسأل القرية أي أهل

القرية يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة قال ابن عباس معناه نخشى أن لا يتم أمر محمد فيدور الأمر علينا وقال غيره معناه نخشى أن يكون قحط فلا يتفضلوا علينا بالثمار إذ كانت اليهود أصحاب النخيل والثمار والأول أصح فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده قيل أراد به فتح مكة وقيل هو فتح قرى اليهود مثل خيبر وفدك وتيما ووادي القرى أو أمر من عنده قيل هو إتمام أمر محمد وقيل هو إجلاء بني النضير وقيل قتل بني قريظة وقيل

تفسير السمعاني ج:2 ص:45
تفسير السمعاني ج 2/ص 46
الله لا يهدي القوم الظالمين 51 فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين 52 ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد هو الإخبار بأسماء المنافقين ليفتضحوا فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ويقول الذين آمنوا يعني لليهود حين انكشف حال المنافقين أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه وقرأ أهل المدينة والشام من يرتدد والمعنى واحد فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قال علي والحسن نزل هذا في أبي بكر وأصحابه وكان الحسن يحلف على هذا أنه نزل في أبي بكر وأصحابه وذلك أن النبي لما خرج إلى رحمة الله ارتدت العرب ولم يبق الإسلام إلا في ثلاثة مساجد مسجد مكة ومسجد المدينة ومسجد البحرين فهم أبو بكر بالقتال وكره الصحابة ذلك وقالوا إن بعضهم منع الزكاة ولم يتركوا الصلاة وقال أبو بكر والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة وقيل إنه سل سيفه وخرج وحده وقال أقاتل وحدي ثم وافقه الصحابة قال ابن مسعود كرهنا ذلك لك في الابتداء ثم حمدناه عليه في الانتهاء قال أبو بكر بن عياش سمعت أبا حصين يقول ما ولد مولود بعد النبيين أفضل من أبي بكر لقد قام مقام نبي من الأنبياء يعني في قتال أهل الردة وردهم إلى الإسلام
وروى عياض الأشعري أن النبي قرأ هذه الآية فسوف يأتي الله بقوم وأشار إلى أبي موسى الأشعري وقال هذا وأصحابه وكانوا من أهل اليمن

تفسير السمعاني ج:2 ص:46
تفسير السمعاني ج 2/ص 47

(2/41)

أيمانهم إنهم لمعكم حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين 53 يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على ولأهل اليمن أمر عظيم في الفتوح التي وقعت في الإسلام وقد صح عن النبي أنه قال الإيمان يمان والحكمة يمانية وقيل أراد بالآية قوما كان أكثرهم من أهل اليمن فتحوا القادسية في زمان عمر والأول أصح أذلة على المؤمنين ليس من الذل وإنما هو من الذلة وهي اللين وقوله أعزة على الكافرين ليس من العز وإنما هو من العزة وهي الشدة يعني أن جانبهم لين على المؤمنين شديد على الكافرين وقرأ ابن مسعود أذلة على المؤمنين غلظاء على الكافرين وهي معنى القراءة المعروفة
يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم يعني لا يخافون في الله لوم الناس وروى ابن مسعود عن النبي أنه قال من أراد الجنة لا شك فلا يخاف في الله لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم
قوله تعالى ـ إنما وليكم الله ورسوله هذا راجع إلى قوله لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لما منعهم من موالاة اليهود والنصارى دعاهم إلى موالاة الله ورسوله
والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون يعني مصلون إلا أنه خص الركوع تشريفا وقيل معناه خاضعون وقال السدي - وهو رواية عن مجاهد - إن هذا أنزل في علي بن أبي طالب كان في الركوع ومسكين

تفسير السمعاني ج:2 ص:47
تفسير السمعاني ج 2/ص 48

(2/42)

الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم 54 إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون 55 ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله يطوف في المسجد فنزع خاتمه ودفع إليه فهذا معنى قوله ويؤتون الزكاة وهم راكعون وعن أبي جعفر محمد بن علي الباقر أنه قال نزلت الآية في المؤمنين فقيل له إن قوما يقولون إن الآية نزلت في علي بن أبي طالب فقال أبو جعفر علي من المؤمنين
وقوله إنما وليكم الله ورسوله أراد به الولاية في الدين لا ولاية الإمارة والسلطنة وهم فوق كل ولاية قال أبو عبيدة وكذلك معنى قوله من كنت مولاه

فعلي مولاه يعني من كنت وليا له أعينه وأنصره فعلي يعينه وينصره في الدين
قوله ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون أي جند الله هم الغالبون قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا هذا في اليهود كانوا إذا سمعوا المؤذن ضحكوا وتغامزوا بينهم من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والكفار سائر الكفرة أولياء أي لا تتخذوا هؤلاء أولياء وقرأ الكسائي وأبو عمرو والكفار بكسر الراء يعني ومن الكفار وكذا في حرف أبي بن كعب ومن الكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين
وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا هذا بيان لاتخاذهم الدين هزوا في الآية الأولى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون

تفسير السمعاني ج:2 ص:48
تفسير السمعاني ج 2/ص 49

هم الغالبون 56 يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين 57 وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بأنهم قوم لا يعقلون 85 قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم
و في الحكايات أن واحدا من المنافقين يقال له ضمرة سمع المؤذن يؤذن فقال حرق الله الكاذب فجاءه خادمه بسراج في بعض تلك الليالي فوقعت شرارة من السراج ولم يشعر به فاحترق هو وما في البيت
قوله تعالى ـ قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا أي هل تكرهون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون أي هل تنقمون منا إلا بإيماننا وفسقكم قال الشاعر
ما نقموا من بني أمية إلاأنهم يحملون إن غضبوا
وأنهم سادة الملوك
ولا يصلح إلا عليهم العرب
أي كرهوا من بني أمية
قوله تعالى ـ قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله أي قل هل أخبركم بشر من ذلك ثوابا وعاقبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه يعني اليهود وجعل منهم القردة والخنازير قيل جعل القردة القردة من اليهود والخنازير من النصارى فالذين جعلهم قردة من اليهود أصحاب السبت والذين جعلهم خنازير من النصارى أصحاب المائدة وقيل كلاهما من اليهود فجعل شبانهم قردة وشيوخهم خنازير وعبد الطاغوت أي ومن عبد الطاغوت يعني من لعنه الله

ومن عبد الطاغوت وقرأ حمزة وعبد الطاغوت بضم الباء في عبد وكسر التاء في الطاغوت والمعنى واحد قل الشاعر
أبني لبينى إن أمكم
أمة وإن وإني أباكم عبد

تفسير السمعاني ج:2 ص:49
تفسير السمعاني ج 2/ص 50

فاسقون 59 قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل 60 وإذا جاءوكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون 61 وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون 62 لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون 63 وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم أي كأعبد وقيل هذا خطأ من حمزة والأول أصح ويقرأ في الشواذ وعباد الطاغوت ويقرأ وعبدة الطاغوت وتقديره وجعل منهم عباد الطاغوت والكل في المعنى سواء
أولئك شر مكانا وأضل عن سواء السبيل أي عن طريق الحق
قوله تعالى ـ وإذا جاءوكم قالوا آمنا قيل نزلت الآية في قوم من اليهود دخلوا على النبي وقالوا إنا آمنا بك وصدقناك فيما قلت وهم يسرون الكفر فنزلت الآية وإذا جاؤكم يعني أولئك قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به يعني دخلوا كافرين وخرجوا كافرين والله أعلم بما كانوا يكتمون
قوله تعالى ـ وترى كثيرا منهم يسارعون في الإثم والعدوان قيل الإثم المعاصي والعدوان الظلم وقيل الإثم كتمان أمر محمد وما كتموا من التوراة والعدوان ما زادوا في التوارة وأكلهم السحت قد بينا معنى السحت والسحت لغتان وقيل أراد به أكلهم الربا لبئس ما كانوا يعملون
قوله لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت يعني هلا ينهاهم الربانيون وقد ذكرنا معنى الربانيين وقيل هو منسوب إلى الرب كالبحراني منسوب إلى البحرين والنجراني منسوب إلى نجران لبئس ما كانوا يصنعون وفي حرف ابن مسعود يعملون وكلاهما واحد

قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة سبب هذا أن اليهود كانوا في خصب وسعة رزق قبل هجرة النبي فلما هاجر إلى المدينة ضيق الله الرزق عليهم فقالت اليهود يد الله مغلولة أي ممسكة لا ينفق كأنهم نسبوه إلى البخل

تفسير السمعاني ج:2 ص:50
تفسير السمعاني ج 2/ص 51
ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين 64 ولو أن وقال الحسن أرادوا به يد الله مغلولة لا يعذبنا بها غلت أيديهم يجيبهم الله تعالى فيقول أنا الجواد وهم البخلاء وأيديهم هي المغلولة الممسكة قاله الزجاج وقيل معناه أنهم يعذبون يوم القيامة
ولعنوا بما قالوا فمن عنهم أنهم مسخوا قردة وخنازير ومن لعنهم أنهم ضربت عليهم الذلة والجزية
بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء يعني يدا الله مبسوطتان يرزق وينفق على مشيئته كيف يشاء قال أهل العلم ليس في هذا رد على اليهود في إثباتهم اليد لله - تعالى - وإنما الرد عليهم في نسبته إلى البخل وأما اليد صفة لله - تعالى - بلا كيف وله يدان وقد صح عن النبي أنه قال كلتا يديه يمين والله أعلم بكيفية المراد
وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا على معنى أنه كلما نزلت آية كفروا بها وازدادوا طغيانا وكفرا وألقينا بينهم العداوة والبغضاء قيل بين فرق اليهود وقيل بين اليهود والنصارى وقوله إلى يوم القيامة دليل على أن اليهودية والنصرانية تبقى إلى قريب من قيام الساعة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله معنى هذا كلما اجتمعوا ليفسدوا أمر محمد شتت الله

تفسير السمعاني ج:2 ص:51
تفسير السمعاني ج 2/ص 52
أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم 65 ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون 66 يا أيها الرسول بلغ ما جمعهم وبدد شملهم ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين قوله تعالى ـ ولو أن أهل الكتاب آمنوا بمحمد واتقوا يعني عن المعاصي لكفرنا

عنهم سيئاتهم ولأدخلناهم جنات النعيم
قوله تعالى ـ ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم يعني ولو أنهم قاموا وعملوا ما في التوراة وما في الإنجيل وما في القرآن لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم قيل من فوقهم من مطر السماء ومن تحت أرجلهم من نبات الأرض وقيل من فوقهم ومن تحت أرجلهم معناه أنه يوسع عليهم الرزق قال الزجاج وهو نظير قول القائل فلان في الخير من الفرق إلى القدم أي وسع عليه الخير وقيل يحتمل أن يكون المراد بقوله من فوقهم من الأشجار ومن تحت أرجلهم من النبات ويحتمل أن يكون المراد به من فوقهم من كسب آبائهم ومن تحت أرجلهم من كسب أبنائهم وهذا نظير قوله تعالى ـ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ونظير قوله تعالى ـ ولو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا منهم أمة مقتصدة أي عادلة وكثير منهم ساء ما يعملون
قوله تعالى ـ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك قالت عائشة من قال إن محمدا كتم شيئا من الوحي فقد أعظم الفرية ومن قال إن محمدا رأى ربه ليلة المعراج فقد أعظم الفرية فإن الله - تعالى - يقول لا تدركه الأبصار والخبر في الصحيح

تفسير السمعاني ج:2 ص:52
تفسير السمعاني ج 2/ص 53
أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين 67 قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين 68 إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون
وإن لم تفعل فما بلغت رسالته فيه معنيان أحدهما معناه إن لم تبلغ الجميع وتركت واحدا فما بلغت شيئا يعني جرمك في ترك التبليغ في واحد كجرمك في ترك الكل وقيل معناه بلغ ما أنزل إليك أي أظهر تبليغه وهذا مثل قوله تعالى ـ فاصدع بما تؤمر
وإن لم تفعل يعني وإن لم تظهر تبليغه فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس قالت عائشة - رضي الله عنها - كان النبي قبل نزول هذه الآية يأتيه قوم فيحرسونه فلما نزلت هذه الآية أخرج رأسه وقال انصرفوا فإن الله يعصمني قال محمد بن كعب القرظي نزلت الآية في كافر سل سيفه وهم بقتل النبي فسقط السيف من يده وجعل يضرب رأسه على شجرة حتى انتثر دماغه إن الله لا يهدي القوم الكافرين

قوله تعالى ـ قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم أي تعملوا بالكل وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا هو ما ذكرنا فلا تأس أي فلا تحزن على القوم الكافرين
قوله تعالى ـ إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى قال

تفسير السمعاني ج:2 ص:53
تفسير السمعاني ج 2/ص 54

والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون 69 لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون 70 وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون 71 لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي الكسائي ونحاة الكوفة تقديره هم والصابئون وقال سيبويه في الآية تقديم وتأخير وتقديره إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والصابئون كذلك
وقوله من آمن بالله يعني الذين آمنوا باللسان من آمن منهم بالقلب وقيل إن الذين آمنوا على حقيقة الإيمان
وقوله من آمن بالله أي من ثبت على الإيمان بالله وأما في حق اليهود والنصارى والصابئين فهو محمول على حقيقة الإيمان
قوله تعالى ـ لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل قد ذكرنا الميثاق وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا يعني عيسى ومحمد وفريقا يقتلون يعني زكريا ويحيى وقوله وحسبوا ألا تكون فتنة أي عذاب فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم يعني عموا وصموا بعد موسى ثم تاب الله عليهم ببعث عيسى ثم عموا وصموا كثيرا منهم بالكفر بمحمد والله بصير بما يعملون
قوله تعالى ـ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قد ذكرنا معنى المسيح قال النخعي سمي مسيحا لأنه كان يمسح الأرض وأما الدجال يسمى مسيحا وقد ورد الخبر بكونه مسيحا مطلقا فإنه - عليه الصلاة السلام- قال يقبل المسيح من قبل المشرق وهمه المدينة وورد في الخبر المسيح الدجال وقال - عليه الصلاة والسلام - لا يدخل رعب المسيح الدجال المدينة أبدا

تفسير السمعاني ج:2 ص:54
تفسير السمعاني ج 2/ص 55
وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار 72 لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم 73 أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم 74 ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله
وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار روى أبو سفيان طلحة بن نافع عن جابر أن النبي سئل ما الموجبتان فقال من وحد الله لا يشرك به شيئا وجبت له الجنة ومن أشرك بالله وجبت له النار وما للظاليمن من أنصار
قوله تعالى ـ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة فيه حذف أي ثالث ثلاثة آلهة ولا بد من هذا التقدير لأنه يجوز أن يقال هو ثالث ثلاثة كما قال ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم وقوله ثالث ثلاثة هو قولهم أب وابن وروح القدس وهذا قول اليعقوبية منهم وقالوا روح القدس لا هو ولا غيره وكذلك الابن والله مجموع الكل وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا أي ليصيبن الذين كفروا منهم عذاب أليم قوله تعالى ـ أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه أرشدهم إلى التوبة والإسلام والله غفور رحيم

قوله تعالى ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله أي مضت وسميت الأيام الماضية خالية لخلوها ومعنى هذا أنا أرسلنا عيسى كما أرسلنا غيره وأعطيناه من المعجزات ما أعطينا غيره من الرسل وأمه صديقة والصديق كثير الصدق وهو للمبالغة ومنه سمى أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - صديقا وقيل سمي صديقا لأنه قيل له إن صاحبك يقول أسرى بي إلى السماء فقال إن هو قال ذلك فقد صدق

تفسير السمعاني ج:2 ص:55
تفسير السمعاني ج 2/ص 56
الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون 75 قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم 76 قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل 77 لعن

الذين كفروا
كانا يأكلان الطعام أي يتغذيان بالطعام ومعناه أن من يتغذى بالطعام لا يكون إلها يعبد وقال ابن قتيبة هو كناية عن الحدث يعني أنهما يأكلان ويشربان ويبولان ويتغوطان ومثل هذا لا يكون إلها يعبد انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون قال ابن قتيبة وهذا من ألطف البيان وقوله يؤفكون أي يصرفون ومنه سمي الكذب إفكا لأنه مصروف عن الحق
قوله تعالى ـ قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا يعني عيسى ومثله والله هو السميع العليم

قوله تعالى ـ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق الغلو مجاوزة الحد وهو مذموم وكذلك التقصير ودين الله بين الغلو والتقصير ولا تتبعوا أهواء قوم الأهواء جمع الهوى وهو مقصور وأما الهواء الممدود فهو الجو والهوى كل ما تدعو إليه شهوة النفس لا الحجة قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل فإن قيل ما معنى هذا التكرير قال الزجاج معنى قوله ضلوا عن سواء السبيل يعني بالإضلال والأول من الضلالة وقيل ضلوا من قبل الإضلال وضلوا بعد الإضلال فكأنهم ضلوا مرتين
قوله تعالى ـ لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم فالذين لعنوا على لسان داود هم أصحاب السبت والذين لعنوا على لسان عيسى أصحاب المائدة وأولئك الذين جعلهم الله قردة وهؤلاء الذين جعلهم الله خنازير ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون
قوله تعالى ـ كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون التناهي تفاعل من النهي والمنكر كل ما أنكره الشرع وفي الخبر قال أول ما

تفسير السمعاني ج:2 ص:56
تفسير السمعاني ج 2/ص 57

من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون 78 كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون 79 ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون 80 ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون 81 لتجدن أشد الناس عداوة

للذين آمنوا اليهود والذين دخل النقص في بني إسرائيل أن الرجل منهم كان إذا نهى صاحبه عن منكر كان لا يمنعه بعد ذلك أن يكون جليسه وأكيله وشريبه فضرب الله - تعالى - قلب بعضهم بالبعض وعمهم بالعقاب ثم قال والذي نفسي بيده حتى تأخذوا على يد الظالم فتأطروه على الحق أطرا أي تعطفوه قوله ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا أي يوالونهم لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء يعني الكفار ولكن كثيرا منهم فاسقون فإن قيل لم سماهم فاسقين وهم كافرون قيل معناه خارجون عن أمر الرب والكفار خارجون عن كل أمره وقيل معناه متمردون أي هم مع كفرهم متمردون

قوله تعالى ـ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا يعني مشركي مكة ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى قيل إن الآية في قوم من النصارى أربعين نفرا اثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من رهبان الشام جاءوا إلى النبي وأسلموا وفيهم نزلت الآية لا في النصارى الكفرة لأنهم في عداوة المسلمين مثل اليهود وقيل إن الذين أسلموا من الحبشة كان فيهم النجاشي فقدم جعفر الطيار الحبشة فدعاه النجاشي فقرأ عليه

تفسير السمعاني ج:2 ص:57
تفسير السمعاني ج 2/ص 58

أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون 82 وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى سورة مريم وعنده الأساقفة والرهبان فبكوا حتى أخضلوا لحاهم وأخذ النجاشي قذاة بيده وقال لم يعد عيسى ما قلت ولا قدر هذا وأسلموا

وقيل نزلت الآية في قوم من النصارى كانوا متمسكين بدين عيسى لم يحرفوا فآمنوا بمحمد

وقيل هو في كل النصارى ومعناه أنهم ألين عداوة من اليهود

ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون قال قطرب القسيس العابد بلغة الروم وهو التمام في اللغة قال الشاعر

يمسين من قس الحديث غوافلاإلا جعير يات ولا طهاملا

والرهبان جمع الراهب وروى سلمان أن النبي قرأ ذلك بأن منهم صديقين ورهبانا وهذا في الغرائب

قوله تعالى ـ وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول يعني القرآن فإن النبي كان قد قرأ عليهم القرآن فبكوا وأسلموا فذلك معنى قوله ترى أعينهم تفيض من

الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين يعني من أمة محمد فإنهم الشاهدون على سائر الأمم
قوله تعالى ـ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق وذلك أن اليهود قالوا لو لم آمنتم فأجابوا وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا

تفسير السمعاني ج:2 ص:58
تفسير السمعاني ج 2/ص 59

أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين 83 وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين 84 فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين 85 والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم 86 يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب ربنا مع القوم الصالحين الطمع هو تعلق النفس بالشيء مع قوة
قوله تعالى ـ فأثابهم الله بما قالوا جنات أي أعطاهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين
فإن قيل هذا أول قوله تعالى ـ فأثابهم الله بما قالوا على أن الإيمان قول فرد قيل قد ذكر في الآية الأولى مما عرفوا من الحق فذكر المعرفة في تلك الآية والقول في هذه الآية ومجموعهما إيمان والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم قال ابن عباس وعطاء وسعد وسعيد بن جبير والسدي سبب نزول الآية أن عليا وابن مسعود وعثمان بن مظعون تشاوروا في أن يترهبوا ويلبسوا المسوح ويقطعوا المذاكير ويصوموا الدهر فبلغ ذلك رسول الله فقال أما إني أنام وأقوم وأفطر وأصوم وآكل وأشرب وأنكح فمن رغب عن سنتي فليس مني ونزلت الآية لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وروي أن عثمان بن مظعون قال يا رسول الله ائذن لي في الرهبانية فقال رهبانية أمتي الجلوس في المساجد فقال ائذن لي في السياحة في الأرض فقال سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله فقال ائذن لي في الإخصاء فقال إخصاء أمتي الصوم وقيل سبب نزول الآية أن رجلا قال يا رسول الله إني أصيب اللحم فأنتشر واشتهي النساء فحرمت اللحم على نفسي فنزل قوله تعالى لا تحرموا طبيات ما أحل الله

تفسير السمعاني ج:2 ص:59
تفسير السمعاني ج 2/ص 60
المعتدين 87 وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون 88 لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين رواه عكرمة عن ابن عباس والاعتداء هو مجاوزة ماله إلى ما ليس له وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون أكد ذلك النهي بهذا الأمر
قوله تعالى ـ لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم إنما عقب تلك الآية بهذه لأن القوم الذين تشاوروا أن يترهبوا كانوا قد حلفوا فبين حكم الإيمان واللغو هو المطرح الذي لا يعبأ به وعن عائشة أن لغو اليمين قول الإنسان لا والله وبلى والله واختاره الشافعي وقال ابن عباس وأبو هريرة لغو اليمين هو أن يحلف على شيء على ظن أنه كذلك فإذا هو على خلافه واختلف العلماء في وجوب الكفارة في يمين اللغو قال إبراهيم النخعي تجب فيها الكفارة وقوله لا يؤاخذكم يعني في القيامة وسائر العلماء على أن لا كفارة في يمين اللغو لظاهر القرآن ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فيه ثلاث قراءات عقدتم بالتخفيف قراءة الكسائي وحمزة وأبو بكر و عقدتم بالتشديد قرأه أبو عمرو ومن بقي غير ابن ذكوان و عاقدتم قراءة ابن عامر برواية ابن ذكوان

قال الكسائي عقدتم أي أوجبتم وقال أبو عمرو عقدتم أي وكدتم واختلفوا في هذا التوكيد قال ابن جريج سألت عطاء عن قوله عقدتم أنه ماذا فقال هو قول القائل والله الذي لا إله إلا هو كأنه فسر التوكيد به وروى نافع عن ابن عمر أن توكيد اليمين بالتكرار قال نافع وكان ابن عمر إذا وكد اليمين أعتق رقبة وإذا لم يوكد أطعم المساكين في كفارته فكفارته إطعام عشرة مساكين على قول النخعي يرجع هذا إلى يمين اللغو وعلى قول الباقين يرجع إلى اليمين المعقودة وهي المقصودة وعقد اليمين هو القصد بالقلب والذكر باللسان من أوسط ما تطعمون أهليكم قال ابن عمر الأوسط هو الخبز والزيت أو الخبز

تفسير السمعاني ج:2 ص:60
تفسير السمعاني ج 2/ص 61
إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم والتمر وقال عبيدة السلماني هو الخبز والسمن وقال أبو رزين

هو الخبز والخل وأما الأعلى هو الخبز واللحم والأدنى هو الخبز البحت والكل مجزئ والأوسط في القدر قال زيد بن ثابت وعائشة وابن عمر - رضي الله عنهم - هو المد وبه قال الشافعي - رضي الله عنه - وذلك رطل وثلث وقال عمر وعلي - وهو رواية ابن عباس - أنه مدان نصف صاع وبه قال العراقيون أو كسوتهم قال عطاء وطاووس لكل مسكين ثوب وقال مجاهد ما ينطلق عليه اسم الكسوة وقال إبراهيم لكل مسكين ثوب جامع يصلح لليل والنهار مثل الكساء الملحفة ونحوهما وقال ابن عمر ثلاثة أثواب وقيل ثوبان وهو قول الحسن وابن سيرين مثل إزار ورداء أو إزار وعمامة وقيل ما يستر العورة وتجزئ به الصلاة
والصحيح أن الواجب لكل مسكين ما يصلح به الكسوة في العرف أو تحرير رقبة هو عتق الرقبة وفيه كلام في الفقه

فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ظاهرة أنه يجوز متفرقا وهو الأصح وقرأ ابن مسعود وأبي بن كعب ثلاثة أيام متتابعات فعلى هذا يجب التتابع فيه وبه قال مالك والأوزاعي وهو أحد قولي الشافعي ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم قيل الحنث مضمر فيه يعني إذا حلفتم وحنثتم ولا تجب الكفارة إلا بعد الحنث وأما جواز التكفير قبل الحنث عرفنا بالسنة واحفظوا أيمانكم ظاهره للنهي عن الحنث وقيل أراد به حفظ اليمين لا أن يحلف والأول أصح كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر أما الخمر فقد سبق الكلام فيه وكذلك الميسر قال الأصمعي كان ميسرهم على الجزور فكانوا يشترون جزورا وينحرونه ويجعلونه على ثمانية وعشرين سهما وقيل على عشرة

تفسير السمعاني ج:2 ص:61
تفسير السمعاني ج 2/ص 62
يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم واحفظوا أيمانكم كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون 89 يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب أسهم ثم يقامرون عليه فكل من خرج عليه قدر نصيبه مجانا ويكون الثمن على الباقين وهكذا يقامرون على كل سهم منه إلى أن يبقى واحد فيكون كل الثمن عليه ويفوز الآخرون بسهامهم مجانا وسئل القاسم بن محمد عن النرد والشطرنج أهو من الميسر قال كل ما صد عن ذكر الله وعن الصلاة فهو من الميسر وقوله والأنصاب والأزلام رجس أما الأنصاب والأزلام فقد بينا وقوله رجس أي خبيث مستقذر وفي الخبر أعوذ بالله من الرجس النجس من عمل الشيطان أي من تزيين الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون

قوله تعالى ـ إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر أما وقوع العداوة في الخمر أن شاربيه إذا سكروا عربدوا وتشاجروا وتشاحجوا

وأما العداوة في الميسر قال قتادة هو أنهم كانوا يقامرون على الأهل والمال ثم إذا لم يبق له شيء يجلس زينا مسلوبا مغتاظا على قرنائه ويصدكم عن ذكر الله

تفسير السمعاني ج:2 ص:62
تفسير السمعاني ج 2/ص 63
والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون 90 إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله عن الصلاة وعن الصلاة يعني الشيطان يمنعكم بهما عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون معناه انتهوا قال الفراء سمعت بعض الأعراب يقول لغيره هل أنت ساكت هل أنت ساكت يريد به اسكت وهذا كلام العرب العاربة وسبب نزول الآية أن عمر - رضي الله عنه - قال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل قوله في سورة البقرة يسألونك عن الخمر والميسر فدعا عمر وقرأ عليه فقال ثانيا اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزل قوله في سورة النساء لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقرأ عليه فدعا ثالثا وقال اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه الآية فدعا وقرأ عليه فلما بلغ قوله فهل أنتم منتهون قال انتهينا يا رب وقيل سبب نزول الآية أن قدامة بن مظعون اتخذ دعوة وشوى رأس بعير ودعا سعد بن أبي وقاص وجماعة فأكلوا وشربوا فلما سكروا تفاخروا فقام رجل من الأنصار إلى لحى البعير وضرب به وجه سعد

تفسير السمعاني ج:2 ص:63
تفسير السمعاني ج 2/ص 64

فهل أنتم منتهون 91 وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما فضرب أنفه فذكر ذلك لرسول الله فنزلت هذه الآية وقيل نزلت

في قبيلتين من الأنصار تخاصمتا في حال السكر وقد ورد في الخمر أخبار منها قوله مدمن الخمر كعابد الوثن وقال الخمر أم الخبائث من شربها لم يقبل الله له صلاة أربعين يوما من مات وفي بطنه شيء من الخمر حرم الله عليه الجنة قوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا لما حرم الخمر وأمر بالاجتناب عنها ندبهم إلى طاعة الله والرسول والتوقي فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين
قوله تعالى ـ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا سبب نزول الآية هذه أن الصحابة قالوا لما ورد تحريم الخمر يا رسول الله كيف حال من مات منا وهو يشرب الخمر فنزلت الآية وقيل إنهم قالوا إن حمزة بن عبد المطلب

تفسير السمعاني ج:2 ص:64
تفسير السمعاني ج 2/ص 65
على رسولنا البلاغ المبين 92 ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله ومصعب بن عمير استشهدوا يوم أحد وكانا يشربان الخمر فكيف حالهما فنزلت الآية وبين الله تعالى أنه لا جناح عليهم فيما طعموا في حال الإباحة إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا في هذا مقدم معنى مؤخر أقوال أحدها أن معنى الأول إذا ما اتقوا الشرك وآمنوا أي صدقوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا أي داموا على ذلك التقوى وآمنوا أي ازدادوا إيمانا ثم اتقوا وأحسنوا أي اتقوا بالإحسان في كل محسن وكل مطيع متق

والقول الثاني أن التقوى الأول اجتناب الشرك والتقوى الثاني اجتناب الكبائر والتقوى الثالث اجتناب الصغائر وهذان قولان معروفان في الآية وفي الآية قول ثالث أنه أراد به إذا ما اتقوا قبل تحريم الخمر ثم اتقوا بعد تحريم الخمر وقيل هذا لا يصح لأن قوله إذا ما اتقوا إنما يصلح للمستقبل لا للماضي فإن حرف إذا للمستقبل
والله يحب المحسنين روى أن قدامة بن مظعون شرب الخمر فدعاه عمر ليحده فقال أليس يقول الله - تعالى - ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا فقال أخطأت التأويل لقد قال إذا ما اتقوا وآمنوا وأنت لم تتق النهي
وروى أن النبي قرأ هذه الآية ثم قال ابن مسعود وأينا من هؤلاء
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد أي ليختبرنكم

الله بشيء من الصيد وفائدة البلوى والاختبار إظهار المطيع من العاصي وإلا فلا حاجة له إلى البلوى وسبب هذا أن رسول الله لما نزل بالحديبية مع

تفسير السمعاني ج:2 ص:65
تفسير السمعاني ج 2/ص 66
يحب المحسنين 93 يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم 94 يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ما قتل من أصحابه وكانوا محرمين كان يدنوا منهم الصيود والوحوش فهموا بالأخذ فنزلت الآية
تناله أيديكم يعني في صغار الصيود ورماحكم يعني من كبار الوحوش قال مجاهد تناله أيديكم يعني الفرخ والبيض ورماحكم يعني الصيود الكبار

ليعلم الله من يخافه بالغيب قيل معناه ليعلم الله من يخافه بالغيب فيعامله معاملة من يطلب العلم للعمل إظهار للعدل وقيل معناه ليرى من يخافه بالغيب وقوله من يخافه بالغيب هو أن يخاف الله وهو لا يراه فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم سبب هذا أن رجلا يقال له أبو اليسر شد على حمار وحش فقتله وهو محرم فنزلت الآية لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم والحرم يكون من الإحرام ويكون من دخول الحرم يقال أحرم إذا عقد الإحرام وأحرم إذا دخل الحرم ويقال أيضا لمن أدرك الشهر الحرام محرم
ومن قتله منكم متعمدا ذكر حالة العمد لبيان الكفارة فاختلف العلماء قال سعيد بن جبير لا تجب كفارة الصيد في قتل الخطأ بل تختص بالعمد وبه قال داود
وسائر العلماء على أنها تجب في الحالين قال الزهري على المتعمد بالكتاب وعلى المخطئ بالسنة
فجزاء مثل ما قتل من النعم قرأ الأعمش فجزاؤه مثل ما قتل من النعم والمعروف فيه قراءتان فجزاء مثل على الإضافة وقرأ بعضهم فجزاء مثل بتنوين

تفسير السمعاني ج:2 ص:66

تفسير السمعاني ج 2/ص 67
النعم يحكم به ذوا عدل منكم هديا بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك الجزاء ورفع اللام من المثل ومعنى الكل واحد والمثلية معتبرة في الجزاء فيجب فيما قتل مثله من النعم شبها فيجب في النعامة بدنة وفي الأروى بقرة وفي الطير والضبع والحمامة شاة وفي الأرنب عناق وفي اليربوع جفرة وكل هذا مروي عن الصحابة

(2/62)

يحكم به ذوا عدل منكم وفيه دليل على جواز الاجتهاد في الأحكام هديا بالغ الكعبة نصب على التمييز قوله بالغ الكعبة يقتضي أن يكون إعطاء الهدي في الحرم يفرق على مساكين الحرم وهو الواجب أو كفارة طعام مساكين وذلك أن يقوم المثل من النعم بالدراهم ويشتري بالدراهم طعام مساكين وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة يقوم بالصيد المقتول أبدا أو عدل ذلك صياما قرأ عاصم الجحدري وطلحة بن مصرف أو عدل ذلك بكسر العين ثم قال بعضهم لا فرق بينهما ومعناه المثل وفرق الفراء بينهما فقال العدل - بالكسر - المثل من جنسه والعدل المثل من غير جنسه وقد قيل العدل - بالفتح - هو المثل والعدل ـ بالكسر - الحمل والأول أصح وصوم العدل أن يصوم بدل كل مد يوما وقيل يومان ثم هذا على التخيير أم على الترتيب
قال الشعبي والنخعي - وهو رواية عن مجاهد - إنه على الترتيب وقال غيرهم - وبه قال ابن عباس - إنه على التخيير لأنه قال أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما وكلمة أو للتخيير ليذوق وبال أمره أي شدة أمره عفا الله عما سلف يعني في الجاهلية ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام
واختلف العلماء في العامد إلى قتل الصيد ثانيا هل تجب عليه الكفارة ثانيا أم

تفسير السمعاني ج:2 ص:67
تفسير السمعاني ج 2/ص 68
صياما ليذوق وبال أمره عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام 95 أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي إليه تحشرون 96 جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما لا قال ابن عباس لا تجب ويقال له أسأت وينتقم الله منك وعامة العلماء على أنه تجب الكفارة ثانيا وقوله فينتقم الله منه يعني في الآخرة

(2/63)

قوله تعالى - أحل لكم صيد البحر وطعامه قال عمر وعلى صيد البحر ما صيد منه وطعامه ما قذف وهو رواية عن ابن عباس وعنه رواية أخرى أن طعامه ما نضب عنه الماء وقال مجاهد صيده الطري وطعامه المالح وهو مروي عن ابن عباس أيضا متاعا لكم أي منفعة لكم وللسيارة قال ابن عباس متاعا لكم خطاب مع أهل القرى والسيارة أهل الأمصار وقال مجاهد السيارة المسافرون وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما حرم الاصطياد على المحرم وقد ذكرنا واتقوا الله الذي إليه تحشرون واختلف العلماء في صيد الحلال هل يحل للمحرم وأن يأكل منه قال عمر وعثمان يحل وبه أخذ اكثر الفقهاء وقال علي وابن عباس إنه لا يحل وبه قال جماعة من التابعين
قوله تعالى ـ جعل الله الكعبة البيت الحرام قال ثعلب أبو العباس أحمد ابن يحيى إنما سميت كعبة لتربيعها البيت الحرام وهو الكعبة وفي الخبر إن الله - تعالى - حرم مكة منذ خلق السموات والأرض قياما للناس القيام والقوام واحد قال الله - تعالى - أموالكم التي جعل الله لكم قياما أي قواما لمعايشكم وقال الشاعر يمدح النبي
ونشهد أنك عبد المليكأتيت بشرع ودين قيم

تفسير السمعاني ج:2 ص:68
تفسير السمعاني ج 2/ص 69
للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما
وأراد به أن البيت الحرام قوام للناس لدينهم ومعايشهم أما في الدين لأن به تقوم المناسك والحج وأما في المعايش فلأن أهل الحرم كانوا يأمنون أهل الغارة حتى كان يغير بعضهم على بعض ثم لا يتعرضون لأهل الحرم ويقولون هم أهل الله

والشهر الحرام أراد به جنس الأشهر الحرم وهي أربعة أشهر ثلاثة سرد وواحد فرد كما سبق والمراد به أنه جعل الشهر الحرام قواما للناس يأمنون فيه القتال فإنهم كانوا يكفون عن القتل والقتال في الأشهر الحرم
والهدي والقلائد وقد بينا كيف يكون الهدي والقلائد وكونه قواما للناس أنهم كانوا يأمنون بتقليد الهدي وكان أهل الحرم يتعيشون بالهدي والقلائد
ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات والأرض وأن الله بكل شيء عليم
فإن قال قائل أي اتصال لهذا بما سبق من الكلام في الآية قال المبرد أبو العباس محمد بن يزيد معناه أن ألهمتهم ذلك الاحترام وأن لا يتعرضوا لأهل الحرم فكأنه بين في الآية صنعة مع أهل الحرم قال ذلك لتعلموا أن كل ذلك بعلمي وإلهامي إياهم

وقال الزجاج قد سبق في هذه السورة من الله - تعالى - الإخبار عن الغيوب والكشف عن الأسرار مثل قوله سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك ومثل إخباره بتحريفهم الكتب ونحو ذلك فقوله ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض راجع إليه

تفسير السمعاني ج:2 ص:69
تفسير السمعاني ج 2/ص 70
في الأرض وأن الله بكل شيء عليم 97 اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم 98 ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون 99 قل لا
قوله تعالى ـ اعلموا أن الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم وفي الخبر لو يعلم المؤمن ما عند الله من العذاب لم يطمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة لم يقنط من جنته أحد
وقوله ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون معلوم المعنى

قوله تعالى ـ قل لا يستوي الخبيث والطيب قال السدي يعني الكافر والمؤمن وقال غيره الخبيث الحرام والطيب الحلال وفي الخبر حلوان الكاهن خبيث ومهر البغي خبيث أي حرام ولو أعجبك معناه ولو سرك كثرة الخبيث
فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون وفي المثل حرام يأتي جزفا والحلال يأتي قوتا وعن أبي هريرة أنه قال درهم من الحلال خير من مائة ألف درهم وقر من الحرام
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم سبب نزول الآية أن الصحابة أكثروا السؤال على النبي حتى غضب وقام

تفسير السمعاني ج:2 ص:70
تفسير السمعاني ج 2/ص 71
يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولي الألباب لعلكم تفلحون 100 يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم وإن تسألوا خطيبا وقال إنكم لا تسألوني عن شيء في مقامي هذا إلا أنبأتكم به فقال رجل يا رسول الله من أبى - وكان السائل عبد الله بن حذافة السهمي وكان يقال في نسبه شيء فلما قال من أبى - قال - عليه الصلاة والسلام - أبوك حذافة فقام آخر وقال من أبى فنسبه إلى غير أبيه - كأنه كان من حرام -

وسأله رجل فقال أين أكون غدا فقال في النار فقام آخر وقال أين أكون غدا فقال في الجنة فبكوا وقال عمر استر علينا يا رسول الله فإنا حديث عهد بالجاهلية وجثا على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالإسلام دينا ونزلت الآية
وروى أبو البختري عن علي - رضي الله عنه - أنه قال لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت قام رجل وقال أفي كل عام يا رسول الله فقال لا ولو قلت نعم لوجبت ولم تطيقوه ثم قال ذروني ما تركتم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فانتهوا ونزلت الآية

وإن تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم معناه وإن صبرتم حتى ينزل القرآن وجدتم فيه بيان ما تحتاجون إليه عفا الله عنها والله غفور حليم
قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين قال بعضهم أراد به أصحاب

تفسير السمعاني ج:2 ص:71
تفسير السمعاني ج 2/ص 72
عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفا الله عنها والله غفور حليم 101 قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين 102 ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا المائدة وسألوا المائدة ثم كفروا وقال بعضهم أراد به قوم صالح سألوا الناقة ثم كفروا بها وقال بعضهم أراد به الكفار في الجاهلية سألوا رسول الله أن يجعل الصفا ذهبا
قوله تعالى ـ ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام
قال سعيد بن جبير كان سؤالهم الذي تقدم عن هذه الأوضاع وهذه الآية لبيان ما سألوا ردا عليهم وقال ابن عباس في بيان هذه الأوضاع الأربعة قال أما البحيرة هي الناقة كانت إذا ولدت خمسة أبطن شقوا أنها وتركوها ولم يحملوا عليها ولم يمنعوها الكلأ وبذلك سميت بحيرة من البحر وهو الشق ثم نظروا إلى خامس ولدها فإن كان ذكرا نحروه وأكله الرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركوها كالأم وإن كان ميتا أكله الرجال والنساء فهذا معنى البحيرة وأما السائبة كان الرجل من أهل الجاهلية إذا مرض له مريض أو غاب له قريب يقول إن رد الله غائبي أو إن شفى الله مريضي فناقتي هذه سائبة ثم يسيبها تذهب حيث تشاء أو يقول إن كان كذا فعبدي عتيق سائبة يعني من غير ولاء ولا ميراث فهذا معنى السائبة

وأما الوصيلة فكانت في الغنم كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن نظروا إلى البطن السابع فإن كان ذكرا ذبحوه وأكله الرجال دون النساء وإن كانت أنثى تركوها وإن كان ميتا أكله الرجال والنساء وإن كان ذكرا وأنثى في بطن واحد تركوهما وقالوا وصلت أخاها فهذه هي الوصيلة
وأما الحام كان بعضهم إذا ولدت ناقته عشرة أبطن تركوها ولم يركبوها وقالوا حمى ظهرها وكذلك إذا ركب ولد ولدها يقولون حمى ظهرها وتركوها وربما تركوها لآلهتهم على ما سيأتي في سورة الأنعام فهذا هو الحام وهذه أوضاع وضعها أهل الجاهلية على آرائهم فجاء الشرع برفعها وقد ثبت عن النبي أنه قال

تفسير السمعاني ج:2 ص:72
تفسير السمعاني ج 2/ص 73
حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون 103 وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون 104 يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا رأيت النار فرأيت فيها عمرو بن لحي يجر قصبة في النار أي أمعاءه وكان أول من سيب السوائب ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول يعني إذا دعوا إلى الكتاب والسنة قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا يعني كفانا دين آبائنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئا ولا يهتدون
قوله يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم يعني تخليصها من النار لا يضركم من ضل إذا اهتديتم فإن قال قائل كيف يقول عليكم أنفسكم وقد أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قيل قال مجاهد وسعيد بن جبير الآية في اليهود والنصارى يعني عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل من اليهود والنصارى إذا اهتديم فخذوا منهم الجزية ولا تتعرضوا لهم واتركوهم وما يزعمون فإنه لا يضركم

وعن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - أنه خطب وقال إنكم تقرءون هذه الآية عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم وإني سمعت رسول الله يقول إذا رأيتم الظالم فخذوا على يديه أو يوشك أن يعمكم الله بعقاب وعن ابن مسعود أنه قال في هذه الآية مروا بالمعروف وانهوا عن

تفسير السمعاني ج:2 ص:73
تفسير السمعاني ج 2/ص 74
يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون
105 يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم المنكر فإن قيل منكم فذاك وإن رد عليكم أنفسكم ويرد هذا ما روى عن أبي أمية الشيباني أنه قال سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت إن الله - تعالى - يقول عليكم أنفسكم وقد أمرنا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فقال لقد سألت عنها خبيرا سمعت رسول الله - وقد سئل عن هذه الآية - يقول مروا بالمعروف وانهو عن المنكر فإذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك ودع أمر العامة إلى الله مرجعكم ميعا فينبئكم بما كنتم تعلمون
قوله تعالى ـ يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم سبب نزول الآية أن تميم الداري وعدي بن بداء خرجا إلى التجارة وكانا نصرانيين ومعهما بديل مولى عمرو بن العاص وكان مسلما فمرض وكتب ما معه من المتاع في صحيفة وألقها بين المتاع ثم أوصى إلى هذين النصرانيين أن يردا متاعه إلى مولاه إن مات هو وكان بين المتاع جام مخوص بالذهب منقوش به فخانا في ذلك الجام وأديا سائر المتاع إلى أهله فوجدوا تلك الصحيفة بين المتاع فطلبوا الجام فافتقدوه فسألوا عديا وتميما عن ذلك فأنكرا وقالا لا ندري وحلفا عليه ثم إن ذلك الجام وجد عند رجل بالمدينة فسئل الرجل عنه فقال إنما أعطانيه عدي وتميم فاختصموا إلى النبي فأصر على الإنكار وحلفا عليه فحلف عمرو بن العاص والمطلب بن أبي

تفسير السمعاني ج:2 ص:74
تفسير السمعاني ج 2/ص 75
إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان وداعة على أنهما قد خانا في الجام فأخذ الجام ثم إن تميما أسلم بعد ذلك وأقر بتلك الخيانة فهذه قصة الآية وعليها نزلت الآية
فقوله شهادة بينكم يقرأ في الشواذ شهادة بينكم وقرأ الأعرج شهادة بينكم بالرفع والتنوين والمعروف شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت أي أسباب الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم ذكر اثنان على الرفع لأنه خبر الابتداء ومعنى هذا الكلام أن الشهادة فيما بينكم على الوصية عند الموت اثنان ذوا عدل منكم
أو آخران من غيركم قال أبو موسى الأشعري وابن عباس وهو قول شريح والنخعي وسعيد بن جبير وجماعة - أن معناه من غير أهل ملتكم يعني من أهل

الذمة وقال الحسن والزهري معناه من غير قبيلتكم
إن أنتم ضربتم في الأرض أي سافرتم فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة أكثر العلماء على أنه أراد به صلاة العصر وقال الحسن بعد صلاة الظهر والأول أصح وإنما خص به صلاة العصر لأن وقت العصر معظم محترم عند جميع أهل الأديان وكأن الناس بعد العصر يكون أجمع في الأسواق والمساجد والمراد به حبس الحالفين بعد العصر

تفسير السمعاني ج:2 ص:75
تفسير السمعاني ج 2/ص 76
بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين 106 فإن عثر على أنهما استحقا إثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا

فيقسمان بالله إن ارتبتم يعني إن وقعت لكم ريبة في قول الحالفين أو الشاهدين يحلفان أنا لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى أي لا نقول إلا الصدق ولو كان على القريب ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين وإنما قال شهادة الله لأن الشهادة تكون بأمر الله فإن عثر على أنهما استحقا إثما يعني فإن اطلع وأظهر خيانتهما فآخران يقومان مقامهما من الذين لستحق عليهم الأوليان يقرأ هذا على ثلاثة أوجه أحدها من الذين استحق عليهم الأوليان وقرأ حفص عن عاصم من الذين استحق بنصب التاء والحاء عليهم الأوليان وقرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة من الذين استحق - بضم التاء وكسر الحاء - عليهم الأولين
فأما معنى القراءة الأولى فقوله استحق عليهم يعني استحق فيهم أو استحق منهم كقوله ولأصلبنكم في جذوع النخل أي على جذوع النخل يعني الذين وقعت الخيانة في حقهم وهم أولياء الميت و الأوليان تثنية الأولى والأولى هو الأقرب ومعناه إن عثر على خيانة الحالفين يقوم الأوليان من أولياء الميت فيحلفان وأما قوله من الذين استحق عليهم أي حق ووجب فيهم ومعناه ومعنى القراءة الأولى سواء
وأما القراءة الثالثة من الذين استحق عليهم الأولين فهو بدل عن قوله من الذين أو عن الاسم المضمر تحت قوله عليهم فيكون المراد به أيضا أولياء الميت ويكون المعنى ما بينا

تفسير السمعاني ج:2 ص:76
تفسير السمعاني ج 2/ص 77
لمن الظالمين 107 ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين 108 يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب 109 إذ قال الله يا

ثم بين كيفية قسمهما فقال فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها يعني ذلك أقرب وأحرى أن تؤدوا الشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم يعني وإن يخافوا رد اليمين بعد يمينهم على المدعين فلا يحلفوا على الكذب خوفا من أن يرد اليمين عليهم ويكون يمينهم أولى
واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين قال النخعي وشريح الآية منسوخة وقوله أو آخران من غيركم لقد كانت شهادة أهل الذمة مقبولة على الوصية ثم نسخ وقد جوز بعضهم شهادة أهل الذمة في الوصية خاصة من لا يرى نسخ الآية منهم وقال الحسن الآية محكمة وقد حمل قوله أو آخران من غيركم على غير قبيلتكم كما بينا
قوله يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا فإن قال قائل كيف يقولون لا علم لنا وقد علموا ما أجابوا قيل إن جهنم تزفر زفرة تذهل بها عقولهم فيقولون من شدة الفزع لا علم لنا ثم يرد الله - تعالى - عليهم عقولهم فيخبرون بالجواب وقيل معناه لا علم لنا إلا العلم الذي أنت أعلم به منا أو إلا ما علمتنا وقيل معناه لا علم لنا بوجه الحكمة في سؤالك إيانا عن أمر أنت أعلم به منا وقيل معناه لا علم بعاقبة أمرهم وبما أحدثوا من بعد وأن أمرهم على ماذا ختم وعلى هذا دل شيئان أحدهما من الآية قوله إنك أنت علام الغيوب والثاني ما روى صحيحا عن رسول الله أنه قال يسلك بطائفة من أصحابي ذات الشمال - يعني يوم القيامة - فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقول الله - تبارك وتعالى - إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول ما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا ما دمت

تفسير السمعاني ج:2 ص:77
تفسير السمعاني ج 2/ص 78

عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين 110 وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولى ــ إلى قوله فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد

قوله تعالى ـ إذ قال الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك أمره بشكر النعمة ثم عد عليه نعمة فقال إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وقد ذكرنا الكلام فيه

وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذني وقد بينا فيما سبق كيفيته وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين

قوله تعالى ـ وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي هذا الوحي بمعنى الإلهام أو بمعنى الأمر أي ألهمتهم وأمرتهم قال العجاج

الحمد لله الذي استقلت به السماء فاطمأنتأوحى لها القرار فاستقرت

أي أمرها بالقرار

قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون وقد ذكرنا معنى الحواريين

تفسير السمعاني ج:2 ص:78

تفسير السمعاني ج 2/ص 79

وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون 111 إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين 112

قوله تعالى ـ إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل تستطيع ربك وقرأ الكسائي هل يستطيع - بالتاء - ربك بفتح الباء وهذه قراءة علي ومعاذ وعائشة وكانت عائشة تحلف أن الحواريين أعرف بالله من أن يقولوا هل يستطيع ربك ولقراءتهم معنيان أحدهما أن المراد به هل تسأل ربك والثاني هل تستدعي طاعة ربك بإجابته سؤالك إياه وأما القراءة المعروفة ففي معناها أقوال أحدها معناه هل يفعل ربك وقال الفراء يقول الرجل لغيره هل تستطيع أن

تفعل كذا يريد به هل تفعل كذا
والثاني معناه هل يطيع ربك استطاع بمعنى أطاع كقولهم استجاب يعني أجاب فيكون معناه هل يطيعك ربك بإجابة سؤالك وفي الآثار من أطاع الله أطاعه الله أي يجيب دعاءه
وقيل إن الحواريين قالوا ذلك قبل استحكام المعرفة وأراد به القدرة ولو استحكمت معرفتهم لم يقولوا ذلك والصحيح أحد القولين الأولين وهذا لأن الاستطاعة لا تنسب إلى الله غالبا وإنما يوصف بالقدرة وأما الاستطاعة تكون للعبد
وقوله أن ينزل علينا مائدة من السماء اعلم أن المائدة اسم لما يكون عليه طعام فإذا لم يكن عليه طعام لا يسمى مائدة واختلفوا في اشتقاق المائدة منهم من قال هي من الميد بمعنى الإعطاء ومنه قالوا لأمير المؤمنين الممتاد يعني الذي يطلب عطاؤه فعلى هذا سميت مائدة لأنها تعطي من عليها الطعام وقيل هو من الميد بمعنى الحركة فعلى هذا سميت مائدة لأنها تتحرك بما

تفسير السمعاني ج:2 ص:79
تفسير السمعاني ج 2/ص 80

قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين 113 قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين 114 قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين 115 وإذ قال الله يا عليها من الطعام
قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين نهاهم عن اقتراح الآيات بعد الإيمان وقيل أراد به أي اكتفوا بطعام الأرض عن طعام السماء
قوله - تعالى ـ قالوا نريد أن نأكل منها يعني أكل تبرك لا أكل حاجة وتطمئن قلوبنا أي يزداد إيمانها وهو مثل قوله ولكن ليطمئن قلبي ونعلم أن قد صدقتنا أي نزداد إيمانا بصدقك وفي بعض التفاسير أن عيسى -صلوات الله عليه - كان قد أمرهم أن يصوموا ثلاثين يوما لما سألوه أن يسأل المائدة قال لهم صوموا ثلاثين يوما فإذا أفطرتم لا تسألون الله شيئا إلا أعطاكم ففعلوا ذلك فلما أعطوا المائدة عرفوا صدقه فذلك معنى قوله ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين
قوله تعالى ـ قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا قيل إنه لما أراد سؤال المائدة اغتسل وصلى ركعتين فطأطأ رأسه وغض بصره وبكى ثم قال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من

السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا والعيد المراد به يوم السرور لهم وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين
قوله تعالى ـ قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين أي جنس عذاب لم أعذب به أحدا وقيل إن ذلك العذاب أنه مسخهم خنازير على ما سنبين في القصة
ثم اختلفوا قال الحسن ومجاهد إن المائدة لم تنزل أصلا فإن الله - تعالى -

---

تفسير السمعاني ج:2 ص:80
تفسير السمعاني ج 2/ص 81
لما أوعد على كفرهم بعد نزول المائدة خافوا أن يكفر بعضهم فاستعفوا عن إنزال المائدة فعلى هذا تقدير قوله إني منزلها عليكم يعني إن سألتم إلا أنهم استعفوا فلم ينزل والصحيح - والذي عليه الأكثرون - أنها منزلة لأن الله تعالى لا يعد شيئا ثم يخلف وقد قال إني منزلها عليكم
والقصة في ذلك أن عيسى لما سأل المائدة نزلت من السماء سفرة حمراء بين غمامتين كانوا يرونها بسطت بين أيديهم وكانت مغطاة فقام عيسى إليها ورفع عنها الغطاء فإذا عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات وفي رواية كان عليها خمسة أرغفة وسمكة مشوية ليس فيها فلوس ولا شوك كما يكون في سمك الأرض وكان حولها من كل بقل إلا الكرات وكان عند رأسها الملح وعند ذنبها الخل وكان عليها خمس رمانات وتميرات وقيل كانت الأرغفة من خبز الأرز وقال عطية كانت عليها سمكة لها طعم جميع الأرض وقيل كان عليها ثمر من ثمار الجنة وفي بعض الروايات أن عيسى سئل أهذا من طعام الجنة فقال لا من طعام الجنة ولا من طعام الأرض إنما هو طعام خلقه الله - تعالى - لكم
وفي القصة أن هذا المائدة لما نزلت دعا عيسى لها الفقراء والزمني والمساكين حتى يأكلوا وكانت تنزل عليهم أربعين يوما يأكل منها كل يوم أربعة آلاف أو خمسة آلاف نفر فكانوا يأكلون ولا ينقص منها شيء ثم تصعد ثم تنزل هكذا كل يوم حتى خانوا فيها فمسخوا قردة وخنازير ورفعت المائدة ثم اختلفوا في تلك الخيانة فروى عمار بن ياسر عن النبي أنه قال أنزلت عليهم المائدة وعليها الخبز واللحم وأمروا أن لا يدخروا منها للغد فادخروا وخانوا فأصبحوا قردة وخنازير وفي رواية أصبحوا خنازير وقيل كانت خيانتهم أن اليهود قالوا لهم إن عيسى سحركم بالمائدة ولم يكن ثم مائدة فشكوا فيه فمسخوا خنازير وقيل كانت خيانتهم أن في الابتداء كان يأكل منها الأغنياء والفقراء فأمرهم الله - تعالى - أن يدعو لها الفقراء دون

تفسير السمعاني ج:2 ص:81
تفسير السمعاني ج 2/ص 82
عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم الأغنياء ابتلاهم فأكل الأغنياء وخالفوا فأصبحوا خنازير قوله تعالى ـ وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم اختلفوا في أن هذا القول متى يكون قال السدي إنما قال الله - تعالى - ذلك حين رفعه إلى السماء لأن قوله إذ للماضي والصحيح أنه يكون في القيامة والقيامة وإن لم تكن بعد ولكنها في علم الله فلما كانت كائنة لا محالة فهي كالكائنة فصح قوله وإذ قال الله وقيل إذا بمعنى إذ ويجوز مثل ذلك قال الشاعر
لم يجزه به الإله إذ جزاجنات عدن في السموات العلا
يعني إذا جزى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قيل هذا سؤال توبيخ والمراد به قومه وكانت الحكمة في سؤاله عنه حتى يسمع قومه إنكاره لأنهم كانوا يدعون أن عيسى أمرهم باتخاذه إلها فإن قال قائل هم لم يتخذوا أمه إليها فما معنى قوله اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قيل إنه - جل وعز - لما أراد ذكر عيسى مع أمه قال إلهين وهذا كما يقال عند ذكر أبي بكر وعمر معا عمران وقالوا هذا سنة عمرين ويقال للشمس والقمر قمران قال الفرزدق
لنا قمراها والنجوم طوالع
يعني الشمس والقمر وقيل إن عيسى كان بعضا لمريم فلما اتخذوه إلها فكأنهم اتخذوا أمه إلها فقال إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته اشتغل أولا بالثناء عليه والتنزيه ونسبه إلى القدس والطهارة تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك قال

تفسير السمعاني ج:2 ص:82

تفسير السمعاني ج 2/ص 83
ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب 116 ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد 117 إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت الزجاج نفس النبي جملته وحقيقته فمعناه تعلم حقيقة

أمري ولا أعلم حقيقة أمرك وقيل معناه تعلم ما في غيبي ولا أعلم ما في غيبك وعليه دل قوله إنك أنت علام الغيوب وهو معنى الأول ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله بي وربكم وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتني أي رفعتني كنت أنت الرقيب عليهم وقد بينا معنى التوفي فيما سبق وأنت على كل شيء شهيد
قوله تعالى ـ إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فإن قال قائل كيف طلب المغفرة لهم وهم كفار وكيف قال وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم وهذا لا يليق بسؤال المغفرة قيل أما الأول فمعنى قوله وإن تغفر لهم يعني بعد الإيمان وهذا إنما يستقيم على قول السدي لأن الإيمان لا ينفع في القيامة والصحيح آخر القولين قال بعضهم هذا في فريقين منهم فقوله إن تعذبهم فإنهم عبادك يعني من كفر منهم وإن تغفر لهم يعني من آمن منهم وقال أهل المعاني من أرباب النحو ليس هذا على وجه طلب المغفرة وإنما هذا على تسليم الأمر إليه وتفويضه إلى مراده ألا تراه يقول فإنك أنت العزيز الحكيم ولو كان على وجه طلب المغفرة لقال فإنك أنت الغفور الرحيم
وأما السؤال الثاني اعلم أن في مصحف ابن مسعود وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم وكان ابن شنبوذ يقرأ كذلك زمانا ببغداد فمنع عنه وفيه قصة وقيل فيه تقديم وتأخير وتقدير الآية إن تغفر لهم فإنهم عبادك وإن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم وقيل معناه إن تغفر لهم لا ينقص من عزك

تفسير السمعاني ج:2 ص:83
تفسير السمعاني ج 2/ص 84
العزيز الحكيم 118 قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم 119 لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير 120 شيء ولا يخرج من حكمتك ويدخل في حكمة الله - تعالى - وسعة رحمته أن يغفر للكفار ولكنه أخبر أن لا يغفر وهو لا يخلف خبره ومن قال إنه على تسليم الأمر لا على وجه طلب المغفرة استقام النظم على قوله كما بينا
قوله تعالى ـ قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم يقرأ يوم بالرفع على الإبتداء ويقرأ يوم على بالنصب كأنه أراد في يوم فحذف في ونصب يوم
فإن قال قائل كيف ينفع الصادقين صدقهم بالقيامة وليست بدار النفع قيل معناه ينفع الصادقين صدقهم في الدنيا لا صدقهم في القيامة وقيل نفعهم بالصدق في القيامة أنهم لو كذبوا نطقت جوارحهم فافتضحوا فإذا صدقوا لم يفتضحوا لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم

ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم
لله ملك السموات والأرض وما فيهن وهو على كل شيء قدير والله أعلم بالصواب

تفسير السمعاني ج:2 ص:84

تفسير السمعاني ج 2/ص 85
تفسير سورة الأنعام

قال - رضي الله عنه - اعلم أن سورة الأنعام مكية روى يوسف بن مهران عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال سورة الأنعام نزلت جملة بمكة ليلا معها سبعون ألف ملك يحدونها بالتسبيح وقد روى هذا مرفوعا إلى النبي وفي تمام الخبر عن النبي أنه قال من قرأها في ليلة استغفر له السبعون ألف ملك أولئك ليله ونهاره إلى أن يصبح وفي بعض الروايات أن تلك الملائكة كان لهم زجل بالتسبيح وكانت الأرض ترتج والنبي يقول سبحان ربي العظيم حتى نزلت وفي رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال نزلت سورة الأنعام جملة بمكة إلا آيتين قوله تعالى ـ قل تعالوا الآية وقوله ما قدروا الله حق قدره الآية وفي بعض الروايات إلا ثلاث آيات من قوله قل تعالوا إلى آخر الآيات الثلاث وعن عمر رضي الله عنه أنه قال سورة الأنعام من نجائب القرآن وعن علي رضي الله عنه أنه قال من قرأ سورة الأنعام فقد انتهى في رضا ربه

تفسير السمعاني ج:2 ص:85
تفسير السمعاني ج 2/ص 86
بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا
قوله تعالى ـ الحمد لله الذي خلق السموات والأرض حكي عن كعب الأحبار أنه قال هذه الآية أول آية في التوراة وآخر آية في التوراة قوله تعالى ـ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية
فقوله الحمد لله معناه احمدوا الله ذكر الخبر بمعنى الأمر وفائدته الأمر بالحمد وتعليم الحمد فإنه لو قال احمدوا الله دعت الحاجة إلى بيان كيفية الحمد
وقوله الذي خلق السموات والأرض إنما خصهما بالذكر لأنهما أعظم المخلوقات فيما يرى العباد ولأن فيهما العبر والمنافع للعباد

وجعل الظلمات والنور والجعل بمعنى الخلق ثم اختلفوا قال بعضهم الظلمات الليل والنور النهار وقال بعضهم أراد بالظلمات الكفر وبالنور الإيمان ويدخل في الظلمات جميع الظلمات حتى ظلمة القلب وظلمة الشك ونحو ذلك
ويدخل في النور جميع الأنوار حتى نور القلب ونور اليقين ونحو ذلك وقيل أراد بالظلمات الجهل وبالنور العلم وقيل أراد بالظلمات المعصية وبالنور الطاعة
وروى عن قتادة أنه قال إن الله - تعالى - خلق السماء قبل الأرض والليل قبل النهار والجنة قبل النار وقد قال غيره خلق الأرض قبل السماء وسيأتي
ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قال الكسائي عدل الشيء بالشيء إذا ساواه به ومنه العدل ومعناه يعدلون بالله غير الله وقال مجاهد معناه ثم الذين كفروا بربهم يشركون والمعنيان متقاربان لأن من ساوى غير الله بالله فقد أشرك
وقيل قوله ثم الذين كفروا معنى لطيف وهو مثل قول القائل أنعمت عليك كذا وتفضلت عليك بكذا ثم لا تشكرني ثم تكفر بنعمتي

تفسير السمعاني ج:2 ص:86
تفسير السمعاني ج 2/ص 87
بربهم يعدلون 1 هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده ثم أنتم تمترون 2 وهو الله في السموات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون 3 وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين 4 فقد

قوله تعالى ـ هو الذي خلقكم من طين هو ما بينا أن الله - تعالى - أمر ملك الموت حتى قبض قبضة من تراب فخلق منها آدم - صلوات الله عليه - فهذا معنى قوله هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده قال ابن عباس الأجل الأول من الولادة إلى الموت والأجل الثاني من الموت إلى البعث
وقال أيضا لكل أحد أجلان أجل إلى الموت وأجل من الموت إلى البعث فإن كان برا وصولا للرحم زيد له من أجل البعث في أجل العمر وإن كان غير ذلك نقص من أجل العمر وزيد ذلك في أجل البعث
وقيل الأجل الأول أجل الدنيا كما بينا والأجل الثاني من ابتداء الآخرة وذلك مسمى عند الله لا يعلمه غيره ثم أنتم تمترون تشكون
قوله تعالى ـ وهو الله في السموات والأرض يعلم سركم وجهركم قال ابن الأنباري معناه وهو الله المعبود في السموات وفي الأض وقال غيره تقديره وهو الله يعلم سركم وجهركم في السموات والأرض وهو قول الزجاج ويعلم ما تكسبون الكسب كل عمل يعمله الإنسان بكده لجلب نفع أو دفع ضر ولذلك لا يوصف فعل الله بالكسب لأنه فعله برئ عن جلب المنافع ودفع المضار
قوله تعالى ـ وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين أراد بهذه

الآية انشقاق القمر فإن الكفار سألوا رسول الله أن يأتيهم بآية فقال عليه الصلاة و السلام - ماذا تريدون فاقترحوا انشقاق القمر فأتاهم به فكفروا وأعرضوا
قوله - تعالى- فقد كذبوا بالحق لما جاءهم يعني ما ذكرنا فسوف

تفسير السمعاني ج:2 ص:87
تفسير السمعاني ج 2/ص 88
كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون 5 ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزءون معناه فسوف يؤول إليه وبال ما كانوا به يستهزءون

قوله تعالى ـ ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن قيل ثمانون سنة وقيل ستون سنة وقيل أربعون سنة وقيل ثلاثون سنة والقرن عند حفاظ الحديث مائة سنة فإنه روى عن النبي أنه قال لعبد الله بن بسر المازني إنك تعيش قرنا فعاش مائة سنة فاستدلوا به على أن القرن مائة سنة وفي الأخبار كان بين آدم ونوح عشرة قرون وبين نوح وإبراهيم عشرة قرون والقرن في الحقيقة هو أهل كل زمان سواء بعث فيهم نبي أو لم يبعث وعليه دل قوله خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين بلونهم يعني ثم القرن الذين يلونهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:88
تفسير السمعاني ج 2/ص 89
مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين 6 ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين 7 وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر ثم لا
وقوله مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم أي أعطيناهم ما لم نعطكم
وأرسلنا السماء عليهم مدرارا أي متتابعا قال الشاعر
وسقاك من نوء الثريامزقة عن الحلب وابلا مدرارا
أي متتابعا قال ابن عباس معناه وأرسلنا السماء عليهم مدرارا أي متتابعا في أوقات الحاجات ولم يرد به التوالي على الدوم وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين

قوله تعالى ـ ولو أنزلنا عليك كتابا في قرطاس سبب هذا أن عبد الله بن أبي أمية المخزومي أخا أم سلمة قال لرسول الله لن نؤمن بك حتى تنزل علينا صحيفة من السماء جملة فنزل قوله ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس والقرطاس ما يكون مكتوبا فإذا لم يكن مكتوبا سمي طرسا فلمسوه بأيديهم فإن قال قائل لم لم يقل فرأوه بأعينهم قيل لأن اللمس أبلغ في إيقاع العلم من الرؤية لأن السحر يجري على المرئي ولا يجري على الملموس لأن الملموس يصير مرئيا والمرئي لا يصير ملموسا فذكر اللمس ليكون أبلغ لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ومعناه أنه لا ينفع معهم شيء فإنا وإن أنزلنا عليهم ما اقترحوا قالوا إن هذا إلا سحر مبين
قوله تعالى ـ وقالوا لولا أنزل عليه ملك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية المخزومي اقترح إنزال ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر قال مجاهد معناه لقامت القيامة وقيل معناه لاستؤصلوا بالعذاب وهذه سنة الله في الكفار أنهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:89
تفسير السمعاني ج 2/ص 90
ينظرون 8 ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون 9 ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون 10 قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين 11 قل لمن ما في السموات متى اقترحوا آية فإذا أعطاهم الله لك فكفروا بها استأصلهم بالعذاب كدأب قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأمثالهم ثم لا ينظرون أي ثم لا يمهلون

قوله تعالى ـ ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا أي في صورة رجل لأن الرجل أأنس بالرجل وأفهم منه وقد جاء جبريل إلى النبي في صورة دحية الكلبي وجاء الملكان إلى داود في صورة رجلين وللبسنا عليهم ما يلبسون قال ابن عباس والضحاك وجماعة معناه خلطنا عليهم ما يخلطون وفي معناه قولان أحدهما أنهم شبهوا على ضعفائهم فتشبه عليهم كما شبهوا وينزل الملك في صورة رجل حي يشتبه عليهم فيقول بعضهم هو ملك ويقول بعضهم ليس بملك والقول الثاني أن معناه أضللناهم بإنزال الملك في صورة رجل كما ضلوا من قبل أي لو حسبوا أن يهتدوا بإنزال الملك فإنزال الملك لا يعجزنا من إضلالهم به
قوله تعالى ـ ولقد استهزئ برسل من قبلك سبب هذا أن رسول الله مر على الوليد بن المغيرة وأمية بن خلف وأبي جهل فضحكوا هزوا به فنزلت الآية تسلية له فحاق بالذين أي فنزل بالذين سخروا منهم ما كانوا أي وبال ما كانوا

به يستهزءون
قوله تعالى ـ قل سيروا في الأرض يحتمل هذا السير بالفكرة والعقول ويحتمل السير بالأقدام ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين يعني ممن سبق من الأمم

تفسير السمعاني ج:2 ص:90
تفسير السمعاني ج 2/ص 91
والأرض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون 12 وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم 13 قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني

قوله تعالى ـ قل لمن ما في السموات والأرض قل لله أمر بالجواب عقيب السؤال ليكون أبلغ في التأثير وآكد في الحجة لأن من سأل غيره عن شيء ثم عقبه بالجواب كان ذلك أبلغ تأثيرا كتب على نفسه الرحمة أي قضى وقد صح برواية أبي هريرة أن رسول الله قال إن الله كتب كتابا قبل خلق السموات والأرض فهو عنده فوق عرشه سبقت رحمتي غضبي
ليجمعنكم اللام لام القسم أي والله ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه أي لا شك فيه الذين خسروا أنفسهم غبنوا أنفسهم فهم لا يؤمنون
قوله تعالى ـ وله ما سكن في الليل والنهار وقيل فيه حذف وتقديره وله ما سكن وما تحرك وقيل هو السكون خاصة وإنما خص السكون لأن النعمة في السكون أكثر منها في الحركة وهو السميع العليم
قوله تعالى ـ قل أغير الله اتخذ وليا فاطر السموات والأرض الفاطر الخالق المنشئ للخلق قال الأصمعي ما كنت أعرف معنى الفاطر حتى أختصم إلى أعربيان في بئر فقال أحدهما أنا فطرته وقال الآخر أنا فطرته فعرفت أنه إنشاء الخلق وهو يطعم ولا يطعم قرأ الأعمش وهو يطعم ولا يطعم بفتح الياء أي يؤكل ولا يأكل وأما القراءة المعروفة فمعناه وهو يرزق ولا يرزق
قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم يعني من هذه الأمة والإسلام يعني الاستسلام لأمر الله - تعالى - ولا تكونن من المشركين وهو وإن كان معصوما

تفسير السمعاني ج:2 ص:91
تفسير السمعاني ج 2/ص 92
أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين 14 قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم 15 من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز

المبين 16 وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على عن الشرك لكن الأمر بالثبات على الإيمان وترك الإشراك يجوز أن يكون متوجها عليه وقيل الخطاب معه والمراد به الأمة

(2/86)

قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم أي عذاب القيامة من يصرف عنه يعني العذاب وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم بفتح الياء يعني من يصرف الله عنه العذاب يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين
قوله تعالى ـ وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو الضر خلاف النفع ومعناه إن يصبك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وروى عن ابن عباس أنه قال كنت رديف النبي فقال ألا أعلمك كلمات تنتفع بهن في الدنيا والآخرة قلت نعم فقال احفظ الله يحفظك الخبر إلى أن قال فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا عليه ولو اجتمعوا على أن يمنعوك شيئا كتبه الله لك لم يقدروا عليه الخبر-
---

تفسير السمعاني ج:2 ص:92
تفسير السمعاني ج 2/ص 93
كل شيء قدير 17 وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير 18 قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون 19 الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا
قوله تعالى ـ وهو القاهر فوق عباده القاهر الغالب الذي لا يغلب وقيل هو المنفرد بالتدبير يجبر الخلق على مراده وقوله فوق عباده هو صفة الاستعلاء الذي لله - تعالى - الذي يعرفه أهل السنة وهو الحكيم الخبير
قوله تعالى ـ قل أي شيء أكبر شهادة سبب هذا أن الكفار قالوا يا محمد من يشهد لك بالصدق فنزلت الآية قل أي شيء أكبر شهادة يعني من الله واستدلوا بهذا على أن الله شيء قل الله شهيد بيني وبينكم أي يشهد لي بالحق وعليكم بالباطل

(2/87)

وأوحي إلي هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ أي ومن بلغه القرآن إلى قيام الساعة وفي الخبر عن النبي نضر الله وجه امرئ سمع مني مقالة فوعاها ثم

بلغها فرب مبلغ أوعى من سامع وقيل معناه لأنذركم به يعني العرب ومن بلغ يعني العجم
أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون أمره بالجواب عقيب السؤال لما بينا
الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه قيل أراد به محمدا وقيل أراد به القرآن يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:93
تفسير السمعاني ج 2/ص 94
أنفسهم فهم لا يؤمنون 20 ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون 21 ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون 22 ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين
الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون أي غبنوا أنفسهم وغبنهم أنهم خسروا رأس المال وفي الخبر أن الله - تعالى - خلق لكل آدمي منازل في الجنة فإن كفر خسر تلك المنازل وجعلها الله - تعالى - لمؤمن
قوله تعالى ـ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أي قال عليه ما لم يقله أو كذب بآياته يعني آيات القرآن إنه لا يفلح الظالمون
قوله تعالى ـ ويوم نحشرهم جميعا أراد به حشر القيامة ثم نقول للذين أشركوا أين شركاءكم الذين كنتم تزعمون يعني أين الشركاء الذين كنتم تزعمون أنهم شركاء الله والزعم قول الكذب قال ابن عباس الزعم الكذب في كل موضع وفي الآثار زعموا مطية الكذب
قوله تعالى ـ ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين قال قتادة معناه ثم لم تكن معذرتهم - وقال غيره ثم لم يكن كلامهم - إلا أن قالوا

قال الزجاج في قوله ثم لم تكن فتنتهم معنى لطيف وذلك مثل الرجل يفتن بمحبوب ثم تصيبه في ذلك محنة فيتبرأ من محبوبه فيقال لم تكن فتنته إلا هذا كذلك الكفار لما فتنوا بمحبة الأصنام ثم إذا رأوا العذاب يتبرءون منها
يقول الله - تعالى - ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين

تفسير السمعاني ج:2 ص:94
تفسير السمعاني ج 2/ص 95
23 انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون 24 ومنهم من

يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين انظر كيف كذبوا على أنفسهم كذبهم عل أنفسهم تبرئهم من الشرك وضل أي ذهب عنهم ما كانوا يفترون
قوله تعالى ـ ومنهم من يستمع إليك وجعلنا على قلوبهم أكنة هذا في رؤساء المشركين مثل أبي سفيان بن حرب - حين كان مشركا - وأبي جهل بن هشام وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن المغيرة وغيرهم كانوا يستمعون القرآن فقالوا لأبي سفيان ما هذا فقال أرى فيه حقا وباطلا فقال أبو جهل حتى تفاخرنا واستوينا في المجد واستوت بنا الركب تزعمون أن منكم نبيا يا بني عبد مناف والله لا نقر بهذا وفي رواية للموت أهون علينا من هذا
وجعلنا على قلوبهم أكنة هي جمع الكنان كالأعنة جمع العنان وهي الأغطية أن يفقهوه قال بعضهم كراهة أن يفقهوه وقال آخرون أن لا يفقهوه وفي آذانهم وقرا أي وجعلنا في آذانهم صمما قال ابن عباس والوقر أصله الثقل ومن ثقل الأذن جاء الصمم
وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها هذا في معجزات النبي وما أراهم من الآيات

يقول الله - تعالى - وإن يروا جميع تلك الآيات لا يؤمنوا بها وقيل إنهم اقترحوا آية فنزل قوله وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وهذا في قوم مخصوصين علم الله أنهم لا يؤمنون
حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين
مجادلتهم أنهم قالوا للنضر بن الحارث بن كلدة وكان قد نظر في الكتب المنزلة

تفسير السمعاني ج:2 ص:95
تفسير السمعاني ج 2/ص 96
25 وهم ينهون عنه وينئون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون 26 ولو وكان ممن يستمع القرآن فقالوا له ما تقول في هذا قال إن هذا إلا أساطير الأولين مثل أقاصيص رستم واسفنديار وصحف الأولين قال ثعلب الأساطير جمع الأسطورة وهي المكتوبة
قوله تعالى ـ وهم ينهون عنه وينئون عنه أي ينهون الناس عن اتباع محمد وتباعدون عنه بأنفسهم وقيل معنى قوله ينهون عنه أي يذبون عنه ويمنعون الناس عن أذاه وينئون عنه أي يتباعدون عن الإيمان به وذلك مثل أبي طالب كان يذب عنه حال حياته قال ابن عباس هو في أبي طالب حتى روى أنه اجتمع عليه رؤساء قريش وقالوا له اختر شابا من أصحابنا وجيها واتخذه ابنا لك وادفع إلينا محمدا فقال أبو طالب ما أنصفتموني أدفع إليكم ولدي ليقتل وأربي ولدكم

وروى أنه قال لرسول الله لولا أن قريشا تعيرني لأقررت عينك بالإيمان وكان يذب عنه إلى أن توفي وروي أنه قرأ عليه قوله تعالى ـ وهم ينهون عنه وينئون عنه فقال أبو طالب أما أن أدخل في دينك فلا أدخل أبدا ولكني أذب عنك ما حييت وله فيه أبيات

والله لن يصلوا إليك بجمعهمحتى أوسد في التراب دفينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة
وأبشر بذاك وقر منك عيونا
ودعوتني وعلمت أنك ناصحي
وصدقتني ولكنت ثم أمينا

(2/90)

تفسير السمعاني ج:2 ص:96
تفسير السمعاني ج 2/ص 97
ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين 27 بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم

ولقد علمت بأن دين محمدمن خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة
لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وإن يهلكون إلا أنفسهم أي لا يرجع وبال فعلهم إلا إليهم وما يشعرون قوله تعالى ـ ولو ترى إذ وقفوا على النار أي دخلوا النار وقيل عرضوا على النار والوقوف الاطلاع على حقيقة الشيء فقالوا يا ليتنا نرد إلى الدنيا ولا نكذب بآيات ربنا قال سيبويه هو ابتداء كلام يعني لا نكذب أبدا رددنا أو لم نرد وقال غيره هو على نسقه أي يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا أي لا نكفر بعد الرد إلى الدنيا ونكون من المؤمنين ويقرأ ونكون بنصب النون وتقديره ولنكون من المؤمنين

قوله تعالى ـ بل بدا لهم قوله بل بحتة رد لما قالوا وقوله بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل أي ظهر لهم ما أخفوا من قبل من تبرئهم عن الشرك بقولهم والله ربنا ما كنا مشركين وذلك أنهم إذا قالوا ذلك يختم الله على أفواههم وتنطق جوارحهم بشركهم فيبدو لهم ما كانوا يخفون من قبل

ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه أي ولو ردوا إلى الدنيا لعادوا إلى الكفر والشرك بالله وإنهم لكاذبون يعني في قولهم يا ليتنا نرد لا نكذب بآيات ربنا وفي الأخبار أن الله تعالى يعتذر إلى آدم يوم القيامة بثلاث معاذير أحدها هذا بقوله إني لا أدخل من ذريتك النار إلا من أعلم أني لو رددته إلى الدنيا سبعين

تفسير السمعاني ج:2 ص:97
تفسير السمعاني ج 2/ص 98

(2/91)

لكاذبون 28 وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين 29 ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون 30 قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا مرة لكفر بي
قوله تعالى ـ وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين هذا في إنكارهم البعث والقيامة قوله تعالى ـ ولو ترى إذ وقفوا على ربهم أي عرضوا على ربهم قال أليس هذا بالحق وذلك حين تكشف لهم الغيوب والسرائر
قالوا بلى وربنا فيقرون بها قال ابن عباس هذا في موقف وقوله والله ربنا ما كنا مشركين في موقف آخر وفي القيامة مواقف ففي موقف ينكرون وفي موقف يقرون قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون
قوله تعالى ـ قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله أي خسروا أنفسهم بتكذيبهم بالمصير إلى الله فاللقاء ها هنا بمعنى المصير إليه حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة أي فجأة قالوا يا حسرتنا هذا على المبالغة كقولهم يا عجبا وقول القائل يا عجبا أبلغ من قوله أنا متعجب فكذلك قوله يا حسرتنا أبلغ من قوله أنا متحسر قال سيبويه هذا على وجه النداء كأنه يقول أيتها الحسرة هذا أوانك وأيها العجب جاء أوانك
على ما فرطنا فيها أي قصرنا فيها أي في أمر القيامة وهم يحملون

تفسير السمعاني ج:2 ص:98
تفسير السمعاني ج 2/ص 99

(2/92)

حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون 31 وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون 32 قد أوزارهم على ظهورهم الأوزار الأثقال واحدها وزر ومنه الوزر وهو الحبل في قوله تعالى ـ كلا لا وزر أي لا حبل ولا ملاذ وحملهم الأوزار بيانه في الخبر وهو ما روى عن النبي أنه قال يحشر الناس يوم القيامة فمن كان منهم برا تلقاه صورة حسنة طيبة الريح فتقول أما تعرفني أنا عملك الصالح

فاركبني فقد طال ما ركبتك ومن كان فاجرا تلقاه صورة قبيحة منتنة الريح
فتقول أما تعرفني أنا عملك الخبيث وقد طال ما ركبتني فأنا اليوم أركبك فهذا معنى قوله وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون
وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون
وصف كلا الدارين في هذه الآية
قوله تعالى ـ قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون سبب هذا أن رسول الله مر على أبي جهل فقال يا محمد أنت صادق عندنا وإنما نكذب بما جئت به فهذا معنى الآية وقيل إنما نزل هذا تسلية للرسول يقول الله - تعالى - لا تحزن فإنهم لا يكذبونك ويقرأ فإنهم لا يكذبونك مخففا والفرق بين التكذيب والإكذاب أن التكذيب هو أن يقول له كذبت والإكذاب هو أن يجده كاذبا
قوله تعالى ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا فيه

تفسير السمعاني ج:2 ص:99
تفسير السمعاني ج 2/ص 100

نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون 33 ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين 34 وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله حذف وتقديره ولقد كذبت رسل من قبلك وأوذيت فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله أي لعلم الله وأحكامه ولقد جاءك من نبأ المرسلين أي أخبار المرسلين
قوله تعالى ـ وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض النفق السرب في الأرض ومنه النافقاء وهو جحر اليربوع ومنه النفاق لأن المنافق يدخل نفقين أو سلما في السماء فتأتيهم بآية أي درجا في السماء فتأتيهم بآية سبب هذا أن الكفار كانوا يقترحون الآيات وود النبي أن يعطيهم الله ما اقترحوا من الآيات طمعا في أن يروا الآيات فيسلموا فنزل قوله فإن استطعت أن تبتغي نفقا في الأرض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية وتقديره إن استطعت ذلك فافعل وفيه حذف
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى أي بأن يريهم آية يضطرون إلى الإيمان بها والصحيح أن المراد به ولو شاء الله لطبعهم وخلقهم على الإيمان فهذا أقرب إلى قول أهل السنة لأن إيمان الضرورة لا ينفع وإنما ينفع الإيمان بالغيب اختيارا فلا تكونن من الجاهلين أي بهذا الحرف وذلك قوله ولو شاء الله

لجمعهم على الهدى
قوله تعالى ـ إنما يستجيب الذين يسمعون هاهنا الوقف ومعناه إنما يستجيب الذين يسمعون سماع القبول والموتى يبعثهم الله يعني الكفار ثم

تفسير السمعاني ج:2 ص:100
تفسير السمعاني ج 2/ص 101

لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين 35 إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون 36 وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون 37 وما من دابة في الأرض ولا طائر إليه يرجعون
قوله تعالى ـ وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل إن الله قادر على أن ينزل آية يعني أنه قادر على إنزال الآيات وقد أنزل كثيرا من الآيات والمعجزات ولكن لا ينزل الآيات على اقتراح الكفار ولكن أكثرهم لا يعلمون
قوله تعالى ـ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إنما قيد الطيران بالجناح تأكيدا إلا أمم أمثالكم أي أصناف أمثالكم وفي الخبر لولا أن الكلاب أمة لأمرتكم بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم فإنه شيطان ومعنى الآية أنها أمثالكم في الخلق والموت والبعث يعني يخلقها كما يخلقكم ويميتها كما يميتكم ويبعثها كما يبعثكم وقيل معنى قوله أمم أمثالكم يعني في العلم بالضار والنافع والتوقي عن الهلاك ومعرفة العدو
ما فرطنا في الكتاب من شيء فإن قال قائل نرى كثيرا من الأحكام ليست في الكتاب فما معنى قوله ما فرطنا في الكتاب من شيء قيل ما من شيء إلا وأصله في الكتاب وقيل ما قاله الرسول فإنما قاله من الكتاب لأنه قد قال في خبر معروف أوتيت القرآن ومثله وقد قال الله - تعالى - وما ينطق عن

تفسير السمعاني ج:2 ص:101
تفسير السمعاني ج 2/ص 102

يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون 38 والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم 39 قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله لهوى إن هو إلا وحي يوحى فكل ما ثبت بالسنة فكأنه ثابت في الكتاب وقيل معناه ما فرطنا في الكتاب من شيء تقع الحاجة إليه ثم إلى ربهم يحشرون ولا شك في حشر البهائم والحيوانات يوم القيامة حتى روى أن الله - تعالى - يحشرها ويقتص للجماء من القرناء وروى أبو ذر أن النبي رأى شاتين تنتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيما نتطحان فقلت لا فقال لكن الله يدري وسيقضي بينهما وأمثال هذا كثير وسبيل الناس أن يؤمنوا به ويكلوا علمه إلى الله - تعالى - فإنه شيء لا تهتدي إليه العقول وعلى هذه الآية حكاية حكي أن بهلول المجنون رأى أبا يوسف القاضي في الطريق فسأله وقال إن الله - تعالى - يقول وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ثم يقول وإن من أمة إلا خلا فيها نذير فما نذير الكلاب فتحير أبو يوسف عن الجواب فأخذ بهلول حجرا من الأرض وقال هذا نذير الكلاب
قوله تعالى ـ والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات أي صم عن سماع الحق وبكم عن قول الحق من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم
قوله تعالى ـ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله قيل عذاب الله هو

تفسير السمعاني ج:2 ص:102
تفسير السمعاني ج 2/ص 103

تدعون إن كنتم صادقين 40 بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه إن شاء وتنسون ما تشركون 41 ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون 42 فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الموت أو أتتكم الساعة يعني القيامة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين هذا استفهام بمعنى التقرير يعني لا تدعون إلا الله وأراد به في أحوال الضرورات فإن الكفار في حال الضرورات يدعون الله - تعالى - كما قال وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين
قوله تعالى ـ بل إياه تدعون هذا تقرير لما استفهم منه في الآية الأولى يعني بل تدعون الله ولا تدعون غيره فيكشف ما تدعون إليه إن شاء قيد إجابة الدعوة بالمشيئة ها هنا وأطلقها في قوله ادعوني أستجب لكم
قال أهل العلم وذلك مقيد بالمشيئة أيضا بدليل هذه الآية
وتنسون ما تشركون وذلك أنهم لما تركوا الأصنام في حال الضرورات إلى

دعاء الله فكأنهم نسوا ما يشركون وفي الآية مجاز وتقدير قوله فيكشف ما تدعون إليه أي فيكشف ضر ما تدعون إليه
و قوله تعالى ـ ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء البأساء الجوع والفقر والضراء المرض والبلوى في النفس والمال
لعلهم يتضرعون التضرع السؤال بالتذلل وحكى أبو عبيد عن الفراء فلان يتضرع ويتصدى أي أنه سأل متذللا وبتضرع
قوله تعالى ـ فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا أي فهلا تضرعوا إذ جاءهم بأسنا ولكن قست قلوبهم قال الزجاج معناه بلغت قلوبهم في

تفسير السمعاني ج:2 ص:103
تفسير السمعاني ج 2/ص 104

الشيطان ما كانوا يعملون 43 فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون 44 فقطع دابر القوم الذين القساوة أنا أرسلنا إليهم الرسل وأريناهم الآيات وأخذناهم بالبأساء والضراء فلم يتضرعوا ولم يعودوا عما كانوا عليه وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون يعني حتى مضوا على عملهم وكفرهم
قوله تعالى ـ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء هذا فتح استدراج ومكر وفي الآثار من فتح عليه باب نعمة فلم ير أنه مكر به فلا رأي له ومن أصابته شدة فلم ير أنه نظر له فلا رأي له يعني في الدين
حتى إذا فرحوا بما أوتوا هذا فرح بطر وهو منهي عنه وذلك مثل فرح قارون بما أصاب من الدنيا حتى قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين
أخذناهم بغتة أي فجأة فإذا هم مبلسون قال ابن عباس آيسون من حمل خير وقال أبو عبيدة المبلس النادم الحزين وقال الفراء هو الساكت المنقطع عن الحجة وأنشدوا
يا صاح هل تعرف رسما مكرساقال نعم أعرفه وأبلسا
وقال آخر
ملك إذا طاف الغفاة ببابه
غبطوا وأنجي منهم المتبلس
قوله تعالى ـ فقطع دابر القوم الذين ظلموا الدابر الأصل ها هنا فيكون الدابر بمعنى الآخر ومنه قوله من أشراط الساعة كذا وكذا ولا يأتون الصلاة إلا دبرا أي آخرا والحمد لله رب العالمين حمد الله نفسه على إهلاكهم واستئصالهم وفيه تعليمنا الحمد لله على هلاك الكفار
قوله تعالى ـ قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم

تفسير السمعاني ج:2 ص:104
تفسير السمعاني ج 2/ص 105

(2/98)

ظلموا والحمد لله رب العالمين 45 قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون 46 قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون 47 وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا من إله غير الله يأتيكم به ذكر أشياء ثم قال يأتيكم به فاختلفوا فقال بعضهم معناه يأتيكم بما أخذ و قال آخرون قوله يأتيكم به يرجع إلى السمع خاصة واندرج فيه الأبصار والقلوب ومن هذا ذهب بعض العلماء إلى أن السمع أفضل من سائر الحواس حيث خصه بالكناية وقالوا هو مثل قوله تعالى ـ والله ورسوله أحق أن يرضوه و الهاء راجعة إلى الله - تعالى - واندرج فيه الرسول انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون أي يعرضون
قوله تعالى ـ قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله حكى الفراء عن العرب أنهم يقولون أرأيتك بمعنى أخبرني وأرأيتكما بمعنى أخبراني وأرأيتكم يعني أخبروني وأرأيتك بمعنى للمرأة بمعنى أخبريني هكذا بغتة أو جهرة معناه ليلا أو نهارا وقيل معناه فجأة أو عيانا هل يهلك إلا القوم الظالمون
قوله تعالى ـ وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين وقد بينا هذا فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني يوم القيامة
والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب أي يصيبهم عذاب النار بما كانوا يفسقون
قوله تعالى ـ قل لا أقول لكم عندي خزائن الله أنزل هذا حين اقترحوا الآيات وكانوا يقولون لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء وسائر ما

تفسير السمعاني ج:2 ص:105
تفسير السمعاني ج 2/ص 106

(2/99)

هم يحزنون 48 والذين كذبوا بآياتنا مسهم العذاب بما كانوا يفسقون 49 قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن اتبع إلا ما

يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون 50 وأنذر به الذين يخافون اقترحوا من الآيات فنزل قوله قل لا أقول لكم عندي خزائن الله فأعطيكم ما تريدون ولا أعلم الغيب والغيب كل ما غاب عنك ويكون ماضيا ويكون في المستقبل والماضي منه يجوز أن يعلمه الإنسان بخبر مخبر ونحوه فأما المستقبل فلا يعلمه إلا الله ورسول ارتضاه كما قال في سورة الجن وقوله ولا أعلم الغيب فيه إضمار أي ولا أعلم الغيب إلا ما أعلمنيه الله ولا أقول لكم إني ملك إنما أمره بذلك لأن الملك يقدر على ما لا يقدر عليه الآدمي وقيل لأن الملك يشاهد ما لا يشاهد الآدمي واستدل بهذا من فضل الملائكة على الآدميين وليس فيه مستدل ومعناه ما بينا
إن اتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير قال قتادة الكافر والمؤمن وقال مجاهد الضال والمهتدي وقيل الجاهل والعالم أفلا تتفكرون قوله تعالى ـ وانذر به أي خوف به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم قيل هم المسلمون وقيل كل من يؤمن بالبعث من المسلمين وأهل الكتاب
ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون فإن قيل أليس يشفع الأنبياء والأولياء يوم القيامة فما معنى قوله ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع قلنا معناه لا شفاعة إلا بإذنه وهم إنما يشفعون بإذنه أو هذا رد لما زعموا أن الملائكة والأصنام يشفعون لنا
قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي سبب نزول الآية أن المشركين بمكة أتوا رسول الله وقالوا إنك تجالس الفقراء وأرادوا به بلالا

تفسير السمعاني ج:2 ص:106
تفسير السمعاني ج 2/ص 107

أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون 51 ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما وصهيبا وابن مسعود وعمار بن ياسر وخباب بن الأرت ومهجع ونحوهم من فقراء أهل الصفة وقالوا لو طردتهم آمنا بك كأنهم استنكفوا الجلوس معهم فهم النبي بذلك طمعا في إيمانهم فنزلت الآية قال سعد بن أبي وقاص في نزلت الآية وابن مسعود وعد جماعة وقال مجاهد نزلت الآية في بلال وجماعة وفيه قول آخر أن الآية نزلت بالمدينة وروى أن الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري أتيا رسول الله كانا من أكابر الكفار فقالا إنا نستنكف من الجلوس مع هؤلاء فلو اتخذت لنا مجلسنا منك آمنا بك فهم بذلك طمعا في إيمانهم فنزلت الآية فعلى هذا تكون الآية من الآيات المبينة التي نزلت بالمدينة
قوله ولا تطرد الذين يدعون ربهم اختلفوا في هذه الدعوة قال ابن عباس

معناه يصلون الصلوات الخمس وقال إبراهيم النخعي هو ذك الله وقال الضحاك كل الطاعات

تفسير السمعاني ج:2 ص:107
تفسير السمعاني ج 2/ص 108
من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين 52 وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين 53 وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل
وقوله يريدون وجهه قال ابن عباس أي يريدون إياه بالطاعة ويريدون خالص وجهه والوجه صفة لله - تعالى - بلا كيف وجه لا كالوجوه

فتطردهم فتكون من الظالمين يعني إن طردتهم وقيل في الآية تقديم وتأخير وتقديره ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فتكون من الظالمين ثم قال ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء قوله تعالى ـ وكذلك فتنا بعضهم بعض هو فتنة الأغنياء بالفقراء والله - تعالى - يفتن الأغنياء بالفقراء ويفتن الفقراء بالأغنياء والمراد هاهنا فتنة أكابرهم بفقرائهم حيث امتنعوا عن الإيمان بسببهم وذلك كان فتنة لهم وليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا يقول الأغنياء أهؤلاء الفقراء سبقونا بالإيمان ثم يقول الله - تعالى - أليس الله بأعلم بالشاكرين يعني أليس الله بأعلم من هو أهل للإسلام فيدخل في الإسلام
قوله -تعالى - وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا هم الفقراء الذين ذكرنا فقل سلام عليكم أمر رسوله ببدائتهم بالسلام وقد ذكرنا معنى السلام فيما سبق وقيل معناه سلمكم الله في دينكم وقيل معناه السلامة لكم
كتب ربكم على نفسه الرحمة أي قضى بالرحمة لكم أنه من عمل منكم سواء بجهالة أي خطيئه وقد بينا أن كل عاص جاهل ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم يقرأ أنه وفأنه كلاهما بنصب الألف فيكون بدلا عن قوله

تفسير السمعاني ج:2 ص:108
تفسير السمعاني ج 2/ص 109
منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم 54 وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين 55 قل إني نهيت أن اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين 56 قل إني على

بينة من كتب ربكم على نفسه الرحمة ويقرأ كلاهما بكسر الألف على الابتداء ويقرأ الأول بالفتح والثاني بالكسر

قوله تعالى ـ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين يقرأ بثلاثة أوجه ولتستبين - بالتاء سبيل بنصب اللام ومعناه ولتستبين يا محمد سبيل المجرمين فإن قيل ألم يكن مستبينا له قيل معناه لتزداد بيانا وقال الزجاج الخطاب مع الرسول والمراد بالآية الأمة
ويقرأ وليستبين بالياء والتاء سبيل برفع اللام وقالوا لأن السبيل يذكر ويؤنث قال الله - تعالى - قل هذه سبيلي ومعناه وليظهر سبيل المجرمين فإن قيل لم خص سبيل المجرمين قيل تقديره ولتستبين سبيل المجرمين وسبيل المؤمنين فحذف أحدهما اختصارا والأصح أن تقديره ولتستبين سبيل المجرمين عن سبيل المؤمنين
قوله تعالى ـ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله هو النهي عن الشرك قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت إذا وما أنا من المهتدين يعني إن اتبعت أهواءكم قوله تعالى ـ قل إني على بينة من ربي على بيان من ربي وكذبتم به أي بما جئت به ما عندي ما تستعجلون به قيل أراد به استعجالهم الآيات والمعجزات وقيل أراد به استعجالهم القيامة قال الله - تعالى- يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها وقيل أراد به استعجال العذاب قال الله -

---

تفسير السمعاني ج:2 ص:109
تفسير السمعاني ج 2/ص 110
ربي وكذبتم به ما عندي ما تستعجلون به إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين 57 قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين 58 وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تعالى- ويستعجلونك بالعذاب وكانوا يقولون إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم
إن الحكم إلا لله يقضي الحق وهو خير الفاصلين ويقرأ يقص بالصاد واستدل بالكتابة في المصاحف فإن هذه الكلمة تكتب بغير الياء

قوله تعالى قل لو أن عندي ما تستعجلون به لقضي الأمر بيني وبينكم معناه لقامت القيامة وقيل هو في العذاب ومعناه لو كان العذاب بيدي لعجلته حتى

أتخلص منكم والله أعلم بالظالمين
قوله تعالى ـ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو روى ابن عمر عن النبي أنه قال مفاتح الغيب خمسة وذكر الخمس المذكورة في قوله تعالى ـ إن الله عنده علم الساعة ثم قرأ الآية ويعلم ما في البر والبحر قال مجاهد البحر القرى والأمصار هاهنا والبر المفاوز يقال هذا المصر بحر وهذه القرية بحر لاجتماعها وكثرة أهلها وقيل هو البر والبحر المعروف
وما تسقط من ورقة إلا يعلمها فإن قال قائل لم خص الورق الساقط

تفسير السمعاني ج:2 ص:110
تفسير السمعاني ج 2/ص 111
تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين 59 وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم عليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون 60 وهو القاهر فوق عباده وهو يعلم الساقط والثابت قيل هذا معناه أي وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ساقطة وثابتة قال جعفر بن محمد الصادق أراد بالورقة الساقطة السقط
ولا حبة في ظلمات الأرض هو الحب المعروف وقال جعفر الصادق هو الولد ولا رطب ولا يابس قيل معناه ولا حي ولا موات وقيل هو عبارة عن كل شيء إلا في كتاب مبين يعني أن الكل مكتوب في اللوح المحفوظ وهو مثل قوله - تعالى- وكل صغير وكبير مستطر

قوله تعالى ـ وهو الذي يتوفاكم بالليل أي يقبض أرواحكم بالليل إذا نمتم وهذا نظير قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فإن قال قائل أليس من نام فروحه معه فما معنى هذا القبض قيل هو قبض النفس المميزة المتصرفة ويعلم ما جرحتم بالنهار أي كسبتم بالنهار ثم يبعثكم فيه قال قتادة البعث اليقظة هاهنا أي ثم يوقظكم في النهار ليقضي أجل مسمى القضاء هو فصل الحكم على التمام ومعناه هاهنا استيفاء أجل العمر على التمام
ثم إليه مرجعكم ثم ينئكم بما كنتم تعملون
قوله تعالى ـ وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة أما معنى القاهر وصفة الفوق فقد ذكرنا وأما إرسال الحفظة هو إرسال الملائكة الحفاظ وهو ما قال في آية أخرى وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين وقال له معقبات

تفسير السمعاني ج:2 ص:111
تفسير السمعاني ج 2/ص 112
ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون 61 ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين 62 قل من ينجيكم من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله وحفظهم أن يحفظوا على العباد العمل والأجل والرزق حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ويقرأ توفيه بالياء وهم لا يفرطون أي لا يؤخرون

(2/105)

فإن قيل قد قال في آية أخرى قل يتوفاكم ملك الموت وقال هاهنا توفته رسلنا فكيف وجه الجمع قيل قال إبراهيم النخعي لملك الموت أعوان من الملائكة يتوفون عن أمره فهو معنى قوله توفته رسلنا ويكون ملك الموت هو المتوفى في الحقيقة لأنهم يصدرون عن أمره ولذلك نسب الفعل إليه في تلك الآية وقيل معناه ذكر الواحد بلفظ الجمع والمراد به ملك الموت وفي القصص أن الله - تعالى - جعل الدنيا بين يديه كالمائدة الصغيرة فيقبض من هاهنا ومن هاهنا فإذا كثرت الأرواح يدعو الأرواح فتجيب له
قوله تعالى ـ ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق فإن قال قائل الآية في المؤمنين والكفار فكيف قال مولاهم الحق وقد قال في آية أخرى وأن الكافرين لا مولى لهم قيل المولى في تلك الآية بمعنى الناصر ولا ناصر للكفار والمولى هاهنا بمعنى المالك والله مالك الكل وقيل أراد به رد المؤمنين إليه ويدخل الكفار فيه تبعا
ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين أي يحاسب الكل في لحظة
قوله تعالى قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر يعني من شدائد البحر والبر تقول العرب يوم مظلم إذا كان يوم شدة ويسمونه أيضا يوما ذا كوكب كأنهم جعلوه كالليل لشدته قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:2 ص:112
تفسير السمعاني ج 2/ص 113
من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين 63 قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون 64 قل هو القادر على
بني أسد هل تعلمون بلاءناإذا كان يوما ذا كواكب أشهبا
وقال آخر
فدا لبني ذهل بن شيبان ناقتي
إذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

تدعونه تضرعا وخفية أي علانية وسرا وقيل معناه أن يكون السر مع الجهر في الدعاء بحيث يدعو باللسان وسره معه ويقرأ وخفية بكسر الخاء ومعناهما واحد لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين والشكر هو معرفة النعمة مع القيام بحقها ولا بد من هذين حتى يتحقق الشكر
قوله تعالى ـ قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون الكرب غاية الهم
قوله تعالى ـ قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال ابن عباس والحسن وقتادة وجماعة نزلت الآية في أهل الإيمان وأهل الصلاة وقال غيرهم نزلت في المشركين وقوله عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم قال مجاهد وسعيد بن جبير عذابا من فوقكم هو الرمي بالحجارة كما كان في قوم لوط أو من تحت أرجلكم هو الخسف والرجفة
وحكي عن ابن عباس أنه قال عذابا من فوقكم تسليط أئمة السوء ومن تحت أرجلكم تسليط الخدم السوء وقيل عذابا من فوقكم الطوفان والغرق ومن تحت

تفسير السمعاني ج:2 ص:113
تفسير السمعاني ج 2/ص 114
أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون 65 وكذب به قومك وهو أرجلكم الريح كما كان في قوم عاد أو يلبسكم شيعا قال الزجاج معناه يخلطكم خلط اضطراب لا خلط اتفاق وحقيقة المعنى أن يبث فيكم الأهواء المتفرقة فتصيرون فرقا وأحزابا

ويذيق بعضكم بأس بعض هو وقوع القتل بينهم وقد صح عن النبي أنه لما نزلت هذه الآية وسمع الأولين قال أعوذ بوجهك فلما سمع الآخرين قال هاتان أيسر وفي الخبر المعروف أنه لما نزلت هذه الآية دعا لأمته وناجى طويلا حتى نزل جبريل أن الله رفع الأولين وأجاب دعوتك فيهما ولم يجب في الآخرين فبثت الأهواء والقتال في هذه الأمة وقد سل السيف من زمان عثمان فلا يغمد إلى قيام الساعة وقد روى أن الدعاء المعروف الذي كان يدعو به رسول الله دعا به حيث نزلت هذه الآية وقال اللهم إني أعوذ بعفوك من عقابك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك أي بقضاءك من قضاءك انظر كيف نصرف الآيات

يعني مرة هكذا ومرة هكذا لعلهم يفقهون

تفسير السمعاني ج:2 ص:114
تفسير السمعاني ج 2/ص 115
الحق قل لست عليكم بوكيل 66 لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون 67 وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين 68 وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون 69 وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا
قوله تعالى ـ وكذب به قومك وهو الحق يعني القرآن قل لست عليكم بوكيل أي بمسلط فألزمكم الإسلام شئتم أو أبيتم قال ابن جريج كان هذا في الابتداء ثم نسخ بقوله فاقتلوا المشركين
لكل نبأ مستقر قال مجاهد معناه لكل خبر من أخبار القرآن حقيقة إما في الدنيا وإما في الآخرة وسوف تعلمون
قوله تعالى ـ وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم أراد به يخوضون فيها بالرد والاستهزاء قال أبو جعفر محمد بن علي الباقر ويدخل في هذا الخوض في كل الآيات لا على وفق الكتاب والسنة

فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين يعني قوله وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم قالت الصحابة إذا كيف تقعد في المسجد الحرام وكيف نطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا فنزلت هذه الآية وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء يعني إذا لقوهم ولم يخوضوا فيما يخوضون ولكن ذكرى لعلهم يتقون أمر بتذكيرهم ومنعهم عن ذلك وقيل معناه في حال الذكر وليس عليهم شيء في حال ما يذكرونهم إذا لم يرضوا بما خاضوا فيه
قوله تعالى ـ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا
قال الفراء في كتابه عيد أهل كل ملة يوم لهو ولعب إلا عيد المسلمين

تفسير السمعاني ج:2 ص:115
تفسير السمعاني ج 2/ص 116
ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وإن تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون 70 قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله كالذي

استهوته الشياطين في فإنه يوم الصلاة وفعل الخير والتكبير
وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت قال مجاهد أن تسلم للهلاك وقال قتادة أن تحبس وقال الفراء أن ترتهن وقال الكسائي والأخفش أن تجزي والصحيح هو الأول يقال فلان مستبسل إذا استسلم للهلاك قال الشاعر
وإبسالي بني بغير جرمبعوه ولا بغير دم مراق
وحقيقة المعنى وذكر به لأن لا تسلم نفس للهلاك بعملها ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع وقد ذكرنا وإن تعدل كل عدل هو الفدية لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا هو ما ذكرنا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون

قوله تعالى ـ قل أندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا فإن قيل كيف لا يضرهم وفي الأصنام ضرهم قيل معناه لا يجلب نفعا ولا يدفع ضرا قيل معناه ليس بيدهم شيء
ونرد على أعقابنا بعد إذ هدانا الله أي مرتدين على أعقابنا بعد الهداية به والإسلام كالذي استهوته الشياطين في الأرض حيران أضلته الشياطين وغلبته حتى هوى والحيران المتردد بين شيئين لا يدري كيف يفعل

تفسير السمعاني ج:2 ص:116
تفسير السمعاني ج 2/ص 117
الأرض حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين 71 وأن أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي إليه تحشرون 72 وهو الذي حلق السموات والأرض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير 73 وإذ قال إبراهيم
له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ضرب مثلا للذي يرتد عن الإسلام برجل يكون في الطريق مع رفقة فيضل به الغول ويدعوه أصحابه من أهل الرفقة إلى الطريق فيبقى حيران لا يدري أين يذهب قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين
وأن أقيموا الصلاة واتقوه أي وأمرنا بإقامة الصلاة والتقوى وهو الذي إليه تحشرون
وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق أي لإظهار الحق لأنه جعل صنعه دليلا على وحدانيته ويوم يقول كن فيكون قيل هو راجع إلى قوله خلق السموات يعني وخلق يوم يقول فإن قيل كيف يصح هذا التقدير والقيامة غير مخلوقة بعد قيل هي كائنة في علم الله - تعالى - فتكون كالمخلوقة إذ الحلق بمعنى

القضاء والتقدير وهي مقضية مقدرة وقيل تقديره واذكر يوم يقول كن فيكون قوله الحق

وله الملك يوم ينفخ في الصور قرئ في الشواذ يوم ينفخ في الصور وهي جمع الصورة قال أبو عبيدة الصور هو الصور في كل موضع وقال ابن مسعود في تفسير الآية الصور قرن ينفخ فيه وهو معروف في الأخبار عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير
قوله تعالى وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر يقرأ آزر برفع الراء وهو في الشواذ ومعناه يا آزر وكذلك في حرف أبي بن كعب يا آزر والمعروف آزر بنصب

تفسير السمعاني ج:2 ص:117
تفسير السمعاني ج 2/ص 118
لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين 74 وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين 75 فلما جن عليه الليل الراء وهو اسم أعجمي غير منصرف فينصب في موضع الخفض
قال الفراء والزجاج اسم أبيه تارخ أجمع عليه النسابون وآزر لقب له قال الفراء واللقب قد غلب على الاسم وقيل كان له اسمان آزر وتارخ قال الحسن اسمه آزر لا غير كما نص عليه في الكتاب وقال مجاهد آزر اسم صنم وتقدير الآية وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلها أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين
قوله تعالى ـ وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض الملكوت والملك واحد وإنما أدخل التاء فيه للمبالغة مثل رهبوت ورحموت واختلفوا في معناه منهم من قال أراه أبواب السموات والأرض ومنهم من قال فرج له السموات حتى رآها كلها وما فيها وخرق له الأرضين حتى رآها كلها وقيل رفعه إلى السماء حتى رأى السموات والأرض

وفي الخبر أنه لما رفعه إلى السماء رأى في الأرض رجلا على المعصية فدعا الله حتى أهلكه ثم رأى آخر فدعا الله حتى أهلكه ثم رأى ثالثا كذلك فدعا الله حتى أهلكه فقال الله - تعالى - أهبطوه ثم أوحى الله - تعالى - إليه مهلا يا إبراهيم فإن عبادي مني على ثلاث خصال إما أن يتوبوا فأغفر لهم وإما أن يتركوا ولدا يدعو لهم فأغفر لهم وإن لم يكن لهم فجهنم من ورائهم وليكون

من الموقنين
قوله تعالى ـ فلما جن عليه الليل رأى كوكبا

تفسير السمعاني ج:2 ص:118
تفسير السمعاني ج 2/ص 119
رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين 76 فلما رأى القمر بازغا قال
وفي القصة أن واحدا من الكهنة قال لنمروذ إن ملكك يهلك على يدي ولد في زمانك فكان يقتل البنين ممن يولد في زمانه فلما أتت أم إبراهيم بإبراهيم جاء به أبوه إلى سرب الأرض شبه مغار ووضعه في موضع يقال له كوثاء فقيل إنه كان فيه سبع سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل سبع عشرة سنة ثم إنه لما شب قال لأمه من ربي فقالت له اسكت ثم جاءت وأخبرت أباه ما قال فجاء أبوه فقال له إبراهيم من ربي فقال أمك قال ومن رب أمي قال أنا قال ومن ربك قال اسكت وتركوه ثم لما جن عليه الليل خرج من السرب ولم يكن رأى شيئا قط فرأى كوكبا قيل هو المشتري
قال السدي كان الكوكب زهرة وهي أضوأ كوكب في السماء قال هذا ربي قيل إنه قال ذلك في صغره حين لا يعبأ بقوله وقيل إنما كان مستدلا به فقال ذلك في حال الاستدلال فلم يضره هذا القول وهذان القولان ضعيفان وفيه ثلاثة أقوال معروفة أحدها قال قطرب قوله هذا ربي على وجه الاستفهام وتقديره أهذا ربي ومثله قول الشاعر
رفوني وقالوا يا خويلد لم ترعفقلت وأنكرت الوجوه هم هم

وإنما قال هم على طريق الاستفهام وتقديره أهم هم وأما الزجاج وغيره لم يرضوا منه هذا وقالوا ليس في كلام العرب هذا بمعنى الاستفهام
وذكر الزجاج قولين آخرين فيه أحدهما قال هذا ربي على زعم قومه فإن قيل هم كانوا يعبدون الكواكب فكيف قاله على زعمهم قيل كان منهم أهل نجوم وكانوا يرون أنه إلى الكواكب الأمور وكأنهم يعبدون الكواكب
والقول الثاني أن القول مضمر فيه وتقديره يقولون هذا ربي

تفسير السمعاني ج:2 ص:119
تفسير السمعاني ج 2/ص 120
هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين 77 فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون 78 إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من

المشركين 79 وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به إلا أن
فلما أفل قال لا أحب الآفلين
قوله تعالى ـ فلما رأى القمر بازغا أي طالعا قال هذا ربي وكان ذلك في ليلة قد تأخر طلوع القمر فيها قليلا فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين والأفول الغروب
قوله تعالى ـ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر أي أضوأ وأنور فإن قال قائل لم قال هذا ربي والشمس مؤنثة ولم يقل هذه قيل لأن ما ليس عليه علامة التأنيث يجوز أن يذكر كما قال الشاعر
فلا مزنة وقد دقتودقها ولا أرض ذا بقل أبقالها
ولم يقل أبقلت وإن كانت الأرض مؤنثة إذ لم يكن عليها علامة التأنيث وقيل إن قوله هذا ربي يرجع إلى المعنى وهو الضياء والنور فلما أفلت قال يا قومي إني بريء مما تشركون
قوله - تعالى- إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين الحنيف الثابت على الدين المائل إليه بالكلية

قوله تعالى ـ وحاجه قومه قال أتحاجوني أي جادله قومه قال أتجادلوني في الله وقد هدان

تفسير السمعاني ج:2 ص:120
تفسير السمعاني ج 2/ص 121
يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تذكرون 80 وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون 81 الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم
ولا أخاف ما تشركون به لأنهم كانوا يخوفونه بالأصنام وكانوا يقولون احذر الأصنام فإنا نخاف عليك الخبل والجنون فقال ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا قوله إلا أن يشاء ربي شيئا ليس باستثناء عن الأول إذ لا يجوز أن يشأ الله أن يصيبه شيء من الأصنام وما يشركون به وإنما هذا استثناء منقطع ومعناه لكن إن شاء ربي أن يأخذني بشيء أو يعذبني بجرمي فله ذلك وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون
قوله تعالى ـ وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا الإشراك هو الجمع بين الشيئين في معنى فالإشراك بالله هو أن يجمع مع الله غير الله فيما لا يجوز إلا لله ومعنى الآية وكيف أخاف الأصنام وما أشركتم وأنتم أحق بالخوف مني حيث أشركتم بالله ولا تخافون الله

بشرككم أو فعلكم الذي لم ينزل به الله حجة وسلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن يعني الموحد أو المشرك إن كنتم تعلمون

قوله تعالى ـ الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم اختلفوا فيه قال بعضهم هذا من قول الله - تعالى - وقيل هو من قول إبراهيم ومعناه الذين آمنوا ولم يخلطوا إيمانهم بشرك هذا هو قول أبي بكر وعلي وحذيفة وسلمان أن المراد بالظلم الشرك وقد صح برواية ابن مسعود أنه لي نزلت هذه الآية شق ذلك على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال ليس الأمر كما تظنون إنما الظلم هاهنا بمعنى الشرك وقرأ قوله تعالى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ومعنى الآية الذين آمنوا بالله ولم يشركوا به أولئك لهم الأمن

تفسير السمعاني ج:2 ص:121
تفسير السمعاني ج 2/ص 122
مهتدون 82 وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم 83 ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داوود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين 84 وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين 85 وإسماعيل واليسع هم مهتدون
قوله - تعالى وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه اختلفوا فيه قال بعضهم هي احتجاجه عليهم بقوله فأي الفريقين أحق بالأمن وحجته في ذلك أن الذي يعبد الله لا يشرك به شيئا أحق بالأمن من الذي يعبد الله ويشرك به وقيل أراد به الحجاج الذي حاج به نمروذ على ما سبق في سورة البقرة
نرفع درجات من نشاء يعني بالحجاج والاستدلال ويقرأ نرفع درجات منونا وتقديره نرفع من نشاء درجات إن ربك حكيم عليم

قوله تعالى ـ ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته اختلفوا فيه قال بعضهم أراد به ذرية إبراهيم والصحيح أنه أراد به ومن ذرية نوح لأنه عد في الجملة يونس ولوطا وهما من ذرية نوح لا من ذرية إبراهيم ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وليس هذا على ترتيب الأزمان إذ كان هؤلاء على أزمان مختلفة بعضهم سابق على البعض فالواو لا تقتضي الترتيب وإنما هي للجمع

قوله تعالى ـ وزكريا ويحيى وعيس هذا دليل على أن عيسى من ذرية آدم وإن كان انتماؤه إلى الأم لأنه عده من ذرية نوح فيكون آدم أباه من قبل الأم وإلياس كل من الصالحين قال ابن مسعود إلياس هو إدريس والصحيح أنه رجل آخر

تفسير السمعاني ج:2 ص:122
تفسير السمعاني ج 2/ص 123
ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين 86 ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم واجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم 87 ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون 88 أولئك الذين آتيناهم الكتاب
قوله تعالى ـ وإسماعيل واليسع ويقرأ والليسع وهو اسم أعجمي مثل زيد ويزيد ونحوه وإنما وصل فيه الألف واللام نادرا ومثله قول الشاعر
وجدنا الوليد بن اليزيد مباركاشديدا بأعباء الخلافة كاهله
ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين
قوله تعالى ـ ومن آبائهم من فيه للتبعيض لأن آباء بعضهم كانوا مسلمين ومهتدين وذرياتهم أي ومن ذرياتهم وأراد به ذرية بعضهم أيضا لأن عيسى ويحيى لم يكن لهما ذرية وكان في ذرية بعضهم من كان كافرا وإخوانهم واجتبيناهم أي اصطفيناهم وهديناهم أرشدناهم إلى صراط مستقيم

قوله تعالى ـ ذلك هدى الله يهدي به من يشاء أي يرشد به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أي لبطل عنهم والحبوط البطول وهذا مثل قوله تعالى ـ لئن أشركت ليحبطن عملك
أولئك الذين أتيناهم الكتاب الكتاب اسم الجنس وأراد به الكتب المنزلة عليهم والحكم يعني العلم والفقه والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين يعني أهل المدينة ومن كان بها من المهاجرين والأنصار وقال قتادة فإن يكفر بها هؤلاء يعني الكفار فقد وكلنا بها قوما يعني

تفسير السمعاني ج:2 ص:123
تفسير السمعاني ج 2/ص 124
والحكم والنبوة فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين 89 أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكرى للعالمين 90 وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من الأنبياء الذين سبق ذكرهم وقال أبو رجاء العطاردي معناه فإن يكفر بها

أهل الأرض فقد وكلنا بها أهل السماء وهم الملائكة ليسوا بها بكافرين
قوله تعالى ـ أولئك الذين هدى الله أي هداهم الله فبهداهم اقتده وهذه هاء الوقف كما في قوله ماليه و سلطانيه ونحو ذلك ويقرأ فبهديهم اقتده بكسر الهاء وتقديره فبهديهم اقتد اقتداء هكذا قيل إن المصدر مقدس فيه قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو إلا ذكر للعالمين أي تذكره
قوله -تعالى - وما قدروا الله حق قدره قال ابن عباس ما عظموا الله حق عظمته وقال أبو عبيدة ما عرفوا الله حق معرفته وقال الخليل بن أحمد ما وصفوا الله حق وصفته يقال قدرت الشيء وقدرته إذا عرفت حقيقته

إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قيل هذا قول مالك بن الصيف كان حبر اليهود فحاج النبي فجرى على لسانه في المحاجة ما أنزل الله على بشر من شيء وكان ذلك بمكة فنزلت الآية
قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس أي أجبه يا محمد وقل من أنزل التوراة على موسى وأنتم تؤمنون به
وفي القصة أن اليهود سمعوا منه تلك المقالة فعتبوا عليه وقالوا أليس أن الله قد أنزل التوراة على موسى فلم قلت ما أنزل الله على بشر من شيء فقال مالك بن الصيف أغضبني محمد فقلت ما قلت فقالوا وأنت إذا غضبت تقول على الله

تفسير السمعاني ج:2 ص:124
تفسير السمعاني ج 2/ص 125
أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون 91 وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين غير الحق فنزعوه عن الحبرية وأجلسوا مكانه كعب بن الأشرف
تجعلونه قراطيس تبدونها أي تكبون منها كتبا تبدونها وتخفون كثيرا أي تخفون ما فيه نعت محمد وتبدون منها ما ليس فيه نعت محمد وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم قيل هو راجع إلى اليهود وقيل هو خطاب للصحابة
قال الله - تعالى - يعني قل من أنزله وهو راجع إلى ما تقدم قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وكل من خاض فيما لا ينفح به فهو لاعب
قوله تعالى ـ وهذا كتاب أنزلناه مبارك يصف القرآن بالبركة وأصل البركة الثبوت ومنه بروك البعير إذا ثبت واستقر ومنه قوله تبارك الذي بيده الملك أي ثبت له ما يستحقه من التعظيم والجلال فيما لم يزل ولا يزال

مصدق الذي بين يديه يعني من الكتب المنزلة قبله ولتنذر أم القرى يعني أهل أم القرى ومن حولها وأم القرى مكة وسميت أم القرى لأن سائر القرى يقصدونها ويأتونها وقيل لأن الأرض دحيت من تحتها وقيل لأنها معظمة تقصد بالتعظيم ومنه سميت الأم أما لأنها تعظم وقد قال إن المدينة قرية تأكل سائر القرى يعني أن أهل المدينة يقتحمون سائر القرى

تفسير السمعاني ج:2 ص:125
تفسير السمعاني ج 2/ص 126
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون 92 ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله بالسيف
والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون
فإن قيل اليهود والنصارى يؤمنون بالآخرة ولا يؤمنون به فما معنى قوله والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به قيل أراد به المؤمنين لأنهم الذين يؤمنون بالآخرة حقيقة فأما الذين يؤمنون بالآخرة ولا يصدقون محمدا وما جاء به فكأنهم لم يؤمنوا بالآخرة على الحقيقة
قوله تعالى ـ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء قال ابن عباس نزل هذا في عبد الله بن سعد بن أبي سرح وكان قد أسلم فجعله النبي كتابا للوحي وكان يملي عليه الوحي فيكتب فقيل إنه كان يملي عليه إن الله سميع عليم فيكتب إن الله غفور رحيم ويملي عليه إن الله غفور رحيم فيكتب إن الله عليم حكيم هكذا كان يبدل فروى أنه لما نزل قوله تعالى ـ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الآية فأملى النبي ذلك فلما رأى تفضيل خلق الله تعجب وقال تبارك الله أحسن الخالقين فقال له النبي هكذا أنزل فتبارك الله أحسن الخالقين فشك الرجل في الوحي وقال أوحي إلي كما يوحى إليه وارتد عن الإسلام فقوله أو قال أوحي إلي هو هذا

وقيل نزلت الآية في مسيلمة الكذاب والأسود العنسي خرجا باليمن وادعيا

تفسير السمعاني ج:2 ص:126
تفسير السمعاني ج 2/ص 127
ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون 93 ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء النبوة والوحي إليهما وقد روى عن النبي أنه قال رأيت في المنام سوارين من ذهب في يدي فنفخت فيهما فطارا فأولتهما عل كذابين يخرجان بعدي مسيلمة الكذاب كان باليمامة والأسود العنسي كان بصنعاء اليمن
ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله هذا في النضر بن الحارث بن كلدة ادعى معارضة القرآن فروى أنه قال في معارضة القرآن والطاحنات طحنا فالعاجنات عجنا والخابزات خبزا فاللاقمات لقما
ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت يعني في شدائد الموت قال الشاعر الغمرات ثم تنجليناثمة تذهبن فلا تجينا
والملائكة باسطوا أيديهم قيل للعذاب وقيل لقبض الأرواح أخرجوا أنفسكم أي أرواحكم فإن قال قائل الروح إنما تخرج كرها فما معنى قوله أخرجوا أنفسكم قيل إنما قال ذلك تغليظا عليهم كمن يخرج من الدار كرها ويقال له اخرج
اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون الهون من الهوان والهون من اللين والرفق كما في قوله يمشون على الأرض هونا
قوله تعالى ـ ولقد جئتمونا فرادى أي وحدانا فردا فردا كما خلقناكم أول مرة بلا أهل ولا مال وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم أي ملكناكم والخول المماليك
وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء

تفسير السمعاني ج:2 ص:127

تفسير السمعاني ج 2/ص 128
ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون 94 إن الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فأنى تؤفكون 95 فالق الإصباح وجعل الليل أراد به ما زعموا من أن الأصنام والملائكة شفعاؤنا عند الله لقد تقطع بينكم أي وصلكم وهو مثل قوله وتقطعت بهم الأسباب أي الموصلات ويقرأ لقد تقطع بينكم - بفتح النون - ومعناه تقطع الأمر بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون
قوله تعالى ـ إن الله فالق الحب والنوى الفلق الشق ومعناه أنه يشق الحبة فيستخرج السنبلة من الحبة ويشق النواة فيستخرج النخلة من النواة ويدخل

في قوله فالق الحب جميع البذور والحبوب ويدخل في قوله والنوى نواة جميع الأشجار مثل نواة المشمش ونواة الخوخ ونواة الغبيراء ونحو ذلك وقيل فالق الحب والنوى بمعنى خالق الحب والنوى
يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي وقد ذكرنا هذا واختلاف القراءة فيه والفرق بين الميت والميت ذلكم الله فأنى تؤفكون أي تصرفون
قوله تعالى ـ فالق الإصباح معناه أنه يستخرج الصبح من الليل والإصباح مصدر وهو بمعنى الصبح هاهنا أي فالق الصبح وقرأ إبراهيم النخعي فلق الإصباح وقرأ الحسن فالق الإصباح - بنصب القاف - وهما في الشواذ
وجعل الليل سكنا أي يسكن فيه ويقرأ وجعل الليل سكنا أي جعل الله الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أي بحساب علوم والحسبان هو الحساب هاهنا بمعنى أنهما يدوران بحساب معلوم مقدر وحكى منصور بن

تفسير السمعاني ج:2 ص:128
تفسير السمعاني ج 2/ص 129

سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم 96 وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون 97 وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون 98 المعتمر - وهو الثقة من رواة النخعي - عن إبراهيم النخعي أنه قال يجوز أن يتعلم الإنسان من النجوم بقدر ما يعرف منازل القمر وسير الكواكب لمعرف القبلة وأوقات الصلاة ذلك تقدير العزيز العليم
قوله تعالى ـ وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر هذه إحدى فوائد النجوم والله - تعالى - خلق النجوم لفوائد منها تزيين السماء كما قال - عز وعلا - وزينا السماء دينا بمصابيح ومنها رمى الشياطين بها كما قال وجعلناهم رجوما للشياطين ومنها الاهتداء في ظلمات البر والبحر كما قال هاهنا
وحكى أبو الحسين بن فارس عن بعض التابعين أنه أراد بالنجوم هاهنا الصحابة يهتدي بهم في ظلمات الشرك وهذا مثل قوله أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون
قوله تعالى ـ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة يعني آدم - صلوات الله عليه - فمستقر ومستودع قال عطاء ومجاهد أراد بالمستقر أرحام الأمهات وبالمستودع أصلاب الآباء وحكى ذلك عن ابن عباس أيضا ويروى عن ابن عباس أنه قال - على عكسه - المستقر أصلاب الآباء والمستودع أرحام

تفسير السمعاني ج:2 ص:129
تفسير السمعاني ج 2/ص 130

وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان الأمهات وعن ابن مسعود أنه قال المستقر أرحام الأمهات والمستودع القبور وفيه قول ثالث أن المراد بالمستقر الدنيا والمستودع الآخرة ويقرأ فمستقر بكسر القاف وتقديره فمنكم مستقر ومنه مستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون
قوله تعالى ـ وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا هو الغصن الطري نخرج منه حبا متراكبا أي متراكما بعضه على بعض ومن النخل من طلعها قنوان دانية الطلع ما يخرج من شجر النخل والقنوان العذوق واحدها قنو والعذق أصل الشجرة والعذق الكباسة والعذق والقنو واحد وقال الشاعر
أثيث كقنو النخلة المتعثكل
وقال أيضا
فأثت أعاليه ودقت أصوله
يميل به قنو من البسر أحمرا
وأما الدانية قال البراء بن عازب قنوان دانية أي قريبة المتناول وفيه حذف وتقديره قنوان دانية وغير دانية أي قريبة المتناول وبعيدة المتناول فحذف أحدهما اختصارا لسبقه إلى الأفهام ومثله قوله سرابيل تقيكم الحر وتقديره تقيكم الحر والبرد قوله وجنات من أعناب يقرأ بكسر التاء ورفعها والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه أي مشتبها يشبه بعضه بعضا في الورق وغير متشابه في الثمر والطعم وهكذا يكون الزيتون مع الرمان فإن ورق الزيتون يشبه ورق الرمان وقيل تكون أوراقه إلى أصل الشجرة كأوراق الرمان ثم يخالف

تفسير السمعاني ج:2 ص:130
تفسير السمعاني ج 2/ص 131

مشتبها وغير تشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون 99 وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون 100 بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم 101 ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق الرمان في الطعم فهذا معنى قوله مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه أي في نضجه ومنه قول الحجاج حيث خطب وقال إني أرى رءوسا قد أينعت وآن قطافها وأنا والله صاحبها ورأى دماء ترقرق بين اللحى والعمائم إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون

قوله تعالى ـ وجعلوا لله شركاء الجن وذلك أنهم كانوا يقولون إن الملائكة بنات الله من سروات الجن وخلقهم قيل إن الآية راجعة إلى الجن وقيل راجعة إلى الكفار يعني أنهم يقولون ذلك وخلقهم وقرأ يحيى بن يعمر وخلقهم بجزم اللام وهو في الشواذ

وخرقوا له بنين وبنات بغير علم يقرأ مخففا ومشددا والخرق الاختلاق والتخريق التكثير منه يعني واختلقوا له بنين وبنات وذلك مثل قول اليهود عزير ابن الله ومثل قول النصارى المسيح ابن الله ومثل قول بعضهم الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى عما يصفون

قوله تعالى ـ بديع السموات والأرض أي مبدع السموات والأرض وهو الخالق لا على مثال سبق ومنه المبتدعة ولا يكون الولد إلا من الصاحبة فهذا معنى قوله أنى يكون له ولد ولم يكن له صاحبة وخلق كل شيء وفيه أيضا دليل على أن لا ولد له لأنه إذا كان خلق كل شيء لم يصلح شيء أن يكون ولد له إذ المخلوق لا يصلح ولدا للخالق فإن ولد كل أحد يكون من جنسه وهو بكل شيء عليم

قوله تعالى ـ ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء أكد ما سبق

تفسير السمعاني ج:2 ص:131
تفسير السمعاني ج 2/ص 132

كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل 102 لا تدركه الأبصار وهو يدرك ذكره من نعت الوحدانية فاعبدوه أي فأطيعوه وهو على كل شيء وكيل قيل هو الكفيل بالأرزاق وقيل الوكيل هاهنا بمعنى القائم بخلق كل شيء وتدبيره

قوله - تعالى 0 لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار واستدل بهذه الآية من يعتقد نفي الرؤية قالوا لما تمدح بأنه لا تدركه الأبصار فمدحه يكون على الأبد في الدنيا والآخرة واعلم أن الرؤية حق على مذهب أهل السنة وقد ورد به القرآن والسنة

قال الله - تعالى - وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة وقال كلا إنهم عن ربهم

يومئذ لمحجوبون
وقال فمن كان يرجو لقاء ربه ونحو هذا وروى جرير بن عبد الله البجلي وغيره بروايات صحيحة عن النبي أنه قال إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب لا تضامون في رؤيته ويروون لا تضارون في رؤيته فأما قوله تعالى ـ لا تدركه الأبصار فالإدراك غير الرؤية لأن الإدراك هو الوقوف على كنه الشيء وحقيقته والرؤية هي المعاينة وقد تكون الرؤية بلا إدراك قال الله - تعالى - في قصة موسى فلما ترآء الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا فنفى الإدراك مع إثبات الرؤية وإذا كان الإدراك غير الرؤية فالله - تعالى - يجوز أن يرى ولكن لا يدرك كنهه إذ لا كنه له حتى يدرك وهذا

تفسير السمعاني ج:2 ص:132
تفسير السمعاني ج 2/ص 133

الأبصار وهو اللطيف الخبير 103 قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ 104 وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست كما انه يعلم ويعرف ولا يحاط به كما قال ولا يحيطون به علما فنفى الإحاطة مع ثبوت العلم وقال ابن عباس - حكاه مقاتل عنه والأول قول الزجاج - معنى قوله لا تدركه الأبصار يعني في الدنيا هو يرى الخلق ولا يراه الخلق في الدنيا بدليل قوله تعالى ـ وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة فكما أثبتت الرؤية بتلك الآية في الآخرة دل أن المراد بهذه الآية الإدراك في الدنيا ليكون جمعا بين الآيتين وهو اللطيف الخبير اللطيف موصل الشيء باللين والرفق ويقال في الدعاء رب الطف بي أي أوصل إلي الرفق وقيل معناه وهو اللطيف بأوليائه وعباده الخبير بهم
قوله تعالى ـ قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر البينات فمن أبصر فلنفسه يعني نفع بصره له ومن عمي فعليها أي وبال العمى عليها وما أنا عليكم بحفيظ أي ما أمرت أن ألازمكم حتى تسلموا لا محالة قيل هذا كان في الابتداء ثم صار منسوخا بآية السيف
قوله تعالى ـ وكذلك نصرف الآيات أي نفصل الآيات مرة هكذا ومرة هكذا وليقولوا درست قيل هذه لام العاقبة أي عاقبة أمرهم أن يقولوا درست وهذا مثل قوله تعالى ـ فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا ومعلوم أنهم لم يلتقطوه لهذا ولكن أراد أن عاقبة أمره معهم أن كان عدوا لهم فيسمون ذلك لام العاقبة كذلك ها هنا وقوله درست يقرأ على وجوه درست أي تعلمت من غيرك وكانوا يقولون إنه تعلم أخبار القرون الماضية من جبر ويسار وكان عبدين سبيا من الروم ويقرأ دارست أي تاليت وقاربت وهو

تفسير السمعاني ج:2 ص:133
تفسير السمعاني ج 2/ص 134

ولنبينه لقوم يعلمون 105 اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين 106 ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل 107 ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك من المدارسة بين اثنين يدرس أحدهما على الآخر وقرأ ابن عامر درست أي تلك أخبار قد درست ومحيت ويقرأ في الشواذ وليقولوا درست بمعنى محيت قرأه قتادة وفي حرف أبي بن كعب وابن مسعود وليقولوا درس يعني درس محمد وهو بمعنى تعلم كما بينا ولنبينه لقوم يعلمون
قوله تعالى ـ اتبع ما أوحي إليك من ربك يعني القرآن لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين
قوله تعالى ـ ولو شاء الله ما أشركوا وهذا دليل على القدرية وما جعلناك عليهم حفيظا قد بينا معناه وما أنت عليهم بوكيل
قوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ويقرأ عدوا بغير علم ومعناهما واحد أي اعتداء بغير علم وسبب نزول الآية أن الكفار كانوا يقولون لرسول الله ذرنا وآلهتنا حتى نذرك وإلهك - وكان يذكر آلهتهم بالسوء - فنزلت الآية وروى أن قوما من كفار قريش من رؤسائهم جاءوا إلى أبي طالب وقالوا مر ابن أخيك يذرنا وآلهتنا حتى نذره وإلهه فدعا رسول الله وقال إن قومك جاءوا يطلبون منك النصفة فقال وماذا يريدون فقال أبو طالب يقولون ذرنا وآلهتنا ونذرك وآلهك فقال رسول الله هل أنتم معطي كلمة إن أنتم قلتموها دانت لكم العرب وأدت إليكم العجم الجزية فقالوا وما هي قال كلمة لا إله إلا الله فنفروا وقالوا أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشيء

تفسير السمعاني ج:2 ص:134
تفسير السمعاني ج 2/ص 135

زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون 108 وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها عجاب فقوله ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله وإن كان ظاهره للنهي عن سب الأصنام ولكن معناه النهي عن سب الله - تعالى - حتى لا تسب اللهتهم فيسبوا الله وهذا مثل قوله لا يسب أحدكم والديه قيل يا رسول الله ومن يسب والديه قال يسب والدي غيره فيسب والداه كذلك زينا لكل أمة عملهم للمؤمنين إيمانهم وللكافرين كفرهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون

قوله تعالى ـ وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها كانوا يطلبون الآيات ويحلفون أنها لو جاءت آمنوا بها

قل إنما الآيات عند الله أي الآيات بيدي الله والله قادر على إنزالها

وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون فقوله أنها يقرأ على وجهين بكسر الهمزة وفتحها فمن قرأ إنها فعلى الإبتداء واختلفوا في معنى قوله وما يشعركم أنه خطاب لمن قال بعضهم هو خطاب للكفار ومعناه وما يشعركم أيها الكفار أنها لو جاءت آمنتم ثم ابتدأ فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون

وقيل إنه خطاب للمؤمنين ومعناه وما يدريكم أنها لو جاءت آمنوا بها إذ كان

تفسير السمعاني ج:2 ص:135

تفسير السمعاني ج 2/ص 136

إذا جاءت لا يؤمنون 109 ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونزرهم في طغيانهم يعمهون 110 ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى المؤمنون يسألون رسول الله أن يدعو الله - تعالى - حتى يريهم آية كي يؤمنوا فقال وما يشعركم أنها لو جاءت آمنوا بها ثم ابتدأ وقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون وهذا في قوم مخصوصون علم الله أنهم لا يؤمنون

وأما من قرأ أنها بفتح الهمزة فاختلفوا في معناه قال الكسئي لا صلة هاهنا وتقديره وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون وقيل أنها بمعنى لعلها كما قال الشاعر

أريني جوادا مات هزلا فإنني أرى ما ترين أو بخيلا مخلدا

ومعناه لعلي أرى ما تريني كذلك هذا ومعناه وما يشعركم لعلها إذا جاءت لا يؤمنون وقيل فيه حذف وتقديره وما يشعركم أنها إذا جاءت يؤمنون أو لا يؤمنون

قوله تعالى ـ ونقلب أفئدتهم وأبصارهم أي تقلب أفئدتهم كيلا يدركوا وأبصارهم كيلا يبصوا فلا يؤمنون كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون

قوله تعالى ـ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى نزلت الآية على ما اقترحوا من الآيات فكانوا قد اقترحوا هذا كله قالوا لن نؤمن بك حتى تنزل علينا كتابا من السماء يحمله أربعون من الملائكة وسألوا إحياء الموتى وقالوا ادع الله حتى يحشر قصيا - يعنون قصي بن كلاب - فإنه شيخ مبارك حتى نشهد لك بالنبوة فنزلت الآية ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا قال مجاهد القبل جمع القبيل ومعناه فوجا فوجا وقال غيره قبلا

تفسير السمعاني ج:2 ص:136
تفسير السمعاني ج 2/ص 137
وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون 111 وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون 112 ولتصغى إليه أي مقابلة ويقرأ قبلا بكسر القاف وفتح الباء أي عيانا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون وفي الآية دليل واضح على أهل القدر

قوله تعالى ـ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا أي أعداء والعدو اسم للواحد والجمع شياطين الإنس والجن وقرأ الأعمش شياطين الجن والإنس والشيطان كل عات متمرد سواء كان من الإنس أو من الجن وروى أن النبي قال لأبي ذر تعوذ بالله من شياطين الإنس قال أبو ذر قلت ومن الإنس شياطين فقال - عليه السلام - نعم وتلا هذه الآية
وحكى عن مالك بن دينار أنه قال خوفي من شيطان الإنس أكبر من خوفي من شيطان الجن لأن الجني يذهب إذا ذكرت الله والإنسي يجرني إلى المعاصي
يوحي بعضهم إلى بعض أي يلقي بعضهم إلى بعض
زخرف القول غرورا زخرف القول هو قول مزين لا معنى تحته والغرور القول الباطل ولو شاء ربك ما فعلوه أي ما ألقت الشياطين الوسوسة في القلوب فذرهم وما يفترون
قوله تعالى ـ ولتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وهذا يرجع إلى ما سبق من قوله زينا لكل أمة عملهم لتصغى إليه والهاء كناية عن زخرف القول يعني لتميل إليه قلوب الذين لا يؤمنون الآخرة وقيل اللام فيه لام العاقبة كما بينا

تفسير السمعاني ج:2 ص:137
تفسير السمعاني ج 2/ص 138
أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون 113 أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين 114 وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم 115 وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن
وليرضوه وليقترفوا ما هم مقترفون قال الزجاج أي ليعلموا من الذنوب ما كانوا عاملين
قوله تعالى ـ أفغير الله أبتغي حكما لأنهم كانوا يقولون للنبي أجل بيننا وبينك حكما وأجابهم بقوله أفغير الله ابتغي حكما

وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا يعني خمسا خمسا وعشرا عشرا وهذا مثل قوله تعالى ـ وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا أي فصلناه لنثبت به فؤادك
والذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعلمون أنه منزل من ربك بالحق يعني القرآن فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك يعني بالكلمة أمره ونهيه ووعده ووعيده والأحكام والآيات صدقا وعدلا صدقا في الوعد والوعيد وعدلا في الأمر والنهي
قال قتادة صدقا فيما وعد وعدلا فيما حكم لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم
قوله تعالى ـ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وذلك أن أكثر أهل الأرض كانوا في الضلالة وقيل أراد به إن تطعهم فيما يجادلون من تحليل الميتة وأكلها يضلوك عن سبيل الله على ما سيأتي
إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يرخصون أي يكذبون
قوله تعالى ـ إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله قيل هذا في عمرو

تفسير السمعاني ج:2 ص:138
تفسير السمعاني ج 2/ص 139
سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون 116 إن ربك هو أعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين 117 فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين 118 وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ابن لحي وهو أول من غير دين إبراهيم وهو أعلم بالمهتدين

(2/131)

قوله تعالى ـ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين أي كلوا ما ذبح على اسم الله وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وذلك أن المشركين كانوا يجادلون المسلمين ويقولون إنكم تأكلون مما تقتلون ولا تأكلون مما قتله الله وكانوا يدعونهم إلى أكل الميتة واستحلالها فنزلت هذه الآيات
وقد فصل لكم ما حرم عليكم هو تفصيل ما عد من المحرمات من الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه في القرآن وقرأ عطية وقد فصل لكم مخففا أي ظهر لكم وهو مثل ما يقرأ في قوله أحكمت آياته ثم فصلت مخففا وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين
قوله تعالى ـ وذروا ظاهر الإثم وباطنه قيل ظاهر الإثم هو الزنا علنا وباطنه هو الزنا سرا وكان أشراف العرب يتكرمون من الزنا علانية ويزنون سرا فالآية في النهي عنهما جميعا قال قتادة أراد به النهي عن كل المعاصي سرا وجهرا وفي الآية سوى هذا أقوال ثلاثة
أحدها أن ظاهر الإثم هو نكاح المحارم وباطنه الزنا
والثاني أن ظاهر الإثم كشف العورة وباطنه الزنا
والثالث أن ظاهر الإثم هو الذي تقترفه الجوارح وباطنه الذي يعقد القلب

تفسير السمعاني ج:2 ص:139
تفسير السمعاني ج 2/ص 140
119 وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون 120 ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون 121 أو من كان ميتا فأحييناه عليه كالمصر على الذنب القاصد له
إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون أي جزاء ما كانوا يقترفون والإقتراف اكتساب الذنب

(2/132)

قوله ولا تأكلوا ما لم يذكر اسم الله عليه قال ابن عباس الآية في الميتات وما في معناها من المنخنقة وغيرها وقال عطاء الآية في الذبائح التي كانوا يذبحونها على اسم الأصنام لا على اسم الله - تعالى -
وفيه قول ثالث أن الآية في متروك التسمية كما يقتضيه الظاهر ثم اختلف

العلماء في متروك التسمية قال الشعبي وابن سيرين لا تحل سواء ترك التسمية عامدا أو ناسيا وقال عطاء وسعيد بن جبير إن ترك التسمية عامدا لا تحل وإن تركها ناسيا تحل والأول قول مالك والصحيح أن الآية في الميتات لأنه قال وإنه لفسق وإنما يفسق أكل الميتة
وقال وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ومجادلتهم كانت في أكل الميتة فإنهم كانوا يقولون إنكم تأكلون مما قتلتموه ولا تأكلون مما قتله الله - تعالى ـ فنزلت الآية
وإن أطعتموهم إنكم لمشركون يعني باستحلال الميتة قال الزجاج في هذا دليل على أن استحلال الحرام وتحريم الحلال يوجب الكفر وفي الآثار أن ابن عباس سئل فقيل له إن المختار بن أبي عبيد يزعم أنه يوحى إليه فقال ابن عباس صدق فإن الله - تعالى - يقول وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم
وفي الخبر أن النبي قال يخرج من ثقيف رجلان كذاب ومبير مهلك

تفسير السمعاني ج:2 ص:140
تفسير السمعاني ج 2/ص 141
وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون 122 كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فالكذاب هو المختار والمبير هو الحجاج

قوله تعالى ـ أو من كان ميتا فأحييناه قال مجاهد معناه من كان ضالا فهديناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس أي نور الإسلام يعيش به بين المسلمين كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها المثل صلة هاهنا وتقديره كمن هو في الظلمات أي في ظلمات الشرك لا يخرج منها أبدا قال الضحاك هذا في عمر وأبي جهل وقال ابن عباس في عمار بن ياسر وأبي جهل وقيل هو في حمزة وأبي جهل
وفي الآية قول آخر أن معناه أو من كان ميتا بالجهل فأحييناه بالعلم وكل جاهل ميت وكل عالم حي قال الشاعر
وفي الجهل قبل الموت موت لأهلهوأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحي بالعلم ميت
وليس له قبل النشور نشور
كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون
قوله تعالى ـ وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها تقديره جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر ومعناه إنا كما جعلنا مجرمي مكة أكابر فكذلك جعلنا في كل قرية مجرميها أكابر وهذه سنة الله في كل قرية ومن سننه أنه جعل ضعفاءهم أتباع الأنبياء كما قال في قصة نوح واتبعك الأرذلون وروى أن هرقل

سأل أبا سفيان بن حرب - حين قدم عليه - عن حال النبي فكان فيما سأله عنه أنه قال من أتباعه ضعفاؤهم أم العلية فقال أبو سفيان بل ضعفاؤهم فقال هرقل هم أتباع الأنبياء وفي الخبر قصة وهو في الصحيح

تفسير السمعاني ج:2 ص:141
تفسير السمعاني ج 2/ص 142
فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون 123 وإذ جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون 124 فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره

ليمكروا فيها وكان من مكر أهل مكة أنهم جعلوا على كل طريق من طرق مكة أربعة نفر حتى يقولوا لكل من يقدم إياك وهذا الرجل فإنه كاهن ساحر كذاب وما يمكرون إلا بأنفسهم أي وباله يرجع إليهم وما يشعرون
قوله تعالى وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله أي لا نؤمن حتى يوحى إلينا كما يوحى إليه وينزل علينا جبريل كما ينزل عليه حتى روي أن الوليد بن المغيرة قال إن كان الله يريد أن يبعث نبيا فأنا أولى بالنبوة لأني أكثر مالا وأقدم سنا وكذا كان يقول أكابرهم ورؤساؤهم فنزلت الآية
قوله تعالى ـ الله أعلم حيث يجعل رسالته يعني الله أعلم من أهل النبوة وأن محمدا أهل الرسالة ولستم بأهل الرسالة
سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله فيه معنيان
أحدهما قال الفراء معناه صغار من عند الله و من محذوف
قال البصريون من لا تحذف ومعناه صغار ثابت دائم عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون
قوله تعالى ـ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام
أي يفتح قلبه حتى يدخل الإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا ويقرأ حرجا - بفتح الراء - يعني ذا حرج وأما بالكسر فللمبالغة في الضيق وعن عمر أنه قال سألت أعرابيا ما الحرجة عندكم فقال شجرة ملتفة لا تصل إليها راعية ولا سائمة فعلى هذا معنى الآية

تفسير السمعاني ج:2 ص:142
تفسير السمعاني ج 2/ص 143
للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء

كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون 125 وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا

يجعل صدره ضيقا حرجا بحيث لا يصل إليه الإيمان ولا يدخله الإسلام كأنما يصعد في السماء يقرأ على وجوه يصعد بتشديدين ومعناه يتصعد وكذا يقرأ في الشواذ وقرئ يصاعد بتشديد الصاد بمعنى يتصاعد وقرئ يصعد مخففا من الصعود ومعنى الكل واحد
وفي معناه قولان أحدهما أن معناه كأنما يكلف الصعود فلا يستطيعه وأصل الصعود المشقة وهو قوله تعالى ـ سأرهقه صعودا أي عقبة شاقة ومنه قول عمر - رضي الله عنه - ما تصعدني شيء كما تصعدتني خطبة النكاح أي ما شق علي شيء كما شقت علي خطبة النكاح
والقول الثاني معنى قوله كأنما يصعد في السماء نبوة من الحكمة وفرارا من القرآن
كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون الرجس هو النتن والرجز العذاب وفي الخبر أن النبي كان إذا دخل الخلاء يقول اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وقيل اللعنة في الدنيا والعذاب في الآخرة
قوله تعالى ـ وهذا صراط ربك مستقيما يعني الإسلام قد فصلنا الآيات

تفسير السمعاني ج:2 ص:143
تفسير السمعاني ج 2/ص 144
الآيات لقوم يذكرون 126 لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون 127 ويوم يحشرهم جميعا ما معشر الجن قد استكثرتم من الإنس وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين لقوم يذكرون
لهم دار السلام عند ربهم السلام هو الله - تعالى - ودار السلام الجنة قال الزجاج أراد بالسلام السلامة أي لهم دار السلامة من الآفات
وهو وليهم بما كانوا يعملون

قوله تعالى ـ ويوم نحشرهم جميعا أما حشر الجن والإنس حق يجب الإيمان به يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس يعني استكثرتم من الإنس بالإغواء

والإضلال وقال أولياؤهم من الإنس يعني الكفار وأولياء الشياطين يقولون يوم القيامة ربنا استمتع بعضنا ببعض يعني استمتع الجن بالإنس والإنس بالجن قيل استمتاع الجن بالإنس تزيينهم لهم وتسهيلهم طريق الغواية عليهم
وأما استمتاع الإنس بالجن طاعتهم والجملة أن استمتاع الجن بالأمر واستمتاع الإنس بالقبول وقيل معناه أن الرجل من العرب كان إذا نزل بواد يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه ثم يبيت آمنا من تخبيل الجن وهذا استمتاع الإنس بالجن وأما استمتاع الجن بالإنس أن ذلك الجني الذي تعوذ به الإنسي يقول لقومه إن الإنس يتعوذون بنا فنحن سادات الجن والإنس وهذا مبين في قوله تعالى ـ في سورة الجن وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أي نخوة وتكبرا
وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا يعني أجل القيامة
قال النار مثواكم يعني يقول الله النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء

تفسير السمعاني ج:2 ص:144
تفسير السمعاني ج 2/ص 145
فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم 128 وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون 129 يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم الله فإن قال قائل أليس أن الكافرين خالدون في النار بأجمعهم فما هذا الاستثناء
الجواب قال الفراء هو مثل قوله خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك يعني من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض فهذا هو المراد بهذه الآية أيضا وقيل الاستثناء في العذاب يعني خالدين في نوع من العذاب إلا ما شاء الله من سائر العذاب

وقيل هو استثناء مدة البعث والحساب لا يعذبون في وقت البعث والحساب إن ربك حكيم عليم
قوله تعالى ـ وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا يعني يجعل بعضهم على إثر بعض في القيامة إلى النار وقيل هذا في الدنيا ومعناه نأخذ من الظالم بالظالم وذلك بتسليط بعضهم على البعض بما كانوا يكسبون أي جزاء بما كانوا يعملون
قوله تعالى ـ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم فإن قال قائل ومن الجن رسل كما يكون من الإنس
الجواب قال الضحاك بلى من الثقلين رسل كما نطق به الكتاب وقال مجاهد الرسل من الإنس وأما الجن فمنهم النذر كما قال الله - تعالى - ولوا إلى قومهم منذرين فعلى هذا للآية معنيان أحدهما أن قوله رسل منكم ينصرف إلى

أحد الصنفين وهو الإنس ومثله قوله تعالى ـ يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد أحد البحرين المالح دون العذب

تفسير السمعاني ج:2 ص:145
تفسير السمعاني ج 2/ص 146
آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين 130 ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون 131 ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما يعملون 132 وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين 133 إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين 134 قل يا
والثاني أن الرسل من الصنفين إلا أنه عبر بالرسل عن النذر من الجن بطريق المعنى لأن النذير في معنى الرسول
يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على أنفسنا وذلك حين تنطق جوارحهم وغرتهم الحياة الدنيا هذا من قول الله - تعالى - اعترض في - البين - وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين

قوله تعالى ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون يعني ذلك من إرسال الرسل وإنزال الكتب إنما كان لأن الله - تعالى - لا يهلك قرية قبل بعث الرسول إليها وإنذارها بالوحي وذلك لأن الله - تعالى - أجرى سنته أن لا يأخذ أحدا الذنب إلا بعد وجود الذنب وإنما يكون مذنبا إذا أمر فلم يأتمر ونهى فلم ينته ودعي فلم يجب
قوله تعالى ـ ولكل درجات مما عملوا أي درجات في الجزاء مما عملوا وما ربك بغافل - أي بساه - عما يعملون
قوله تعالى ـ وربك الغني ذو الرحمة إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء يعني إن يشأ يهلككم ويستخلف من بعدكم من يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين بأن أهلكهم وأنشأكم من بعدهم إن ما توعدون لآت أي كل موعود كائن وما أنتم بمعجزين أي فائتين عنه
قوله تعالى قل يا قوم اعملوا على مكانتكم يعني على تمكنكم

تفسير السمعاني ج:2 ص:146
تفسير السمعاني ج 2/ص 147
قوم اعملوا على مكانتكم إني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون 135 وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا

هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون 136 وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم وقيل على ما أنتم عليه وهذا أمر تهديد كقوله اعملوا ما شئتم فكذلك قوله اعملوا على مكانتكم إني عامل
فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار أي من يكون له الأمر في العاقبة إنه لا يفلح الظالمون

قوله تعالى ـ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا وكانوا يقسمون الحرث فيجعلون لله نصيبا وللأصنام نصيبا ويقسمون الأنعام فيجعلون لله نصيبا وللأصنام نصيبا ثم ما جعلوا لله صرفوه للفقراء والمساكين وما جعلوا للأصنام أنفقوه على الأصنام وعلى خدم الأصنام فهذا معنى قوله فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فأما قوله فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم معنى هذا أنهم كانوا إذا قسموا الحرث والأنعام كما وصفنا فإذا سقط مما جعلوا لله من الحرث شيء فيما جعلوه للأصنام تركوه وإذا سقط شيء من نصيب الأصنام فيما جعلوه لله ردوه إلى نصيب الأصنام وكان إذا هلك أو انتقص مما جعلوا لله من الأنعام شيء لم يبالوا به وكان إذا هلك أو انتقص من نصيب الأصنام جبروه مما جعلوه لله وقالوا الله غني والصنم محتاج وكانوا إذا أجدبوا وقحطوا أكلوا مما جعلوه لله ولم يأكلوا من نصيب الأصنام
وقوله ساء ما يحكمون أي لم يأتهم فيه وحي ولا يقتضيه عقل فإن القياس يقتضي التسوية - على زعمهم - بين الشريكين لا ما حكموا به قوله تعالى ـ وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم يعني كما زين هذا لأولئك القوم فقد زين لكثير من المشركين قتل أولادهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:147
تفسير السمعاني ج 2/ص 148

شركاؤكم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون 137 وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون 138 وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم

على أزواجنا وإن يكن شركاؤهم من وأد البنات على ما سنبين ليردوهم ليهلكوهم وليلبسوا عليهم دينهم أي ليخلطوا عليهم دينهم إذ كانوا على بقية من ملة إبراهيم فلبسوا عليهم دينهم بما ليس منه ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون
قوله تعالى ـ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر أي حرام لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ثم بين تحريمهم فقال لا يطعمها إلا من نشاء يعني من خدم الأصنام وقيل هو تحريم البحيرة والسائبة على الإناث ولا يطعمها إلا الذكور
وأنعام حرمت ظهورها هي الحوامي التي ذكرنا في المائدة كانوا يقولون حمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها قيل ذبائح كانوا يذبحونها باسم الأصنام لا باسم الله - تعالى - وقيل معناه أنهم لا يركبون عليها لفعل الخير قال أبو وائل شقيق بن سلمة معناه أنهم لا يحجون عليها ولا يركبونها لفعل الحج إلا أنه جرت العادة بذكر اسم الله على فعل الخير فعبر بذكر اسم الله عن فعل الخير فقال وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه يعني افتراء على الله سيجزيهم بما كانوا يفترون أي جزاء ما كانوا يكذبون
قوله تعالى ـ وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا يعني الأجنة حلال لذكورنا وقرأ الأعمش خالص لذكورنا قال الكسائي خالص وخالصة واحد كما يقال وعظ موعظة وله نظائر ومحرم على أزواجنا أي على نسائنا أرادوا به ما سبق ذكره من أولاد البحيرة والوصيلة
وإن يكن ميتة يعني وإن يكن ما في البطن ميتة فهم فيه شركاء يعني

تفسير السمعاني ج:2 ص:148
تفسير السمعاني ج 2/ص 149
ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم 139 قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين 140 وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا أكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه الذكور والإناث ويقرأ وإن تكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم أي جزاء كذبهم إنه حكيم عليم
قد خسر الذين قتلوا أولا دهم أي هلك وغبن الذين قتلوا أولادهم وذلك من وأد البنات وكانوا في الجاهلية يدفنون البنات حية حتى كان الرجل منهم يقتل ولده ويربي كلبه وكان البعض يفعل ذلك دون البعض وقيل كان ذلك في قبيلتين ربيعة ومضر كانا يدفنان البنات وهن حيات فأما بنو كنانة وسائرهم ما كانوا يفعلون ذلك
سفها بغير علم أي جهلا لا عن بصيرة وحرموا ما رزقهم الله وهو ما ذكرنا من

تحريم أولاد البحيرة والوصيلة ونحو ذلك من الحوامى حرموها تدينا افتراء على الله لأنهم كانوا يدعونه دينا من الله - تعالى - وقد كذبوا في ذلك عليه قد ضلوا وما كانوا مهتدين
قوله تعالى ـ وهو الذي أنشأ جنات الجنات البساتين معروشات أي ذات عروش والعرش السقف والكروم ذات سقوف وغير معروشات ومنها ما لا سقف له وكذلك سائر الأشجار والنخل والزرع مختلفا أكله أي ثمره
والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه أي متشابها في المنظر يشبه أحدهما الآخر في الورق وغير متشابه في الثمر والطعم وقد بينا هذا وقيل هو

تفسير السمعاني ج:2 ص:149
تفسير السمعاني ج 2/ص 150

يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين 141 ومن الأنعام حمولة وفرشا كلوا راجع إلى ما سبق ذكره من الكرم والنخل والأشجار فإن بعضها يشبه بعضا في الورق والثمر والطعم ومنها ما يخالف بعضه بعضا
كلوا من ثمره إذا أثمر هذا أمر إباحة وآتوا حقه يوم حصاده والقطاف ويقرأ حصاده بكسر الحاء قيل الحصاد والحصاد واحد كالجزاء والجزاء والقطاف والقطاف ثم اختلف العلماء في هذا الحق ما هو قال ابن عمر وأبو الدرداء - وهو قول عطاء ومجاهد - إن هذا الحق كان حقا في المال سوى العشر المفروض وأمر بإتيانه
قال ابن عباس وأنس - وهو قول الحسن في إحدى الروايتين عنه - إنه أراد به إيتاء العشر المفروض وعن الحسن - في رواية أخرى وهو قول النخعي وسعيد بن جبير - أن هذا حق كان يؤمر بإتيانه في ابتداء الإسلام ثم صار منسوخا بإيجاب العشر والقول الأول أولى لأن الآية مكية والزكاة فرضت من بعد بالمدينة فحمله على حق سوى الزكاة أولى
ولا تسرفوا أي لا تنفقوا الأموال في معصية الله وكل من أنفق في معصية فهو مسرف وقيل هو إعطاء الكل وذلك أن يعمد الرجل إلى جميع زرعه ونخله فيعطي الكل ويترك عياله عالة وروى أن ثابت بن قيس بن شماس صرم خمسمائة نخلة كانت له فأعطى الكل فنزلت الآية ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين
قوله تعالى ـ ومن الأنعام حمولة وفرشا أي وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشا قال مجاهد الحمولة الإبل الكبار التي يحمل عليها والفرش الصغار وقال الضحاك الحمولة الإبل والبقر والفرش الغنم قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:2 ص:150
تفسير السمعاني ج 2/ص 151

مما رزقكم الله ولا تبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين 142 ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلم إن كنتم صادقين 143 ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله
أورثني حمولة وفرشاأمسها في كل يوم مسا
أي أمسحها في كل يوم كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان أي آثار الشيطان وخطاياه وهو تخطية من الحلال إلى الحرام إنه لكم عدو مبين ثمانية أزواج إنما نصب ثمانية لأن قوله ثمانية بدل عن قوله حمولة وفرشا وقوله ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين
هذا في الحقيقة أربعة أزواج كل زوج اثنان لأن العرب تسمي الواحد زوجا إذا كان لا ينفك عن غيره قال الله - تعالى - ومن كل شيء خلقنا زوجين
قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين هذا في تحريمهم الوصيلة والبحيرة ونحوها والآية في الاحتجاج عليهم ومعنى هذا أن الذي تدعون على الله من تحريمها إن كان بسبب الذكورة فينبغي أن تحرم كل الذكور وإن كان التحريم بسبب الأنوثة فينبغي أن تحرم كل الإناث وإن كان باشتمال الرحم عليه فينبغي أن يحرم كل ما اشتملت عليه الرحم فأما تخصيص التحريم بالولد السابع والخامس فمن أين نبؤني بعلم أخبروني بعلم إن كان لكم به علم إن كنتم صادقين
ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين هذا في تحريمهم أولاد البحيرة من البطن الخامس كما سبق ووجه الاحتجاج عليهم ما بينا

تفسير السمعاني ج:2 ص:151
تفسير السمعاني ج 2/ص 152

بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين 144 قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ
أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمعناه أنكم قلتم ذلك عن علم لكم فأخبروني به أم نزل عليكم به وحي أم أمركم الله به عيانا
فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم فبين الله يعني أنهم كاذبون به إن الله لا يهدي القوم الظالمين
وفي الخبر أن عوف بن مالك الأشجعي جاء وقال يا محمد أبحت ما حرمنا وحرمت ما أبحنا - يعني الميتة - فقرأ عليه هذه الآيات فعرف الحجة وسكت عنه
قوله تعالى قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما سبب هذا أنهم قالوا فما المحرم إذا فنزل قوله قل يا محمد لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير
واختلف العلماء في هذا فذهبت عائشة وابن عباس إلى أن التحريم مقصور على هذه الأشياء وبه قال مالك وقالوا قوله إلا ان يكون ميتة دخل فيه المنخنقة والموقوذة وما عد في سورة المائدة ومالك يعد ما سواها مكروها ولا يعده حراما وجمهور العلماء على أن التحريم يعدو هذه الأشياء إلا أن البعض ثبت بالكتاب والبعض بالسنة والكل حرام وقد ثبت أنه نهى عن كل ذي ناب من السباع و عن كل ذي مخلب من الطير فإنه رجس أي نتن أو فسقا أهل لغير الله به وهو المذبوح على اسم الصنم سمى ذلك فسقا

تفسير السمعاني ج:2 ص:152
تفسير السمعاني ج 2/ص 153

ولا عاد فإن ربك غفور رحيم 145 وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون 146 فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا للخروج عن أمر الله - تعالى -
فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم وقد ذكرنا هذا
قوله تعالى ـ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر يعني حرمنا على اليهود كل ذي ظفر قيل هو البعير والنعامة ويدخل فيه الأوز والبط
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أما تحريم الشحوم عليهم كان ذلك عن الثروب وشحم الكليتين وقد قال لعن الله اليهود حرم عليهم الشحوم فجملوها وباعوها وأكلوا ثمنها

وقوله إلا ما حملت ظهورهما أي شحم ما حملت ظهورهما لم يحرم عليهم أو الحوايا تقديره والحوايا أي شحم المباعر أو ما اختلط بعظم أي وشحم ما اختلط بعظم قيل هو الإلية وقيل هو شحم الجنب ثم اختلفوا أن الكل هل يدخل في الاستثناء قال بعضهم إنما يدخل في الاستثناء شحم الظهور فحسب فأما قوله أو الحوايا أو ما اختلط بعظم راجع إلى التحريم والصحيح أن الكل يدخل في الاستثناء وهو ظاهر الآية ذلك جزيناهم ببغيهم أي بظلمهم وإنا لصادقون قوله تعالى ـ فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة فإن قيل ما معنى هذا وإنما يليق بتكذيبهم وعيد العذاب لا وعد الرحمة قال ثعلب هو الرحمة

تفسير السمعاني ج:2 ص:153
تفسير السمعاني ج 2/ص 154

يرد بأسه عن القوم المجرمين 147 سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون 148 قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين 149 قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فإن شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بتأخير العذاب عنهم لا بترك أصل العذاب وهذا حسن بدليل قوله ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين يعني في القيامة إذا جاء وقته فسئل ثعلب أليس أن الله - تعالى - قد عذب الكفار في الدنيا فقال هذا في الكفار من قوم نبينا محمد لم يعذبهم الله ببركته فيهم كما قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما أرسلناك إلا رحمة للعاملين
قوله تعالى ـ سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا استدل أهل القدر بهذه الآية فإنهم لما قالوا لو شاء الله ما أشركنا كذبهم الله - تعالى - ورد قولهم فقال كذلك كذب الذين من قبلهم قيل معنى الآية أنهم كانوا يقولون الحق إلا أنهم كانوا يعدون ذلك عذر لهم ويجعلونه حجة لأنفسهم في ترك الإيمان فالرد عليهم كان في هذا بدليل قوله تعالى ـ بعده قل فلله الحجة البالغة أي الحجة بالأمر والنهي باقية له عليهم وإن شاء أن يشركوا
فلو شاء لهداكم أجمعين ولو لم يحمل على هذا لكان هذا مناقضة للأول وقيل إنهم كانوا يقولون إن الله أمرنا بالشرك كما قال في الأعراف وإذا فعلوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:154
تفسير السمعاني ج 2/ص 155

(2/147)

بالآخرة وهم بربهم يعدلون 150 قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها وكأن قوله لو شاء الله ما أشركنا أي هو الذي أمرنا بالشرك فالرد في هذا لا في حصول الشرك بمشيئته فإنه حق وصدق وبه يقول أهل السنة
قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا أي من كتاب فتخرجوه لنا حتى يظهر ما تدعون على الله من أمره بالشرك إن تتبعون إلا الظن يعني أنكم تقولون ما تقولون ظنا لا عن بصيرة وإن أنتم إلا تخرصون أي تكذبون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين
قوله تعالى ـ قل هلم شهداءكم أي ائتوا بشهدائكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا هذا راجع إلى ما تقدم من تحريمهم الأشياء على أنفسهم بغير أمر الله وادعوا أنه من أمر الله
فإن شهدوا فلا تشهد معهم يعني فإن شهدوا كاذبين فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون أي يشركون
قوله تعالى ـ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا لأنهم سألوه أيش الذي حرم الله - تعالى - فنزل قوله تعالى ـ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم فإن قال قائل الله - تعالى - ما حرم ترك الشرك بل أمر ربه فما معنى قوله ألا تشركوا به شيئا
فيه جوابان أحدهما أن قوله لا صلة وتقديره أن تشركوا فعلى هذا استقام الكلام
والثاني أن قوله تعالوا أتل ما حرم ربكم كلام تام ثم قوله

تفسير السمعاني ج:2 ص:155
تفسير السمعاني ج 2/ص 156

(2/148)

شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون 151 ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده عليكم ألا تشركوا ابتداء كلام وإذا قدر هكذا استقام

الكلام أيضا ثم قوله وبالوالدين إحسانا أي وأحسنوا بالوالدين إحسانا
ولا تقتلوا أولادكم من إملاق قال المؤرج الإملاق الجوع بلغة حمير والمعروف في اللغة أن الإملاق الفقر نحن نرزقكم وإياهم أي رزق الكل علينا فلا تقتلوهم خوف الجوع والفقر
ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن هذا نهي عن أنواع الزنا سرا وعلنا وكانت الزواني في الجاهلية على نحوين كانت لبعضهم رايات على الأبواب علما لمن أراد الزنا كن يزنين علنا وأخريات كن يزنين سرا فهذا المراد بالفواحش ما ظهر منها وما بطن
ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق نهى عن القتل بالظلم وأباح القتل بالحق وهو مفسر في قول النبي لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث كفر بعد إيمان أو زنا بعد إحصان أو قتل نفس بغير نفس ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون
قوله تعالى ـ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن قد سبق الكلام على قربان مال اليتيم في سورة النساء حتى يبلغ أشده قال السدي أشده ثلاثون سنة وقال غيره أوان الحلم وقيل هو استكمال القوة وسيأتي شرحه في موضع بعده
وأوفوا الكيل والميزان بالقسط أي بالعدل لا نكلف نفسا إلا وسعها أي

تفسير السمعاني ج:2 ص:156
تفسير السمعاني ج 2/ص 157

وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون 152 وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون 153 ثم آتينا موسى الكتاب تماما على الذي أحسن وتفصيلا لكل شيء وهدى طاقتها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى أي فاصدقوا ولو كان على القريب وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
قوله تعالى ـ وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه يقرأ وأن - بالتشديد - فيكون راجعا إلى قوله أتل ما حرم ربكم عليكم يعني وأتل عليكم أن هذا صراطي ويقرأ وأن - بالتخفيف - فيكون صلة وتقديره هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل بمعنى سائر الملل سوى ملة الإسلام وقيل هو الأهواء والبدع فتفرق بكم عن سبيله أي فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون وقد صح برواية ابن مسعود عن النبي انه خط خطا وخط حواليه خطوطا ثم أشار إلى الخط الأوسط فقال وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ثم أشار إلى الخطوط حوله فقال لا تتبعوا السبل فتفرق بكم

عن سبيله
قوله تعالى ـ ثم آتينا موسى الكتاب فإن قيل كيف قال ثم آتينا موسى الكتاب بعد ذكر محمد وموسى أوتي الكتاب قبله وكلمه ثم

تفسير السمعاني ج:2 ص:157
تفسير السمعاني ج 2/ص 158
ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون 154 وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون 155 أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين 156 أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينه من للتعقيب قيل معناه ثم أخبركم أنا آتينا موسى الكتاب

تماما على الذي أحسن قيل أراد بالذي أحسن موسى ومعناه انه كما أحسن بطاعة ربه واتباع أمره أتممنا عليه النعمة والإحسان بإعطائه التوراة
وقال الحسن معناه تماما على المحسنين من قومه وكان منهم محسن ومسيء وهذا معنى قراءة ابن مسعود تماما على الذين أحسنوا وقرأ يحيى بن يعمر على الذي أحسن أحسن برفع النون أي على الذي هو أحسن
وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة هذا في وصف التوراة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون
قوله تعالى ـ وهذا كتاب ثم وصف القرآن أنزلناه مبارك فاتبعوه وقد بينا معنى المبارك واتقوا لعلكم ترحمون
أن تقولوا أي كراهة أن تقولوا على قول الكوفيين وأما على قول البصريين تقديره أن لا تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا يعني اليهود والنصارى وإن كنا أي وقد كنا عن دراستهم لغافلين ومعنى الآية أنا إنما أنزلنا عليكم القرآن لئلا تقولوا إن الكتاب أنزل على من قبلنا بلغتهم ولسانهم فلم نعرف ما فيه وغفلنا عن دراسته فتمهدون بذلك عذرا لأنفسكم وحجة على الله أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم
وقد كان جماعة من الكفار قالوا ذلك لو أنزل علينا ما أنزل على اليهود والنصارى كنا خيرا منهم وأهدى يقول الله - تعالى - فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة يعني قد جاءكم القرآن فكذبتم به ثم قال فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها أي أعرض عنها سنجزي الذين يصدفون

تفسير السمعاني ج:2 ص:158
تفسير السمعاني ج 2/ص 159

ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون 157 هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا أي يعرضون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون قوله تعالى ـ هل ينظرون أي بعد تكذيبهم الرسل وإنكارهم القرآن هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة قيل بالعذاب وقيل بقبض الأرواح أو يأتي ربك يعني في القيامة كما قال في سورة البقرة هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام وقد بينا هنالك أو يأتي بعض آيات ربك أجمع المفسرون على أنه أراد به طلوع الشمس من مغربها إلا في رواية شاذة عن معاذ بن جبل أنه خروج الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وقد ثبت برواية ابن مسعود عن النبي أنه قال فيه هي طلوع الشمس من مغربها وكذلك رواه أبو سعيد الخدري مرفوعا بلفظه وقال ابن مسعود إن الشمس والقمر يطلعان يومئذ أسودين وروى صفوان بن عسال المرادي عن النبي أنه قال إن للتوبة بابا قبل المغرب عرضه سبعون ذراعا فهو مفتوح إلى أن تطلع الشمس من مغربها ثم يغلق فلا تقبل التوبة بعده فهذا معنى قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا

تفسير السمعاني ج:2 ص:159
تفسير السمعاني ج 2/ص 160
إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا قل انتظروا إنا منتظرون 158 إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون 159 من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون 160 قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين 161 قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين 162 لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين 163 قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون 164 وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم 165 سورة الأعراف مكية وهي مائتان وست آيات بسم الله الرحمن الرحيم المص 1 كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين 2 اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون 3 وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون 4 فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين 5 فلنسألن الذين أرسل إليهم ولنسألن المرسلين 6 فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين 7 والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون 8 ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون 9 ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون 10 ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين 11 قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين 12 قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين 13 قال أنظرني إلى يوم يبعثون 14 قال إنك من المنظرين 15 قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم 16 ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين 17 قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين 18 ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين 19 فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوآتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين 20 وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين 21 فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين 22 قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين 23 قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين 24 قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون 25 يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون 26 يا بني آدم لا يفتنكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون 27 وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون 28 قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون 29 فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون 30 يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين 31 قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون 32 قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون 33 ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون 34 يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون 35 والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 36 فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين 37 قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا ادارأوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون 38 وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون 39 إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين 40 لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين 41 والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون 42 ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون 43 ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين 44 الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون 45 وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون 46 وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين 47 ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون 48 أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون 49 ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين 50 الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون 51 ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون 52 هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون 53 إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين 54 ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين 55 ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين 56 وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون 57 والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون 58 لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم 59 قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين 60 قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين 61 أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون 62 أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون 63 فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين 64 وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون 65 قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين 66 قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين 67 أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين 68 أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون 69 قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين 70 قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين 71 فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين 72 وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم 73 واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين 74 قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون 75 قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون 76 فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين 77 فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين 78 فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين 79 ولوط إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين 80 إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون 81 وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون 82 فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين 83 وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين 84 وإلى مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين 85 ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين 86 وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين 87 قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين 88 قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين 89 وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون 90 فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين 91 الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين 92 فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين 93 وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون 94 ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون 95 ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون 96 أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون 97 أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون 98 أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون 99 أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون 100 تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين 101 وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين 102 ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين 103 وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين 104 حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل 105 قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين 106 فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين 107 ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين 108 قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم 109 يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون 110 قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين 111 يأتوك بكل سحار عليم 112 وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين 113 قال نعم وإنكم لمن المقربين 114 قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين 115 قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم 116 وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون 117 فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون 118 فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين 119 وألقي السحرة ساجدين 120 قالوا آمنا برب العالمين 121 رب موسى وهارون 122 قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون 123 لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين 124 قالوا إنا إلى ربنا منقلبون 125 وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين 126 وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون 127 قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين 128 قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون 129 ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون 130 فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون 131 وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين 132 فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين 133 ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل 134 فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون 135 فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين 136 وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون 137 وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون 138 إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون 139 قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين 140 وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم 141 وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين 142 ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين 143 قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين 144 وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين 145 سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين 146 والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون 147 واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين 148 ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين 149 ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين 150 قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين 151 إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين 152 والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم 153 ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون 154 واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين 155 واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون 156 الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون 157 قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون 158 ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون 159 وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 160 وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين 161 فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون 162 واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون 163 وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون 164 فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون 165 فلما عتوا عن ما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين 166 وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم 167 وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون 168 فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون 169 والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين 170 وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون 171 وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين 172 أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون 173 وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون 174 واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين 175 ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون 176 ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون 177 من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون 178 ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون 179 ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون 180 وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون 181 والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون 182 وأملي لهم إن كيدي متين 183 أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين 184 أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون 185 من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون 186 يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون 187 قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون 188 هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين 189 فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون 190 أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون 191 ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون 192 وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون 193 إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين 194 ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون 195 إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين 196 والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون 197 وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون 198 خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين 199 وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم 200 إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون 201 وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون 202 وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون 203 وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون 204 واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين 205 إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون 206 سورة الأنفال مدنية وهي خمس وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين 1 إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون 2 الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون 3 أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم 4 كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون 5 يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون 6 وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين 7 ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون 8 إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين 9 وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم 10 إذ يغشاكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام 11 إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان 12 ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب 13 ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار 14 يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار 15 ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير 16 فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم 17 ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين 18 إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين 19 يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون 20 ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون 21 إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون 22 ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون 23 يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون 24 واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب 25 واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون 26 يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون 27 واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم 28 يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم 29 وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين 30 وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين 31 وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم 32 وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون 33 وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون 34 وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصد

مثلها وهم لا يظلمون وهذا فضل من الله - تعالى - حيث يجازي الحسنة بعشر

تفسير السمعاني ج:2 ص:160
تفسير السمعاني ج 2/ص 161
إلا مثلها وهم لا يظلمون 160 قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين 161 قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين 162 لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين 163 قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون 164 وهو الذي جعلكم خلائف أمثالها والسيئة بمثلها قال ابن عمر هذا في غير الصدقات من الحسنات فأما الصدقات تضاعف بسبعمائة ضعف وقال أبو صالح الحسنة قول لا إله إلا الله وسئل رسول الله عن كلمة لا إله إلا الله أهي من الحسنات فقال هي أحسن الحسنات

قوله تعالى ـ قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم دينا قيما هو دين الإسلام أي دينا مستقيما ملة إبراهيم نصب على الإغراء أي اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين قيل إن صلاتي ونسكي أما الصلاة معلومة وأما النسك العبادة وقيل أراد به الذبيحة وقوله ومحياي ومماتي لله أي طاعتي في حياتي لله وجزائي بعد مماتي من الله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين يعني من هذه الأمة
قوله تعالى ـ قل أغير الله أبغي ربا لأنهم كانوا يقولون له ارجع إلى ديننا فإن خفت الله فنحن نكفل لك العذاب قاله كفار قريش فنزل قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى أي ليس هذا بأمر تنفع فيه الكفالة ويقوم أحد مقام أحد فيه ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
قوله تعالى ـ وهو الذي جعلكم خلائف الأرض أي يخلف بعضكم

تفسير السمعاني ج:2 ص:161
تفسير السمعاني ج 2/ص 162
الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم 165 بعضا ورفع بعضكم فوق بعض درجات يعني في الدنيا بالفقر والغنى والمرض والصحة ونحو هذا ليبلوكم فيما آتاكم أي

ليختبروكم فيما أعطاكم
إن ربك سريع العقاب وكل ما هو آت فهو سريع وإنه لغفور رحيم

تفسير السمعاني ج:2 ص:162
تفسير السمعاني ج 2/ص 163
بسم الله الرحمن الرحيم المص 1 كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى

(2/154)

سورة الأعراف
قال الشيخ الإمام - رضي الله عنه - اعلم أن سورة الأعراف مكيه إلا قوله تعالى ـ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إلى قوله تعالى ـ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فإن هذا القدر نزل بالمدينة و قد روى أن النبي قرأ في المغرب بطول الطولين يعني سورة الأعراف وإنما سميت طول الطولين لأن أطول السور التي نزلت بمكة سورة الأنعام وسورة الأعراف والأعراف أطولهما
قوله تعالى المص معناه أن الله أعلم وأفصل وقيل معناه أنا الله الملك الصادق وقال الشعبي لكل كتاب سر وسر القرآن حروف التهجي في فواتح السور
كتاب أنزل إليك قال الفراء تقديره هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك والخطاب للرسول والأمة هم المراد
والحرج بمكان الشك قاله الفراء وأنشدوا
لولا حرج يعزونيجئتك أغزوك ولا تغزوني
وقيل الحرج هو الضيق ومعناه لا يضيقن صدرك بالإبلاغ وذلك أن النبي

تفسير السمعاني ج:2 ص:163
تفسير السمعاني ج 2/ص 163
بسم الله الرحمن الرحيم المص 1 كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى سورة الأعراف
قال الشيخ الإمام - رضي الله عنه - اعلم أن سورة الأعراف مكية إلا قوله تعالى ـ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إلى قوله تعالى ـ وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فإن هذا القدر نزل بالمدينة و قد روى أن النبي قرأ في المغرب بطول الطولين يعني سورة الأعراف وإنما سميت طول الطولين لأن أطول السور التي نزلت بمكة سورة الأنعام وسورة الأعراف والأعراف أطولهما

قوله تعالى المص معناه أن الله أعلم وأفصل وقيل معناه أنا الله الملك الصادق وقال الشعبي لكل كتاب سر وسر القرآن حروف التهجي في فواتح السور

كتاب أنزل إليك قال الفراء تقديره هذا كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه أي شك والخطاب للرسول والأمة هم المراد
والحرج بمكان الشك قاله الفراء وأنشدوا
لولا حرج يعزونيجئتك أغزوك ولا تغزوني
وقيل الحرج هو الضيق ومعناه لا يضيقن صدرك بالإبلاغ وذلك أن النبي

تفسير السمعاني ج:2 ص:163
تفسير السمعاني ج 2/ص 164
للمؤمنين 2 اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما لما بعث إلى الكفار قال يا رب إني أخاف أن يثلغوا رأسي ويجعلوه كالخبزة فقال الله ـ تعالى ـ لا يكن في صدرك ضيق من الإبلاغ فإني حافظك وناصرك
قوله لتنذر به وذكرى للمؤمنين فيه تقديم وتأخير وتقدير الآية كتاب أنزل إليك لتنذر به وذكرى للمؤمنين فلا يكن في صدرك حرج منه
قوله تعالى ـ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم يعني القرآن وقيل القرآن والسنة لأمر الله ـ تعالى ـ لأن الله ـ تعالى ـ يقول وما أتاكم الرسول فخذوه فالسنة وإن لم تكن منزلة فهي كالمنزلة بحكم تلك الآية قال الحسن في هذه الآية يا ابن آدم أمرت باتباع القرآن فما من آية إلا وعليك أن تعلم فيما نزلت وماذا أريد بها حتى تتبعه وتعمل به
ولا تتبعوا من دونه أولياء يعني من عاند الحق وخالفه فلا تتبعوه وإنما قال من دونه أولياء لأن من اتخذ مذهبا فكل من سلك طريقه واتبعه كان من أوليائه فهذا معنى قوله ولا تتبعوا من دونه أولياء وقال مالك بن دينار ولا تبتغوا يعني الطلب والمعنى ولا تبتغوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون وقرأ ابن عامر يتذكرون والمراد بهما واحد أي قليلا ما تتعظون
قوله تعالى ـ وكم من قرية أهلكناها كم للتكثير و رب للتقليل
قال الشاعر
كم عمة لك يا جرير وخالةفدعاء قد حلبت على عشارى

تفسير السمعاني ج:2 ص:164
تفسير السمعاني ج 2/ص 165
تذكرون 3 وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أو هم قائلون 4 فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين 5 فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين 6 فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين 7 والوزن يومئذ
قاله الفرزدق
فجاءها بأسنا بياتا أي عذابنا بياتا أو هم قائلون وتقديره ليلا وهم نائمون أو نهارا وهم قائلون من القيلولة
قال الزجاج أو هم قائلون أو لتصريف العذاب يعني مرة بالليل ومرة بالنهار كما بينا فإن قال قائل قد قال وكم من قرية أهلكناها فما معنى قوله فجاءها بأسنا وكيف يكون مجيء البأس بعد الإهلاك قيل معنى قوله أهلكناها أي حكمنا بإهلاكها فجاءها بأسنا وقيل قوله فجاءها بأسنا هو بيان قوله أهلكناها وقوله أهلكناها هو قوله فجاءها بأسنا وهذا مثل قول القائل أعطيتني فأحسنت إلي لا فرق بينه وبين قوله أحسنت إلى ما أعطيتني وأحدهما بيان للآخر كذلك هذا قوله تعالى ـ فما كان دعواهم أي دعاؤهم قال سيبويه تقول اللهم اجعلني في دعوى المسلمين أي في دعاء المسلمين فقوله فما كان دعواهم إذ جاءهم بأسنا إلا أن قالوا إنا كنا ظالمين معناه لم يقدروا على رد العذاب حين جاءهم العذاب وكان حاصل أمرهم أن اعترفوا بالخيانة حين لا ينفع الاعتراف
قوله تعالى ـ فلنسألن الذين أرسل إليهم هذا سؤال توبيخ لا سؤال استعلام يعني نسألهم عما عملوا فيما بلغهم ولنسألن المرسلين عن الإبلاغ فلنقصن عليهم بعلم أي نخبرهم بما عملوا عن بصيرة وعلم
وما كنا غائبين فإنه - جل وعلا - مع كل أحد بالعلم والقدرة

قوله تعالى ـ والوزن يومئذ الحق قال مجاهد معناه القضاء يومئذ بالحق والعدل وأكثر المفسرين على أنه أراد به الوزن بالميزان المعروف وهو حق وكيف

تفسير السمعاني ج:2 ص:165
تفسير السمعاني ج 2/ص 166
الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون 8 ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون 9 ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم يوزن اختلفوا قال بعضهم توزن صحائف الأعمال وقيل يوزن

الأشخاص وعليه دل قول عبيد بن عمير أنه قال يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول والشروب يوم القيامة فيوزن فلا يزن عند الله جناح بعوضة وقد روى هذا مرفوعا
وقيل توزن الأعمال فإن الأعمال الحسنة تأتي على صورة حسنة والأعمال السيئة تأتي على صورة قبيحة فذلك الذي يوزن وفي الخبر أن ذلك الميزان له كفتان كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب والميزان للكل واحد وقيل لكل واحد ميزان فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم أي غبنوا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون قال الحسن إنما ثقل ميزان من ثقل ميزانه باتباع الحق وحق لميزان وضع فيه الحق أن يثقل وإنما خف ميزان من خف ميزانه باتباع الباطل وحق الميزان لم يوضع فيه إلا الباطل أن يخف
ويروى عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت كان رسول الله نائما ذات يوم ورأسه في حجري فبكيت فقطرت دموعي على خده فانتبه رسول الله فقال مالك قلت ذكرت القيامة وأهوالها فهل يذكر أحد أحدا يومئذ فقال أما في ثلاثة مواطن فلا عند الميزان حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف وعند تطاير الصحف حتى يعلم أن صحيفته توضع في يمينه أو في شماله وعلى

تفسير السمعاني ج:2 ص:166
تفسير السمعاني ج 2/ص 167

فيها معايش قليلا ما تشكرون 10 ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة الصراط
قوله تعالى ـ ولقد مكناكم في الأرض التمكين هاهنا بمعنى التمليك وجعلنا لكم فيها معايش أي أسباب تعيشون بها وقيل جعلنا لكم ما تصلون به إلى المعاش قليلا ما تشكرون
قوله تعالى ـ ولقد خلقناكم ثم صورناكم قال ابن عباس خلقناكم في صلب آدم ثم صورناكم في أرحام الأمهات وقال مجاهد خلقناكم في ظهر آدم ثم صورناكم يوم الميثاق حين أخرجهم كالذر وقيل هذا في حق آدم - صلوات الله عليه - يعني خلقنا أصلكم آدم ثم صورناه فذكر بلفظ الجمع والمراد به الواحد وقال الأخفش - وهو أحد قولي قطرب - إن ثم بمعنى الواو أي وصورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فإن قال قائل الأمر بسجود الملائكة كان قبل خلق بني آدم فما معنى قوله ثم قلنا للملائكة عقيب ذكر الخلق والتصوير والجواب أما على قول مجاهد وقول من صرفه إلى آدم يستقيم الكلام وأما على قول ابن عباس يرد هذا الإشكال والجواب عنه من وجوه

أحدها أن المراد به ثم أخبركم أنا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وقيل فيه تقديم وتأخير وتقديره ولقد خلقناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا ثم صورناكم

تفسير السمعاني ج:2 ص:167
تفسير السمعاني ج 2/ص 168
اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين 11 قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين 12 قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين 13 قال أنظرني إلى يوم يبعثون وقيل ثم بمعنى الواو أي وقلنا للملائكة اسجدوا والواو لا توجب الترتيب وهو قول الأخفش وأحد قولي قطرب ولم يرضوا منهم ذلك فإن كلمة ثم لا ترد بمعنى الواو وهي للتعقيب

فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين وقد ذكرنا سجود الملائكة في سورة البقرة وأن سجودهم كان لآدم
قوله تعالى ـ قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك لا زائدة والمراد ما منعك أن تسجد وقد سبق نظائره
قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فإن قيل لم يكن هذا منه جوابا عما سئل عنه قيل تقديره قال لم أسجد لأني خير منه وقيل السؤال مقدر فيه كأنه قيل له أنت خير أم هو فقال أنا خير منه
قال محمد بن جرير الطبري ظن الخبيث ورأى أن النار خير من الطين ولم يعلم أن الفضل لما جعل الله له الفضل وقد فضل الله الطين على النار ولأن في طبع النار طيشا وخفة وإحراقا وفي الطين رزانة وحلم وتواضع وأمانة فيجوز أن يكون خيرا من النار وقد قال ابن عباس أول من قاس إبليس كما بينا و قوله تعالى ـ قال فاهبط منها أي فاخرج منها واختلفوا في هذه الكناية قيل أراد به فاهبط من الجنة وقيل أراد به من الدرجة التي جعله الله عليها من قبل وقيل أراد به من الأرض فإن الله - تعالى - لما طرده أخرجه من الأرض إلى جزائر البحر وكان من قبل له ملك الأرض حتى قيل إنه لا يدخل الأرض إلا خائفا سارقا على هيئة شيخ عليه أطمار فما يكون لك أن تتكبر فيها يعني بترك السجود فاخرج إنك من الصاغرين أي الأذلة

تفسير السمعاني ج:2 ص:168
تفسير السمعاني ج 2/ص 169
14 قال إنك من المنظرين 15 قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك

المستقيم 16 ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد

قال أنظرني أي أمهلني إلى يوم يبعثون سأل المهلة إلى القيامة قال إنك من المنظرين فأنظره الله - تعالى - وهذا الإنظار إلى النفخة الأولى كما قال في موضع آخر مقيدا إلى يوم الوقت المعلوم وأراد به النفخة الأولى فإن قيل وهل يجوز أن يجيب الله دعوة الكافر حيث أجاب دعوة اللعين قيل يجوز على طريق الاستدراج والمكر والإملاء لا على سبيل الكرامة
قال فبما أغويتني قال ابن عباس بما أضللتني وقيل بما خيبتني فالإغواء بمعنى الخيبة قال الشاعر
فمن يلق خيرا يحمد الناس أمرهومن يغو لا يعدم على الغي لائما
أي ومن يخب لا يعدم على الخيبة لائما وقيل معناه بما دعوتني إلى ما ضللت به لأقعدن لهم صراطك المستقيم أي على صراطك المستقيم وهو صراط الدين
قوله تعالى ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم
روى سفيان الثوري عن منصور عن الحكم بن عتيبة أنه قال لآتينهم من بين أيديهم يعني من قبل الدنيا بأن أزينها في قلوبهم فيغتروا بها ومن خلفهم أي من قبل الآخرة بأن أقول لا بعث ولا جنة ولا نار وعن أيمانهم من قبل الحسنات وعن شمائلهم من قبل السيئات وقال ابن عباس - في رواية الوالبي عنه - لآتينهم من بين أيديهم يعني من قبل الآخرة ومن خلفهم أي من قبل الدنيا وعن أيمانهم أشبه عليهم أمر الدنيا وعن شمائلهم أشهى لهم ارتكاب المعاصي قال مجاهد أراد به لآتينهم من كل الجوانب قال قتادة لم يقل الخبيث من فوقهم لأن الرحمة تنزل عليهم من فوقهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:169
تفسير السمعاني ج 2/ص 170
أكثرهم شاكرين 17 قال اخرج منها مذءوما مدحورا لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين 18 ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين 19 فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما

ولا تجد أكثرهم شاكرين أي مؤمنين فإن قيل بأيش علم الخبيث أنه لا يجد أكثرهم شاكرين قيل قرأ من اللوح المحفوظ وقيل قال ذلك ظنا فأجاب كما

قال الله - تعالى - ولقد صدق عليهم إبليس ظنه
قوله تعالى ـ قال اخرج منها مذءوما وقرأ الأعمش مذموما والمعروف مذءوما من الذأم وهو العيب وقيل معناه مقيتا من المقت
مدحورا أي مطرودا لمن تبعك منهم لأملان جهنم منكم أجمعين اللام فيه للقسم يعني أقسم لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين
قوله تعالى ـ ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وقد بينا هذا فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقد بينا على قول ابن عباس أنها كانت شجرة السنبلة وقيل شجرة التين وقال علي بن أبي طالب كانت شجرة الكافور وقيل كانت شجرة تأكل منها الملائكة تسمى شجرة الخلد
قوله تعالى ـ فوسوس لهما الشيطان الوسوسة حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان واختلفوا كيف وسوس لهما وهما في الجنة وهو في الأرض فقيل وسوس لهما من الأرض لأن الله - تعالى - أعطاه قوة بذلك حتى وسوس لهما بتلك القوة من الأرض إلى الجنة وقيل حين وسوس لهما كان في السماء فالتقيا على باب الجنة هو وآدم فوسوس وقيل إن الحية خبأته في أنيابها وأدخلته الجنة فوسوس من بين أنيابها فمسحت الحية وأخرجت من الجنة ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما اللام فيه لام العاقبة فإنه لم

تفسير السمعاني ج:2 ص:170
تفسير السمعاني ج 2/ص 171
ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين 20 وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين 21 فدلاهما بغرور يوسوس لهذا لكن عاقبة أمرهم في وسوسته أنه أبدى لهما ما ستر من عورتيهما

وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين
وهذه كانت وسوسته وقرأ يحيى بن أبي كثير والضحاك إلا أن تكونا ملكين بكسر اللام والمعروف ملكين بفتح اللام قال أبو عمرو بن العلاء لم يكن في الجنة ملك لغير الله حتى يقول ملكين من الملك وكان فيها الملائكة ومعناه ما نهاكما الله عن أكل هذه الشجرة إلا أنكما إذا اكلتما صرتما ملكين أو تكونا من الخالدين
وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين وسوس لهما وحلف عليه وهو أول من حلف بالله كاذبا فكل من حلف بالله كاذبا فهو من أتباع إبليس وفي الحديث إن المؤمن يخدع بالله فلما حلف إبليس على ما وسوسه به ظن آدم أنه لا يحلف أحد بالله إلا صادقا من سلامة قلبه فاغتر به

وفيه قول آخر أن قوله وقاسمهما من القسمة كأن إبليس قال لهما كلا من هذه الشجرة فما كان من خير فلكما وما كان من شر وسوء فعلي
وقوله إني لكما لمن الناصحين يعني المرشدين المريدين للخير
فإن قال قائل قوله ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين دليل على أن الملائكة أفضل من الآدميين قيل معناه - والله أعلم - أنهما رأيا الملائكة في أحسن صورة وأرفع منزلة وفي تسبيح دائم من غير تعب ولا شهوة فتمنيا أن يصلا إلى تلك المنزلة لو أكلا من تلك الشجرة ويتخلصا من التعب ومن شهوة البشرية وليس في هذا دليل على أن الملك أفضل من الآدمي
وقوله فدلاهما بغرور أي حطهما من منزلة الطاعة إلى حالة المعصية قال

تفسير السمعاني ج:2 ص:171
تفسير السمعاني ج 2/ص 172
فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين 22 قالا الشاعر
ويوسف إذ دلاه أولاد علةفأصبح في قعر البريكة ثاويا

وأما الغرور فهو إظهار النصح مع إبطان الغش
قوله تعالى ـ فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما في هذا دليل على أنهما لم يمتعا في الأكل قال ابن عباس قيل إن إزدادا أخذتهما العقوبة وكانت عقوبتهما أن تهافت عنهما لباسهما وبدت عورتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة قال ثعلب جعلا يلصقان بعض الورق بالبعض ويستران العورة به ويقال خصف النعل إذا جعل طبقا على طبق
واختلفوا في ذلك الورق قال ابن عباس - وبه قال أكثر المفسرين - إنه ورق التين والزيتون وقيل كان ورق الموز
وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة يعني عن الأكل منها وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين أي بين العداوة ويحكى عن أبي بن كعب ويذكر عن عطاء أيضا أنهما قالا لما بدت سوتهما في الجنة هرب آدم في الجنة فتعلقت شجرة بشعره وناداه الرب أفرارا مني يا آدم فقال لا بل حياء منك يا رب
قوله تعالى ـ قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين اعترف آدم بالذنب وسأل المغفرة وهذا هو الفرق بين معصيتة ومعصية إبليس أن إبليس عصى وأصر على المعصية وآدم عصى وتاب عن المعصية وأن إبليس كان متعمدا وآدم كان ساهيا واختلفوا في أن آدم هل

عرف عند الأكل أنه معصية قال بعضهم عرف ذلك لكن الله غفر له وتاب عليه وقيل دخل عليه شبهة من وسوسة إبليس ولم يكن متعمدا إذ كان معصوما نبيا قوله تعالى ـ قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو فإن قال قائل ألم يكن

تفسير السمعاني ج:2 ص:172
تفسير السمعاني ج 2/ص 173

(2/164)

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين 23 قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين 24 قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون 25 يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم خاطب إبليس بالهبوط من قبل فما معنى هذه الإعادة قيل إن هذا الثاني خطاب لآدم وحواء والحية قاله أبو صالح وإبليس خارج من الخطاب وقيل الخطاب للكل لأنهم وإن اقترفوا في وقت الإخراج والإنزال لكن لما اجتمعوا في الإنزال جمع بينهم في الخطاب والأول خاص لإبليس والخطاب الثاني عام للكل
ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين وفي القصص أن آدم وقع بأرض الهند وحواء بجدة والحية بميسان وإبليس بأيلة وقيل بمداد وقيل وقع إبليس بأرض البصرة ثم خرج إلى أرض مصر وباض وفرخ فيه
وعن ابن عمر أنه قال لما أخرج الله - تعالى - إبليس إلى الأرض قال يا رب أين مسكني قال الحمامات فقال أين مجلسي قال الأسواق فقال وأيش مطعمي قال كل طعام لم يذكر عليه اسمي فقال وماذا شرابي فقال كل مسكر قال وما حبالتي فقال النساء فقال وما كتابتي قال الوشم فقال ومن رسلي قال الكهنة
قوله تعالى ـ قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يعني الأرض فيها حياتكم وموتكم ومنها بعثكم
قوله تعالى ـ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم فإن قال قائل كيف قال أنزلنا ولم ينزل اللباس من السماء قيل قد أنزل المطر وكل نبات من المطر فكأنه أنزله وقيل معناه أن كل ما في الأرض فهو من بركات السماء فيكون كالمنزل من السماء وعلى هذا معنى قوله تعالى ـ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد وإنما يستخرج من الأرض لكن نسبه إلى السماء كذا هذا

تفسير السمعاني ج:2 ص:173
تفسير السمعاني ج 2/ص 174

وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون 26 يا بني آدم لا
وسبب نزول الآية أنهم في الجاهلية كانوا يطوفون بالبيت عراة ويقولون لا نطوف في أثواب عصينا الله - تعالى - فيها وكان الرجال يطوفون عراة بالنهار والنساء بالليل فنزلت الآية في المنع عن ذلك قال الزهري كانت العرب يطوفون كذلك عراة إلا الحمس وهم قريش وأحلاف قريش كانوا يطوفون في ثيابهم وسموا حمسا بشدتهم في دينهم ومنه الحماسة لشدتها وقال مجاهد كانت النساء يطفن وعليهن رهاط والرهط قطعة من صوف لا تستتر تمام العورة وربما كانت من سيورة وقال قتادة كانت المرأة منهم تطوف تضع يدها على فرجها تستر بها عورتها وتقول
اليوم يبدو بعضه أو كلهوما بدا منه فلا أحله
فقوله قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم معناه قد أنزلنا عليكم ما تسترون به عورتكم فلا تطوفوا بالبيت عراة وقوله وريشا وقرئ ورياشا منهم من فرق بينهما
قال مجاهد الريش المال وقال الكسائي الريش اللباس
وأما الرياش قيل هو المعاش يقال تريش فلان إذا وجد ما يعيش به وقيل الرياش أثاث البيت وقال أبو عبيدة الريش والرياش واحد وهو ما يبدو من اللباس والشعرة وأنشد سيبويه
وريشي منكم وهواي فيكم
وإن كانت زيارتكم لماما
أي قليلا وقوله ولباس التقوى يقرأ بالنصب يعني وأنزلنا عليكم لباس التقوى ويقرأ ولباس التقوى بالرفع يعني هو لباس التقوى

تفسير السمعاني ج:2 ص:174
تفسير السمعاني ج 2/ص 175
يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما
قال القتيبي يعني الثياب لباس التقوى فإن من اتقى الله يطوف لابسا لا عاريا وفي الحديث إن لباس التقوى هو الحياء لأنه يبعث على التقوى وهو قول الحسن
قال الشاعر
إني كأني أرى من لا حياء لهولا أمانة وسط الناس عريانا

قال عكرمة الحياء والإيمان في قرن واحد فإذا ذهب أحدهما تبعه الآخر وقال قتادة لباس التقوى هوالإيمان وقال عثمان بن عفان لباس التقوى هو السمت الحسن وقال عروة هو خشية الله وقيل لباس التقوى ها هنا لباس الصوف والثوب الخشن الذي يلبسه أهل الورع وقيل هو العمل الصالح
ذلك خير قيل ذلك حيلة وتقديره ولباس التقوى خير وهكذا قرأه الأعمش وقيل ذلك في موضعه ومعناه ذلك الذي ذكر من اللباس والريش وكل ما ذكر خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون
قوله تعالى ـ يا بني آدم لا يفتنتكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة أي لا يضلنكم الشيطان كما فتن أبويكم فأخرجهما من الجنة
ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما هو ما ذكرنا من تهافت اللباس عند أكلها من الشجرة وفيه دليل على أنهما ما كانا يريان عورتهما من قبل حيث قال ليريهما سوءاتهما واختلفوا في ذلك اللباس الذي كان عليهما ما هو قال ابن عباس لباسهما كان من الظفر كأن الله - تعالى - ألبسهما من جنس ظفرهما وقال وهب بن منبه كان لباسا من النور

تفسير السمعاني ج:2 ص:175
تفسير السمعاني ج 2/ص 176
إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون 27 وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون 28 قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون 29 فريقا هدى
إنه يراكم هو وقبيله أي وجنوده من حيث لا ترونهم يعني أن الشيطان وجنوده يرونكم وأنتم لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون يعني أن الشياطين يوالون الكفار وهذا قوله أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا

قوله تعالى ـ وإذا فعلوا فاحشة قيل الفاحشة ها هنا هي طوافهم عراة وقيل هي الشرك قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل يا محمد إن الله لا يأمر بالفحشاء وهي كل فعل قبيح بلغ النهاية في القبح أتقولون على الله ما لا تعلمون
قوله تعالى ـ قل أمر ربي بالقسط أي بالعدل والصدق وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد فيه ثلاثة أقوال أحدها أن معناه أقيموا الصلاة في كل مسجد تدرككم فيه الصلاة ولا تقولوا نؤخرها إلى مسجدنا والثاني معناه استقبلوا القبلة بوجوهكم في كل صلاة والثالث معناه أخلصوا صلاتكم وعبادتكم لله -

تعالى -
وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون يعني تعودون فرادى بلا أهل ولا مال كما خلقكم فرادى بلا أهل ولا مال وهذا معنى قوله تعالى ـ ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة قال الزجاج معناه إن إعادتكم أحياء كخلقكم ابتداء كلاهما علي هين والصحيح أن المراد به انه كما خلقكم أشقياء وسعداء ومؤمنين وكافرين تعودون كذلك وعليه دل قوله تعالى ـ فريقا

تفسير السمعاني ج:2 ص:176
تفسير السمعاني ج 2/ص 177
وفريقا حق عليهم الضلالة إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون 30 يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه هدى وفريقا حق عليهم الضلالة أي فريقا هداهم الله وفريقا أضلهم الله تعالى فوجبت عليهم الضلالة وقد صح الحديث عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال حدثني الصادق المصدوق - يعني رسول الله - أن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يكون بينه وبين الجنة إلا ذراعا فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يبقى بينه وبين النار إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة

إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون وفي هذا دليل على أن المستبصر بالكفر الذي يحسب أنه على الحق مثل المعاند سواء قوله تعالى ـ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد هو في الأمر بالطواف والصلاة لابسا وفي شواذ التفاسير أنه المشط ولبس النعل وقيل أراد به السكينة والوقار وذلك معنى ما روى عن رسول الله أنه قال إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون ولكن ائتوها وأنتم تمشون وعليكم بالسكينة والوقار وكلوا واشربوا قال الفراء إنما أمرهم بالأكل والشرب لأنهم كانوا في الجاهلية يتركون أكل اللحم والدسم في وقت الموسم كما يتركون اللباس عند الطواف ويقولون نترك اللحم والدسم لله - تعالى -
ولا تسرفوا أي بتحليل ما حرم الله وبتحريم ما أحل الله وكل مال أنفق

تفسير السمعاني ج:2 ص:177
تفسير السمعاني ج 2/ص 178

لا يحب المسرفين 31 قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون 32 قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون 33 في معصية الله فهو سرف وأصل الإسراف هو مجاوزة الحد بغلو أو تقصير إنه لا يحب المسرفين

(2/169)

قوله تعالى ـ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده يعني اللباس عند الطواف والطيبات من الرزق يعني ما حرموا على أنفسهم من أكل اللحم في أيام الموسم مع سائر ما حرموا من البحيرة والسائبة ونحوها قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة قال أكثر المفسرين - وهو قول الضحاك - فيه حذف وتقديره هي للذين آمنوا وللمشركين في الحياة الدنيا خالصة للمؤمنين يوم القيامة وقيل معناه خالصة يوم القيامة من التنغيص والغم فإنها لهم في الدنيا مع التنغيص والغم كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون
قوله تعالى ـ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن قال قتادة هي الزنا سرا وعلنا وقال غيره ما ظهر منها نكاح المحارم وما بطن الزنا والإثم والبغي يغير الحق أما الإثم ففيه ثلاثة أقوال
أحدها قال الفراء كل ما دون الحد وقيل هو كل المعاصي وقيل الإثم الخمر وقد ورد ذلك في الشعر
شربت الإثم حتى ضل عقليكذاك الإثم يذهب بالعقول
وأما البغي قيل هو الاستطالة على الناس وقيل هو الفساد وقال ثعلب هو أن يقع في الناس بغير الحق وأن تشركوا بالله وتقديره وحرم أن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا أي حجة وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون لأنهم كانوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:178
تفسير السمعاني ج 2/ص 179
ولكل أمة اجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون 34 يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم ينسبون كل ما ارتكبوا من الفواحش والإشراك إلى الله - تعالى - ويقولون نفعله بأمر الله فهذا قولهم على الله ما لا يعلمون

(2/170)

قوله تعالى ـ ولكل أمة أجل يعني مدة العمر فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فإن قيل لم خص الساعة وهم لا يستأخرون دون الساعة ولا يستقدمون قيل إنما خصها لأنها أقل الأوقات المعلومة
قوله تعالى ـ يا بني آدم إما يأتينكم فقوله إما كلمتان إن و ما فأدغمت إحداهما في الأخرى ومعناه متى يأتكم وإن يأتكم رسل منكم قيل أراد به رسولنا خاصة وقيل كل الرسل يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح أي اتقى الشرك وأصلح ما بينه وبين ربه فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون
قوله تعالى ـ والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها وإنما ذكر الاستكبار لأن كل مكذب وكل كافر مستكبر وإنما كذب وكفر تكبرا قال الله - تعالى - إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون أي استكبروا عن الإقرار بالوحدانية أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون
قوله تعالى ـ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وقد بينا هذا الافتراء أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب فيه خمسة أقوال
أحدها - وهو قول ابن عباس ينالهم ما قدر لهم من خير وشر
والثاني قول مجاهد ينالهم ما وعدوا من خير وشر
والثالث قول سعيد بن جبير ينالهم ما قضى لهم من الشقاوة والسعادة
والرابع قول محمد بن كعب القرظي أراد به الأجل والعمل والرزق

تفسير السمعاني ج:2 ص:179
تفسير السمعاني ج 2/ص 180

يحزنون 35 والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون 36 فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين 37 قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها حتى إذا
وفيه قول خامس معروف ينالهم نصيبهم من العذاب المذكور في الكتاب فإنه ذكر في الكتاب عذاب الفرق من الكفار مثل المنافقين واليهود والنصارى والمشركين
حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يعني ملك الموت وأعوانه يتوفونهم أي يتوفون عدد آجالهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله يعني الرسل يقولون للكفار أين الذين كنتم تدعون من دون الله من الأصنام قالوا ضلوا عنا أي ذهبوا وفاتوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين
قوله تعالى ـ قال ادخلوا في أمم يعني مع أمم وهو مثل قول امرئ القيس

وهل ينعمن من كان أقرب عهدهثلاثين شهرا في ثلاثة أحوال
أي مع ثلاثة أحوال وقيل معناه ادخلوا بين أمم قد خلت أي مضت من قبلكم من الجن والإنس في النار وفيه دليل على أن الجن يموتون كالإنس خلافا لقول الحسن حيث قال لا يموتون
كلما دخلت أمة لعنت أختها قال الفراء يعني أختها في الدين لا في النسب يعني يلعن اليهود اليهود والنصارى النصارى
حتى إذا اداركوا أي تداركوا وتتابعوا واجتمعوا فيها جميعا قالت أخراهم لأولاهم أراد به أخرى كل أمة وأولى كل أمة وقيل أراد به آخرهم دخولا وأولهم دخولا وهم القادة مع الأتباع فإن القادة يدخلون أولا

تفسير السمعاني ج:2 ص:180
تفسير السمعاني ج 2/ص 181

فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون 39 إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين 40 لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزي الظالمين
ربنا هؤلاء أضلونا يعني القادة أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار أي ضاعف لهم العذاب قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون بالتاء فقوله ولكن لا تعلمون يعني أيها الناس لا تعلمون أما من قرأ بالياء فمعناه لا يعلم القادة ما للأتباع ولا الأتباع الأتباع ما للقادة
قوله تعالى ـ وقالت أولاهم يعني القادة لأخراهم يعني الأتباع فما كان لكم علينا من فضل قال السدي معناه أنكم كفرتم كما كفرنا وجحدتم كما جحدنا فليس لكم علينا من فضل وقيل معناه ما كان لكم علينا من فضل في تخفيف العذاب فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون
قوله تعالى ـ إن الذين كفروا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء اعلم أن أبواب السماء تفتح لثلاثة للأعمال والأدعية والأرواح وفي الخبر أن الملك يصعد بروح المؤمن ولها ريح طيبة فتفتح لها أبواب السماء ويصعد بروح الكافر ولها ريح منتنة فتغلق لها أبواب السماء ويؤمر بطرحها في السجين فذلك قوله تعالى ـ كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ومعنى الآية أنه لا تفتح أبواب السماء لأعمال الكفار وأدعيتهم وأرواحهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:181
تفسير السمعاني ج 2/ص 182

41 والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أولئك أصحاب الجنة
وقيل معناه لا تفتح لهم أبواب الجنة لكن عبر عنها بأبواب السماء لأن أبواب الجنة في السماء

ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وقرأ ابن عباس يلج الجمل برفع الجيم وتشديد الميم وقرأ سعيد بن جبير حتى يلج الجمل برفع الجيم مخففة الميم وقرأ ابن سيرين في سم الخياط برفع السين والمعروف حتى يلج الجمل في سم الخياط وهو الجمل المعروف وسئل ابن مسعود عن هذا الجمل فقال هو زوج الناقة كأنه استحمق السائل حين سأله عما لا يخفى ويحكى عن الحسن أنه قال هو الأشطر الذي عليه جولقان أسودان وأما الجمل الذي قرأه ابن مسعود فهو قلس السفينة وأما الجمل بالتخفيف قيل هو أيضا قلس السفينة وقيل هو حبل السفينة وأما السم والسم واحد وهو ثقبة المخيط والمراد بالآية تأكيد منع دخولهم الجنة وذلك سائر في كلام العرب وهو مثل قولهم لا أفعل كذا حتى يشيب الغراب وحتى يبيض القار وقال الشاعر
إذا شاب الغراب أتيت أهليوصار القار كاللبن الحليب
والقار والقير شيء أسود يضرب به المثل يقال شيء كالقير والقار في السواد وكذلك نجزي المجرمين
قوله تعالى ـ لهم من جهنم مهاد أي فرش ومن فوقهم غواش أي لحف وهذا مثل قوله لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل
قال سيبويه - رحمه الله - التنوين في قوله غواش غير أصلي وإنما هو بدل عن الياء وأصله غواشي ومثله كثير وكذلك نجزي الظالمين
والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا وسعها أي طاقتها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون

تفسير السمعاني ج:2 ص:182
تفسير السمعاني ج 2/ص 183
هم فيها خالدون 42 ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا

قوله تعالى ـ ونزعنا ما في صدروهم من غل تجري من تحتهم الأنهار الغل الغش والحقد وعن علي - رضي الله عنه - أنه قال أرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله - تعالى - ونزعنا ما في صدروهم من غل وروى مسلم في الصحيح بإسناده عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي أنه قال إذا خلص المؤمنون عن الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا نقوا وهذبوا أذن لهم في دخول الجنة فوالذي نفسي بيده لأحدهم أهدى إلى منزله في الجنة منه إلى منزله في الدنيا وفي بعض الأخبار أن على باب الجنة عينا يشرب منها أهل الجنة ويغتسلون فيذهب الغل والحقد من قلوبهم ثم يدخلون الجنة
وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وفي هذا دليل على القدرية لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون تلك تأنيث ذلك ومعنى الآية كأنهم إذا رأوا الجنة من بعيد نودوا أن تلكم الجنة وقيل هذا النداء يكون في الجنة فينادون هذه الجنة التي أورثتموها وفي الخبر أن لكل واحد منزلا في الجنة ومنزلا في النار ثم يرث المؤمن من الكافر منزله في الجنة ويرث الكافر من المؤمن منزله في النار

تفسير السمعاني ج:2 ص:183
تفسير السمعاني ج 2/ص 184
بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعلمون 43 ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل جدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين 44 الذين يصدون عن سبيل الله

قوله تعالى ـ ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وهذا قبل التطبيق على جهنم قالوا نعم وقد بينا أن جواب الاستفهام الذي فيه جحد بلى وجواب الاستفهام الذي ليس فيه تجحد نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين
الذين يصدون عن سبيل الله أي يعرضون عن الدين ويبغونها عوجا أي يطلبون الدين بالزيغ والعوج بمعنى الزيغ ها هنا وهم بالآخرة كافرون
وبينهما حجاب وهو حجاب بين الجنة والنار وعلى الأعراف رجال قيل الأعراف سور بين الجنة والنار وذلك قوله فضرب بينهم بسور وقيل هو مكان مرتفع والأول أصح وعليه الأكثرون
وأما الرجال الذين على الأعراف اختلفوا فيهم قال ابن مسعود وحذيفة وعطاء هم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم وقال أبو مجلز لاحق بن حميد هم قوم من الملائكة في صورة رجال من الإنس وحكى مقاتل بن سليمان في تفسيره عن

النبي أنه قال هم قوم غزوا بغير إذن آبائهم فاستشهدوا فبقوا على الأعراف تمنع شهادتهم دخولهم النار ويمنع عصيانهم الآباء دخولهم الجنة

تفسير السمعاني ج:2 ص:184
تفسير السمعاني ج 2/ص 185
ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون 45 وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون 46 وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين 47 ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم
وقال الحسن هم أهل الفضل من المؤمنين جعلوا على الأعراف فيطلعون على أهل الجنة والنار يطالعون أحوال الفريقين يعرفون كلا بسيماهم أي يعرفون أهل الجنة ببياض وجوههم وأهل النار بسواد وجوههم

ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم فإذا رأوا أهل الجنة قالوا سلام عليكم لم يدخلوها يعني أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون يعني في دخول الجنة قال الحسن الذي جعل الطمع في قلوبهم يوصلهم إلى ما يطمعون وقال حذيفة - رضي الله عنه لا يخيب الله أطماعهم
قوله تعالى ـ وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين يعني إذا اطلعوا على أهل النار وما هم فيه استعاذوا بالله من النار
قوله تعالى ـ ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قيل إنهم يرون الكفار فيعرفونهم مثل الوليد بن المغيرة وأبي جهل وأبي لهب ونحوهم
فينادونهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم يعني ما نفعكم اجتماعكم وتظاهركم في الدنيا وما كنتم تستكبرون
قوله تعالى ـ أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة وذلك حين قالوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:185
تفسير السمعاني ج 2/ص 186
وما كنتم تستكبرون 48 أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون 49 ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين 50 الذين للكفار ما قالوا ثم ينظرون إلى أهل الجنة فيرون خبابا وعمارا وبلالا

وصهيبا ونحوهم فيقول أصحاب الأعراف لأولئك الكفار أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة يعني أهؤلاء الذين حلفتم أنهم لا يدخلون الجنة وقد دخلوا يعني خبابا وعمارا ونحوهما

(2/177)

ثم يقول الله - تعالى - ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون وفيه قول آخر أن أصحاب الأعراف إذا قالوا لأولئك الكفار ما قالوا يقول الكفار لهم إن دخلوا أولئك الجنة ونحن في النار فأنتم لم تدخلوا الجنة بعد فيعيرونهم على ذلك ويحلفون أنهم لا يدخلون الجنة فيقول الله - تعالى - لأولئك الكفار أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم يقوله لأصحاب الأعراف فيدخلهم الجنة ولا أنتم تحزنون
قوله تعالى ـ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله في هذا دليل على أنهم كما يعذبون بالنار فيكون عليهم عذاب الجوع والعطش مع عذاب النار حتى يسألوا الطعام والشراب
وفي الخبر أن الرجل من أهل النار يرى أخاه أو قرينه في الجنة فيقول له من النار يا أخي أغثني بشربة ماء فقد احترقت فيقول إن الله حرمه على الكافرين فذلك قول الله - تعالى - قالوا إن الله حرمهما على الكافرين يعني الطعام والشراب وهذا تحريم منع لا تحريم تعبد واعلم أن لسقي الماء أجر عظيم وفي الخبر عن النبي أنه قال من سقى مؤمنا شربة ماء بعده الله من جهنم شوط فرس

تفسير السمعاني ج:2 ص:186
تفسير السمعاني ج 2/ص 187
اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون 51 ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون 52 هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون 53 إن ربكم الله الذي خلق

(2/178)

قوله تعالى ـ الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا معناه أكلا وشربا قاله عبد الله بن الحارث وقيل معناه الذين كانت همتهم الدنيا واشتغالهم بها فهم الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا

فاليوم ننساهم أي نتركهم كما نسوا لقاء يومهم هذا أي كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون
قوله تعالى ـ ولقد جئناهم بكتاب أي أتيناهم بالقرآن فصلناه أي بينا ما فيه من الحلال والحرام على علم أي على علم بما يصلحهم وقيل معناه على علم بالثواب والعقاب هدى أي هاديا ورحمة أي ذو رحمة لقوم يؤمنون
قوله تعالى ـ هل ينظرون أي هل ينتظرون إلا تأويله قال مجاهد معناه إلا جزاءه وقال قتادة إلا عاقبته وحقيقة المعنى أنهم هل ينتظرون إلا ما يؤول إليه أمرهم من مصير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار يوم يأتي تأويله أي جزاؤه وما يؤول إليه أمرهم
يقول الذين نسوه أي تركوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق اعترفوا به حين لا ينفعهم الاعتراف فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد يعني إلى الدنيا فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا أنفسهم أي نقصوا حق أنفسهم وضل عنهم أي ذهب وفات عنهم ما كانوا يفترون

تفسير السمعاني ج:2 ص:187
تفسير السمعاني ج 2/ص 188
السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا
قوله تعالى إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام

قال مجاهد هي من يوم الأحد إلى الجمعة فإن قيل كيف قال في ستة أيام ولم تكن أيام حين خلق السموات والأرض قيل وما يدرينا أنها لم تكن بل كانت فإن الله - تعالى - أخبر وقوله وخبره صدق وقيل يجوز أن يكون المراد به على تقدير ستة أيام فإن قيل وما الحكمة في خلقها في ستة أيام وكان قادرا على خلقها في طرفة عين قيل لأن خلقها على التأني أدل على الحكمة فخلقها على التأني ليكون أدل على حكمته ولطف تدبيره وفيه أيضا تعليم الناس وتنبيه العباد على التأني في الأمور وفي الخبر التأني من الله والعجلة من الشيطان
ثم استوى على العرش أول المعتزلة الاستواء بالاستيلاء وأنشدوا فيه
قد استوى بشر على العراقمن غير سيف ودم مهراق
وأما أهل السنة فيتبرءون من هذا التأويل ويقولون إن الاستواء على العرش صفة لله - تعالى - بلا كيف والإيمان به واجب كذلك يحكى عن مالك بن أنس وغيره من السلف أنهم قالوا في هذه الآية الإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة
يغشى الليل النهار أي يغطي الليل على النهار وفيه حذف وتقديره يغشي الليل النهار ويغشي النهار الليل كما قال في آية أخرى يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثا أي سريعا وذلك أنه لما كان

تفسير السمعاني ج:2 ص:188
تفسير السمعاني ج 2/ص 189
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين 54 ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين 55 ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمت الله قريب من المحسنين 56 وهو يعقب أحدهما الآخر ويخلفه على أثره فكأنه في طلبه
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره أي مذللات بما أريد منها ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين أي تعالى بالوحدانية

قوله تعالى ـ ادعوا ربكم تضرعا وخفية أي ضارعين متذللين خاشعين وخفية أي سرا إنه لا يحب المعتدين قال ابن جريج الجهر بالدعاء عدوان وفي الخبر عن النبي أنه قال سيكون أقوام يعتدون في الطهور والدعاء وروى أنه رأى أقواما يصيحون بالدعاء فقال لهم أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصما ولا غائبا وإنما تدعون سميعا قريبا وهو معكم بالعلم والقدرة وقيل من الاعتداء في الدعاء أن يسأل لنفسه درجة ليس من أهلها بأن يسأل درجة الأنبياء وليس بنبي ودرجة الشهداء وليس بشهيد
قوله تعالى ـ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها أي بعد إصلاح الأرض بالدين والشريعة وقال الضحاك من الفساد في الأرض تغوير المياه وقطع الأشجار المثمرة وكسر الدراهم والدنانير
وادعوه خوفا وطمعا أي خوفا من الله وطمعا لثوابه إن رحمة الله قريب

تفسير السمعاني ج:2 ص:189
تفسير السمعاني ج 2/ص 190
الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاب اثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون من المحسنين فإن قيل القريب نعت المذكر والرحمة مؤنثة والله - تعالى - قال قريب ولم يقل قريبة قيل قال الزجاج الرحمة هاهنا بمعنى العفو والغفران وقال الأخفش هي بمعنى الإنعام فيكون النعت راجعا إلى المعنى دون اللفظ قال الفراء إذا كان القرب في النسب فنعت المؤنث منه يكون على التأنيث وأما القرب في غير النسب فالنعت منه يذكر ويؤنث وانشدوا فيه

عشية لا عفراء منك قريبةفتدنو ولا عفراء منك بعيد
فذكر النعت مرة على التأنيث ومرة على التذكير

قوله تعالى ـ وهو الذي يرسل الرياح بشرا يقرأ بشرا من البشارة ويقرأ نشرا وهو جمع النشور كالرسول والرسل وذلك ريح طيبة ويقرأ نشرا بجزم الشين وهو جمع النشور أيضا كالرسول والرسل والكتاب والكتب
بين يدي رحمته يعني المطر حتى إذا أقلت أي حملت سحابا ثقالا يعني بالماء سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون استدل بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى وفي ذلك دليل بين وفي بعض الأخبار أن بين النفختين أربعين عاما فيرسل الله - تعالى - مطرا من السماء كمثل منى الرجال فيدخل الأرض فينبت منه الناس ثم يحشرون بالنفخة الثانية

تفسير السمعاني ج:2 ص:190
تفسير السمعاني ج 2/ص 191
57 والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون 58 لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم 59 قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين 60 قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين 61 أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون 62 أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون 63
قوله تعالى ـ والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث يعني الأرض السبخة لا يخرج إلا نكدا أي نزرا قليلا قال الشاعر
فأعط ما أعطيته طيبالا خير في المنكود والناكد
وهذا مثل ضربه الله - تعالى - للمؤمنين وللكافرين فإن المؤمن يخرج ما يخرج من نفسه من الإيمان والخيرات سهلا سمحا والكافر يخرج ما يخرج من الخيرات نزرا قليلا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون

قوله تعالى ـ لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم ذكر في هذه الآية قصة نوح وقومه وسيأتي

قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين علم الله - تعالى - الناس بذكر قوله حسن الجواب حيث قال ليس بي ضلالة ولم يقل أنتم الضلال كما جرت عادتنا
قوله تعالى ـ أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم النصح هو أن يريد لغيره من الخير مثل ما يريد لنفسه ومعناه أرشدكم أني أريد لنفسي ما أريد لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون
قوله - تعالى- أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم العجب هو تغيير النفس عند رؤية أمر خفي عليه باطنه ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك أي في السفينة

تفسير السمعاني ج:2 ص:191
تفسير السمعاني ج 2/ص 192
فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوما عمين 64 وإلى عاد أخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون 65 قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين 66 قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين 67 أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين 68 أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بصطة فاذكروا
وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا وستأتي القصة إنهم كانوا قوما عمين أي عن الحق
قوله تعالى ـ وإلى عاد أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودا قال الفراء كان أخاهم في النسب لا في الدين وقيل أراد به كان آدميا مثلهم قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون

قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة أي في حمق وجهالة وإنا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين وهو أيضا من حسن الجواب أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين وقد بينا معنى النصح
قوله تعالى ـ أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء يعني في الأرض من بعد قوم نوح أي من بعد إهلاكهم وزادكم في الخلق بسطة وأراد به البسطة في الطول قال محمد بن إسحاق ابن يسار والسدي كانت قامة الطويل من قوم عاد مائة ذراع وقامة القصير منهم ستين ذراعا فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون

تفسير السمعاني ج:2 ص:192
تفسير السمعاني ج 2/ص 193
آلاء الله لعلكم تفلحون 69 قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين 70 قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إني معكم من المنتظرين 71 فأنجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين 72 وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم 73 واذكروا إذ جعلكم خلفاء
قوله تعالى ـ قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا يعني من الأصنام فأتنا بما تعدنا أي من العذاب إن كنت من الصادقين

قوله تعالى ـ قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب الرجس والرجز هو العذاب والغضب السخط أأتجادلونني في أسماء أي لأجل أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم أي الأصنام نحتموها وسميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان أي برهان فانتظروا إني معكم من المنتظرين فأنجيناه والذين معه هودا وقومه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين أي قطعنا أصلهم واستأصلناهم بالعذاب
قوله تعالى ـ وإلى ثمود أخاهم أي وأرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية سألوه أن يخرج من الصخرة ناقة وأشاروا إلى صخرة صماء ملساء فدعا صالح - عليه السلام - فتمخضت الصخرة كما تتمخض الحبلى وأخرجت الناقة فخرجت ألفت سقبا من ساعتها فذروها تأكل في أرض الله قيل كان لهم واد يشربون منه فجعلوا يوما للناقة ويوما لهم فتشرب الناقة يومها جميع ماء الوادي وتبدلهم بذلك لبنا ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم

تفسير السمعاني ج:2 ص:193
تفسير السمعاني ج 2/ص 194
من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين 74 قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون 75 قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون 76 فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين 77

قوله تعالى ـ واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض أي أنزلكم
قال الشاعر
فبوئت في صميم معشرهافتم في قومها مبوؤها

(2/185)

تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا كانوا في الصيف يسكنون في بيوت من الطين وفي الشتاء يسكنون في بيوت نحتوها في الجبل وقيل إنما كانوا ينحتون البيوت في الجبل لأن بيوت الطين ما كانت تبقى مدة أعمارهم لطول أعمارهم فاذكروا آلاء الله أي نعم الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين العيث أشد الفساد
قوله تعالى ـ قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم يعني قال الكفار منهم للمؤمنين أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه وهذا استفهام أريد به الجحد لأنهم كانوا يجحدون إرساله قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم العتو الغلو في الباطل وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا أي من العذاب إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة زلزلة الأرض وحركتها وكانوا قد أهلكوا بالصيحة والرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين أي خامدين ميتين ومنه الرماد الجاثم وقيل جاثمين أي خارين على ركبهم ووجوههم وقيل إنهم احترقوا بالصاعقة حتى صاروا كالرماد الجاثم

تفسير السمعاني ج:2 ص:194
تفسير السمعاني ج 2/ص 195
فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين 78 فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين 79 ولوطا إذ قال لقومه

(2/186)

قوله تعالى ـ فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين فإن قال قائل كيف خاطبهم وقد هلكوا قيل هو كما خاطب الرسول الكفار القتلى يوم بدر حين ألقاهم في القليب جاء إلى رأس البئر وقال يا عتبة يا شيبة ويا أبا جهل قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقال عمر يا رسول الله كيف تخاطب قوما قد جيفوا فقال ما أنتم بأسمع منهم ولكنهم لا يقدرون على الإجابة وقيل إنما خاطبهم به ليكون عبرة لمن خلفهم وقيل في الآية تقديم وتأخير وتقديرها فتولى عنهم

فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وذلك أن الله - تعالى - ما كان ليعذب قوما ونبيهم بينهم
وروى أبو الزبير عن جابر أن النبي مر بمنازل ثمود في أراضي تبوك فقال لأصحابه يا أيها الناس لا تسألوا الله الآيات فإن هؤلاء سألوا الناقة فأخرجها الله لهم فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعقروها فأنزل الله عليهم العذاب فلم ينج منهم أحد إلا رجل كان في الحرم فلما خرج أصابه ما أصابهم من العذاب وكان ذلك الرجل يكنى أبا رغال
قوله تعالى ـ ولوطا إذ قال لقومه أي وأرسلنا لوطا واذكر لوطا إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة الفاحشة الفعلة القبيحة التي هي في غاية القبح ما سبقكم بها من أحد من العالمين قال الضحاك عن ابن عباس إن تلك الفعلة لم

تفسير السمعاني ج:2 ص:195
تفسير السمعاني ج 2/ص 196

أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين 80 إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون 81 وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون 82 فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين 83 وأمطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين 84 وإلى يفعلها أحد قبلهم إنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء فسر تلك الفاحشة بل أنتم قوم مسرفون أي مجاوزون حد الأمر
قوله تعالى ـ وما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أناس يتطهرون معناه يتنزهون عن أدبار الرجال قال قتادة ذموهم من غير ذم وعابوهم من غير عيب
قوله تعالى ـ فأنجيناه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين أي من الباقين في العذاب يقال غبر إذا بقى وأنشدوا
ولست يا معد في الرجالأسائل هذا وذا ما الخبر
ولكني مدده الأصفر بن قيس
بما قد مضى وما غبر
وقيل معناه من الغابرين عن النجاة
قوله تعالى ـ وأمطرنا عليهم مطرا في القصة أن الله - تعالى - أرسل جبريل - صلوات الله عليه - حتى قلع مدينتهم وقيل كانت مدائن قلعها ورفعها إلى السماء ثم قلبها وبذلك سموا مؤتفكة لأنهم قلبوا وأفكوا وأما الإمطار بالحجارة كان على من شذ منهم في الطرق وقيل بعدما قلبهم أمط عليهم بالحجارة فانظر كيف كان عاقبة المجرمين

قوله تعالى ـ وإلى مدين أي وأرسلنا إلى مدين قيل هو مدين بن إبراهيم الخليل - صلوات الله عليه - وكان أولئك من نسله وقيل ليس بذاك وإنما هو اسم قبيلة

تفسير السمعاني ج:2 ص:196
تفسير السمعاني ج 2/ص 197

مدين أخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله من لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين 85 ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجا واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم

وقوله أخاهم شعيبا أي في النسب لا في الدين قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فإن قال قائل ما معنى قوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولم تكن لهم آية قيل بل كانت لهم آية إلا أنها لم تذكر في القرآن وليست كل الآيات مذكورة في القرآن فأوفوا الكيل والميزان وكانوا يعبدون الأصنام ويبخسون في الموازين ولا تبخسوا الناس أشياءهم أي لا تنقصوهم من حقوقهم

ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها يعني إصلاحها ببعث الرسول والأمر بالعدل ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين يعني إن آمنتم فذلك خير لكم وقيل معناه ما كنتم مؤمنين

قوله تعالى ـ ولا تقعدوا بكل صراط توعدون أي طريق قال الشاعر

حشونا قومهم بالخيل حتىجعلناهم أذل من الصراط

يعني من الطريق

توعدون وتصدون عن سبيل الله قيل إنهم كانوا يبعثون إلى الطرق من يهدد الناس فكان الرجل إذا أراد الإيمان بشعيب وقصده يهددونه ويقولون إن آمنت بشعيب نقتلك فهذا معنى قوله توعدون أي تهددون والإيعاد التهديد وأما الوعد فيذكر في الخير والشر إذا ذكر الخير والشر مقرونا به فأما إذا أطلق فلا يذكر إلا في الخير أما في الشر عند الإطلاق يقال أوعد

وتصدون عن سبيل الله من آمن أي تمنعون عن الدين من قصد الإيمان

وتبغونها عوجا أي تطلبون الاعوجاج في الدين والعدول عن القصد قاله الزجاج وذكر الأزهري في التقريب أنه يقال في الدين عوج وفي العود عوج

تفسير السمعاني ج:2 ص:197
تفسير السمعاني ج 2/ص 198
وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين 86 وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين 87 قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أو لو كنا كارهين 88 قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علما
واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم أي في العدد وقيل معناه إذ كنتم قليلا أي بالمال فكثركم بالغنى وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين أي ممن كان قبلكم
قوله تعالى ـ وإن كان طائفة منكم آمنوا بالذي أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا وذلك أن بعضهم آمن وبعضهم كفر فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين
قوله تعالى ـ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قاله كفار قومه قال أو لو كنا كارهين يعني تفعلون هذا وإن كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا الله منها فإن قيل كيف يصح لفظ العود من شعيب ولم يكن على ملتهم قط قيل معناه إن صرنا في ملتكم وعاد بمعنى صار وكان كما قال الشاعر
لئن كانت الأيام أحسن مرةإلي فقد عادت لهن ذنوب
أي كانت لهن ذنوب
وقوله بعد إذ نجانا الله منها يعني من الدخول في ملتهم ابتداء وقيل المراد به قوم شعيب وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا فإن قيل وهل يشاء الله عودهم إلى الكفر قيل وما المانع منه وإنما الآية على وفق قول أهل السنة وكل ذلك جائز في المشيئة ويدل عليه قوله وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي اقض بالحق فإن قيل كيف طلب

تفسير السمعاني ج:2 ص:198
تفسير السمعاني ج 2/ص 199
على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين 89 وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا إنكم إذا لخاسرون 90 فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين 91 الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين 92 فتولى عنهم وقال يا قوم لقد

أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين 93 وما أرسلنا في قرية من نبي إلا القضاء من الله بالحق وهو لا يقضي إلا بالحق وقيل ليس ذلك على طريق طلب القضاء الحق وإنما هو على نعت قضائه بالحق فإن صفة قضائه الحق وهو مثل قوله تعالى ـ قال رب احكم بالحق في سورة الأنبياء وأنت خير الفاتحين
قوله تعالى ـ وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا يعني في دينهم إنكم إذا لخاسرون فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وقد بينا هذا في قصة ثمود
قوله تعالى ـ الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها أي كأن لم يقيموا فيها يقال غنيت بموضع كذا أي أقمت والمغاني المنازل قاله ثعلب وقال الشاعر وهو حاتم الطائي
عنينا زمانا بالتصعلك والغنىوكلا سقاناه بكأسيهما الدهر
فما زادنا بأوا على ذي قرابة
غنانا ولا أزرى بأحسابنا الفقر
وقال الأخفش معنى قوله كأن لم يغنوا فيها أي كأن لم يتنعموا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى أي أحزن على قوم كافرين
قوله تعالى ـ وما أرسلنا في قرية من نبي إلا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء
قال ابن مسعود البأساء الفقر والضراء المرض وهذا معنى قول من قال

تفسير السمعاني ج:2 ص:199
تفسير السمعاني ج 2/ص 200
أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون 94 ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فأخذناهم بغتة وهم لا يشعرون 95 ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون 96 أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون البأساء في المال والضراء في النفس وقيل البأساء الجوع والضراء الفقر وقيل أخذنا أهلها بالبأساء يعني بالحروب لعلهم يتضرعون أي لكي يتضرعوا
قوله تعالى ـ ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة قال مجاهد السيئة الشدة والحسنة الخصب حتى عفوا أي حتى كثروا ومنه قول النبي قصوا الشوارب واعفوا اللحى أي كثروا اللحى وقيل حتى عفوا حتى سمنوا
وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء أي هذا كان عادة الدهر قديما لنا ولآبائنا فلم ينتبهوا لما أصابهم من الشدة فأخذناهم بغتة أي فجأة وهم لا يشعرون
قوله تعالى ـ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء

والأرض يعني من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات وقيل بركات السماء إجابة الدعوات وبركات الأرض تسهيل الحاجات ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون
قوله تعالى ـ أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون يعني أن يأتيهم عذابنا ليلا ونهارا

تفسير السمعاني ج:2 ص:200
تفسير السمعاني ج 2/ص 201

---

97 أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون 98 أفأمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم لخاسرون 99 أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون 100 تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين 101 وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين 102 ثم بعثنا من بعدهم موسى بآيتنا إلى فرعون وملئه وهم يلعبون وكل من اشتغل بما لا يجزى عليه فهو لاعب
قوله تعالى ـ أفأمنوا مكر الله أي عذاب الله ومكر الله أخذه فجأة فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون
قوله تعالى ـ أو لم يهد للذين يرثون الأرض يعني أو لم يتبين للذين يرثون الأرض من بعد هلاك قومها أن لو نشاء أصبناهم يعني أنا لو نشاء أخذناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون أي نختم على قلوبهم حتى لا يفقهوا ولا يسمعوا
قوله تعالى ـ تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل هذا في قوم مخصوصين علم الله أنهم لا يؤمنون كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين
قوله تعالى ـ وما وجدنا لأكثرهم من عهد أي من وفاء بالعهد قل السدي هو العهد يوم الميثاق لم يوفوا به وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين أي ما وجدنا أكثرهم إلا فاسقين قيل أراد بالفسق ها هنا الخروج عما يقتضيه دينهم من الوفاء بالعهد وكان هذا من بعضهم دون بعض
قوله تعالى ـ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه فظلموا بها وقد بينا أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه وظلمهم وضع الكفر موضع

تفسير السمعاني ج:2 ص:201
تفسير السمعاني ج 2/ص 202

فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين 103 وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين 104 حقيق على أن لا أقول على الله إلا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل 105 قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين 106 فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين 107 ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين 108 قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم 109 يريد أن الإيمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين
قوله تعالى ـ وقال موسى يا فرعون إني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول أي حقيق بأن لا أقول وهكذا قرأ ابن مسعود ومعناه حريص بأن لا أقول على الله إلا الحق وقرئ حقيق علي أي واجب على أن لا أقول على الله إلا الحق
قد جئتكم ببينة من ربكم فأرسل معي بني إسرائيل وذلك أنه أراد موسى أن يخرج بهم إلى الشام قال ي- يعني فرعون - إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين
قوله تعالى ـ فألقى عصاه قيل إن ملكا أعطاه تلك العصا وللعصا قصة ستأتي في قصة شعيب في سورة القصص إن شاء الله
فإذا هي ثعبان مبين الثعبان الحية الذكر وفي القصص أن موسى - صلوات الله عليه - لما ألقى العصا صارت ثعبانا عظيما ملأ قصر فرعون وقيل كان بين شدقيه ثمانون ذراعا وقيل إنه أخذ قصر فرعون بين نابيه فهرب منه فرعون وأخذه البطن في ذلك اليوم أربعمائة مرة
قوله تعالى ـ ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين قيل إنه نزع يده من جيبه وقيل من تحت إبطه فإذا هي بيضاء لها شعاع كالشمس يتلألأ وكان موسى آدم اللون
قوله تعالى ـ قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم يعني موسى

تفسير السمعاني ج:2 ص:202
تفسير السمعاني ج 2/ص 203

يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون 110 قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين 111 يأتوك بكل ساحر عليم 112 وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين 113 قال نعم وإنكم لمن المقربين 114 قالوا يا موسى إما أن يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون أي بماذا تشيرون قاله فرعون لقومه وقيل إن هذا من قول الملأ قالوا لفرعون وخاصته ماذا تأمرون وقيل إنهم قالوا ذلك لفرعون خاصة لكن ذكروا بلفظ الجمع تفخيما وتعظيما

قوله تعالى ـ قالوا أرجه وأخاه أي أرجئه والإرجاء التأخير يقال أرجأت أمر كذا أي أخرت ومنه المرجئة سموا بذلك لتأخيرهم العمل في الإيمان فإنهم زعموا أن العمل ليس من الإيمان ويقرأ أرجه من غير همز قيل معناه التأخير أيضا قال المبرد معناه اتركه يرجو ومعنى الكل واحد فإنهم أشاروا عليه بتأخير أمره وترك التعرض له وذكر النقاش في تفسيره أنهم أشاروا بتأخيره لأنه لم يكن فيهم ولد عاهر إذ لو كان فيهم ولد عاهر لأشاروا بالقتل

وأرسل في المدائن حاشرين هي مدائن الصعيد وهو فوق مصر يأتوك بكل ساحر عليم وفي القصة أن فرعون أرسل أصحاب الشرط إلى تلك المدائن ليجمعوا السحرة ويأتوا بهم

قوله تعالى ـ وجاء السحرة فرعون وفيه حذف يعني فأرسل فجاء السحرة واختلفوا في عددهم قال ابن عباس كانوا اثني وسبعين رجلا وقال كعب الأحبار كانوا اثني عشر ألفا وقال محمد بن المنكدر كانوا ثمانين ألفا والمعروف أنهم كانوا سبعين ألفا

قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم لكم الأجر وإنكم لمن المقربين أي لكم المنزلة الرفيعة مع الأجر

تفسير السمعاني ج:2 ص:203
تفسير السمعاني ج 2/ص 204

تلقي وإما أن نكون نحن الملقين 115 قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم 116 وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون 117 فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون 118 فغلبوا هنالك

قوله تعالى ـ قالوا يا موسى إما أن تلقى يعني العصا وإما أن نكون نحن الملقين يعني عصينا قال ألقوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس أي صرفوا أعين الناس عن إدراك حقيقتها فعلوا من التمويه والتخييل وهذا هو السحر

واسترهبوهم أي السحرة طلبوا رهبة الناس فرهبوهم وقال المبرد السين فيه زائدة ومعناه أرهبوهم وجاءوا بسحر عظيم

قوله تعالى ـ وأوحينا إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون ويقرأ تلقف ما يأفكون مخففا ويقرأ في الشواذ تلقم وقرأ سعيد بن جبير تلقم مخففا ومعنى الكل واحد والتلقف الأخذ بسرعة ومعناه تتلقم ما يأفكون أي ما يكذبون من التخاييل الكاذبة وفي القصص أن السحرة كانوا سبعين ألف مع كل واحد منهم عصا فألقوا عصيهم فإذا هي تتحرك كالحيات ثم ألقى موسى عصاه فصارت ثعبانا وتلقف كل ذلك وقصد الناس الذين حضروا فوقع الزحام عليهم فهلك خمسة وعشرون ألفا في الزحام ثم أخذه موسى فصارت عصا كما كانت فذلك قوله فإذا هي تلقف ما يأفكون قال الشاعر

أنت عصا موسى التي لم تزلتلقف ما يأفكه الساحر

وقال آخر

إذا جاء موسى وألقى العصا

فقد بطل السحر والساحر

قوله تعالى ـ فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون قال الحسن ومجاهد معناه ظهر الحق أي ظهر عصا موسى على عصيهم وقيل معناه ظهرت نبوة موسى على دعوى فرعون الربوبية فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين أي ذليلين

تفسير السمعاني ج:2 ص:204

تفسير السمعاني ج 2/ص 205

وانقلبوا صاغرين 119 وألقي السحرة ساجدين 120 قالوا آمنا برب العالمين 121 رب موسى وهارون 122 قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون 123 لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين 124 قالوا إنا إلى ربنا منقلبون 125 وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين 126 وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال

قوله تعالى ـ وألقي السحرة ساجدين واختلفوا في سجودهم قال بعضهم ألهمهم الله - تعالى - أن يسجدوا فسجدوا وقيل إن موسى وهارون سجدا شكرا لله - تعالى - فوافقهم السحرة قالوا آمنا برب العالمين قيل إن فرعون لما سمع ذلك منهم قال آمنتم بي فقالوا رب موسى وهارون وقال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة قال السدي كان موسى قد قال لرئيس السحرة إن غلبتك غدا لتؤمنن بي فقال لآتينك بسحر أغلبك وإن غلبتني آمنت بك فهذا معنى قول فرعون إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة أي تدبير دبرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها أي لتغلبوا أهلها فسوف تعلمون

لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنكم أجمعين هددهم بهذه العقوبات وهي معلومة قالوا إنا إلى ربنا منقلبون فهذا قالوه تسلية لقلوبهم وما تنقم منا أي وما تكره منا وقيل معناه وما تعيب علينا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ أي أنزل علينا صبرا وتوفنا مسلمين
قوله تعالى ـ وقال الملأ من قوم فرعون وإنما سموا ملأ لمعنيين أحدهما أنهم كانوا يملئون صدور الناس هيبة وقيل لأنهم كانوا مليئين بما فوض إليهم أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض أرادوا بهذا الفساد مخالفة أمر فرعون ويذرك وآلهتك وقرأ ابن عباس وإلاهتك أي عبادتك وقيل الإلاهة

تفسير السمعاني ج:2 ص:205
تفسير السمعاني ج 2/ص 206
سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون 127 قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين 128 قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم الشمس وكان فرعون يعبد الشمس قال الشاعر
تروحنا من اللعباء عصرافأعجلنا الإلاهة أن تؤوبا
أي أعجلنا الشمس أن ترجع والمعروف ويذرك وآلهتك
قال سليمان التيمي وكان فرعون يعبد البقر وقال السدي كان قد اتخذ أصناما وقال لقومه هذه آلهتكم وأنا إله الآلهة وقال الحسن كان قد علق على عنقه صليبا - وكان يعبده - فلذلك قالوا ويذرك وآلهتك وهذا كان إغراء منهم لفرعون على موسى قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وكان من قبل يفعل ذلك ثم تركه ثم عاد إليه ثانيا فقال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون
قوله تعالى ـ قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها وفي الشواذ يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين أي في النصر والظفر
قوله تعالى ـ قالوا أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فيه أقوال
قال الحسن كان الإيذاء بأخذ الجزية كان فرعون يأخذ الجزية منهم قبل مجيء موسى وبعده وقيل هو من قتل الأبناء كان يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم قبل مجيء موسى ثم عاد إليه وذكر جويبر في تفسيره أن المراد به أن فرعون كان يسخرهم ويستعملهم إلى نصف النهار فلما جاء موسى استسخرهم كل النهار بلا أجر ولا شيء وذكر الكلبي أنهم كانوا يضربون له اللبن بتبن فرعون قبل مجيء

تفسير السمعاني ج:2 ص:206
تفسير السمعاني ج 2/ص 207

(2/198)

في الأرض فينظر كيف تعملون 129 ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون 130 فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون 131 وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين 132 فأرسلنا عليهم موسى فلما جاء موسى أجبرهم على أن يضربوه بتبن من عندهم
قال عسى ربكم وهي كلمة التطميع أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون يعني حتى يجازيكم على ما يرى واقعا منكم لا على ما علم في الغيب منكم
قوله تعالى ـ ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين أي بالقحط والجدب
تقول العرب جاءتنا سنة أي سنة جدب فأخذهم الله - تعالى - بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون أي يتعظون وذلك أن الشدة ترقق القلوب وترغبها إلى الله - تعالى -
قوله تعالى ـ فإذا جاءتهم الحسنة أي الخصب قالوا لنا هذه أي هذا كان عادة الدهر بنا وإن تصبهم سيئة أي جدب يطيروا بموسى ومن معه أي يقولون هذا من شؤم موسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله أي الشؤم والبركة والخير والشر كله من الله - تعالى - وقيل معناه الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله - تعالى - في الآخرة تقول العرب طار لفلان سعد وطار لفلان شؤم ولكن أكثرهم لا يعلمون
قوله تعالى ـ وقالوا مهما أي متى ما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان قال عطاء أراد بالطوفان الموت الذريع وقيل السيل العظيم وفي القصة أنهم مطروا من السبت إلى السبت حتى بلغ الماء تراقيهم فكان الرجل إذا أراد أن يجلس غرق في الماء فاستغاثوا بموسى وقالوا ادع الله حتى يمسك ونؤمن لك فدعا الله - تعالى - فأمسك عنهم المطر فأخرجت

تفسير السمعاني ج:2 ص:207

(2/199)

تفسير السمعاني ج 2/ص 208
الأرض تلك السنة نباتا كثيرا وأخصبت فقالوا هذا كان خيرا لنا فلم يؤمنوا وكفروا به فأرسل الله عليهم الجراد فأكل زرعهم ونباتهم إلا قليلا فاستغاثوا بموسى حتى يدعو الله - تعالى - فيدفع عنهم ذلك
وفي أخبار عمر - رضي الله عنه - أنه قل الجراد في زمانه سنة فبعث راكبا قبل اليمن وراكبا قبل الشام وراكبا قبل العراق ليطلبوا الجراد فجاء راكب اليمن بكف من جراد فقال عمر - رضي الله عنه - الله أكبر إن لله - تعالى - ألف أمة ستمائة في البر وأربعمائة في البحر وأول أمة تهلك الجراد ثم تتبعهم سائر الأمم الباقيين
وفي الأخبار أن مريم سألت ربها وقالت يا رب أطعمني لحما بلا دم فأطعمها الجراد وفي الخبر مكتوب على صدر كل جرادة جند الله الأعظم
رجعنا إلى القصة فلما رفع عنهم الجراد لم يؤمنوا أيضا فأرسل الله عليهم القمل قال ابن عباس ومجاهد وقتادة القمل صغار الجراد وهي الدبي التي ليست لها أجنحة وعن ابن عباس - في رواية أخرى - أن القمل سوس الحنطة وقال أبو عبيدة هو كبار القراد وسمى القراد الكبير حمنان أيضا وقيل القمل هو القمل وقيل هو الرعاف فاستغاثوا بموسى فدعا الله فرفع عنهم فلم يؤمنوا فسلط عليهم الضفادع
وفي القصة أن موسى جاء إلى شط البحر وأشار بعصاه إلى أدنى البحر وأقصاه فخرجت الضفادع حتى امتلأت بيوتهم - وكانت قوافز - وكان الرجل منهم إذا فتح فاه ليتكلم تثب في فيه وكل من نام منهم فإذا انتبه من النوم يرى على بدنه منها قدر ذراع وكان إذا تكلم الرجل تقفز في فمه ثم رفع عنهم فلم يؤمنوا فجعل الله نيل مصر عليهم دما - وكان كل ذلك للقبط خاصة - وكان القبطي يأخذ من النيل الدم وبنو إسرائيل يأخذون الماء حتى كان الكوز الواحد يشرب القبطي منه دما عبيطا

تفسير السمعاني ج:2 ص:208
تفسير السمعاني ج 2/ص 209

الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين 133 ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل 134 فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه إذا هم ينكثون 135 فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين 136 وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما والإسرائيلي ماء فذلك معنى قوله فأرسلنا

عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات وتفصيلها أن كل عذاب منها يمتد أسبوعا وكان بين كل عذابين شهر فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين
قوله تعالى ولما وقع عليهم الرجز قيل أراد به ما سبق من العذاب وقيل هو عذاب الطاعون قال سعيد بن جبير مات منهم بالطاعون سبعون ألفا في يوم واحد والرجز الرجس العذاب
قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك يعني من إجابة دعوتك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل فإنه أراد أن يخرج بهم إلى الشام فلما كشفنا عنهم الرجز إلى أجل هم بالغوه وذلك الغرق في اليم إذا هم ينكثون أي ينقضون العهد فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين وللغرق قصة ستأتي في موضعها إن شاء الله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها قيل أراد بها أرض مصر والشام وقيل أراد بها الشام وحده وقيل أراد به الأردن وفلسطين وقوله باركنا فيها أي بالخصب والسعة
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا وتلك الكلمة وعده الذي وعدهم وذلك في قوله ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين فلما أورثهم تلك الأراضي وانجزهم ذلك

تفسير السمعاني ج:2 ص:209
تفسير السمعاني ج 2/ص 210
صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون 137 وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون 138 إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون 139 قال أغير الله أبغيكم إلها وهو فضلكم على العالمين 140 وإذ أنجيناكم من آل الوعد قال تمت كلمة ربك أي تم وعده لهم وإنما سماها حسنى لأنها كانت على وفق ما يحبون ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه أي أهلكنا ذلك عليهم وما كانوا يعرشون أي يبنون ويسقفون تجبرا وتكبرا
قوله تعالى ـ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم أي يلازمون عبادة تلك الأصنام وهم قوم من العمالقة رآهم بنو إسرائيل عاكفين على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ولم يكن ذلك من بني إسرائيل شكا في وحدانية الله - تعالى - وإنما معناه اجعل لنا شيئا نعظمه ونتقرب بتعظيمه إلى الله - تعالى - وظنوا أن ذلك لا يضر الديانة وكان ذلك من شدة جهلهم

قال إنكم قوم تجهلون إن هؤلاء متبر ما هم فيه أي مدمر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون
قال يعني موسى أغير الله أبغيكم إلها أي أطلب لكم إلها تعظمونه غير الله وهو فضلكم على العالمين وفي الخبر المعروف أن رسول الله لما رجع من حنين مر على شجرة يقال لها ذات أنواط وقد عكف حولها قوم من الأعراب يعظمونها وقد علقوا عليها أسلحتهم فقال أصحابه يا رسول الله لو جعلت لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال عليه - الصلاة والسلام - الله أكبر هذا مثل ما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة

تفسير السمعاني ج:2 ص:210
تفسير السمعاني ج 2/ص 211
فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم 141 وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين
قوله تعالى ـ وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب أي يذيقونكم شر العذاب وقد ذكرنا معنى هذا في سورة البقرة
يقتلون أبناءكم يعني صغار أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم قيل معناه في تعذيبهم إياكم بلاء من ربكم عظيم وقيل في إنجائنا إياكم بلاء من ربكم عظيم أي نعمة
قوله تعالى ـ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر قال المفسرون هي أيام ذي القعدة وعشر من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فإن قيل ذكر الثلاثين والعشر يغني عن ذكر الأربعين فما معنى هذا التكرار قيل كرره تأكيدا وقيل فائدة قوله فتم ميقات ربه أربعين ليلة قطع الأوهام عن الزيادة لأنه لما وقت الثلاثين أولا ثم زاد عليه عشرا ربما يقع في الأوهام زيادة أخرى فذكره لقطع الأوهام عن الزيادة وذكر الثلاثين في الابتداء والعشر مفصلا ليعلم أن الميقات كان كذلك مفصلا ثلاثين ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة
وفي القصة أن الله تعالى أمر موسى أن يصوم ثلاثين يوما ثم يأتي الطور يكلمه فصام ثلاثين يوما ليلا ونهارا
وفي بعض التفاسير صام ثلاثين يوما فتغيرت رائحة فمه فأخذ ورق الخرنوب وتناوله لتزول رائحة فمه فأمره الله تعالى أن يصوم عشرا أخر لتعود الرائحة وتمام القصة في الآية الثانية
وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي استخلفه على قومه وأصلح أي ارفق ولا تتبع سبيل المفسدين أي لا تتبع آراءهم وأهواءهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:211
تفسير السمعاني ج 2/ص 212
142 ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر
قوله تعالى ـ ولما جاء موسى لميقاتنا يعني الوقت الذي وقت له على ما بينا كلمه ربه وفي القصة أن الله - تعالى - لما استحضره بجانب الطور و أنزل ظلمة على سبعة فراسخ وطرد عنه الشيطان ونحى عنه الملكين وكلمه حتى أسمعه وأفهمه وفي القصة كان جبريل معه فلم يسمع ما كلمه ربه
قال رب أرني أنظر إليك قال الزجاج فيه حذف وتقديره أرني نفسك أنظر إليك فإن قال قائل كيف سأل الرؤية وقد علم أن الله عز وجل لا يرى في الدنيا قال الحسن هاج به الشوق فسأل الرؤية وقيل سأل الرؤية ظنا منه أنه يجوز أن يرى في الدنيا
قال لن تراني يستدل من ينفي الرؤية بهذه الكلمة وليس لهم فيها مستدل وذلك لأنه لم يقل إني لا أرى متى يكون حجة لهم ولأنه لم ينسبه إلى الجهل في سؤال الرؤية كما نسب إليه قومه بقولهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة لما لم يجز ذلك وأما معنى قوله لن تراني يعني في الحال أو في الدنيا
ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني معناه اجعل الجبل بيني وبينك فإنه أقوى منك فإن استقر مكانه فسوف تراني وفي هذا دليل على أنه يجوز أن يرى لأنه لم يعلق الرؤية بما يستحيل وجوده لأن استقرار الجبل مع تجليه له غير مستحيل بأن يجعل له قوة الاستقرار مع التجلي

فلما تجلى ربه للجبل أن ظهر للجبل قيل إنه جعل للجبل بصرا وخلق فيه حياة ثم تجلى له فتذكرك على نفسه وروى حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن النبي أنه قال إن الله - تعالى - تجلى للجبل بقدر أنملة الخنصر ثم وضع ثابت إبهامه على أنملة خنصره فقيل له أتقول بهذا فقال يقول به أنس ورسول الله ولا

تفسير السمعاني ج:2 ص:212

تفسير السمعاني ج 2/ص 213
موسى صعقا فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين 143 قال يا موسى أقول به أنا وضرب في صدر القائل وفي بعض الروايات أنه تجلى للجبل بقدر جناح بعوضة أو أقل
جعله دكا قال ابن عباس صار ترابا وقال الحسن وسفيان ساخ في الأرض وفي بعض التفاسير أنه صار ستة أجبل ثلاثة بمكة وذلك ثور وثبير وحراء وثلاثة بالمدينة رضوى وأحد وورقان وقيل انقلع الجبل من أصله ووقع في البحر فهو يذهب فيه إلى يوم القيامة
وأما من حيث اللغة قال الزجاج معنى قوله جعله دكا أي مدكوكا مدقوقا وقرأ حمزة والكسائي جعله دكاء ممدودا يقال أرض دكاء إذا كان فيها ناتئ ومواضع مرتفعة كالقلال والدكاوات الرواسي من الأرض ومعناه أنه جعله كالأرض المرتفعة وخرج من كونه جبلا
وقوله وخر موسى صعقا قال قتادة أي ميتا وكان قد مات تلك الساعة وقال الحسن وابن عباس خر مغشيا عليه وهذا أليق بالنظم لأنه قال فلما أفاق قال سبحانك وهذا التنزيه تبت إليك يعني من سؤال الرؤية قبل الإذن وأنا أول المؤمنين يعني أنا أول المؤمنين بأن من يراك متجليا في الدنيا لا يستقر مكانه وقيل معناه أنا أول المؤمنين بأنك لا ترى في الدنيا

تفسير السمعاني ج:2 ص:213
تفسير السمعاني ج 2/ص 214

إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين 144 وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتصفيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك
قوله تعالى يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فإن قال قائل قد أعطى غيره الرسالات فما معنى قوله اصفيتك على الناس برسالاتي قيل لما لم يكن غعطاء الرسالة على العموم في حق الناس استقام قوله اصطفيتك على الناس برسالاتي وإن شاركه فيها غيره وهذا مثل قول الرجل خصصتك بمشورتي وإن شاور غيره لكن لما تكن المشاورة على العموم استقام الكلام فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين لما أنعمت عليك من إعطاء الرسالة والكلام وهذه الآية في تسلية موسى - صلوات الله عليه - حيث سأل الرؤية فلم يحظ بها
قوله تعالى وكتبنا له في الألواح وأراد به التوراة وفي الخبر أن الله - تعالى - خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس شجرة طوبى بيده
واختلفوا في تلك الألواح قال الحسن كانت الألواح من خشب وقال مجاهد

كانت من زبرجد أخضر وقال سعيد بن جبير كانت من ياقوتة حمراء وقال أبو العالية كانت من برد وقيل نزلت الألواح والتوراة مكتوبة عليها كنقش الخاتم من كل شي موعظة أي تذكرة وحقيقة الموعظة هي التذكير والتحذير مما يخاف عاقبته وتفصيلا لكل شيء أي بيانا للحلال والحرام وما أمروا به وما نهو عنه فخذها بقوة أي بجد واجتهاد وقيل معناه بقوة القلب
وأمر قومك يأخذوا بأحسنها قال قطرب أي بحسنها واعلم أن الأحسن ما

تفسير السمعاني ج:2 ص:214
تفسير السمعاني ج 2/ص 215

(2/206)

يأخذوا بأحسنها سأريكم دار الفاسقين 145 سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين 146 والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا كان فيه من الفرائض المكتوبة والنوافل المندوب إليها فإنها الأحسن وأما الحسن ما كان مباحا وقيل معنى قوله يأخذوا بأحسنها أي بأحسن الأمرين في كل شيء كالعفو أحسن من الاقتصاص والصبر أحسن من الانتصار سأريكم دار الفاسقين وقرأ قسامة بن زهير سأورثكم من التوريث فعلى هذا معناه سأورثكم أرض مصر وأما القراءة المعروفة سأريكم قال مجاهد وجماعة سأريكم جهنم وقيل أراد به مصارع الكفار قال قتادة دار الفاسقين أراد بها الشام على معنى أريكم فيها ما أهلكت من قرى الكفار قبلكم لأن موسى خرج بهم إلى الشام
قوله تعالى ـ سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق قال سفيان بن عيينة معناه سأمنعهم فهم القرآن قال الزجاج تقديره سأصرفهم عن قبول آياتي وأما التكبر هو طلب الفضل من غير استحقاق
وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وقرأ أبو عبد الرحمن عبد الله بن يزيد المقرئ سبيل الرشاد المعدوف سبيل الرشد ويقرأ أيضا سبيل الرشد والرشد والرشد واحد وهو الصلاح
وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا يعني سبيل الضلالة ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين لأنهم لما لم يتدبروا القرآن فكأنهم عنه غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم أي بطلت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون
قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم ويقرأ من حليهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:215

تفسير السمعاني ج 2/ص 216
يعملون 147 واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين 148 ولما سقط في يديهم عجلا جسدا له خوار أي جسد له خوار ويقرأ في الشواذ له جؤار وهو بمعنى الخوار وفي القصة أن موسى - صلوات الله عليه - لما أراد الخروج إلى الطور قال لقومه أرجع إليكم بعد ثلاثين يوما فلما لم يرجع إليهم بعد الثلاثين ظنوا أنه مات كان السامري في بني إسرائيل مطاعا بينهم وكان صائغا فقال لهم اجمعوا لي ما أخذتم من الحلي من آل فرعون أصنع لكم شيئا فدفعوا إليه ما أخذوا من الحلي فصاغ منه العجل قال الحسن كان السامري قد رأى جبريل يوم غرق فرعون على فرس فأخذ قبضة من أثر قدم فرسه
قال عكرمة ألقي في روعه أنه في أي شيء ألقى تلك القبضة من التراب يحيا بها ذلك الشيء وذلك أنه رأى مواضع قدم الفرس تحضر في الحال وتنبت فلما صاغ العجل ألقي في روعه أن يلقي تلك القبضة في فمه فألقاها في فم العجل فحيي فصار لحما ودما من ذهب وله خوار فإنه خار ثم قال السامري هذا إلهكم وإله موسى فنسي على ما سيأتي في قصته في سورة طه وقيل إنه ما خار إلا مرة وقيل كان يخور كثيرا كما تخور البقرة وكان كلما خار سجدوا له وكلما سكت رفعوا رءوسهم
وقال بعض المفسرين لم تنبت فيه حياة أصلا ولم يكن له خوار حقيقة وإنما الذي سمعوا من الخوار كان بحيلة والصحيح هو الأول ثم اختلفوا في عدد الذين عبدوا العجل قال الحسن كلهم عبدوه إلا هارون وحده وقيل - وهو الأصح - عبده كلهم إلا هارون واثنا عشر ألف رجل منهم
ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا وهذا دليل على أن الله متكلم لم يزل ولا يزال لأنه استدل بعدم الكلام من العجل على نفي الإلهية

تفسير السمعاني ج:2 ص:216
تفسير السمعاني ج 2/ص 217

ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين 149 ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي

أعجلتم أمر ربكم وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أم إن القوم استضعفوني
ولا يهديهم سبيلا أي طريقا اتخذوه وكانوا ظالمين بوضع الإلهية في غير موضعها
قوله تعالى ولما سقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قال الفراء تقول العرب سقط فلان في يده إذا بقي نادما متحيرا على ما فاته كأنه حصل الندم في يده
قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
قوله تعالى ولما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال أبو الدرداء الأسف شديد الغضب وقيل الأسف أشد الحزن وكأن موسى رجع نادما حزينا يقول ليتني كنت فيهم فلم يقع لهم ما وقع
قال بئسما خلفتموني من بعدي أي بئسما فعلتم خلفي أعجلتم أمر ربكم معناه أسبقتم أمرربكم يعني بفعلكم الذي فعلتم من غير أمر ربكم وقيل معناه استعجلتم وعد ربكم
وألقى الألواح وكان حاملا لها فألقاها على الأرض من شدة الغضب وفي التفسير أنه لما ألقاها رجع بعضها إلى السماء وبقي منها لوحان فرجع ما كان فيه أخبار الغيب وبقي ما كان فيه الموعظة والأحكام من الحلال والحرام وقيل لما ألقى الألواح انكسر بعضها فشدها موسى بالذهب وأخذ برأس أخيه يعني هارون وفيه حذف وتقديره وأخذ بشعر رأس أخيه يجره إليه قال ابن أم يعني هارون قال لموسى ابن ام ويقرأ بكسر الميم ونصبها فأما بكسر الميم معناه يا ابن أمي قال الشاعر

تفسير السمعاني ج:2 ص:217
تفسير السمعاني ج 2/ص 218

وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم لظالمين 150 قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين 151 إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين 152
يا ابن امي ويا شقيق نفسيأنت خلفتني لأمر كؤود
واما بنصب الميم فوجه النصب فيه أن قوله ابن ام كلمتان لكنهما ككلمة واحدة مثل قولهم حضرموت و بعلبك ركب أحد الاسمين في الآخر فبقي على النصب تبيينا
إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني وفي القصة أن هارون كان لما مضى ميقات الثلاثين يقوم بينهم خطيبا فيخطب كل يوم ويبكي ويقول أنشدكم بالله لا تعبدوا العجل فإن موسى راجع غدا - إن شاء الله - فهكذا كان يفعل ثلاثة

أيام فلما لم يرجع بعد الثلاث قالوا إنه قد مات فخلوه وأقبلوا على عبادة العجل فهذا معنى قوله إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء والشماتة فعل ما يسر به العدو ولا تجعلني مع القوم الظالمين أي لا تجعلني مع الكافرين ومن جملتهم
قوله تعالى قال رب اغفر لي ولأخي يعني ما فعلت بأخي من أخذ شعره وجره وكان بريئا قوله ولأخي يعين ما وقع له من تقصيره إن قصر وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين
قوله تعالى إن الذين اتخذوا العجل فيه حذف وتقديره اتخذوا العجل إلها سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا قيل أراد بالذلة الجزية وقيل أراد قيل بعضهم بعضا مع علمهم أنهم قد ضلوا وكذلك نجزي المفترين أي كل مفتر على الله ومن القول المعروف في الآية عن سفيان بن عيينة أنه قال هذا في كل مبتدع إلى يوم القيامة

تفسير السمعاني ج:2 ص:218
تفسير السمعاني ج 2/ص 219

والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم 153 ولما سكت عن موسى الغضب أخذ الألواح وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون 154 واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال
قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها أي من بعد التوبة لغفور رحيم
قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب وقرأ معاوية بن قرة ولما سكن عن موسى الغضب وفي مصحف ابن مسعود وأبي بن كعب ولما سير عن موسى الغضب وفي مصحف حفصة وإنما أسكت عن موسى الغضب ومعنى الكل واحد أي سكن عن موسى الغضب والسكوت والإسكات معروف ويقال رجل سكيت إذا كان كثير السكوت
أخذ الألواح وذلك أنه كان ألقاها فأخذها وفي نسختها اختلفوا فيه قال بعضهم أراد بها الألواح وذلك أن لها أصل نسخت منه وهو اللوح المحفوظ وقيل إن موسى لما ألقى الألواح انكسرت فنسخ منها نسخة أخرى فذلك المراد به من قوله وفي نسختها هدى ورحمة أي هدى من الضلالة ورحمة من العذاب للذين هم لربهم يرهبون
قوله تعالى واختار موسى قومه فيه حذف أي من قومه سبعين رجلا لميقاتنا وفي هذا دليل على أن كلهم لم يعبدوا العجل - وهو الأصح - واختلفوا أنه لأي شيء اختارهم قال بعضهم إنما اختارهم ليعتذروا إلى الله من عبادة أولئك

الذين عبدوا العجل وقيل إنما اختارهم ليسمعوا كلام الله فإنهم سألوا ذلك موسى فلما أخذتهم الرجفة قال مجاهد رجفت بهم الأرض فماتوا وقيل وقعت رعدة وزلزلة في أعضائهم حتى كاد ينفصل بعضها من بعض وقيل إنما أهلكهم عقوبة على ما سألوا من رؤية الله جهرة

تفسير السمعاني ج:2 ص:219
تفسير السمعاني ج 2/ص 220

رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين 155 واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك قال عذابي أصيب به من
قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي وذلك أن موسى ظن أن الله - تعالى - إنما أهلكهم بعبادة أولئك القوم العجل وخاف أن بني إسرائيل يتهمونه ويقولون إن موسى قتلهم قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل يعني عندعبادة العجل قبل أن آتي بهم وإياي بقتل القبطي الذي كان موسى قتله وقيل أراد به المشيئة الأزلية كأنه فوض إهلاكهم إلى مشيئته أي لو شئت في الأزل أهلكتهم وإياي ومن في العالم فلا اعتراض لأحد عليك
أتهلكنا بما فعل السفهاء منا اختلفوا فيه أنه كيف قال أتهلكنا بما فعل السفهاء منا وكان يعلم أن الله - تعالى - لا يهلك أحدا بذنب غيره فقال بعضهم هذا استفهام بمعنى الجحد وهو قول ابن الأنباري أي لا تهلكنا بفعل السفهاء وهذا مثل قول الرجل لصاحبه أتجهل علي وأنا أحلم أي لا أحلم ويقال في المثل أغدة كغدة البعير وموت في بيت السلولية أي لا يكون هذا قط وقال الشاعر
أتنسى حين تصقل عارضيهابعود بشامة سقي البشام
أي لا تنسى وقيل هو استفهام بمعنى الإثبات والمراد منه السؤال كأنه يسأله أتهلكنا بما فعل السفهاء منا
إن هي إلا فتنتك أي بليتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين
قوله تعالى واكتب لنا أي أوجب لنا في هذه الدنيا حسنة وهي

تفسير السمعاني ج:2 ص:220
تفسير السمعاني ج 2/ص 221

أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون 156 الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في النعمة والعافية وفي الآخرة أي وفي الآخرة حسنة فحذف
إنا هدنا إليك أي تبنا إليك وقرأ أبو وجزة السعدي هدنا إليك بكسر الهاء أي ملنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء وهذا على وفق قول أهل السنة فإن لله - تعالى - أن يصيب بعذابه من يشاء من عباده أذنب أو لم يذنب وصحف بعض القدرية فقرأ عذابي أصيب به من أساء من الإساءة وليس بشيء
ورحمتي وسعت كل شيء قال الحسن وقتادة وسعت رحمته البر والفاجر في الدنيا وهي للمتقين يوم القيامة وفي الآثار الرحمة مسجلة للبر والفاجر في الدنيا
فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي وهذه فضيلة عظيمة لهذه الأمة وذلك أن موسى - صلوات الله عليه - سأل أن يكتب الرحمة له ولأمته فكتبها لأمة محمد وفي الأخبار أن موسى - صلوات الله عليه - قال يا رب إني أجد في التوراة أمة يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله فاجعلهم من أمتي قال الله - تعالى - تلك أمة أحمد فقال يا رب إني أجد في التوراة أمة صدقاتهم في بطونهم - يعني يأكلها فقراؤهم وكانت صدقات قومه ومن قبلهم تأكلها النار - فاجعلهم من أمتي فقال - تعالى - تلك أمة احمد فقال يا رب إني أجد في التوراة أمة هم آخر الناس خروجا وأول الناس في الجنة دخولا فاجعلهم من أمتي فقال تلك أمة أحمد فقال يا رب إني أجد في التوراة أمة أناجيلهم في صدورهم يراعون الشمس والأوقات لذكرك فاجعلهم من أمتي فقال تلك أمة أحمد فقال يا رب إني أجد

تفسير السمعاني ج:2 ص:221
تفسير السمعاني ج 2/ص 222

التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون 157 قل يا أيها في التوراة أمة إذا هم أحدهم بحسنة كتبتها له حسنة وإن عمل بها كتبتها له عشرا إلى سبعمائة ضعف وإذا هم بسيئة لم تكتبها عليه فإن عمل بها كتبتها عليه واحدة اجعلهم من أمتي فقال تلك أمة أحمد فألقى الألواح وقال اللهم اجعلني من أمة محمد وهذا قول آخر ذكر في سبب إلقائه الألواح والأول

أظهر
قوله تعالى الذين يتبعون الرسول النبي الأمي هو محمد وقد بينا معنى الأمي فيما سبق
الذي يجدونه مكتوبا أي موصوفا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات يعني ما حرمه الكفار من السوائب والوصائل والبحائر والحوامي ونحو ذلك ويحرم عليهم الخبائث وذلك مثل الميتة والدم ولحم الخنزير ونحوه ويضع عنهم إصرهم الإصر كل ما يثقل على الإنسان من قول أو فعل والإصر العهد الثقيل وإصرهم أن الله - تعالى - جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم والأغلال التي كانت عليهم وذلك مثل ما كان عليهم من قرض موضع النجاسة عن الثوب بالمقراض ولا يجزئهم غسلها وأنه كان لا تجوز صلاتهم إلا في الكنائس وأنه لا يجوز لهم أخذ الدية عن القتيل بل كان يتعين القصاص وكان يجب عليهم قطع الجوارح الخاطئة لا يسعهم غير ذلك فسماها أغلالا لأنها كانت كالطوق في عنقهم
فالذين آمنوا به أي بمحمد وعزروه أي عظموه ونصروه واتبعوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:222
تفسير السمعاني ج 2/ص 223

الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون 158 ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون 159 وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر النور الذي أنزل معه وهو القرآن أولئك هم المفلحون
قوله تعالى قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته يعني محمدا يؤمن بالله وبالقرآن ويقرأ وكلمته قيل هي القرآن أيضا وقال بعضهم أراد بالكلمة عيسى - صلوات الله عليه - واتبعوه لعلكم تهتدون
قوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال هؤلاء قوم بأقصى الشرق وراء الصين عند مطلع الشمس كانوا على شريعة موسى - صلوات الله عليه - إلى أن بعث محمد فلما بعث محمد آمنوا به وكانوا على الحق من لدن موسى إلى زمان محمد عليهما السلام - وقيل هم الذين أسلموا في زمن النبي من اليهود مثل ابن صوريا وابن سلام ونحوهما والأول أظهر

وقوله وبه يعدلون أي يقومون بالحق والعدل
قوله تعالى وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما أي فرقناهم فرقا وقوله اثنتي عشرة يقال في اللغة اثنتي عشرة بكسر الشين وبجزم الشين والجائز في القرآن بجزم الشين فإن قيل لم لم يقل اثني عشر أسباطا على التذكير قيل إنما ذكره على التأنيث لأنه يرجع إلى الأمم

تفسير السمعاني ج:2 ص:223
تفسير السمعاني ج 2/ص 224

(2/215)

فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون 160 وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين 161 فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون 162
قالوا وفي الآية تقديم وتأخير وتقديرها وقطعناهم أسباطا أمما اثنتي عشرة وقيل فيه حذف وتقديره وقطعناهم اثنتي عشرة فرقة أسباطا أمما فيكون بدلا عن الفرقة وقد بينا أن الأسباط في بني إسحاق كالقبائل في بني إسماعيل وأنشدوا في السبط
علي والثلاثة من بنيهم الأسباط ليس بهم خفاء
فسبط سبط إيمان وبر
وسبط غيبته كربلاء
أي كرب وبلاء
وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر وقد بينا هذا في سورة البقرة
فانبجست منه اثنتا عشرة عينا أي انفجرت قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وقد سبق تفسيره في سورة البقرة
وقوله تعالى وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم ويقرأ خطيئاتكم وكلاهما واحد سنزيد المحسنين وقد بينا هذا أيضا في سورة البقرة
فبدل الذين ظلموا قد بينا معنى هذا التبديل منهم قولا غير الذي قيل

تفسير السمعاني ج:2 ص:224
تفسير السمعاني ج 2/ص 225

(2/216)

واسئلهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون 163 وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى لهم فأرسلنا عليهم رجزا من السماء أي عذابا من السماء بما كانوا يظلمون
قوله تعالى واسألهم عن القرية هذا سؤال توبيخ وتقريع لا سؤال استعلام واختلفوا في تلك القرية قال ابن عباس هي الأيلة وقال الزهري هي طبرية الشام وقيل إنها مدين التي كانت حاضرة البحر أي مجاورة البحر إذ يعدون في السبت أي يجاوزون أمر الله في السبت وكان الله - تعالى - حرم عليهم أن يعملوا في السبت عملا سوى العبادة
إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا أي ظاهرة قاله ابن عباس ومنه الشوارع لظهورها وقيل هو من الشروع وهو الدخول فيكون معناه أن تلك القرية كان بجنبها خليج البحر فتدخله الحيتان يوم السبت ولا تدخله في سائر الأيام وفي القصة أنها كانت تأتيهم مثل الكباش السمان البيض يوم السبت تشرع إلى أبوابهم ثم لا يرى شيء منها في غير يوم السبت فذلك قوله ويوم لا يسبتون لا تأتيهم وقرأ الحسن لا يسبتون بضم الياء أي لا يدخلون في السبت والمعروف لا يسبتون ومعناه لا يعظمون السبت يقال أسبت إذا دخل السبت وسبت إذا عظم السبت يعني ويوم لا يعظمون السبت لا تأتيهم وعلى قراءة الحسن ويوم لا يدخلون السبت لا تأتيهم وكان ذلك ابتلاء من الله - تعالى - لهم كما قال كذلك نبلوهم أي نختبرهم بما كانوا يفسقون
قوله تعالى وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما وفي القصة أنهم احتالوا بحيلة الاصطياد فكانوا يضعون الحبال يوم الجمعة حتى تقع فيها الحيتان يوم السبت ثم يأخذونها يوم الأحد وقيل إن الشيطان وسوس إليهم أن الله - تعالى -

---

(2/217)

تفسير السمعاني ج:2 ص:225
تفسير السمعاني ج 2/ص 226
ربكم ولعلهم يتقون 164 فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون 165 فلما عتوا عن ما نهوا

عنه قلنا لهم لم ينهاكم عن الاصطياد في هذا اليوم وإنما نهاكم عن الأكل فاصطادوا يوم السبت ثم افترقوا على ثلاث فرق فرقة اصطادت وفرقة نهت وأمرت بالمعروف وفرقة سكتت فقالت الفرقتان للفرقة العاصية لا نساكنكم قرية عصيتم الله فيها فاعتزلنا القرية وخرجوا فلما أصبحوا جاءوا إلى باب القرية فلم يفتحوا لهم الباب فجاءوا بسلم فلما صعدوا بالسلم رأوهم قد مسخوا قردة قال قتادة كانت لهم أذناب يتعادون
فقوله وإذ قالت أمة منهم هي الفرقة الساكتة قالت للفرقة الناهية لم تعظون قوما يعني الفرقة العاصية الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم أي موعظتنا معذرة وذلك أنا قد أمرنا بالأمر بالمعروف فنأتهم هذا الأمر وإن لم يقبلوا حتى يكون ذلك لنا عذرا عند الله - تعالى - ويقرأ معذرة بالنصب أي نعتذر معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون
قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أي تركوا ما ذكروا به قيل كانوا يصطادون سبعة أيام وقيل كانوا قد اصطادوا يوما واحدا
أنجينا الذين ينهون عن السوء يعني الفرقة الناهية وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس يعني الفرقة العاصية فأخذناهم بعذاب بئيس على وزن فعيل وبئس على وزن فعل وبئس على وزن فعلل والكل واحد ومعناه بعذاب شديد قال ابن عباس بعذاب لا رحمة فيه
بما كانوا يفسقون قال ابن عباس أدري أن الفرقة العاصية قد هلكت وأن الفرقة الناهية قد نجت ولا أدري ما حال الفرقة الساكتة
قال عكرمة ما زلت أنزله - يعني من الآيات درجة درجة - وأبصره - يعني ابن عباس - حتى قال نجت الفرقة الساكتة وكساني بذلك حلة فإن عكرمة كان

تفسير السمعاني ج:2 ص:226
تفسير السمعاني ج 2/ص 227
كونوا قردة خاسئين 166 وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم 167 وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون يكلمه في الآية ويستدل بظاهرها حتى ظهر الدليل لابن عباس على نجاة الفرقة الساكتة ومن الدليل عليه في ظاهر الآية أنه قال فلما نسوا ما ذكروا به وتلك الفرقة لم ينسوا ذلك والثاني أنه قال أنجينا الذين ينهون عن السوء والفرقة الساكتة قد نهوا نهي تحذير بقولهم لم تعظون قوما الله مهلكهم
والثالث أنه قال وأخذنا الذين ظلموا يعني بالاصطياد يوم السبت وهم ما ظلموا بالاصطياد قال الحسن البصري نجت الفرقتان وهلكت واحدة

وقوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين وهذا أمر تكوين وقوله خاسئين أي مبعدين
قوله تعالى وإذ تأذن ربك أي أعلم ربك قال الشاعر
تأذن إن شر الناس حيينادي من شعارهم يسار
وقال الزجاج معناه تألى ربك وحلف ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب أي يذيقهم سوء العذاب وهو الجزية وقيل هو قتل بختنصر إياهم فإن قال قائل كيف يبعث عليهم العذاب وقد أهلكهم وقيل أراد به على أبنائهم ومن يأتي بعدهم إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم
قوله تعالى وقطعناهم في الأرض أمما أي فرقناهم فرقا ومعناه شتتنا أمر اليهود فلا يجتمعون على كلمة واحدة منهم الصالحون يعني الذين أسلموا منهم ومنهم دون ذلك يعني الذين بقوا على الكفر
وبلوناهم أي اختبرناهم بالحسنات والسيئات أي بالخصب والجدب والخير والشر لعلهم يرجعون

تفسير السمعاني ج:2 ص:227
تفسير السمعاني ج 2/ص 228
168 فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون 169
قوله تعالى فخلف من بعدهم خلف اعلم أن الخلف يقال في الذم والمدح جميعا لكن عند الإطلاق الخلف للمدح والخلف للذم قال الشاعر
لنا لقدم الأولى إليك وخلفنالأولنا في طاعة لله تابع
وهاهنا للذم وأراد به أبناء الذين سبق ذكرهم من أصحاب السبت ورثوا الكتاب يعني انتقل إليهم الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام الدنيا وإنما سميت الدنيا دنيا لأنها أدنى إلى الخلق من الآخرة ولذلك قال عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا وهذا اغترار منهم بالله - تعالى - وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله المغفرة وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه قال مجاهد وصفهم بالإصرار على الذنب وقيل معناه إنهم يأخذون أخذا بعد أخذ لا يبالون من حلال كان أو من حرام بل يأخذون من غير تفتيش
ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق أي أخذ عليهم العهد ألا يقولوا على الله الباطل في التوارة ودسوا ما فيه أي علموا ذلك فيه بالدرس قاله الضحاك ودرس الكتاب قراءته مرة بعد أخرى والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون

تفسير السمعاني ج:2 ص:228
تفسير السمعاني ج 2/ص 229

والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين 170 وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون 171 وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم
قوله تعالى والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة قيل هذا في أمة محمد وقيل هو فيمن أسلم من اليهود يمسكون بالقرآن وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين
قوله تعالى وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة نتقنا أي رفعنا الجبل فوقهم وقد ذكر هذا في سورة البقرة وظنوا أنه واقع بهم يعني وأيقنوا والظن اليقين وقيل غلب على ظنهم أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون وقد ذكرنا القصة في سورة البقرة
قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم في الآية نوع إشكال وشرحها وتفسيرها في الأخبار روى مالك في الموطأ بإسناده عن مسلم بن يسار الجهني عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه سئل عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله يقول إن الله - تعالى - مسح ظهر آدم فاستخرج منه ذرية وقال هؤلاء في الجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهر آدم فاستخرج ذرية وقال هؤلاء أهل النار وبعمل أهل النار يعملون فقيل يا رسول الله ففيم العمل إذا فقال إن الله - تعالى - إذا خلق للجنة أهلا استعملهم بعمل أهل الجنة حتى يدخلهم الجنة وإذا خلق للنار خلقا استعملهم بعمل أهل النار حتى يدخلهم النار والمعروف والذي عليه جماعة المفسرين في معنى الآية أن الله - تعالى -

---

تفسير السمعاني ج:2 ص:229
تفسير السمعاني ج 2/ص 230

ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين
172 أو مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون ثم مسح صفحة ظهر آدم اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك ثم قال لهم ألست بربكم قالوا بلى فقال للبيض هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين وقال للسود هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحاب الشمال ثم أعادهم جميعا في صلبه فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء
قال الله تعالى فيمن نقض العهد وما وجدنا لأكثرهم من عهد وروى أبو العالية عن أبي بن كعب في هذه الآية قال جمعهم الله جميعا فجعلهم أرواحا ثم صورهم ثم استنطقهم فقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أنك ربنا وإلهنا لا رب لنا غيرك قال الله - تعالى - فأرسل إليكم رسلي وأنزل عليكم كتبي فلا تكذبوا رسلي وصدقوا كلامي فإني سأنتقم ممن أشرك ولم يؤمن بي فأخذ عهدهم وميثاقهم
وفي بعض الأخبار أن الله استخرج ذرية آدم فنثرهم بين يدي آدم ثم كلمهم قبلا - أي عيانا - فقال ألست بربكم قالوا بلى وقيل جعل لهم عقولا يفهمون بها وألسنة ينطقون بها ثم خاطبهم وألهمهم الجواب
وقال بعض المفسرين عن علماء السلف إن الكل قالوا بلى لكن المؤمنين قالوا بلى طوعا وقال الكافرون كرها وهذا معنى قوله تعالى ـ وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها
رجعنا إلى قوله تعالى وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم فإن قال قائل لما كان الاستخراج من ظهر آدم فكيف قال أخذ ربك من بني آدم من

تفسير السمعاني ج:2 ص:230
تفسير السمعاني ج 2/ص 231

تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون 173 ظهورهم قال بعض العلماء في جوابه إن الله - تعالى - استخرجهم من صلب آدم على الترتيب الذي يخرجه من بني آدم من ظهورهم إلى يوم القيامة فلذلك قال أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم
واعلم أن المعتزلة تأولوا هذه الآية فقالوا أراد به الأخذ من ظهور بني آدم على الترتيب الذي مضت به السنة من لدن آدم إلى فناء العالم
وقوله وأشهدهم على أنفسهم يعني كما نصب من دلائل العقول التي تدل على كونه ربا ويلجئهم إلى الجواب بقولهم بلى وأنكروا الميثاق وهذا تأويل باطل وأما أهل السنة مقرون بيوم الميثاق والآية على ما سبق ذكره

وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين واختلفوا في قوله شهدنا قل بعضهم هذا من قول الله والملائكة قالوا شهدنا وقيل هو قول المخاطبين قالوا بلى شهدنا وقيل فيه حذف وتقديره أن الله تعالى قال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا
وأما قوله تعالى أن تقولوا يوم القيامة يقرأ بالياء والتاء فمن قرأ بالياء فتقدير الكلام وأشهدهم على أنفسهم لئلا يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ومن قرأ بالتاء فتقدير الكلام أخاطبكم ألست بربكم لئلا تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين فإن قال قائل الحجة إنما تلزم في الدنيا إذا رجعوا عن ذلك العهد الذي كان يوم الميثاق واحد لا يذكر ذلك الميثاق حتى يكون بالرجوع معاندا فتلزمه الحجة وقيل إن الله - تعالى - قد أوضح الدلائل ونصبها على وحدانيته وصدق قوله وقد أخبر عن يوم الميثاق وهو صادق في الأخبار فكل من نقض ذلك العهد كان معاندا ولزقته الحجة
قوله تعالى أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل يعني إنما أخذت ما أخذت

تفسير السمعاني ج:2 ص:231

تفسير السمعاني ج 2/ص 232
وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون 174 واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ
من العهد والميثاق عليكم جميعا لئلا تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم يعني أن الجناية من الآباء وكنا أتباعا لهم فيجعلوا لأنفسهم حجة وعذرا عند الله وفي هذا دليل على أن أولاد الكفار يكونون مع الكفار
أفتهلكنا بما فعل المبطلون أي تأخذنا بجناية آبائنا المبطلين
قوله تعالى وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون
قوله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها قال ابن عباس وابن مسعود في بلعم بن باعور ويقال بلعام بن باعر كان في مدينة الجبارين وكان معه الاسم الأعظم فلما قصدهم موسى بجنده قالوا لبلعم إن موسى رجل فيه حدة فادع الله حتى يرد عنا موسى وقيل إن ملكهم دعاه إلى نفسه وقال له ذلك فقال بلعم لو فعلت ذلك ذهب ديني ودنياي فألحوا عليه حتى دعا الله - تعالى - فاستجيبت دعوته ورد عنهم موسى وأوقعهم في التيه فلما وقعوا في التيه قال موسى يا رب بم حبستنا في التيه قال بدعاء بلعم قال موسى اللهم فكما استجبت دعوته فينا فاستجب دعوتي فيه ثم دعا الله - تعالى - حتى ينزع عنه اسمه الأعظم والإيمان ففعل وقيل نزع الله عنه الاسم الأعظم والإيمان معاقبة له على ما دعا ولم يكن ذلك بدعوة موسى فهذا معنى قوله تعالى

فانسلخ منها
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي كان يطلب الدين قبل مبعث النبي وكان يطمع أن يكون نبيا فلما بعث النبي حسده وكفر به وكان أمية صاحب حكمة وموعظة حسنة

وقال الحسن الآية في منافقي اليهود وقال مجاهد الآية في نبي من الأنبياء بعثه الله - تعالى - إلى قومه فرشاه قومه وهذا أضعف الأقوال لأن الله تعالى يعصم أنبياءه عن مثل ذلك وعن ابن عباس - في رواية أخرى - أن الآية في رجل من بني إسرائيل كانت له ثلاث دعوات مستجابة أعطاه الله تعالى ذلك وكانت له امرأة

تفسير السمعاني ج:2 ص:232
تفسير السمعاني ج 2/ص 233
منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين 175 ولو شئنا لرفعناه ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون 176 ساء مثلا القوم الذين دميمة فقالت له ادع الله أن يجعلني من أجمل نساء العالم فدعا الله تعالى فاستجاب دعوته فتمردت واستعصت عليه فدعا الله تعالى أن يجعلها كلبة فجعلت فقال له بنوها ادع الله أن يردها فدعا الله تعالى فعادت كما كانت فذهبت فيها دعواته الثلاثة والقولان الأولان أظهر
وقوله فأتبعه الشيطان أي أدركه الشيطان يقال تبعه إذا سار في أثره واتبعه إذا أدركه فكان من الغاوين أي من الضالين
قوله تعالى ولو شئنا لرفعناه بها أي لرفعنا درجته ومنزلته بتلك الآيات وأمتناه قبل أن يكفر وقيل معناه لو شئنا لحلنا بينه وبين الكفر ولكنه أخلد إلى الأرض أي مال إلى الدنيا واتبع هواه وهذه أشد آية في حق العلماء وقلما يخلوا عن أحد هذين عالم من الركون إلى الدنيا ومتابعة الهوى
فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ضرب له مثلا بأخس حيوان في أخس الحال فإنه ضرب له المثل بالكلب لاهثا وحقيقة المعنى أنك إن حملت على الكلب وطردته يلهث وإن تتركه يلهث فكذلك الكافر إن وعظته وزجرته فهو ضال وإن تركته فهو ضال واللهث إدلاع اللسان

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ضرب المثل ثم بين أنه مثل ذلك الذي سبق ذكره وقيل هذا كله ضرب مثل للكفار مكة فإنهم كانوا يتمنون أن يكون منهم بني فلما بعث النبي حسدوه وكفروا فكانوا كفارا قبل بعثته وكفارا بعد بعثته فاقصص القصص لعلهم يتفكرون

تفسير السمعاني ج:2 ص:233
تفسير السمعاني ج 2/ص 234
كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون 177 من يهد الله فهو المهتدي ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون 178 ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس لهم قلوب لا
قوله تعالى ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا أي بئس المثل مثلا القوم وأنفسهم كانوا يظلمون
من يهد الله أي من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل أي ومن يضلله الله فأولئك هم الخاسرون وهذا دليل على القدرية حيث نسب الهداية والضلالة إلى فعله من غير سبب
قوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس أي خلقنا لجهنم كثيرا وهذا على وفق قول أهل السنة وروت عائشة - رضي الله عنها - عن النبي أنه قال إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا خلقهم لها وهم في أصلاب بائهم وخلق النار وخلق لها أهلها خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم وهذا في الصحيح وفي رواية أخرى إن الله تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلا بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم وخلق النار وخلق لها أهلا بأسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء قبائلهم - وهذا الحديث ليس في الصحيح - لا يزاد فيهم ولا ينقص وقيل معنى قوله ولقد ذرأنا لجهنم أي ذرأناهم وعاقبة أمرهم إلى جهنم واللام لام العاقبة وهذا مثل قول القائل
يا أم سليم فلا تجزء عنفللموت ما تلد الوالدة
وقال آخر
وللموت تغذوا الوالدات سخالها
كما لخراب الدهر تبنى المساكن

تفسير السمعاني ج:2 ص:234
تفسير السمعاني ج 2/ص 235
يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون 179 ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون 180 وممن خلقنا أمة

يهدون بالحق
والأول أصح وأقرب إلى مذهب أهل السنة وقوله لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها ومعناه أنهم لما لم يفقهوا بقلوبهم ما انتفعوا به ولم يبصروا بأعينهم ولم يسمعوا بآذانهم ما انتفعوا به فكأنهم لا يفقهون ولا يبصرون ولا يسمعون شيئا وهذا كما قال مسكين الداري
أعمى إذا ما جارتي برزتحتى توارى جارتي الخدر
أصم عما كان بينهما سمعي
وما بالسمع من وقر
أولئك كالأنعام يعني في أن همتهم من الدنيا الأكل والتمتع بالشهوات بل هم أضل وذلك أن الأنعام تميز بين المضار والمنافع وأولئك لا يميزون ما يضرهم عما ينفعهم أولئك هم الغافلون
قوله تعالى ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها الأسماء الحسنى هي ما وردت في الخبر روى أبو هريرة عن النبي أنه قال إن لله تسعة وتسعين اسما - مائة غير واحد - من أحصاها دخل الجنة وقوله الحسنى يرجع إلى التسميات وقوله فادعوه بها وذلك بأن يقول يا عزيز يا رحمن ونحو هذا واعلم أن أسماء الله تعالى على التوقيف فإنه يسمى جوادا ولا يسمى سخيا وإن كان في معنى الجواد ويسمى رحيما ولا يسمى رقيقا ويسمى عالما ولا يسمى عاقلا وعلى هذا لا يقال يا خادع يا مكار وإن ورد في القرآن يخادعون الله وهو خادعهم ويمكرون ويمكر الله لكن لما لم يرد الشرع بتسميته به لم يجز ذلك له
وذروا الذين يلحدون في أسمائه قال يعقوب بن السكيت صاحب الإصلاح

تفسير السمعاني ج:2 ص:235
تفسير السمعاني ج 2/ص 236

وبه يعدلون 181 والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون 182 وأملي لهم إن كيدي متين 183 أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير الإلحاد هو الميل عن الحق وإدخال ما ليس في الدين قيل والإلحاد في الأسماء هاهنا كانوا يقولون في مقابلة اسم الله اللآت وفي مقابلة العزيز العزى ومناة في مقابلة المنان وقيل هو تسميتهم الأصنام آلهة وهذا أعظم الإلحاد في الأسماء فهذا معنى قوله وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون
قوله تعالى وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون روى قتادة مرسلا عن النبي أنه قال هؤلاء من هذه الأمة وقد كان فيمن قبلكم وأشار به إلى قوم موسى كما قال تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون
قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الأزهري

الاستدراج هو الأخذ قليلا قليلا ومنه درج الكتاب وقيل الاستدراج من الله هو أن العبد كلما ازداد معصية زاده الله - تعالى - نعمة وقيل هو أن يكثر عليه النعم وينسيه الشكر ثم يأخذه بغتة فهذا هو الاستدراج من حيث لا يعلمون
قوله تعالى وأملي لهم أي أمهل لهم وأؤخر لهم إن كيدي متين أي شديد
قوله تعالى أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين سبب نزول هذه الآية ما روي أن النبي ذات ليلة صعد الصفا وهو ينادي طول الليل يا بني فلان يا بني فلان إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فلما أصبحوا قالوا إن محمدا قد جن يصيح طول الليل فنزلت هذه الآية أو لم يتفكروا يعني في حال محمد أنه لا يليق بحاله الجنون

تفسير السمعاني ج:2 ص:236
تفسير السمعاني ج 2/ص 237

مبين 184 أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون 185 من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون 186 يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون 187
قوله تعالى أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض يعني استدلوا بها على وحدانية الله تعالى وما خلق الله من شيء أي أو لم ينظروا إلى ما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم يعني لعل قد اقترب أجلهم فيموتوا قبل أن يؤمنوا فبأي حديث بعده يؤمنون أي بأي نبي بعد محمد وبأي كتاب بعد كتاب محمد يؤمنون
قوله تعالى من يضلل الله أي من يضلله الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون أي في غلوهم في الباطل يعمهون يتحيرون ويترددون
قوله تعالى يسألونك عن الساعة أيان مرساها أي مثبتها يقال أرسى أي أثبت ومعناه يسألونك عن الساعة متى قيامها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها لا يظهرها لوقتها إلا هو
ثقلت في السموات والأرض أي خفي علمها في السموات والأرض فكأنما ثقلت وكل خفي ثقيل ومعناه ثقيل وصفها على أهل السموات والأرض بما يكون فيها من تكوير الشمس والقمر وتكوير النجوم وتسيير الجبال وطي السموات والأرض وقيل معناه عظم وقوعها على أهل السموات والأرض
لا تأتيكم إلا بغتة أي فجأة
يسألونك كأنك حفي عنها أي كأنك مسرور بسؤالهم عنها يقال تحفيت فلانا في

المسألة إذا سألته وأظهرت السرور في سؤالك فعلى هذا تقدير الآية

تفسير السمعاني ج:2 ص:237
تفسير السمعاني ج 2/ص 238

قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون 188 هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به يسألونك عنها كأنك حفي بسؤالهم وقيل معناه يسألونك كأنك حفي عنها أي عالم بها يقال أحفيت فلانا إذا ما بالغت في المسألة عنه حتى علمت فعلى هذا معنى الآية كأنك حفي عنها أي كأنك بالغت في السؤال عنها حتى علمت قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون
قوله تعالى قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء فيه ثلاثة أقوال
أحدها معناه ولو كنت أعلم الخصب من الجدب لأعددت من الخصب للجدب وما مسني الجوع قاله ابن عباس
وقال ابن جريج معناه لو كنت أعلم متى أموت لاستكثرت من الخيرات والطاعات وما مسني السوء أي ما بي جنون لأنهم كانوا نسبوه إلى الجنون
القول الثالث معناه ولو كنت أعلم متى الساعة لأخبرتكم بقيامها حتى تؤمنوا وما مسني السوء يعني بتكذيبكم إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون
قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم وجعل منها زوجها يعني حواء ليسكن إليها فلما تغشاها أي وطئها والغشيان أحسن كناية عن الوطء يقال تغشاها وتخللها إذا وطئها
حملت حملا خفيفا هو أول ما تحمل المرأة من النطفة فمرت به وقرأ يحيى بن يعمر فمرت به خفيفا من المرية أي شكت وقرئ في الشواذ فمارت به أي تحركت به من المور وقرأ ابن عباس فاستمرت به وهو معنى القراءة المعروفة ومعناه فمرت بالحمل حتى قامت وقعدت ودخلت وخرجت وقيل هو مقلوب وتقديره فمر الحمل بها حتى قامت وقعدت فلما أثقلت أي حان

تفسير السمعاني ج:2 ص:238

تفسير السمعاني ج 2/ص 239
فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين 189 فلما آتاهما وقت الولادة دعوا الله ربهما
وفي القصة أن إبليس جاء إلى حواء حين حبلت وقال لها أتدرين ما في بطنك قالت لا فقال لعله بهيمة وإني أخشى أن تكون لها قرنان تشق بهما بطنك فخافت حواء وجلست حزينة ثم عاد إليها اللعين وقال أتريدين أن أدعو الله تعالى حتى يجعله إنسانا متكلما قالت نعم إني قد وسوست إليكما مرة فأطيعاني حتى أدعو فقالت ماذا نصنع قال اللعين إذا ولدت تسميه عبد الحارث - وكان اسم إبليس من قبل الحارث - فذكرت ذلك لآدم فتوافقا على ذلك فلما ولدت سمياه عبد الحارث وقيل إنها ولدت مرة فسمياه عبد الله فمات ثم ولدت ولد آخر فسمياه عبد الله فمات فجاء اللعين وقال أما علمتما أن الله تعالى لا يدع عبده عندكما فإذا ولدت ولدا فسميه عبد الحارث حتى يحيا فلما ولدت الثالث سمياه عبد الحارث فعاش وحيا
وفي الخبر قال النبي خدعهما إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الأرض وأراد به هذا قوله فلما أثقلت دعوا الله ربهما يعني آدم وحواء لئن آتيتنا صالحا أي ولدا سوى الخلق إذ كانا يدعوان أن يجعله الله إنسانا مثلهما خوفا من وسوسة إبليس لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا أي سوى الخلق جعلا له شركاء فيما آتاهما يعني سمياه عبد الحارث فإن قال قائل كيف يقول جعلا له شركاء وآدم كان نبيا معصوما عن الإشراك بالله
قيل لم يكن هذا إشراكا في التوحيد وإنما ذلك إشراك في الاسم وذلك لا يقدح في التوحيد وهو مثل تسمية الرجل ولده عبد يغوث وعبد زيد وعبد عمرو وقول الرجل لصاحبه أنا عبدك وعلى ذلك قول يوسف - صلوات الله عليه - إنه ربي أحسن مثواي ومثل هذا لا يقدح وأما قوله فتعالى الله عما يشركون

تفسير السمعاني ج:2 ص:239

(2/231)

تفسير السمعاني ج 2/ص 240
صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون 190 أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون 191 ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون 192 وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون 193 إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ابتداء كلام بعد الأول وأراد به إشراك أهل مكة ولئن أراد به الإشراك الذي سبق استقام الكلام لأنه كان الأولى ألا يفعل ما أتى به من الإشراك في الاسم وكان ذلك زلة منه فلذلك قال فتعالى الله عما يشركون

وفي الآية قول آخر أن هذا في جميع بني آدم قال عكرمة وكأن الله يخاطب به كل واحد من الخلق بقوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة يعني خلق كل واحد من أبيه وجعل منها زوجها أي جعل من جنسها زوجها ليسكن إليها يعني كل زوج إلى زوجته فلما تغشاها أي وطئها حملت حملا خفيفا فمرت به وهذا قول حسن في الآية
وقيل إنما عبر بآدم وحواء عن جميع أولادهما لأنهما أصل الكل والأول أشهر وأظهر وهو قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وجماعة المفسرين كلهم قالوا إن الآية في آدم وحواء كما بينا
قوله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون يعني الأصنام لا يخلقون شيئا بل هم مخلوقون ولا يستطيعون لهم نصرا أي منعا ولا أنفسهم ينصرون
قوله تعالى وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم هذا في قوم مخصوصين علم الله أنهم لا يؤمنون سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون أي سواء دعوتموهم أو لم تدعوهم لا يؤمنون
قوله تعالى إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فإن قال قائل كيف تكون الأصنام عبادا أمثالنا قيل قال مقاتل أراد به الملائكة والخطاب مع قوم كانوا

تفسير السمعاني ج:2 ص:240
تفسير السمعاني ج 2/ص 241

---

194 ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون 195 إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين 196 والذين تدعون من دونه لا يستطيعون يعبدون الملائكة وقيل أراد به الشياطين والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الكهنة والشياطين والصحيح أنه في الأصنام وهم عباد أمثال الناس في العبادة وعبادتهم التسبيح وللجمادات تسبيح كما نطق به الكتاب وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقوله أمثالكم يعني أن الأصنام مذللون مسخرون لما أريد منهم مثلكم وهذا مثل قوله تعالى وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ومعناه أمثالكم في شيء دون شيء كذلك هاهنا وقيل إنما قال أمثالكم لأنهم صوروها على صورة الأحياء وطلبوا منها ما يطلب من الأحياء
فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين وهذا لبيان عجزهم ثم أكده فقال ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها وذلك أن قدرة المخلوقين إنما تكون بهذه الآلات والجوارح

وليست لهم تلك الآلات بل أنتم أكبر قدرة منهم لوجود هذه الأشياء فيكم
قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون أي فلا تمهلون
قوله تعالى إن وليي الله الذي نزل الكتاب يعني ناصري ومعيني الله الذي نزل الكتاب وقرئ في الشواذ إن ولي الله بكسر الهاء ومعناه جبريل ولي الله الذي نزل الكتاب أي نزل بالكتاب وهو يتولى الصالحين يعني جبريل ولي الصالحين وهذا مثل قوله تعالى فإن الله هو مولاه وجبريل
قوله تعالى والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:241
تفسير السمعاني ج 2/ص 242

نصركم ولا أنفسهم ينصرون 197 وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون 198 خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ينصرون وهذا لبيان عجزهم أيضا وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا يعني الأصنام وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون فإن قيل كيف يتصور النظر من الأصنام قال الكسائي تقول العرب داري تنظر إلى دار فلان إذا كانت مقابلة لما فكذلك قوله وتراهم ينظرون إليك يعني نظر المقابلة
قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين روى أن جبريل - صلوات الله عليه - لما نزل بهذه الآية قال يا رسول الله أتيتك بمكارم الأخلاق فروى أن النبي سأل جبريل عن معنى هذه الآية فقال له حتى أسأل ربي ثم رجع وقال صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عن من ظلمك
ثم اختلفوا في معنى هذا العفو فقال عطاء هو الفضل من أموال الناس وكان في الابتداء يجب التصدق بما فضل من الحاجات ثم صار منسوخا بآية الزكاة وهذا معنى قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو وقال ابن الزبير العفو ما تيسر من أخلاق الناس أي خذ الميسور من أخلاق الناس مثل قبول الاعتذار والعفو والمساهلة في الأمور وترك البحث عن الأشياء ونحو ذلك
وقوله وأمر بالعرف هو الأمر بالمعروف وهو ما يعرفه الشرع
وقوله وأعرض عن الجاهلين يعني إذا سفه عليك الجاهل فلا تكافئه ولا تقابله بالسفه وذلك مثل قوله وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وذلك

تفسير السمعاني ج:2 ص:242
تفسير السمعاني ج 2/ص 243

199 وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم 200 إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون 201 وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون 202 وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما سلام المنازعة قال وإذا مروا باللغو مروا كراما يعني أكرموا أنفسهم عن الخوض فيه

وروى أن عيينة بن حصن - وكان سيد غطفان - لما قدم المدينة قال للحر بن قيس لك وجه عند أمير المؤمنين فاستأذن لي عليه فاستأذن له فدخل على عمر - رضي الله عنه - فقال له إنك لا تقضي فينا بالحق ولا تقسم فينا بالعدل فغضب عمر وهم أن يؤديه فقال الحر بن قيس إن الله تعالى يقول وأعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين فسكت عمر - رضي الله عنه -

قوله تعالى وإما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ من الشيطان الوسوسة فاستعذ بالله أي استجر بالله إنه سميع عليم

قوله تعالى إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان وتقرأ طائف ومعناهما واحد

قال سعيد بن جبير هو الغضب وقال أبو عمرو بن العلاء هو الوسوسة وأصل الطيف الجنون

تذكروا فإذا هم مبصرون وفي معناه قولان أحدهما أنهم إذا وسوسهم الشيطان بالمعصية ذكروا عقاب الله فإذا هم كافون عن المعصية

والقول الثاني معناه ذكروا الله فإذا هم يبصرون الحق عن الباطل

قوله تعالى وإخوانهم أي أشباههم من الشياطين يمدونهم أي يردونهم في الغي في الضلالة ثم لا يقصرون أي لا يكفون

تفسير السمعاني ج:2 ص:243

تفسير السمعاني ج 2/ص 244

أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون 203 وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون 204 واذكر ربك في نفسك تضرعا

قوله تعالى وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبتها كانوا يسألون النبي الآيات تعنتا ويستكثرون منها فإذا لم يقرأ عليهم آية قالوا لولا اجتبيتها أي هلا اختلقتها وقلتها من تلقاء نفسك قال قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم يعني القرآن وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

قوله تعالى وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون قال الحسن والزهري والنخعي هذا في القراءة في الصلاة وقال عطاء ومجاهد هو في الخطبة ولم يرضوا من مجاهد هذا القول لأن الآية مكية والجمعة إنما وجبت بالمدينة ولأن الاستماع في جميع الخطبة واجب ولا يختص بالقراءة في الخطبة فالأول أصح
وليس لمن يرى ترك القراءة خلف الإمام مستدل في الآية لأن القراءة خلف الإمام لا تنافي الاستماع لأنه يتبع سكتات الإمام ولأن الآية فيما وراء الفاتحة بدليل حديث عبادة بن الصامت عن النبي أنه قال إذا كنتم خلفي فلا تقرءوا إلا بأم القرآن
وفي الآية قول ثالث أن المراد به النهي عن الكلام في الصلاة قاله أبو هريرة وهذا قول حسن
قوله تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفه قيل هذا في الدعاء أي ادع الله بالتضرع والخيفه وقيل هو في صلاة السر

تفسير السمعاني ج:2 ص:244
تفسير السمعاني ج 2/ص 245
وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين 205 إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون 206
ودون الجهر من القول أراد به في صلاة الجهر لا تجهر جهرا شديدا بالغدو والأصال فالغدو أوائل النهار والآصال أواخر النهار ولا تكن من الغافلين عن ذكر الله

قوله تعالى إن الذين عند ربك يعني الملائكة ذكرهم بالتقريب والكرامة لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون يعني إن كان هؤلاء يستكبرون عن عبادة الله تعالى فالذين عنده لا يستكبرون عنها
وقد ورد في السجود أخبار منها ما روى أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي أنه قال إذا سجد ابن آدم اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلاه أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت فلي النار
وفي حديث ربيعة بن كعب الأسلمي أنه أتى النبي بوضوئه لحاجته فقال سلني فقلت أريد مرافقتك في الجنة فقال أو غير ذلك فقلت هو ذاك فقال أعني على نفسك بكثرة السجود أخرجه مسلم في الصحيح
وروى أبو فاطمة عن النبي أنه قال ما من عبد يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة والله أعلم

تفسير السمعاني ج:2 ص:245

تفسير السمعاني ج 2/ص 246
بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا تفسير سورة الأنفال
قال الشيخ الإمام رضي الله عنه سورة الأنفال مدنية إلا سبع آيات وذلك من قوله وإذ يمكر بك الذين كفروا إلى آخر الآيات السبع فإنها نزلت بمكة وأكثر السورة في غزوة بدر
قوله تعالى يسألونك عن الأنفال والسؤال سؤالان سؤال استخبار وسؤال طلب فقوله يسألونك عن الأنفال سؤال استخبار فإنهم سألوه عن حكم الأنفال وقرأ ابن مسعود وسعد بن أبي وقاص يسألونك الأنفال وهذا سؤال طلب روى مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص أنه قال سألت رسول الله سيفا يوم بدر فقلت نفلنيه يا رسول الله فنزل قوله يسألونك عن الأنفال
والأنفال الغنائم والنفل في اللغة الزيادة قال لبيد بن ربيعة العامري شعرا
إن تقوى ربنا خير نفلوبإذن الله ريثي والعجل

ومنه صلاة النافلة لأنها زيادة على الفريضة فسميت الغنائم أنفالا لأنها زيادة كرامة من الله تعالى لهذه الأمة على الخصوص
وسبب نزول الآية ما روى أن أصحاب النبي افترقوا يوم بدر فرقتين فرقة كانت تقاتل وتأسر وفرقة تحرس رسول الله ثم تنازعوا فقالت الفرقة المقاتلة

تفسير السمعاني ج:2 ص:246
تفسير السمعاني ج 2/ص 247
الله ورسوله إن كنتم مؤمنين 1 إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم الغنائم لنا قاتلنا وأسرنا وقال الآخرون كنا ردءا لكم ونحرس رسول الله فالغنيمة بيننا فنزل قوله تعالى يسألونك عن الأنفال
وفي رواية أن النبي قال يومئذ من قتل قتيلا فله كذا ومن أسر أسيرا فله كذا فتسارع الشبان وقاتلوا وأسروا وبقي الشيوخ مع الرسول - عليه السلام - يحرسونه ثم تنازعوا في الغنيمة فقال الشبان الغنيمة لنا لأنا قاتلنا وقال الشيوخ كنا نحرس رسول الله وكنا ردءا لكم وكان الذي تكلم من الشبان أبو اليسر والذي تكلم من الشيوخ سعد بن معاذ فنزلت الآية فقسم النبي الأنفال بين الكل
وقوله قل الأنفال لله والرسول واختلفوا فيه قال مجاهد وعكرمة الآية منسوخة بقول تعالى واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول فهذه الآية ردت من الكل إلى الخمس فكانت ناسخة للأولى

وقيل الآية غير منسوخة ومعنى قوله قل الأنفال لله والرسول أي حكمها لله والرسول فتكون موافقة لتلك الآية
فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم قال ثعلب يعني أصلحوا الحالة التي بينكم
ومعناه الإصلاح بترك المنازعة وتسليم أمر الغنيمة إلى الله والرسول وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين
قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم قال ابن أبي نجيح

تفسير السمعاني ج:2 ص:247
تفسير السمعاني ج 2/ص 248
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون 2 الذين يقيمون الصلاة
ومما رزقناهم ينفقون 3 أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم
ومغفرة ورزق كريم 4 كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقا من المؤمنين لكارهون أي خافت وفرقت قال الشاعر
لعمرك ما أدري وإني لأوجلعلى أينا تغدو المنية أول
وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا أي يقينا وتصديقا وذلك أنه كلما نزلت آية فآمنوا به ازدادوا إيمانا وتصديقا وهذا دليل لأهل السنة على أن الإيمان يزيد وينقص وعلى ربهم يتوكلون التوكل هو الاعتماد على الله والثقة به
الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون إقامة الصلاة هي أداؤها في أوقاتها بشرائطها وأركانها
أولئك هم المؤمنون حقا قال مقاتل يعني إيمانا لا شك فيه وقيل برأهم من الكفر والنفاق
وفيه دليل لأهل السنة على انه لا يجوز لكل أحد أن يصف نفسه بكونه مؤمنا حقا لأن الله تعالى إنما وصف بذلك قوما مخصوصين على أوصاف مخصوصة وكل أحد لا يتحقق في نفسه وجود تلك الأوصاف
لهم درجات عند ربهم قال الربيع بن أنس الدرجات سبعون درجة ما بين كل درجتين حضر الفرس المضمر سبعين سنة ومغفرة ورزق كريم أي كامل لا نقص فيه
قوله تعالى كما أخرجك ربك من بيتك بالحق الأكثرون على أنه في إخراجه من المدينة إلى بدر للقتال مع المشركين وقيل هو في إخراجه من مكة إلى المدينة

تفسير السمعاني ج:2 ص:248
تفسير السمعاني ج 2/ص 249
5 يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون 6

وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم

واختلفوا في أن قوله كما أخرجك إلى ماذا ترجع كاف التشبيه قال المبرد تقديره الأنفال لله وللرسول وإن كرهوا كما أخرجك ربك من بيتك وإن كرهوا وقول الفراء قريب من هذا وهكذا قول الزجاج فإنهما قالا تقديره امض لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا كما مضيت لأمر الله عند إخراجك من بيتك وإن كرهوا
وقيل هو راجع إلى قوله تعالى فاتقوا الله وتقديره كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فاتبعت أمره فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وقيل هو راجع إلى قوله تعالى لهم درجات عند ربهم وتقديره وعد الدرجات حق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فأنجز والوعد بالنصر والظفر وقال أبو عبيدة ما هاهنا بمعنى الذي أي كالذي أخرجك ربك
وإن فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين وذلك أن أصحاب رسول الله كرهوا خروجه إلى بدر وجادلوا فيه فقالوا لا نخرج فإنا لم نستعد للقتال وليس معنا أهبة الحرب
وقوله بعد ما تبين معناه ما تبين لهم صدقه في الوعد بما وعدهم مرة بعد أخرى فصدقهم في وعده
كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون فيه تقديم وتأخير وتقديره وإن فريقا من المؤمنين لكارهونه كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون يجادلونك في الحق بعد ما تبين
قوله تعالى وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم سبب هذا ما روي أن أبا سفيان قدم على عير من قبل الشام فيها أموال قريش فبلغ ذلك رسول الله وأصحابه بالمدينة فخرجوا في طلب العير فبعث أبو سفيان رجلا إلى مكة يستنفرهم ويستغيث بهم فخرج أبو جهل ورءوس المشركين في سبعمائة وخمسين

تفسير السمعاني ج:2 ص:249
تفسير السمعاني ج 2/ص 250

ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين 7 ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون 8 إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف رجلا وكان المسلمون يومئذ ثلاثمائة وثلاثة عشر نفرا ولم يكن لهم كثير سلاح وكان معهم فرسان فحسب أحدهما للمقداد بن عمرو والآخر لأبي مرثد الغنوي وكان معهم ستة أدرع وكان أكثرهم رجاله وبعضهم على الأبعرة فوعدهم الله - تعالى - إحدى الطائفتين إما العير أو النفير وكان أبو سفيان صاحب العير وأبو جهل صاحب النفير فالتقى الجمعان ووقعوا في القتال وأخذ العير طريق الساحل وذهبوا وكان المسلمون يودون أن يظفروا بالعير ويفوزوا بالمال من غير القتال فهذا معنى قوله وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم والشوكة السلاح

ويريد الله أن يحق الحق بكلماته أي يظهر الحق ويعلى كلمته ويقطع دابر الكافرين أي أصل الكافرين

ليحق الحق ويبطل الباطل أي يثبت الحق وينفي الباطل ولو كره المجرمون قوله تعالى إذ تستغيثون ربكم الاستغاثة طلب الغوث فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين سبب هذا ما روي أنه لما التقى الجمعان ببدر استقبل النبي القبلة ورفع يديه وقال اللهم أنجزني ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض وعلا به صوته فقال له أبو بكر خفض من صوتك يا رسول الله فإن الله منجزك ما وعدك فنزلت الآية واستجاب دعاءه وأمدهم الله تعالى بالملائكة فروى أنه نزل جبريل في خمسمائة وميكائيل في خمسمائة وكان على رءوسهم عمائم بيض قد أرخوا أطرافها بين أكتافهم وهم على صور البشر

تفسير السمعاني ج:2 ص:250
تفسير السمعاني ج 2/ص 251

من الملائكة مردفين 9 وما جعله الله إلا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم 10 إذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من على خيل بلق فهذا معنى قوله فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين يقال ردفه وأردفه إذا أتبعه قال الشاعر

إذا الجوزاء أردفت الثرياظننت بآل فاطمة الظنونا

فمعنى قوله مردفين أي متتابعين بعضهم في إثر بعض وهذا معنى القراءة الثانية بفتح الدال ومنهم من فرق بينهما وقال مردفين أي ممدين بعضهم لبعض ومن قرأ بفتح الدال فمعناه ممدين من قبل الله

قوله تعالى وما جعله الله إلا بشرى أي بشارة ولتطمئن به قلوبكم أي تسكن به

قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم
قوله تعالى إذ يغشيكم النعاس أمنة منه ويقرأ إذ يغشاكم النعاس وقرأ ابن محيصن أمنة ساكنة الميم في الشواذ
والقصة في ذلك أن الكفار يوم بدر نزلوا على الماء ونزل المسلمون على غير ماء فأجنب بعضهم وأحدثوا فلم يجدوا ماء يتطهرون به وكانوا في رمل تسوخ فيه أرجلهم فوسوس إليهم الشيطان إنكم تزعمذسون أنكم على الحق وأولئك على الباطل وإذا هم على الماء فلو كنتم على الحق لكنتم أنتم على الماء وما بقيتم مجنبين محدثين فوقع فيهم خوف شديد فألقى الله تعالى عليهم النعاس حتى أمنوا وأنشأ سحابة فتمطرت عليهم حتى سال الوادي وتطهروا واغتسلوا وتلبدت الرمال حتى ثبتت عليها الأقدام فهذا معنى قوله إذ يغشيكم النعاس أمنة

تفسير السمعاني ج:2 ص:251
تفسير السمعاني ج 2/ص 252
السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام 11 إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان 12 ذلك

قال ابن مسعود النعاس في القتال من الله وفي الصلاة من الشيطان
وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به وهو ما ذكرنا ويذهب عنكم رجز الشيطان أي وسوسة الشيطان وليربط على قلوبكم أي يشدد قلوبكم وتثبت بإزالة الخوف ويثبت به الأقدام يعني على الرمل حين تلبد بالمطر
إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم أي بالنصر والظفر فثبتوا الذين آمنوا وروى أن الملك كان يمشي بين أيديهم وينادي أيها المسلمون أبشروا بالظفر والنصر وقيل كان يلهمهم الملك ذلك وللملك إلهام
سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق أي على الأعناق وقيل فوق فيه صلة ومعناه فاضربوا الأعناق وقيل هو على موضعه ومعناه فاضربوا على اليافوخ
واضربوا منهم كل بنان قيل البنان مفاصل الأطراف وقيل الأصابع كأنه عبر به عن الأيدي والأرجل
قال ابن الأنباري ما كانت الملائكة تعلم كيف يقتل الآدميون فعلمهم الله وقيل إن الملائكة لم يقاتلوا إلا في غزوة بدر
وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه لما أراد أن يحز رأس أبي جهل - وكان قد علاه ليقتله - فقال له أبو جهل كنا نسمع الصوت ولا نرى شخصا ونرى

الضرب ولا نرى الضارب فمن هم قال هم الملائكة فقال أبو جهل أولئك غلبونا لا انتم
ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله أي نازعوا الله ورسوله

تفسير السمعاني ج:2 ص:252
تفسير السمعاني ج 2/ص 253
بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب 13 ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار 14 يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار 15 ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى

ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عاب النار إنما قال ذلك مبالغة في التعذيب والانتقام والعرب تقول للعدو إذا أصابه المكروه ذق قال الله تعالى ذق إنك أنت العزيز الكريم
وروي أن أبا سفيان بن حرب لما مر بحمزة بن عبد المطلب وهو مطروح مقتول يوم أحد فقال له ذق يا عقق يعني ذق أيها العاق
وفي القصة أن المسلمين لما فرغوا من قتال بدر وانهزم الكفار قصدوا طلب العير وأن يتبعوهم - وكان العباس بن عبد المطلب في وثاق المسلمين وأسرهم - فقال لهم ليس لكم إلى ذلك سبيل فإن الله - تعالى - وعدكم إحدى الطائفتين وقد ظفرتم بالجيش فليس لكم العير فسكتوا
قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا أي متزاحفين والتزاحف التداني من القتال ومعناه إذا تزاحفتم وتوافقتم فلا تولوهم الأدبار أي لا تنهزموا فإن المنهزم يولي دبره إذا انهزم ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال التحرف للقتال هو أن يرى الانهزام ويقصد به طلب الغرة والغيلة وانتهاز الفرصة أو متحيزا إلى فئة أي مائلا إلى فئة فقد باء بغضب من الله أي رجع بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير واستدلت المعتزلة بإطلاق قوله ومأواه جهنم في وعيد الأبد ولا حجة لهم فيه لأن معنى الآية ومأواه جهنم إلا أن تدركه الرحمة بدليل سائر الآي المقيدة
قال الحسن البصري الآية في أهل بدر خاصة ما كان يجوز لهم الانهزام بحال لأن النبي كان معهم ولم يكن لهم فئة يتحيزون إليها فأما في حق غيرهم فالفرار من الزحف لا يكون كبيرة لأن المسلمين بعضهم فئة لبعض فيكون الفار متحيزا إلى فئة

تفسير السمعاني ج:2 ص:253

تفسير السمعاني ج 2/ص 254
فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير 16 فلم تقتلوهم ولكن الله

(2/244)

وهذا مروي عن أبي سعيد الخدري - من الصحابة - ويشهد لذلك قول عمر - رضي الله عنه - أنه قال لما أصاب المسلمين يوم الجسر ما أصابهم وصبروا حتى قتلوا قال عمر هلا رجعوا إلي وكان إذا بعث جيشا بعد ذلك يقول أنا فئة لكل مسلم
ويدل عليه ما روي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أنه قال غزونا غزو فحصنا حيصة فقلنا يا رسول الله نحن الفرارون فقال لا بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وفي الآية قول آخر - وهو المذهب اليوم وعليه عامة الفقهاء - أنه إن كان الكفار أكثر من مثليهم جاز الفرار من الزحف لقوله الآن خفف الله عنكم ولقوله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ولو صبروا جاز اللهم أن يعلموا قطعا أنه لا يمكنهم مقاومتهم فحينئذ لا يجوز الصبر لأنه يكون إلقاء لنفسه في التهلكة وإن كان الكفار مثلي المسلمين أو دون المثلين لا يجوز الفرار من الزحف إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة - يعني إلى فئة قريبة من الجيش مثل السرايا - والفرار من الزحف إنما يكون كثيره من هذه الصورة
قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم سبب هذا أن المسلمين لما انصرفوا من قتال بدر كان الواحد منهم يقول أنا قتلت فلانا ويقول الآخر أنا قتلت فلانا فلم يرض الله تعالى منهم ذلك ونزلت الآية فلم تقتلوهم يعني بقوتكم وعدتكم ولكن الله قتلهم بنصره إياكم ومعونته لكم وقيل معناه ولكن الله قتلهم بسوقهم إليكم حتى ظفرتم بهم

تفسير السمعاني ج:2 ص:254
تفسير السمعاني ج 2/ص 255
قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم 17 ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين 18 إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح
وقيل معناه ولكن الله قتلهم ببعث الملائكة لكم مددا فقتلهم الله بالملائكة

(2/245)

وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى روى أن النبي أخذ كفا من الحصباء يوم بدر ورمى به إلى وجوه المشركين وقال شاهت الوجوه فلم يبق منهم أحد إلا

وأصاب عينيه من ذلك وشغل بعينيه
وما رميت إذ رميت يريد به ذلك الرمي بالحصباء التي أصابت عيونهم إذ ليس هذا في قدرة البشر أن ترمي الحصباء إلى وجوه جيش بحيث لا تبقى عين إلا ويصيبها منها ولكن الله رمى بقوته وقدرته وقيل معناه وما بلغت إذ رميت ولكن الله بلغ وقيل معناه وما رميت بالرعب في قلوبهم
وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا أي نعمة حسنة ينعم بها على المؤمنين وذلك نعمة النصر والظفر والشدة بلاء والنعمة بلاء والله تعالى يبتلي عبده تارة بالنعمة وتارة بالشدة إن الله سميع عليم
قوله تعالى ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين يقرأ مخففا ومشددا ومعناه مضعف كيد الكافرين
قوله إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح قال الضحاك سبب هذا أن أبا جهل

تفسير السمعاني ج:2 ص:255
تفسير السمعاني ج 2/ص 256
وإن تنتهوا فهو خير لكم وإن تعودوا نعد ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين 19 يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون 20 ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون 21 إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون 22 ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون 23 يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا قال يوم بدر اللهم انصر أحب الفئتين إليك وأكرمهم عليك وفي رواية أخرى اللهم أقطعنا للرحم وأفسدنا للجماعة وأتانا بما لا نعرف فاخزه اليوم فأجابه الله تعالى يقوله إن تستفتحوا أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر